

مجلة جامعة الطائف

للعلوم الإنسانية

مجلة علمية محكمة

المجلد الثالث - العدد العاشر
ذوالحججة ١٤٣٤ هـ - أكتوبر ٢٠١٣ م

رقم الإيداع: ١٤٣٠/٤٧٤٢
ردمك: ٤٧٦٧-١٦٥٨

الآراء الواردة في المجلة لا تمثل بالضرورة وجهة نظر الجامعية
ولا أسرة تحرير المجلة، بل تمثل وجهة نظر الباحثين.

الطباعة:

مطابع السروات بجدة

التصميم

الأعمال الثقافية

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِ

تنويه

كانت تصدر هذه المجلة تحت مسمى : مجلة جامعة الطائف (الأداب والتربية) ،
وقد صدر منها الأعداد ١ - ٩ تحت هذا المسمى .

مجلة جامعة الطائف

العدد الثالث - المجلد الماشر ١٤٢٥ هـ - ٢٠١٢ م

هيئة التحرير

رئيس هيئة التحرير

أ. د. عائِي سرحان القرشي

أمين التحرير

أ. د. يحيى عبد الله الشعالي

أعضاء هيئة التحرير

أ. د. حسِن البنا محمود

د. بريكان سعد الشلوي

د. جابر محمد عبد الله

المسؤول التنفيذي

د. عبد الله ضاوي العثبي

الإعداد التقني

عادل سعود الروفي سلمان علي السليماني

عادل علي الحميدي

محتويات العدد

■ الإدارة والاقتصاد

- نموذج مقترن لتقويم طرق الاستثمار في البنوك الإسلامية د. صلاح على محمود أبوالنصر ١٣
في ظل سوق مالية إسلامية د. صلاح على محمود أبوالنصر ١٣

■ التربية

- تحديد القيم الشاذة وأثرها على تقدير نموذج الانحدار د/ محمد موسى محمد الشمراني ٤٤
الخطي وطرق معالجتها د/ محمد موسى محمد الشمراني ٤٤
واقع كنایات الأداء المهني لعلمي التعليم العام في ضوء د/ علي بن صالح الشايق ٧٧
معايير جودة التعليم في المملكة العربية السعودية د/ علي بن صالح الشايق ٧٧

■ الشريعة والأنظمة

- انتفاع المرتهن بالرهن في الفقه الإسلامي والقانون د. عبدالمهدي ضيف الله السعد الشرع ١٢١
المدني الأردني د. عبدالمهدي ضيف الله السعد الشرع ١٢١
مشاهد يوم القيمة في سورة الزلزلة د. إبراهيم سيد أحمد إبراهيم ١٥٥
أطعمة غير المسلمين من غير أهل الكتاب د. إبراهيم عبد الله باجتيد ١٩٥

■ اللغة الفرنسية وأدابها

- جماليات المكان في سورة النمل د. هاجرزة أحمد مصلح الحريري ٢٢١
بنية الخطاب الشعري عند محمد عبد القادر هنفي د. آمال يوسف سعيد يوسف ٢٦٥
د. أسماء مساعد العمري
د. ماجدة زين العابدين حسن د. ماجدة زين العابدين حسن
براعة الاستهلال عند أحمد شوقي - دراسة في علاقة د. هشام الدين فتحى محمد الجايرى ٢٢٧
الاستهلال بفاعلية التلقى د. هشام الدين فتحى محمد الجايرى ٢٢٧

■ القسم الإنجليزي

- المستوى "الفوق معرفي" للنحو الإنجليزي لدى محاضري أ.د. حسن البنا جابر الله ١١
اللغة الإنجليزية بجامعة الطائف د. محمد عباس الحريري



الادارة والاقتصاد



جامعة الطائف

نموذج مقترن لتقويم طرق الاستثمار في البنوك الإسلامية في ظل سوق مالية إسلامية

د صلاح على محمود أبوالنصر

أستاذ الاقتصاد المشارك

كلية العلوم الإدارية والمالية

جامعة الطائف

الملخص

تشهد الساحة المصرفيّة المحليّة والإقليميّة والدوليّة تطويراً هائلاً في الصناعة المصرفيّة الإسلاميّة سواءً في شكل إنشاء مصارف إسلاميّة جديدة أو في شكل تحول بعض البنوك إلى العمل المصرفي الإسلامي، بالإضافة إلى تقديم العديد من البنوك المحليّة والدوليّة لعمل المصرفي الإسلامي إلى جانب العمل المصرفي التقليدي. وقد صاحب التطور في السوق المصرفي الإسلامي والذي نشأ عام ١٩٧٥ مع افتتاح البنك الإسلامي للتنمية وبنك دبي الإسلامي، تطوراً مماثلاً في وسائل الاستثمار الإسلاميّة المقدمة للعملاء في البنوك الإسلاميّة لتحصل حالياً إلى حوالي ١٥ وسيلة استثمارية مستخدمة بالبنوك الإسلاميّة. وتهدّف هذه الدراسة إلى اقتراح نموذج لتقويم أداء وسائل الاستثمار في البنوك الإسلاميّة مثل المراقبة، والمضاربة، والمشاركة. وقد توصلت الدراسة إلى عدد من النتائج أهمها: أن المراقبة هي الصيغة المفضّلة لدى المصارف الإسلاميّة والتعاملين معها، محدودية استخدام المضاربة في مجال التمويل ويرجع ذلك إلى ارتفاع مخاطرها، مع استخدامها بشكل كبير في مجال صناديق الاستثمار، وأخيراً محدودية استخدام المشاركة في مجال التمويل ويرجع ذلك إلى ارتفاع مخاطرها وعدم استيعاب تطبيقاتها من قبل الكثير من العاملين والتعاملين، مع تركز استخدامها لتمويل قطاع الشركات وقد أوصت الدراسة بالعمل على إصدار مؤشرات قياسية عن الصناعة المصرفيّة الإسلاميّة، وتوعية التعاملين مع المصارف بوسائل الاستثمار المختلفة. والحد من مخاطر تطبيق المضاربة والمشاركة.

١- المقدمة

تعتبر السوق المالية الإسلامية فرصة هامة جداً لكل مستثمر مسلم، حيث يمكن من تقليل خسائره ومخاطره وزيادة عائداته، وذلك من خلال تنويع محفظته المالية، واختيار الأدوات الأقوى والأكثر نجاحاً ومشروعية. كما تمثل السوق المالية الإسلامية محطة هامة لإعادة تنمية وضخ الأموال الحلال وتمويل المشروعات البناءة والناجحة مما يؤدي إلى زيادة معدل النمو الاقتصادي من خلال زيادة إنتاج الطبيات في المجتمع. إن سوق المال الإسلامي بما يمكن أن تتضمنه من أدوات إسلامية متقدمة مثل عقود الخيارات والمستقبلات والعقود الآجلة بعد تطويرها بما يتفق والشريعة الإسلامية، سوف تسهم في تطوير نوعية العمل المصرفي الإسلامي، بما يؤدي إلى زيادة الكفاءة والعدالة، وبالتالي زيادة معدلات التنمو والرفاهية.

منهجية الدراسة

تعتمد الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي من خلال استعراض ماهية السوق المالية الإسلامية وأهم وظائفها وأدواتها، ثم يلي ذلك مراجعة للأدبيات التي شابت موضوع السوق المالية الإسلامية، وذلك بهدف اقتراح نموذج لتقدير أداء وسائل الاستثمار في البنوك الإسلامية.

مشكلة البحث:

على الرغم من تطور الصناعة المصرفية الإسلامية فقد تبين للباحث من خلال ما توفر لديه من بيانات ومعلومات عدم توافر نموذج لتقويم أداء وسائل الاستثمار في البنوك الإسلامية.

أهداف البحث:

يهدف هذا البحث إلى تحقيق مجموعة من المقاصد من أهمها:

- تحديد ماهية السوق المالية
- اقتراح أسس ومعايير لتقويم أداء وسائل الاستثمار في البنوك الإسلامية (المرابحة، المضاربة، المشاركة).
- إعداد نموذج لتقويم أداء وسائل الاستثمار في البنوك الإسلامية (المرابحة، المضاربة، والمشاركة)

أهمية البحث:

تبغ أهمية هذا البحث في إعداد نموذج لتقويم أداء وسائل الاستثمار في البنوك الإسلامية، مما يوفر للعاملين والمتعاملين أداة لتقويم أداء الوسائل الاستثمارية المطبقة بالبنوك الإسلامية.

خطة البحث:

لقد خلطت هذا البحث ليقع في ثلاثة مباحث نظمت على النحو التالي:

المبحث الأول: ماهية السوق المالية.

المبحث الثاني: معايير تقدير وسائل الاستثمار في البنوك الإسلامية.

المبحث الثالث: التمودج المقترن لتقدير وسائل الاستثمار في البنوك الإسلامية.

٢. ماهية السوق المالية

١- التعريف بالسوق المالية:

يطلق مصطلح السوق المالية بمعنى الضيق على سوق أو بورصة الأوراق المالية، كما يطلق بمعنى الواسع على مجموع التهافتات المالية في المجتمع سواء كانت لآجال قصيرة أو متعددة أو طويلة بين أفراده ومؤسساته وقطاعاته، وفي ضوء هذا المعنى الواسع فإن السوق المالية لا تتحصر في مكان محدد، وإنما في معاملات محددة، ومن هنا فإن مصطلح السوق المالية الإسلامية، يمكن أن يتضمن المعاملات المالية المتضبطة بالضوابط الشرعية . (إسماعيل حسن، ٤، ١٩٨٧)

ومن المعلوم أن تتحقق المعنى الضيق بترتبط بتحقق المعنى الواسع، فلن توجد أسواق أوراق مالية إسلامية ما لم توجد أوراق مالية إسلامية، ولن توجد هذه الأوراق ما لم توجد مؤسسات مالية إسلامية تصدرها، ويذكر مركزي إسلامي أو جهاز مركزي إسلامي يمنع ترخيصاً بإصدارها .. وهكذا يمكن القول أن السوق المالية تشمل على البنك المركزي والبنوك التجارية وشركات التأمين وشركات الاستثمار المالي والمؤسسات المالية وبورصات الأوراق المالية وكافة المؤسسات التي تتعامل مع التهافتات المالية، ولكي تكون السوق المالية إسلامية فيتبغي أن تخضع هذه المؤسسات والبنوك للضوابط الشرعية. وتكون السوق المالية من عدة أسواق متداخلة مع بعضها البعض وهي:

- * سوق النقد: وهي السوق التي تتعامل بأدوات الائتمان قصيرة الأجل (لا تزيد عن سنة) مثل النقود المتدالوة والشيكات الكمبليات وغيرها من الأوراق التجارية المقبولة الدفع.
- * سوق المال: وهي السوق التي تتعامل بأدوات الائتمان متعددة أو طويلة الأجل وتندو فيها الأسهم والمستدات، وغيرها من القروض التي تتراوح أجالها من (٥-٢٥ سنة).
- * سوق الصرف: ويتم التعامل فيها بطريقتين عاجلة وآجلة، أما سوق الصرف العاجلة فيتم التعامل فيها عن طريق التحويلات البرقية والبريدية والحوالات العاجلة إضافة إلى الشراء الفوري، بينما يتم التعامل في سوق الصرف الآجل بالحوالات الآجلة والمقدود الموزلة.

ولا توجد حدود هائلة بين أسواق النقد وأسواق رأس المال وأسواق الصرف، ويستدل على هذه الأسواق بنوعية الأوراق والنقود المتدالوة. فالاقتراض أو الإيداع لدى مصرف لمدة أشهر

معدودة يعتبر تعملاً مع سوق النقد لأنه تعامل قصير الأجل، وإذا باع المصرف أسهماً لشركة ما كان بمثابة سوق لرأس المال لأنه تعامل حلول الأجل، وإذا كانت الأسهم لشركة أجنبية في الخارج، وقام المصرف بتحويل عيلات المساهمين إلى العملة الأجنبية التي تقبلاها الشركة في الخارج كان بمثابة سوق الصرف، (عيسى، ١٩٨٤، ١٢-١٤).

٢-٢ وظائف الأسواق المالية:

من خلال التعريف السابق للسوق المالية، يظهر لنا أنها تمثل البيئة أو الأوعية التي يتم من خلالها انتساب التدفقات المالية في المجتمع، فهي بمثابة الشرابين التي تتدنى عروق الاقتصاد الوطني بالأموال اللازمة لاستمرارية عمله بشكل سليم، وكلما كانت هذه الشرابين واسعة سليمة، كان الاقتصاد الوطني بعيداً عن الجلطات أو الأزمات الاقتصادية التي يمكن أن تلحق به، وتعيقه عن التقدم، بل إن السوق المالية المنتظمة والمضبطة تزيد من ثقة الأفراد والمؤسسات في سلامة الوضع الاقتصادي، مما يزيد من جذب المدخرات، واستقطاب الاستثمارات الأجنبية، وبالتالي زيادة معدلات الأداء والتعمق الاقتصادي، بما يزيد من تقدم البلد ورهانه مواطنه، وتؤدي سوق الأوراق المالية (البورصة) بشكل خاص وظائف هامة على مستوى الاقتصاد القومي والمؤسسات والأفراد، فبالنسبة للاقتصاد القومي تتحقق سوق الأوراق المالية المزايا التالية (محبي الدين، ١٩٨٦، ١١٧، ١١٧٠، ١٩٩٠، ١٦٧٠):

- تعبئة المدخرات وتوجيهها نحو الاستثمار في المشاريع المنتجة.
- توزيع رأس المال على مختلف الأنشطة الاستثمارية.
- تمثل سوق الأوراق المالية حلقة اتصال بين جميع الفعاليات الاقتصادية.
- تمهد الطريق أمام السلطات النقدية للمزج بين السياستين المالية والنقدية.
- تعمل على جذب رؤوس الأموال الأجنبية.
- تعتبر مؤشراً هاماً على حقيقة الوضع الاقتصادي واتجاهات الأسعار ومعدلات الادخار والاستثمار.

أما أهمية سوق الأوراق المالية بالنسبة للأفراد والمؤسسات فهي كما يأتي :

- تسهيل عمليات الاستثمار للأجال القصيرة.
 - تساعده على سرعة تداول الأوراق المالية ومعرفة أسعارها وتحويلها إلى نقد سائل.
 - التعرف على المراكز المالية للشركات من خلال إدراج الأوراق المالية في سوق الأوراق المالية.
- إن عدد مؤسسات الأسهم المتخصصة، والمؤسسات التي تقوم تقديم أسهم رأسمالية من خلال البورصة قليل جداً في الدول الإسلامية، وتوجه كثير من المؤسسات المالية في الدول الإسلامية

جزءاً كبيراً من مواردها إلى الأسواق المالية في البلدان الصناعية... ونظرًا لأهمية رأس المال في المدى الطويل لتحقيق الفوائد الاقتصادية فإن إنشاء مؤسسات توفر أسهماً - رأسمالية - يعتبر شرطاً أساسياً لنجاح التمويل الإسلامية.. إن على المؤسسات المالية الإسلامية أن تضع في اعتبارها التطورات التي حدثت في الأسواق المالية الدولية، ففي جميع أرجاء العالم يهجر آلاف المدخرين حسابات البنوك التقليدية والمستندات الحكومية ذات العائد المنخفض، ونتيجة لذلك تشهد أسواق الأسهم معدلات مرتفعة من النمو.. إن التحدي الذي تمثله هذه التطورات للبنوك الإسلامية يقتضيها إعداد نفسها بسرعة للدخول في أسواق الأسهم التي يتزايد تشاملها وينمو بسرعة (إقبال، ٢٠٠١، ٤٤-٤٧).

٣. معايير تقدير وسائل الاستثمار في البنوك الإسلامية

تمييز وسائل الاستثمار بالبنوك الإسلامية بالعديد من السمات والأهداف، ومن ثم فإن المعايير التي تستخدم لتقدير أدائها يجب أن تتفق مع تلك السمات والأهداف، وسوف يركز الباحث خلال هذه الدراسة على تقدير أداء وسائل الاستثمار المرابحة والمضاربة والمشاركة، وسوف يتم تناول ذلك على النحو التالي:

١-١-١-١ المطبيعة المميزة لصيغ التمويل (المرابحة ، المضاربة ، المشاركة) :

١-١-٢ المطبيعة المميزة للمرابحة :

يعد بيع المرابحة من أنواع البيوع المشروعة واحد قنوات التمويل بالصارف الإسلامية ، والمرابحة في اللغة مصدر من الربح وهو الزيادة وفي اصطلاح الفقهاء هي : بيع يمثل الشأن الأول مع زيادة ربح ، أو هي بيع برأس المال وربح معلوم . وتعد المرابحة المصرفية واحدة من صيغ التمويل الأكثر تطبيقاً في السوق المصري الإسلامي، ويقوم البنك من خلال هذه الصيغة بشراء ما يحتاجه العملاء من سلع استهلاكية وأصول إنتاجية. وفي الواقع العملي تطبق هذه الصيغة تحت مسمى : « بيع المرابحة للأمر بالشراء »، وتتضمن هذه الصيغة وعد بالشراء وبيع بالرابحة ، حيث يقدم العميل للبنك بطلب شراء سلعة معينة ، ويقوم البنك بالشراء ثم يبعها للعميل مع ربح متلق عليه ويتم السداد على أقساط دورية. وقد تبين من خلال البيانات المنشورة للبنوك السعودية أن صيغة المرابحة تستحوذ على ما بين ٢٠ - ٢٥ % من حجم التمويل الممنوح للعملاء بالسوق المصري السعودي وذلك خلال الفترة من عام ٢٠٠٥ - ٢٠٠٠م ، ويرجع ذلك إلى العديد من الأسباب من أهمها:

- أن المرابحة سهلة الفهم والتطبيق سواء للمتعاملين أو العاملين بالصارف الإسلامية.
- أن مخاطر المرابحة منخفضة بالمقارنة بالصيغ الأخرى (المضاربة ، المشاركة) .

١-٣-٢ الطبيعة المميزة للمضاربة :

وتعد المضاربة من أهم وأقدم صيغ استثمار الأموال في الفقه الإسلامي وهي نوع من المشاركة بين رأس المال من جانب والمعلم من جانب آخر، والمضاربة نوعان إما مضاربة مطلقة (وتعني إطلاق يد المضارب في الاستثمار وفي أي نوع من الأنشطة الاستثمارية)، أو مضاربة مقيدة (وتعني تحديد نوع النشاط الاستثماري للمضارب). وتميز المضاربة بأنها من الصيغ الاستثمارية التي يمكن استخدامها في جانبي الميزانية كموارد وكاستخدامات. وقد تبين من البيانات المنشورة أن المضاربة تشكل نسبة ٢٠٪ إلى ١٪ من حجم التمويل المنووح للعملاء بالسوق السعودي ويرجع ذلك إلى العديد من العوامل من أهمها:

- ارتفاع مخاطر الصيغة حيث يتم دفع كامل رأس المال من قبل البنك ويقدم العميل الجهد فقط.
- أن البنك يتحمل كافة الخسائر في حالة عدم تغصیر العميل.
- صعوبة تطبيق صيغة المضاربة في الواقع العملي لعدم استيعابها من قبل العاملين والتعاملين في المصارف الإسلامية.

ويستخدم عقد المضاربة بشكل واسع في جانب الموارد المالية للبنك كما يستخدم أيضاً في الودائع الاستثمارية ولكن لا يوجد لهذا المنتج بالسوق السعودي كمنتج مصرفي نظراً لانتشار صناديق الاستثمار، حيث يقوم العملاء بإيداع أموالهم بالصناديق (أرباب أموال) ويقوم البنك (المضارب) باستثمار هذه الأموال مقابل حصة من الأرباح، وتبلغ أرصدة تلك الصناديق حوالي ٤٤ مليار ريال تشكل حوالي ٧٥٪ من حجم الصناديق بالسوق المصرفي السعودية.

١-٣-٣ الطبيعة المميزة للمشاركة :

تعد المشاركات من أساليب الاستثمار المميزة في الفقه الإسلامي حيث تلائم طبيعة المصارف الإسلامية، ويمكن استخدامها في تمويل الأنشطة الاقتصادية المختلفة. ويعتمد التمويل بالمشاركة على أساس مشاركة المصرف في التمويل الذي يحلله المعاملين دون اشتراطه هائدة ثابتة كما هو الحال في التمويل بالقرض بالمصارف التقليدية، وإنما يشارك المصرف المعامل في الناتج المتوقع ربحاً كان أو خسارةً، وذلك في ضوء قواعد وأسس توزيع متقد عليها بين المصرف والمعامل وهذه الأساس مستمدة من قواعد شركة العنان.

هذا وتميز أسلوب البنك الإسلامي في التمويل بالمشاركة عن أساليب البنوك التجارية في التمويل الإقراضي في أن مشاركة البنك الإسلامي تتطلب اشتراك البنك بخبراته المختلفة في البحث عن أفضل مجالات الاستثمار والطرق التي تؤدي إلى ضمان نجاح المشروع وتؤكد ربحيته وبالتالي تزيد من أرباح البنك الأمر الذي يؤدي بدوره إلى زيادة ودائعه بعد ذلك^(١). وتميز صيغة

المشاركة يتعدد أنواعها وهي:

- المشاركة الثابتة المستمرة : وهي مساهمة البنك في رأس مال بعض الشركات كمساهم.
- ب- المشاركة الثابتة المتنتية : وهي المشاركة في تمويل صفقة أو مشروع تنتهي المشاركة بنهايته .
- ج- المشاركة المتناقصة: وتسمى المشاركة المتناقصة المتنتية بالتملك وهي المساهمة في إنشاء مصنع على سبيل المثال ويكون من حق الشريك أن يحل محل المصرف تدريجياً في ملكية المصنع.
- د- المشاركة المتغيرة : وهي البديل الشرعي عن التمويل بالحساب الجاري المدين حيث يتم تمويل العميل بدفعات تقدمة حسب احتياجاته ثم يأخذ البنك حصته من الأرباح الفعلية في نهاية العام وفقاً للنتائج المالية للمشروع.

وقد تبين من البيانات المنشورة محدودية استخدام صيغة المشاركة في مجال التمويل حيث تشكل نسبة تتراوح بين ١٠٪ إلى ٢٠٪ من حجم التمويل المقدم للعملاء خلال الفترة من عام ٢٠٠٥ - ٢٠٠٩ حيث شاخصت النسبة بحوالي ١٣٪ ويرجع ذلك إلى العديد من المؤاملا من أهمها:

- ١- صعوبة التنفيذ والمتابعة ، حيث لا يتوافر المنصر البشري القادر على دراسة وتنفيذ ومتابعة أنواع المشاركات المتعددة.

- ٢- عدم وجود أنظمة رقابية وتنظيمية تتناسب مع طبيعة أسلوب المشاركة.
- ٣- ارتفاع المخاطر نتيجة أن البنك يشارك في الأرباح والخسائر.

وبعد أن قاتل الباحث الطبيعة المميزة لوسائل الاستثمار (المراقبة ، المضاربة ، المشاركة) يقتاتل فيما يلي المعايير المقترحة لتقويم أداء وسائل الاستثمار.

٤. المعايير المقترحة لتقويم أداء وسائل الاستثمار:

تبين من خلال نتائج الاستبيان والمقابلات الشخصية التي قام بها الباحث عدم وجود معايير متفق عليها لتقويم أداء وسائل الاستثمار في المصارف الإسلامية. وفيما يلي المعايير وأهم مؤشرات القياس المقترحة لتقويم الأداء.

٤-١ معايير الضوابط الشرعية :

بعد الالتزام بالضوابط الشرعية من أهم خصائص المصارف الإسلامية والتي تسعى إلى إبراز الالتزام بذلك الضوابط من خلال تقديم منتجاتها إلى العملاء. وبعد معيار الالتزام بالضوابط الشرعية من أهم المعايير التي يجب قياسها عند تقويم أداء وسائل الاستثمار ، ويمكن قياس هذا المعيار من خلال المؤشرات التالية:

أ- وجود الهيئة الشرعية:

يعد وجود الهيئة الشرعية بالبنك من مؤشرات التزام البنك بالضوابط الشرعية حيث أن من مهام الهيئة الشرعية إعداد العقود الشرعية لوسائل الاستثمار ومراجعة النماذج وإجراءات العمل للتأكد من مطابقتها لإحكام الشريعة وإصدار الفتوى المتعلقة بالتطبيق.

ب- وجود إدارة للرقابة الشرعية:

يعد وجود إدارة داخلية للرقابة الشرعية بالبنك من مؤشرات التزام البنك بالضوابط الشرعية حيث إن من مهامها الرئيسية التأكد من التزام البنك بتطبيق الضوابط والفتوى الشرعية الصادرة من الهيئة.

ج - الالتزام بالمعايير الشرعي لهيئة المحاسبة: يعد الالتزام بالمعايير الشرعية الصادرة من هيئة المحاسبة من عناصر التزام البنك الإسلامي بالضوابط الشرعية في تقديمها لوسائل الاستثمار للعملاء.

٤- معيار الربحية:

يعد تحقيق الأرباح من أهم الأهداف التي يسعى المصرف إلى تحقيقها من خلال وسائل الاستثمار المتعددة والتي تعد من أهم مصادر الإيرادات بالبنك الإسلامي، وترجع أهمية الأرباح لكونها مصدراً من مصادر رفقة المودعين والتعاملين مع المصرف بالإضافة إلى أن الأرباح تمكّن المصرف من زيادة الاحتياطيات وبالتالي مواجهة أي خسائر محتملة . كما أنها من أحد الوسائل لزيادة رأس المال بالمحاصف.

لذا يعد معيار الربحية من أهم المعايير التي تقيس كفاءة استخدام وسائل الاستثمار، ويمكن قياس هذا المعيار عن طريق العديد من المؤشرات منها:

أ- نسبة العائد على الاستثمارات:

ويستخدم هذا المؤشر لقياس نسبة عائد وسيلة الاستثمار مقارنة بإجمالي إيرادات الاستثمارات للبنك :

$$\text{نسبة العائد} = \frac{\text{إيرادات وسيلة الاستثمار}}{\text{إجمالي إيرادات الاستثمار بالبنك}} \times 100$$

ب- نسبة ربحية وسيلة الاستثمار:

يستخدم هذا المؤشر لقياس الأرباح الناشئة عن استخدام الأموال في تلك الوسيلة الاستثمارية.

$$\text{نسبة الربحية} = \frac{\text{أرباح وسيلة الاستثمار}}{\text{رصيد التمويل}} \times 100$$

ج - معدل تحقيق أهداف الموازنة:

يستخدم هذا المعدل لقياس مدى تحقيق البنك لأهدافه المحددة بالموازنة التقديرية لوسيلة الاستثمار.

٤- ٣- معيار الاستثمار (التوظيف) :

يعد معيار الاستثمار مؤشراً هاماً للحكم على كفاءة المصرف في استخدام الأموال المتاحة ومدى قابلته لاحتياجات المتعاملين ، حيث إن عملية منع الائتمان لا تنتهي بمجرد منع العميل التمويل المطلوب وإنما يتطلب الأمر متابعة العميل في السداد حتى يسترد المصرف أمواله مرة أخرى.

ويمكن قياس هذا المعيار عن طريق مجموعة من المؤشرات المالية من أهمها:

أ- الوزن النسبي للصيغة:

ويستخدم هذا المؤشر للتعرف على الوزن النسبي لوسيلة الاستثمار مقارنة بالوسائل الأخرى المستخدمة بالصرف.

$$\text{الوزن النسبي للصيغة} = \frac{\text{رصيد تمويل الصيغة}}{\text{إجمالي تمويل البنك}} \times 100$$

ب- نسبة المتأخرات:

ويستخدم هذا المؤشر لقياس نسبة المتأخرات إلى حجم التمويل المقدم للعملاء .

$$\text{نسبة المتأخرات} = \frac{\text{رصيد المتأخرات}}{\text{رصيد تمويل الصيغة}} \times 100$$

ج- معدل النمو:

يتم قياس معدل نمو استخدام وسيلة الاستثمار مقارنة بالوسائل الاستثمارية الأخرى.

$$\text{معدل النمو} = \frac{\text{رصيد التمويل الحالي} - \text{رصيد التمويل السابق}}{\text{رصيد التمويل السابق}} \times 100$$

٤- ٤- معيار تطبيق وسيلة الاستثمار،

يحدد هذا المعيار مدى قيام البنك بتطبيق الأعراف المصرافية خلال تقديم وسائل الاستثمار .

ويمكن قياس هذا المعيار من خلال المؤشرات التالية:

أ- إعداد أدلة نظم العمل :

يعد إعداد المصرف لدليل نظم عمل لوسيلة الاستثمار مؤشراً لكتافة المصرف في تقديم هذا المنتج للعملاء.

بـ-الالتزام بالمعايير المحاسبي لهيئة المحاسبة:
قياس مدى التزام البنك بالمعايير المحاسبي الصادر من هيئة المحاسبة والمراجعة للمؤسسات المالية الإسلامية.

جـ- تطبيق نظام محاسبي:
بعد وجود وتطبيق نظام محاسبي لوسيلة الاستثمار من مؤشرات قياس مدى قيام البنك بالتطبيق السليم لوسائل الاستثمار.

٤-٥ معيار تلبية احتياجات العملاء:

بعد هذا المعيار من أهم المعايير للتعرف على مدى تلبية وسائل الاستثمار لاحتياجات المتعاملين، ويمكن قياس هذا المعيار عن طريق مجموعة من المؤشرات من أهمها:

أـ- تنوع مجال الاستخدام:
يتم قياس أداء وسيلة الاستثمار ومدى تلبيتها لاحتياجات العملاء عن طريق معرفة مجالات استخدام الصيغة من حيث تلبيتها لاحتياجات قطاع الأفراد وقطاع الشركات ، ومدى تلبيتها للقطاعات الاقتصادية المختلفة (صناعية ، تجارية ، عقارية) وطبيعة المدة الزمنية لاستخدام وسيلة الاستثمار (قصيرة ، متوسطة ، طويلة الأجل).

بـ- معدل نمو العملاء:
يعد معدل نمو العملاء مؤشراً على تلبية تلك الوسيلة الاستثمارية لاحتياجات العملاء، ومدى قدرة العاملين بالبنك على تسويق تلك المنتجات من خلال استيعابهم لأسلوب وسيلة الاستثمار وتحقيقها بالصورة الصحيحة .

$$\text{معدل النمو} = \frac{\text{عدد العملاء الحالي} - \text{عدد العملاء السابق}}{\text{عدد العملاء السابق}} \times 100$$

وينبع أن تناول الباحث المعايير المقترحة لتقويم أداء وسائل الاستثمار بالبنوك الإسلامية،
يتناول في البحث التالي التمودج المقترن لتقويم أداء وسائل الاستثمار.

٥. التمودج المقترن لتقويم أداء وسائل الاستثمار:
من خلال مراجعة الدراسات والأدبيات السابقة يقترح الباحث التمودج التالي لتقويم أداء
وسائل الاستثمار بالبنوك الإسلامية، والذي يتضمن العناصر التالية:
 * معايير التقويم: وهي عدد ٥ معايير.
 * الوزن النسبي للمعيار: جاءت الأوزان النسبية لكافة المعايير على النحو المبين بالتمودج.

- المؤشرات المقترنة لقياس: يتضمن النموذج عدد ١٤ مؤشر يمكن استخدامها في قياس الأداء.
- الوزن النسبي لمؤشرات القياس: افترض الباحث إعطاء أوزان نسبية متساوية للمؤشرات.
- معدل تحقق المؤشر: وهي تشير عن نتائج القياس الفعلي لتطبيق الصيغة.
- الوزن النسبي لتحقيق المعيار: وهي نسبة الأداء الفعلي لوسيلة الاستثمار.
- معدل قياس الأداء: توضح هذه الخاتمة إجمالي معدل قياس الأداء بالصرف وهو حاصل ضرب الوزن النسبي لتحقق للمؤشر \times الوزن النسبي للمعيار.
- تحليل النتائج

النموذج المقترن لتقويم أداء وسائل الاستثمار في البيوتوك الإسلامية المعايير المقترنة

المعايير المقترنة (١)	الوزن النسبي للمعيار (٢)	المؤشرات المقترنة للقياس (٣)	الوزن النسبي للمؤشر (٤)	معدل تحقق المؤشر % (٥)	الوزن النسبي لتحقيق المعيار % (٦)	معدل قياس الأداء (٧)	تحليل النتائج (٨)
١- معيار الضوابط الشرعية	٪٣٠	- وجود هيئة شرعية - وجود إدارة للرقابة - الالتزام بالمعايير الشرعية	٪٣٣ ٪٣٣ ٪٣٣				
٢- معيار التريجية	٪٣٥	- المالك على الاستثمار - ربحية الاستثمار - تحقيق أهداف المؤازنة	٪٢٢ ٪٢٢ ٪٢٢				
				٪١٠٠			
٣- معيار الاستثمار (التوظيف)	٪٢٠	- الوزن النسبي للصيغة - نسبة المتأخرات - معدل النمو	٪٣٣ ٪٣٣ ٪٣٣				
				٪١٠٠			

تحليل النتائج (٨)	معدل قياس الأداء (٧)	وزن النسبة المئوية لتحقق المعيار (٦)	معدل تحقق المؤشر % (٥)	وزن النسبة المئوية للمؤشر % (٤)	المؤشرات المقترحة للقياس (٣)	وزن النسبة المئوية للمعيار (٢)	المعايير المقترحة (١)
				٪٣٣ ٪٣٣ ٪٣٣	١- أدلة نظم العمل ٢- الالتزام بالمعايير المحاسبية ٣- وجود نظام محاسبى	٪١٠	٤- معيار التطبيق
				٪٩٠			
				٪٥٠ ٪٥٠	١- تنوع مجال الاستخدام ٢- معدل فهو الملاءة	٪١٠	٥- معيار تنمية الاحتياجات
				٪١٠		٪١٠	الإجمالي
٪٩٠							معدل تحقق المعايير

تقدير أداء وسائل الاستثمار:

سوف يقوم الباحث بتطبيق التمودج المقترن لتقييم الأداء وسائل الاستثمار على السوق المصري السعودي نظراً لتوافر البيانات المالية عن وسائل الاستثمار (المرابحة، المضاربة، المشاركة).

أسلوب تطبيق النموذج:

وقد قام الباحث بتحليل البيانات المالية المنشورة لصيغ التمويل المزايحة والمشاركة والمشاركة خلال الأعوام (٢٠٠٥ - ٢٠١٠) في الجدول رقم (٢) وقد جاءت نتائج التحليل المالي على النحو التالي:

جدول (١) التحليل المالي لوسائل الاستثمار في السوق السعودي خلال

الفترة (٢٠٠٥-٢٠١٠) بالليون ريال

البيانات	المشاركة		المضاربة		المزايحة		المصيغة الأعوام
	%	قيمة	%	قيمة	%	قيمة	
	٢,١	١,٨٩٧	٠,٣	٦٦	٢٩,٨	٢٧,٥٤٥	٢٠٠٥
	٣	٢,٠٦١	٠,٣	٦٦	٢١,٩	٢٢,٠٣٢	٢٠٠٦
	٢,٦	٢,٢٤٧	٠,٣	٦٦	٣٠	٢٥,٢٢٢	٢٠٠٧
	٢,٢	٢,٤٦٥	٠,٣	٦٦	٢٨,٨	٢٢,٨٤١	٢٠٠٨
	١,١	٢,٣٠١	١,٢	٢,٠١٣	٢٧,٥	٦٢,١٦٤	٢٠٠٩
	١,١	٢,٠٤٠	١,٠	١,٨٦٦	٣٥,٢	٦٣,٨٦٧	٢٠١٠

المصدر: صندوق النقد العربي السعودي، التقرير السنوي، أعداد مختلفة

المقدمة المختصرة لعمري أداء المراقبة

المتغير	معدل قياس نطير المتابعة	معدل قياس الأداء	معدل قياس التحقيق المهني	معدل قياس التحقيق المهني	المؤشرات الفنية للمتابعة	الوزن التنسي المعيار	المتغير المقاس
١- معيار الشفافية الشرعية	٣٧٪						
١- وجود هيئة شرعية	٣٧٪						
٢- قيود إدارة للرقابة							
٣- الالتزام بالمعايير الشرعية							
٤- معيار الردودية	٥٣٪						
١- المعايير على الاستيفاء	٥٣٪						
٢- درجة الإلتزام							
٣- تحقيق أهداف المؤازنة							
٥- معيار الاستهانة	٣٧٪						
١- الوزن التصني للصيغة	٣٧٪						
٢- نسبة الأذى							
٣- معدل النسخ							
٦- معيار التطبيق	٤٦٪						
١- ارادة نظم العمل	٤٦٪						
٢- الالتزام بالمعايير المحاسبية							
٣- وجود نظام محاسبين							
٧- معيار تقييم الاحتياجات	٤٦٪						
١- تقييم مجال الاستيفاء	٤٦٪						
٢- معدل نمو العملاء							
٨- معيار المعايير الإجمالي	١٠١٪						
٩- معيار تنفيذ المعايير							

المتوسط المقترن للتقويم أدوات المضاربة		المتوسط المقترن للتقويم أدوات التسويق		المتوسط المقترن للتقويم أدوات التأمين	
معدل تتحقق الأدوات	الإجمالي	معدل تتحقق الأدوات	المضاربة	معدل تتحقق الأدوات	التأمين
١- فجود فوجة شرعية		١- فجود فوجة شرعية	١- فجود فوجة شرعية		
٢- وعيادة إدارة تطبيقة		٢- وعيادة إدارة تطبيقة	٢- وعيادة إدارة تطبيقة		
٣- إلتزام بالضمان		٣- إلتزام بالضمان	٣- إلتزام بالضمان		
٤- تفويض العميل		٤- تفويض العميل	٤- تفويض العميل		
٥- تحقق العائد		٥- تحقق العائد	٥- تحقق العائد		
٦- تحريم عملاً معيناً		٦- تحريم عملاً معيناً	٦- تحريم عملاً معيناً		
٧- اتفاقية لائحة		٧- اتفاقية لائحة	٧- اتفاقية لائحة		
٨- وعيادة تجذير		٨- وعيادة تجذير	٨- وعيادة تجذير		
٩- إلتزام بمحاسب		٩- إلتزام بمحاسب	٩- إلتزام بمحاسب		
١٠- إلتزام ببيان		١٠- إلتزام ببيان	١٠- إلتزام ببيان		
١١- تجذير ملحقاً بالبيان		١١- تجذير ملحقاً بالبيان	١١- تجذير ملحقاً بالبيان		
١٢- محدود الملاحة		١٢- محدود الملاحة	١٢- محدود الملاحة		
١٣- تقييداً لإيقافه		١٣- تقييداً لإيقافه	١٣- تقييداً لإيقافه		
١٤- محدود العائد		١٤- محدود العائد	١٤- محدود العائد		
١٥- تقييداً للإيجار		١٥- تقييداً للإيجار	١٥- تقييداً للإيجار		
١٦- تقييداً لاستئجار		١٦- تقييداً لاستئجار	١٦- تقييداً لاستئجار		
١٧- تقييداً لبيع		١٧- تقييداً لبيع	١٧- تقييداً لبيع		
١٨- تقييداً لتأجير		١٨- تقييداً لتأجير	١٨- تقييداً لتأجير		
١٩- تقييداً لشراء		١٩- تقييداً لشراء	١٩- تقييداً لشراء		
٢٠- تقييداً لاستئجار		٢٠- تقييداً لاستئجار	٢٠- تقييداً لاستئجار		
٢١- تقييداً لبيع		٢١- تقييداً لبيع	٢١- تقييداً لبيع		
٢٢- تقييداً لتأجير		٢٢- تقييداً لتأجير	٢٢- تقييداً لتأجير		
٢٣- تقييداً لشراء		٢٣- تقييداً لشراء	٢٣- تقييداً لشراء		
٢٤- تقييداً لاستئجار		٢٤- تقييداً لاستئجار	٢٤- تقييداً لاستئجار		
٢٥- تقييداً لبيع		٢٥- تقييداً لبيع	٢٥- تقييداً لبيع		
٢٦- تقييداً لتأجير		٢٦- تقييداً لتأجير	٢٦- تقييداً لتأجير		
٢٧- تقييداً لشراء		٢٧- تقييداً لشراء	٢٧- تقييداً لشراء		
٢٨- تقييداً لاستئجار		٢٨- تقييداً لاستئجار	٢٨- تقييداً لاستئجار		
٢٩- تقييداً لبيع		٢٩- تقييداً لبيع	٢٩- تقييداً لبيع		
٣٠- تقييداً لتأجير		٣٠- تقييداً لتأجير	٣٠- تقييداً لتأجير		
٣١- تقييداً لشراء		٣١- تقييداً لشراء	٣١- تقييداً لشراء		
٣٢- تقييداً لاستئجار		٣٢- تقييداً لاستئجار	٣٢- تقييداً لاستئجار		
٣٣- تقييداً لبيع		٣٣- تقييداً لبيع	٣٣- تقييداً لبيع		
٣٤- تقييداً لتأجير		٣٤- تقييداً لتأجير	٣٤- تقييداً لتأجير		
٣٥- تقييداً لشراء		٣٥- تقييداً لشراء	٣٥- تقييداً لشراء		
٣٦- تقييداً لاستئجار		٣٦- تقييداً لاستئجار	٣٦- تقييداً لاستئجار		
٣٧- تقييداً لبيع		٣٧- تقييداً لبيع	٣٧- تقييداً لبيع		
٣٨- تقييداً لتأجير		٣٨- تقييداً لتأجير	٣٨- تقييداً لتأجير		
٣٩- تقييداً لشراء		٣٩- تقييداً لشراء	٣٩- تقييداً لشراء		
٤٠- تقييداً لاستئجار		٤٠- تقييداً لاستئجار	٤٠- تقييداً لاستئجار		

الشوكوج المفتوح للتمويل (د) المشاريع

تحليل نتائج تقويم أداء المراقبة :**١- معيار الضوابط الشرعية:**

تبين من خلال البيانات المنشورة ونتائج الاستبيان أن كافة البنوك السعودية تتلزم بهذا المعيار سواء في مجال التمويل أو صناديق الاستثمار من حيث وجود هيئة شرعية وإدارة للرقابة الشرعية مع الالتزام بالمعايير الشرعي للمرابحة.

٢- معيار الربحية:

وقد ثبت أن معدل ربحية المرابحة بالسوق السعودي من المعدلات المقبولة لدى البنك والمتعاملين كما تحقق معدلات نمو سنوية.

٣- معيار الاستثمار (التوظيف):

تسجل حصة المرابحة على ٢٠٪—٦٢ (٦٢ مليار ريال) من حجم التمويل المصرفي الإسلامي بالسوق السعودي ، كما أن نظام صرف الرواتب عن طريق البنك أدى إلى انخفاض نسبة المتأخرات، كما تبين أيضاً استخدام المرابحة في نشاط صناديق الاستثمار.

٤- معيار التطبيق:

تبين وجود أدلة نظم عمل للمراقبة ووجود أنظمة محاسبية ، ولكن غالبية البنوك لا تتلزم بالمعايير المحاسبي لهيئة المحاسبة .

٥- معيار قلبية الاحتياجات:

من خلال نتائج الدراسة تبين أن غالبية استخدام المرابحة في تمويل الأفراد فقط وتمويل قصیر الأجل كما تحقق معدل نمو بلدة ٥ سنوات. ويمكن القول أن معدل تحقق المعايير للمراقبة يبلغ ٩٠٪.

تحليل نتائج أداء المضاربة :**١- معيار الضوابط الشرعية:**

تبين من خلال الدراسة أن كافة البنوك السعودية تتلزم بهذا المعيار سواء في مجال التمويل أو مجال صناديق الاستثمار.

٢- معيار الربحية:

تبين من خلال الدراسة أن ربحية التمويل بالمضاربة مرتفعة ولكنها محدودة الاستخدام ، ويرجع ذلك إلى عدم إقبال البنك والمتعاملين على استخدام تلك الصيغة نظراً لارتفاع المخاطر، وفي المقابل يستخدم عقد المضاربة في العلاقة التعاقدية بين البنك والمستثمرين (المودعين) في صناديق الاستثمار والتي تتحقق في غالب الأحيان ربحية مقبولة للبنك والمتعاملين .

٣- معيار الاستثمار (التوظيف) :

تبين من خلال البيانات المنشورة محدودية استخدام المضاربة في التوظيف حيث لا تشكل أكثر من ١٪ من حجم التمويل (١,٨ مليار ريال).

٤- معيار التطبيق:

يتم تطبيق صيغة المضاربة في مجال صناديق الاستثمار وتوجد أدلة للنظم وأدلة محاسبية بالبنوك التي تطبقها.

٥- معيار تلبية الاحتياجات:

تبين كما ذكر سابقاً محدودية استخدام المضاربة في التمويل ، ولكن يتم استخدامها بصورة كبيرة في مجال صناديق الاستثمار .

ويمكن القول أن معدل تحقق المعايير للمضاربة يبلغ ٥٤٪

تحليل نتائج أداء المشاركة :**١- معيار الضوابط الشرعية:**

تبين من خلال نتائج الاستبيان والبيانات المنشورة أن كافة البنوك السعودية تتلزم بهذا المعيار.

٢- معيار الربحية:

تبين من خلال نتائج الاستبيان والبيانات المنشورة ارتفاع معدل ربحية المشاركة ، ولكن تحجم بعض البنوك عن استخدام تلك الصيغة في التمويل .

٣- معيار الاستثمار (التوظيف) :

تبين من البيانات المنشورة أن حجم التمويل بالمشاركة ١٪ (حيث انخفض من ٣٪ إلى ١٪) (٢ مليار ريال) ويرجع ذلك إلى ارتفاع المخاطر وعدم توافر خبرة كبيرة لدى البنوك في مجال تطبيق الصيغة ، وقد تبين تركز استخدام الصيغة في مجال تمويل الشركات وخاصة الكبيرة منها نظراً لانخفاض المخاطر .

٤- معيار التطبيق:

يتم تطبيق صيغة المشاركة في مجال محدود وقد تبين وجود أدلة للنظم وأدلة محاسبية بالبنوك التي تطبقها.

٥- معيار تلبية الاحتياجات:

تبين من خلال الدراسة أن المشاركة تبني احتياجات قطاع الشركات .
ويمكن القول إن معدل تحقق المعايير للمشاركة يبلغ ٥٤٪ .

الخلاصة والتوصيات

اقترن كثير من الباحثين أدوات مالية إسلامية عديدة، يمكن تداولها في السوق المالي، أما العقود الآجلة وعقود الخيارات والمستقبلات، فلا زالت بعيدة عن مجال البحث، رغم ما تمتله هذه العقود من أهمية كبيرة في الاقتصاديات المعاصرة.. حيث يعتبرها البعض من أفضل ما أبدعه وابتكره العقل البشري. وقد حاولت هذه الدراسة إضافة هذه العقود إلى الأدوات التي يمكن تداولها في السوق المالية الإسلامية، وذلك بعد تطويرها في ظل العقود والضوابط الشرعية. فعقود الخيارات يمكن تطويرها إسلامياً في ظل الأحكام الشرعية لبيع العربون والتأمين والالتزام والكافلة والحقوق المعنوية. أما العقود الآجلة فهي أشبه ما تكون بعقد السلم، بينما يمكن الاستفادة من عقد الاستئناف لتطوير عقود المستقبلات وذلك لاتحاد هذه العقود في عدم اشتراط تسليم الثمن النقدي في مجلس المقد وامكانية إصدارات سندات استئناف.

ومن أهم ما توصل إليه الباحث:

- أن المراجحة هي الصيغة المفضلة لدى المصارف الإسلامية والتعاملين معها .
- محدودية استخدام المضاربة في مجال التمويل ويرجع ذلك إلى ارتفاع مخاطرها ، مع استخدامها بشكل كبير في مجال صناديق الاستثمار.
- محدودية استخدام المشاركة في مجال التمويل ويرجع ذلك إلى ارتفاع مخاطرها وعدم استيعاب تطبيقها من قبل الكثير من العاملين والتعاملين ، مع تركز استخدامها لتمويل قطاع الشركات .
- عدم وجود مؤشرات قياسية للصناعة المصرافية الإسلامية .
- عدم توافر البيانات والمعلومات عن تطبيق وسائل الاستثمار بالبنوك الإسلامية.
- لا يوجد تقويم أداء لوسائل الاستثمار بالصناعة المصرافية الإسلامية.
- عدم إصدار أي معلومات عن تقويم أداء الصناعة المصرافية الإسلامية من قبل أي الجهات.

وقد أوصى الباحث بما يلي :

- العمل على إصدار مؤشرات قياسية عن الصناعة المصرافية الإسلامية.
- إصدار معايير لتقويم أداء المصارف الإسلامية.
- توفير البيانات والمعلومات عن الصناعة المصرافية.
- العمل على رفع كفاءة وتنمية مهارات العاملين بالمصارف على تطبيق وسائل الاستثمار.
- توعية التعاملين مع المصارف بوسائل الاستثمار المختلفة.
- العمل على الحد من مخاطر تطبيق المضاربة والمشاركة .

إن السوق المالية الإسلامية بما تشمل عليه من أدوات مالية إسلامية لا زالت بحاجة إلى الابتكار والإبداع من أجل أن تقوم بالدور الاقتصادي المؤمل منها.. والذي يمكن أن يسهم في تحقيق التبعية الاقتصادية للأسوق المالية في الدول الغربية.

قائمة المراجع

- ١- أسماء، رياض: الهندسة المالية، الأكاديمية العربية للعلوم المالية والمصرفية، عمان، ٢٠٠١.
- ٢- إقبال، منور وآخرون: التحديات التي تواجه العمل المصرفي الإسلامي، المعهد الإسلامي للبحوث والتدريب، جدة، ٢٠٠١، ١٤٢.
- ٣- ارشيد، محمود عبد الكري姆: الشامل في معاملات وعمليات المصادر الإسلامية، دار النقاش، عمان، ٢٠١٢.
- ٤- الاتحاد الدولي للبنوك الإسلامية: الموسوعة العلمية والعملية للبنوك الإسلامية، جدة، ١٩٨٢.
- ٥- المرحومي، شمس الدين: الميسوم، دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٦.
- ٦- الشافعي، محمد بن إدريس: موسوعة الإمام الشافعى / الأم، تحقيق أحمد حسون، دار قتبة، ١٩٩٦.
- ٧- الصديق الضرير (مجلة المجتمع، العدد السادس، ١٩٩٠، ص ١٧٧).
- ٨- الصناعي، محمد بن إسماعيل: سبل السلام، دار إحياء التراث، بيروت، ١٩٩٠.
- ٩- الطراود، إسماعيل، وعياد، جمعة: التشريعات المالية والمصرفية في الأردن: دار والل، عمان، ١٩٩٩.
- ١٠- العثماني، تقي الدين: بحث الحقوق المجردة، مجلة مجمع الفقه الإسلامي، جدة، ١٩٩٨، العدد الخامس، الجزء الثالث.
- ١١- القرني، محمد علي: الأسواق المالية، مجلة مجمع الفقه الإسلامي، مجمع الفقه الإسلامي، العدد السادس، الجزء الثاني، جدة، ١٩٩٠.
- ١٢- القرني، محمد علي: نحو سوق إسلامية، مجلة دراسات اقتصادية إسلامية، البنك الإسلامي للتنمية، مجلد ١، عدد ١، ١٩٩٣.
- ١٣- الندوى، علي: جمهورة القواعد الفقهية في المعاملات المالية، شركة الراجحي المصرفية للاستثمار، الرياض، ٢٠٠٠.
- ١٤- النووي، يحيى بن شرف: صحيح مسلم بشرح النووي، القاهرة، مكتبة الأزهر، ١٤٣٩.
- ١٥- حماد، نزيه: مدى جواز أخذ الأجر على النكالة في الفقه الإسلامي، مجلة جامعة الملك عبد العزيز (الاقتصاد الإسلامي) جامعة الملك عبد العزيز، جدة، ١٩٩٧.
- ١٦- خريوش، حسني وأخرون: الاستثمار والتمويل بين النظرية والتطبيق، دار زهران، عمان، ١٩٩٩.
- ١٧- رضوان، سمير: أسواق الأوراق المالية ودورها في تمويل التنمية الاقتصادية، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، القاهرة، ١٩٩٦.
- ١٨- حمود، سامي: تطوير الأعمال المصرفية بما يتحقق والشريعة الإسلامية، مكتبة الأقصى، عمان، ١٩٧٦.
- ١٩- حمود، سامي: الأدوات التمويلية الإسلامية للشركات النسائية، المعهد الإسلامي للتدريب والبحوث، جدة، ١٩٩٦.
- ٢٠- سفن أبي داود، ٨٣٠.
- ٢١- شبيه، محمد: المعاملات المالية المعاصرة في الفقه الإسلامي، دار النقاش، عمان، ١٩٩٦.
- ٢٢- صقر، محمد عبد الحليم: الإطار الشرعي والاقتصادي والمحاسبي لبيع السلع، المعهد الإسلامي

- للبحوث والتدريب، جدة، ١٩٩٦، ط٢.
- ٢٢- عيسى، سيد: أسواق وأسعار صرف النقد الأجنبي، إنترفاوك للطباعة، القاهرة، ١٩٨٤.
- ٢٣- فتح، مثثر: تعقيب على بحوث الأسواق المالية، مجلة المجمع الفقه الإسلامي، العدد السادس، الجزء الثاني، جدة، ١٩٩٠.
- ٢٤- كمال، يوسف: المصرفية الإسلامية الأزمة والمخرج، دار النشر للجامعات المصرية، ١٩٩٦.
- ٢٥- محبي الدين، أحمد: عمل شركات الاستثمار الإسلامية في السوق العالمية، بنك البركة الإسلامي، البحرين، ١٩٨٦.
- ٢٦- مخامرة، وجدي: الكيفية التي تعمل بها أسواق المستقبليات، مجلة البنوك في الأردن، العدد الثالث، المجلد ١٩، نيسان، ٢٠٠٠.
- ٢٧- هندي، هنري: أساسيات الاستثمار في الأوراق المالية، المكتب العربي الحديث، الإسكندرية، ١٩٩٩.
- ٢٨- مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج: صحيح مسلم بشرح النووي، المطبعة المصرية بالأزهر، القاهرة، ١٢٤٩هـ.
- ٢٩- المصري، رفيق: المصادر الإسلامية، دراسة شرعية لعدد منها، مركز التأليف العلمي، جامعة الملك عبد العزيز، جدة، ١٩٩٥.
- ٣٠- منظمة المؤتمر الإسلامي: مجلة مجتمع الفقه الإسلامي، جدة، ١٤٠٩، العدد الخامس، الجزء الثاني.
- ٣١- أحمد تمام «دراسة مقارنة عن المحافظة على رأس المال بين الفكر الإسلامي والفكر المحاسبي الحديث» رسالة ماجستير، كلية التجارة، جامعة الأزهر، ١٩٧٥م.
- ٣٢- أحمد مصطفى، «استثمار المال في الإسلام»، مكتبة وهبة، القاهرة ٢٠٠٣م.
- ٣٣- سيد الهواري، «الاستثمار والتمويل بالمشاركة في البنوك الإسلامية»، مكتبة عين شمس، القاهرة، ١٩٩٦م.
- ٣٤- عبد السنار أبو غدة، «بحث في المعاملات وأساليب المصرفية الإسلامية»، الجزء الثاني، العدد الخامس، دار البركة، السعودية، ٢٠٠٤م.
- ٣٥- عز الدين هكري، «المفهوم المحاسبي الكمي لتحليل ورقابة تشكيلة النشاط الاستثماري في المؤسسات المالية الإسلامية»، رسالة دكتوراه، كلية التجارة، جامعة الأزهر، ١٩٩٤م.
- ٣٦- عطية فراض، «تطبيقات المصرفية لبيع المراكحة في ضوء الفقه الإسلامي»، دار النشر للجامعت، القاهرة، ١٩٩٩، ١٤٢١هـ.
- ٣٧- محمد البلاجني، «معايير تقويم أداء المصادر الإسلامية»، رسالة دكتوراه، كلية التجارة، جامعة الأزهر، ١٩٩٧م.
- ٣٨- محمد عبد الحليم، «أساليب التمويل الإسلامية للمشروعات الصغيرة»، مركز صالح كامل، جامعة الأزهر، القاهرة، عام ٢٠٠١م.



التربية



جامعة الملاطف

**تحديد القيم الشاذة وأثرها على تقدير نموذج
الانحدار الخطي وطرق معالجتها للتنبؤ
بالمعدل التراكمي لطلاب التخصصات الصحية
بجامعة أم القرى بمكة**

إعداد

د / محمد موسى محمد الشمراني

كلية التربية - جامعة الملاطف

المالخص

حاولت هذه الدراسة التركيز على موضوع القيم الشاذة في البيانات، وذلك من خلال تقديم عرض لبعض طرق الكشف عن القيم الشاذة في البيانات، وتحديد القيم الشاذة المؤثرة في نموذج تحليل الانحدار الخطي باستخدام عدد من المقاييس . كذلك مقارنة طرق معالجة القيم الشاذة في البيانات للوصول إلى نتائج أكثر دقة وكفاءة للنموذج، وتمثلت عينة الدراسة في جميع الطلاب في التخصصات الصحية بجامعة أم القرى بمكة المكرمة لعام ٢٠٠٦م والبالغ عددهم (١٦٧) طالباً والذين أكملوا السنة الأولى الجامعية، وتمثلت البيانات في الدراسة التطبيقية في : نتائج اختبار الثانوية العامة، ونتائج اختبار القدرات، كمترادات مستقلة ، والمعدل التراكمي في السنة الأولى الجامعية كمتغير تابع . وقد تم الكشف عن القيم الشاذة بطرق الرسوم البيانية المختلفة والطرق التحليلية، كما تم استخدام مقاييس: DFFTIS⁵ و مقياس كوك COVRATIO ومقياس مهلانوبيس لتحديد القيم المؤثرة في نموذج الانحدار، استخدمت طريقة الحذف وطريقة متوسط البتر لمعالجة مشكلة القيم الشاذة، وللمقارنة بين نتائج تحليل الانحدار استخدمت مقاييس معامل التحديد R^2 ومتوسط مربعات الخطأ MSE واختبار F. ولقد توصل الباحث من خلال هذه الدراسة إلى أن الطرق البيانية والتحليلية، البواقي المعيارية Standardized Residuals وباوافي استيودنت Studentized Residuals تساعده في الكشف عن القيم الشاذة. كذلك أظهرت قيم جميع المقاييس لتحديد مدى تأثير القيم الشاذة COVRATIO ومقياس مهلانوبيس و مقياس كوك Cook D أن جميع القيم الشاذة كانت مؤثرة على النموذج . كما أن وجود القيم الشاذة أثرت سلباً على نتائج تحليل الانحدار، حيث هلت من قيمة معامل التحديد R^2 وقيمة F ، وزادت من قيمة متوسط مربعات الخطأ MSE . عند معالجة البيانات بطريقة متوسط البتر كان النموذج أفضل مقارنة بالنموذج قبل الحذف وبعد الحذف من حيث تقليل متوسط مربعات الخطأ، كما قدّمت الدراسة عدداً من التوصيات.

بعد موضوع القيم الشاذة وتأثيرها على نتائج دقة التحليلات الإحصائية مثار اهتمام العديد من الباحثين. حيث يؤكد (Hair et al, ٢٠٠٦، p220) على أنه من المهم تحديد القيم غير المناسبة أو غير العادلة في البيانات. هامشادات غير العادلة والتي تكون ذات قيمة كبيرة أو صغيرة مقارنة بقيمة البيانات، توصف بالقيم الشاذة outlier، هذه القيم قد تكون ذات تأثير بالغ على نتائج التحليلات الإحصائية المختلفة.

ويشير سيو (Seo, ٢٠٠٦) إلى أن معظم مجموعات البيانات الحقيقة تحتوي على قيم شاذة (Outliers)، تكون هذه القيم منفصلة بشكل واضح عن بقية البيانات وقد تختلف من مجموعة إلى أخرى. وقد تسبب القيم الشاذة تأثير سلبي على تحليلات البيانات، مثل تحليل التباين (ANOVA) أو تحليل الانحدار وذلك استناداً إلى افتراضات الأساليب الإحصائية. وبالتالي فإن الكشف عن القيم الشاذة هو جزء مهم من تحليل البيانات.

كما يشير كوتير وأخرون (Kutner et al, ٢٠٠٥) إلى أنه كثيراً ما تحتوي مجموعة البيانات في تطبيقات تحليل الانحدار على بعض القيم الشاذة، وقد تنطوي هذه القيم الشاذة على بواقي كبيرة يكون لها في الغالب تأثيرات على تقدير معادلة المربعات الصغرى. ويؤكد أمبانثونج وسوتي (Ampanthong & Suwtsee, ٢٠٠٩) على أن التماذج الخطية شائعة الاستخدام في دراسة العلاقة بين المتغير التابع والمتغيرات المستقلة، عادة ما تستخدم طريقة المربعات الصغرى لتقدير معالم النموذج وقد تتضمن مشاهدات البيانات قيم شاذة في المتغيرات المستقلة أو قيم المتغير التابع، لذلك من المهم في تحليل البيانات تحديد القيم الشاذة ومعالجتها، حيث إن وجود مشاهدة أو مجموعة من المشاهدات تختلف بشكل جوهري عن بقية المشاهدات يمكن أن يؤدي إلى اختلاف كبير في نتائج تحليل الانحدار وعليه فإنه يتطلب الأمر التحقق من هذه المشاهدات والبحث عن طرق للسيطرة عليها. ويؤكد (Kutner et al, ٢٠٠٥) على أهمية دراسة الحالات الشاذة بعناية وتقرير ما إذا كان ينبغي الاحتفاظ بها أو حذفها، وفي حالة الاحتفاظ بها تقرير ما إذا كان ينبغي تخفيض نقوذها في عملية توفيق نموذج معادلة الانحدار أو إعادة النظر في نموذج الانحدار.

إن تشخيص القيم الشاذة في البيانات تعتبر من الأمور المهمة للباحثين عند استخدام تحليل الانحدار، فقد تعمل هذه القيم على التقليل من دقة وكفاءة النموذج المستخدم للبيانات، حيث يمكن أن يكون لها تأثير قوي في الميل المقدر والحد الثابت ومن ثم في زيادة التباين المقدر. ويدرك رحمن والعمري (Rahman and Al Amri, ٢٠١١) أن القيم الشاذة تحرك خطوط الانحدار وت دورها بعيداً عن الاتجاه العام للبيانات، وتؤثر بقوة على النتائج الإحصائية.

مشكلة الدراسة وتساؤلاتها:

إن وجود القيم الشاذة في البيانات يؤثر على نتائج التحليل الإحصائي ، فقد نواجه أحياناً في تحليل الانحدار بوجود بعض القيم الشاذة في البيانات ، والتي قد تكون نتيجة أخطاء في جمع البيانات أو معالجتها . ولذلك فإن وجود مثل هذه القيم قد يؤثر على تقديرات معالم نموذج الانحدار والتي من خلالها تتعدد قوة واتجاه العلاقة بين المتغيرات، وكذلك اختيار المتغيرات في النموذج. من هنا تظهر أهمية تشخيص القيم الشاذة كخطوة أولية قبل عملية تقييم معالم النموذج وتحديد مدى تأثيرها ومعالجتها ، من هذا المنطلق فإن البحث الحالي يحاول أن يجيب على التساؤلات التالية:

- ١- كيف يمكن الكشف عن القيم الشاذة في البيانات عند استخدام تحليل الانحدار الخطي للتتبؤ بالمعدل التراكمي لطلاب التخصصات الصحية بجامعة أم القرى بمكة؟
- ٢- ما مدى تأثير القيم الشاذة على مقدرات نموذج الانحدار الخطي للتتبؤ بالمعدل التراكمي لطلاب التخصصات الصحية بجامعة أم القرى بمكة؟
- ٣- ما مدى تأثير القيم الشاذة على معامل التحديد، ومتوسط مربعات الخطأ؟
- ٤- ما مدى كفاءة النماذج المقدرة (قبل معالجة القيم الشاذة في البيانات) في التتبؤ بالمعدل التراكمي لطلاب التخصصات الصحية بجامعة أم القرى بمكة؟
- ٥- ما مدى كفاءة النماذج المقدرة (بعد معالجة القيم الشاذة في البيانات) في التتبؤ بالمعدل التراكمي لطلاب التخصصات الصحية بجامعة أم القرى بمكة؟

أهداف الدراسة :

يهدف البحث الحالي إلى تحقيق الأهداف التالية:

- ١- تناول طرق الكشف عن القيم الشاذة في البيانات وتشخيصها.
- ٢- تحديد القيم الشاذة المؤثرة في نموذج تحليل الانحدار الخطي.
- ٣- مقارنة طرق معالجة القيم الشاذة في البيانات للوصول إلى نتائج أكثر دقة وكفاءة للنموذج.
- ٤- الحكم على كفاءة نماذج التقدير المختلفة.

أهمية الدراسة :

تتبع أهمية الدراسة الحالية من قلة الدراسات العربية التي تناولت موضوع القيم الشاذة وتأثيرها في نموذج تحليل الانحدار وكيفية الكشف عنها وتشخيص مدى تأثيرها على النموذج، وبالتالي فمن خلال الجانب النظري يتم عرض وتقديم للطرق التي يمكن استخدامها في الكشف عن القيم الشاذة وتشخيصها وتحديد مدى أثرها والحكم على كفاءة النماذج التقديرية.

والجانب التطبيقي يوضح للباحثين كيفية معالجة مثل هذه المشكلات عند تحليل البيانات . باستخدام تحليل الانحدار والوصول إلى نموذج ذي كفاءة وقوه تنبؤية عالية.

مصطلحات الدراسة :

القيم الشاذة :Outliers

المشاهدات الكبيرة جداً أو الصغيرة جداً وغير الطبيعية في مجموعة البيانات تسمى بالقيمة الشاذة (McClave; Sincich, ٢٠٠٠).

أو هي القيم التي تقع بعيداً عن خط الانحدار، أو التي يكون لها باقي (Residuas) كبير .
الباقي :Residuals

هي القيم المقدرة لحد الخطأ العشوائي وهي عبارة عن الفروق بين القيم الحقيقية والقيم المقدرة .
التنبؤ :Prediction

يختص التنبؤ بتحديد ما سيحدث للظاهرة محل الدراسة في فترة زمنية مقبلة (بري وأخرون ، ١٤١٩ ، ص ٦)

حدود الدراسة :

الحدود الموضوعية: تتحدد باستخدام بعض الطرق في الكشف عن القيم الشاذة وبعض الطرق في تحديد مدى تأثيرها وبعض طرق المعالجة واستخدام MSE و R² في الحكم على كفاءة النموذج المقدر.

الحدود المكانية والزمانية: استخدمت الدراسة بيانات حقيقة(Real Date) لتقديرات طلاب وطالبات التخصصات الصحية بجامعة أم القرى بمكة لعام ٢٠٠٦/٢٠٠٧ ..

أدبيات الدراسة :

أولاً، الإطار النظري للدراسة :

يسعرض الباحث في هذا الجزء الخاتمة النظرية لتحليل الانحدار الخطى والقيم الشاذة وطرق تشخيصها وتحديد مدى أثرها وطرق معالجتها.

تحليل الانحدار الخطى :

تستخدم نماذج تحليل الانحدار (Regression Models) في دراسة العلاقة بين متغير الاستجابة (Response Variable) والمتغيرات المستقلة.

ويأخذ نموذج تحليل الانحدار الخطى الصيغة التالية:
$$\underline{y} = \underline{x}\beta + \varepsilon$$

حيث \vec{y} متوجه $n \times 1$ لقيم المتغير التابع.
 $x = [x_{11}, x_{12}, \dots, x_{1n}]^T$ متوجه $n \times 1$ لقيم x_1
 $p \times 1$ متوجه للمعامل β
 $\vec{\epsilon}$ متوجه $n \times 1$ للأخطاء مع افتراض تحقق نظرية جاوون-ماركوف Gauss-Markov
 $\sim N(0, \sigma^2)$.

(Amphanthong, ٢٠١٢)

وبناءً على علاقة تحليل الانحدار بالبحث العلمي (بأوكيرلنجر ويدهزيور Kerlinger Pedhazur ١٩٧٣)، على أن المهمة الأساسية للعلم هي تفسير الظاهرة. وكما يقول بريت وايت عام ١٩٥٢ إن الهدف الأساسي للعلم هو اكتشاف التفسيرات العامة للأحداث، ولذا فإن الهدف العلمي هو النظرية، والتظرفية هي مجموعة متراوحة من التركيبات أو المتغيرات والتي تعرض وجهات النظر النهائية للظواهر عن طريق تحديد العلاقات بين المتغيرات بهدف تقديم تفسير للظاهرة. وهذه النظرية للعلم قريبة جداً من تحليل الانحدار الخطي.

كما يتحقق تحليل الانحدار ثلاثة أهداف رئيسية لدراسة الظواهر، الأولى الوصف حيث يصف النموذج العلاقة بين المتغيرات المستقلة والتغير التابع، الثاني، التنبؤ حيث يمكن التنبؤ بمشاهدات جديدة من خلال النموذج، وأخيراً، التحكم حيث يمكن من خلال نموذج الانحدار تحديد ما ينبغي أن تكون عليه المتغيرات المستقلة لتعطى قيمة مرغوبة للمتغير التابع.

القيم الشاذة Outliers

المشاهدات الشاذة هي مجموعة من القيم المشاهدة تبعد بصورة كبيرة عن بقية المشاهدات. ويطلق مصطلح القيم الشاذة Outliers على فئة قيم المشاهدات التي تقع بعيداً عن خط الانحدار، وعادة يكون حد الخط لها كبيراً مقارنة ببقية المشاهدات الطبيعية، وقد تؤثر على تقييمات النموذج الخطي (SEO ٢٠٠٦).

ويشير رحمن والسمري (Rahman and Al Amri ٢٠١١) إلى أن القيمة الشاذة هي ملاحظة غير طبيعية في مجموعة بيانات تكون كبيرة أو صغيرة مقارنة مع مجموعة بيانات أخرى، ويمكن أن تتأثر النتائج الإحصائية بالقيم الشاذة بشكل كبير، وتؤدي القيمة الشاذة إلى قرار خاطئ. فإن القيمة الشاذة هي ملاحظة تتحرف كثيراً عن الملاحظات الأخرى والتي تثير الشكوك التي تم إنشاؤها من قبل آلية مختلفة.

ويؤكد ابناثوق وسيوثي (Ampanthong & Suwttee ٢٠٠٩) على أن البيانات قد

تحتوي على قيم شاذة أحياناً في القيمة X أو القيمة Y في هذه الحالة فإن تقديرات المربعات الصغرى العادلة لمعاملات الانحدار لا تعد دقيقة. فوجود القيم الشاذة يكون لها بعض الآثار على نتائج الاستدلال الإحصائي حول النساذج ، لهذا من المهم محلل البيانات أن يكون قادرًا على تحديد القيم الشاذة في العينات إذا كانت موجودة بحيث يمكن اتخاذ التدابير المناسبة. ويمكن أن تنشأ القيم الشاذة نتيجة لأسباب عديدة، من بينها: العيوب الفنية، التغيرات في سلوك النظام، الأخطاء البشرية، أخطاء الأجهزة، أو من خلال الانحرافات الطبيعية في الحالة القياسية ، ونتيجة لهذا فإن الكشف عن القيم الشاذة له تطبيقات في عدة مجالات مثل: الكشف عن الفشل وتنظيف البيانات وفي كثير من الأحيان يتم إزالة القيم الشاذة لتحسين دقة عوامل التقدير (Rahman and Al Amri, ٢٠١١).

ويرى ماكلاهوز وستيشن (٢٠٠٠) McClave; Sincich أن القيم الشاذة في الفالب يمكن أن تمرى إلى سبب واحد أو عدة أسباب:
 أولاً: تعطل المقياس المرتبط بقيم البيانات مما قد يعطي قيمةً شاذة. وقد يكون المجرب أخطأ في القياسات أو قد تم تسجيل البيانات بشكل خاطئ في الكمبيوتر.
 ثانياً: قد تكون القيمة الشاذة نتيجة خطأ في تصنیف القياسات، عندما تأتي القياسات من قطاعات مجتمعية مختلفة. بحيث إن القياس ينتمي إلى المجتمع ويكون مختلفاً عن الذي تم وضعها في العينة.

ثالثاً : قد تكون القياسات المرتبطة بالقيم الشاذة صحيحة أو تنتمي إلى نفس المجتمع ولكنها تمثل حالة نادرة. وتحدث مثل هذه القيم الشاذة عندما يكون التوزيع النسبي لميئنة من البيانات قد انحرفت بشكل حاد ، وأن مثل هذا التوزيع لديه ميل ليشمل ملاحظات كبيرة جداً أو صغيرة قريبة لقيم شاذة أخرى في مجموعة البيانات.

كما يذكر سيو (٢٠٠٥) Seo أن القيم الشاذة تنتج بسبب قياسات غير صحيحة وبما في ذلك الأخطاء في إدخال البيانات أو تأتي من قيم مجتمعية مختلفة عن بقية البيانات.

ويمكن اعتبار جانبين من القيم الشاذة (Seo, ٢٠٠٦) :
 الأول هو أن نلاحظ بأن القيم الشاذة تسبب تأثيراً سلبياً على تحليل البيانات . وقد ذكر Overbay and Osbome (٢٠٠٤) بشكل مختصر الآثار الضارة للقيم الشاذة على التحليلات الإحصائية:

عادةً ما تؤدي القيم الشاذة إلى زيادة خطأ التباين (error variance) وتقلل من قوة الاختبارات الإحصائية. إذا تم توزيعها بشكل غير عشوائي ، فإنها يمكن أن تقلل تحقق افتراضن الحالة الطبيعية

للبيانات. وكذلك الواقع في احتمالات الأخطاء من النوع الأول أو الثاني. ويوضح المثال الثاني (Seo, 2006) كيف يمكن وبساطة لقيمة شاذة واحدة من أن تشوّه أو تدمر المعنى للبيانات للمتوسط ، والتباين و ٩٥٪ من هريرة الثقة للمتوسط، بافتراض وجود بيانات بسيطة تتألف من مجموعة مشاهدات ١، ٢، ٣، ٤، ٥، ٦، ٧ والإحصاءات الأساسية كما هو مبين في الجدول (١)، والآن، عند استبدال بيانات المشاهدة ٧ بالقيمة ٧٧ كما هو مبين في الجدول الثاني (٢)، المتوسط والتباين للبيانات تكون أكبر بكثير من البيانات الأصلية بسبب تحديد قيمة واحدة غير عادلة للبيانات هي القيمة ٧٧. حدود الثقة ٩٥٪ للمتوسط هو أيضاً أوسع بكثير بسبب التباين الكبير، مما قد يسبب مشاكل محتملة عندما يجري تحليل البيانات.

جدول (١)

يوضح قيم الأساليب الإحصائية الوصفية (seo, 2006)

المتوسط	الوسيط	التباين	حدود الثقة للمتوسط
4	4	4.67	(2.00 to 6.00)

جدول (٢)

يوضح قيم الأساليب الإحصائية بعد تغيير القيمة من ٧ إلى ٧٧ في بيانات العينة (٢٠٠٦, ٥٦٠)

المتوسط	الوسيط	التباين	حدود الثقة للمتوسط
14	4	774.67	(-11.74 to 39.74)

أما الجانب الثاني: من القيم الشاذة هو أنها يمكن أن توفر معلومات مفيدة حول البيانات عندما تنظر إلى استجابة غير عادلة لدراسة معينة ، ويمكن أن تكون القيم المتطرفة جزءاً ملائماً عن معظم البيانات بغض النظر عن افتراضات التوزيع .

ويرى الباحث أن هناك سببين للكشف عن القيم الشاذة ، الأول هو إيجاد القيم الشاذة والتي تؤثر على الأساليب الإحصائية، الثاني استخدام القيم الشاذة نفسها لفرض الحصول على بعض المعلومات حول بعض البيانات.

بعض طرق تحديد القيم الشاذة :

تناولت الأديبات الكثير من طرق تحديد القيم الشاذة في تحليل الانحدار، منها الطرق البيانية والطرق التحليلية (Ampanthong & Suwtsee, ٢٠٠٩).

١) المطرق البيانية : Graphical methods

يتم تمثيل البيانات المشاهدة أو الباقي residuals في رسوم بيانية تختلف باختلاف طبيعة المتغيرات.

١- رسم الانتشار Scatter plot

تمثل البيانات المشاهدة على شكل نقاط (x_j, y_i) حيث $i = 1, \dots, n$ لكل $j = 1, \dots, p$ حيث y_i هي رسوم بياني.

٢- رسم الصندوق Boxplot

يستخدم للكشف عن القيم الشاذة في البيانات، ويكون رسم الصندوق من مستطيل يمثل الفرق بين قيمتي الربيع الأول Q_1 و الربيع الثالث Q_3 حيث تقع نصف المشاهدات داخل الصندوق أي بين الربيع الأول والثالث، عند منتصف المستطيل يرسم خطأ يمثل الوسيط MD ، وإذا كانت القيم بعيدة جداً، فتشير إلى وجود القيم الشاذة، والتي تظهر كنقطة فردية خارج الصندوق (McClave; Sincich, ٢٠٠٠).

٣- رسم الباقي Residual plots

تلعب الباقي $e_i = y_i - \hat{y}_i$ دوراً هاماً في تحديد القيم الشاذة والحكم على صلاحية نموذج الانحدار المتعدد.

٤- رسم الاحتمال الطبيعي Normal Probability plot

لعينة عشوائية الحجم N وباقي $e_i = y_i - \hat{y}_i$ حيث أن \hat{y}_i تأتي من معادلة المربعات الصغرى العادية للنموذج $\hat{y}_i = x_i \beta$ حيث أن $x_i = [x_{i1}, x_{i2}, \dots, x_{ip}]$ لكل $i = 1, 2, \dots, n$ تم حسابها وترتيبها $e_1 < e_2 < \dots < e_n$. ومن ثم تم رسم الاحتمال التراكمي $p_i = \frac{(i - 0.5)}{n}$ ، وبالتالي فإن الن نقاط الطبيعية المحتملة مع نقاط الخروج من الخط مستقيم تشير إلى وجود القيم الشاذة.

٥) الطرق التحليلية Analytical Methods

هناك عدد من الطرق الإحصائية والتي تستخدم في الحكم على القيم الشاذة وتشخيصها في البيانات من هذه الطرق:

١- الباقي المعيارية Standardized Residuals

لتحديد القيم الشاذة في المتغير التابع يمكن استخدام الباقي المعيارية والتي تستخدم

الصيغة (Kutner et al., ٢٠٠٥, p394) التالية:

$$e_i = y_i - \hat{y}_i, \quad i = 1, 2, 3, \dots, n, \quad e'_i = \frac{e_i}{\sqrt{MSE}}$$

ويقترح (Fox, 1991) أن تكون القيمة شاذة إذا كانت قيمة $e^2 > 2$.

٢- الباقي المحدودة Deleted Residuals

للمشاهدات x_i حيث $x_i = 1, \dots, p$ و $i = 1, \dots, n$

تحسب الباقي المحدودة من حساب مصفوفة القبعة hat Matrix بالطريقة التالية

$$d_i = \frac{e_i}{1 - h_i}$$

حيث:

$$H = X(X'X)^{-1}X' \quad \text{العناصر القطرية للمصفوفة } H \\ i = 1, 2, 3, \dots, n$$

إذا كانت قيمة $d_i > 2$, فإنها تكون مؤشر على أن القيمة شاذة.

٣- بواقي ستيفون المحدودة Studentized Deleted Residuals

يمكن استخدام بواقي ستيفون للكشف عن القيم الشاذة في المتغير التابع.

لكل قيم الباقي e_i تحسب بواقي ستيفون (Kutner et al., 2005) كالتالي:

$$e_i = y_i - \hat{y}_i \quad i = 1, 2, 3, \dots, n \quad t_i = \frac{e_i}{\sqrt{MSE_{(i)}(1 - h_i)}}$$

$$i = 1, 2, 3, \dots, n \quad H = X(X'X)^{-1}X' \quad \text{العناصر القطرية للمصفوفة } H \quad \text{حيث}$$

ويقترح بيسلي واخرون (Belsley et al., 2004) أن القيمة تعتبر شاذة إذا كانت $|t_i| > 2$, هي تعتبر القيمة شاذة.

أما كوتير وزملائه (Kutner et al., 2005) فيقترحون مقارنة القيمة المطلقة لباقي ستيفون المحدود بقيمة توزيع t , فإذا كانت $(1 - \alpha/2)n < |t_i| < (1 + \alpha/2)n$ فهذا يشير إلى أن القيمة شاذة.

٤- مصفوفة القبعة The Hat Matrix

يستخدم العنصر القطرى h_{ii} للمصفوفة $H = X(X'X)^{-1}X'$ للكشف عن القيم الشاذة في عدة متغيرات مستقلة، ومن خصائص العناصر القطرية h_{ii} أنها تقع دائمًا بين الصفر والواحد، $0 \leq h_{ii} \leq 1$ وأن مجموعها يساوى p , $\sum_{i=1}^n h_{ii} = p$, والعنصر القطرى h_{ii} يقيس المسافة بين قيم X للمشاهدة i ومتوسطات القيم X لجميع المشاهدات ويشير إلى أن المشاهدة i بعيدة عن مركز المشاهدات X (kutner et al., 2005, p298).

ويقترح (Ampanthong & Suwtee, 2006) أن القيمة تكون شاذة، إذا كانت قيمة

$h_i > 2\sqrt{p/n}$ ، أكبر من القيمة المحكية \hat{h}_i ، أما كوتير وآخرون (kutner et al. ٢٠٠٥) فيقترح أن القيمة تكون شاذة إذا كانت قيمة h_i أكبر من القيمة و تستدعي دراستها.

تحديد تأثير القيم الشاذة :

بعد تحديد القيم الشاذة ، يمكن تحديد مدى تأثير القيم الشاذة في نموذج الانحدار من خلال مقاييس التأثير ذكر منها:

١- مقياس DFFITS Distance

يستخدم مقياس DFFITS لقياس مدى تأثير القيمة الشاذة آ على القيمة المقدرة \hat{y}_i حيث يعطى بالعلاقة (Ampanthong & Suwttee, ٢٠٠٦) :

$$DFFITS_i = \frac{\sqrt{h_i} e_i}{\sigma_i(1-h_i)}$$

ونكون القيمة شاذة كما يقترح بيسلي وزملائه (Belsley et al ٢٠٠٤) إذا كانت القيمة المطلقة للمقياس $DFFITS_i$ أكبر من القيمة المحكية $2\sqrt{\frac{p}{n}}$

$$|DFFITS_i| > 2\sqrt{\frac{p}{n}}$$

وهو ما يتفق معه كل من (Tuken et al. ٢٠١٢) و (Adnan et al. ٢٠٠٢) وأما كوتير وآخرون (Kutner et al ٢٠٠٥) فيقترح أن تكون القيمة الشاذة مؤثرة إذا كانت القيمة المطلقة للمقياس أكبر من القيمة $2\sqrt{\frac{p}{n}}$ للعينات الكبيرة، أما للعينات الصغيرة فتكون قيمة المقياس أكبر من الواحد.

وقد استخدمت (Adnan et al ٢٠١٢, Tuken et al ٢٠١٢) معيار بيسلي وآخرون في تطبيق المقياس.

ويقترح هووكس (FOX, ١٩٩١) أن القيمة تكون شاذة إذا كانت

$$|DFFITS_i| > 2\sqrt{\frac{p+1}{n-p-1}}$$

٢- مقياس مسافة كوك Cook's Square Distance

مقياس مسافة كوك اقتربه كوك ١٩٧٧ ، يقيس مدى تأثير القيمة الشاذة على جميع معاملات الانحدار المقدرة. ويمكن حسابه (Kutner et al. ٢٠٠٥, p.٤٢) من خلال الصيغة التالية:

$$D_i = \frac{e_i^2}{pMSE} \left[\frac{h_i}{(1-h_i)^2} \right]$$

ويعتمد هذا المقياس على قيمة البوافي e_i وقيمة h_{ii} فكلما كانت القيمة لها مرتقبة كانت قيمة المقياس مرتقبة.

ويقترح توكن وأخرون (Tukan et al. ٢٠١٢) أن القيمة الشاذة تكون مؤثرة إذا كانت قيمة مقياس كوك أكبر من القيمة المحكية Cut-off Point $\cdot \frac{4}{n-p}$.

أما فوكس (Fox, ١٩٩١) فيقترح أن تكون القيمة الشاذة مؤثرة إذا كانت قيمة مقياس كوك أكبر من القيمة المحكية Cut-off Point $\cdot D_i > \frac{4}{n-p-1}$

٣- مقياس COVRATIOI

يستخدم لتحديد تأثير القيمة الشاذة على قيم معاملات الانحدار المقدرة، ويمكن حسابه من خلال الصيغة (Fox) التالية:

$$COVRATIO = \frac{1}{(1-h_i) \left(\frac{n-p-2+t_i^2}{n-p-1} \right)^{p+1}}$$

ويعتمد هذا المقياس على قيمة h_i وقيمة باقي مستودت المحدوقة. وتكون القيمة الشاذة مؤثرة إذا كانت $|COVRATIO - 1| > \frac{3(p+1)}{n}$

ويقترح (Ate and Belsley et al ٢٠٠٤) أن القيمة أو المشاهدة الشاذة تكون مؤثرة إذا كانت القيمة المطلقة للمقياس مطروحاً منه الواحد أكبر من القيمة المحكية

$$|COVRATIO - 1| > \frac{3p}{n}$$

٤- مسافة مهلانوبيس Mahalanobis

يستخدم مقياس مهلانوبيس لتحديد تأثير القيمة الشاذة على قيم معاملات الانحدار المقدرة، ويمكن حسابه من العلاقة التالية: (Amphanthong, ٢٠١٢)

$$MD_i^2 = (n-1) \left[h_i - \frac{1}{n} \right]$$

كما يقترح أن القيمة الشاذة تكون مؤثرة إذا كانت قيمة مربع مسافة مهلاً توسيس أكبر من القيمة المحكية $\chi^2_{(\alpha,\beta)}$ ، أي إذا كانت

$$MD_j^2 > \chi^2_{(\alpha,\beta)}$$

طرق معالجة القيم الشاذة :

بعد أن يتم تشخيص القيم الشاذة وتحدد مدى تأثيرها على نموذج الانحدار، يتم معالجتها بإحدى الطرق التالية:

١- طريقة الحذف:

بعد تحديد وتشخيص القيم الشاذة في البيانات، يتم استبعادها أو حذفها من البيانات، حيث يؤكد Rahman and Al Amri (٢٠١٠) على أنه في كثير من الأحيان يتم إزالة القيم الشاذة لتحسين دقة عوامل التقدير.

٢- طريقة متوسط البتر : Trimmed mean

بعد أن يتم الكشف عن القيم الشاذة ، يمكن استخدام طريقة متوسط البتر لمعالجة القيم الشاذة، حيث تمتاز هذه الطريقة ببساطة والسهولة ، وتم من خلال ترتيب البيانات ترتيباً تصاعدياً وحساب قيمة الوسيط ومن ثم تقدير القيم الشاذة حسب صغرها أو كبرها مع بقية البيانات كالتالي (انتنانيك والفتاح، ٢٠٠٩) ..

١- إذا كانت القيمة الشاذة أصغر من قيمة الوسيط ، يتم حذف أكبر قيمة في البيانات والقيمة الشاذة المراد تقديرها ومن ثم ايجاد المتوسط الحسابي للقيم المتبقية والذي يعد تقديرأً لقيمة الشاذة .

٢- إذا كانت القيمة الشاذة أكبر من قيمة الوسيط ، يتم حذف أكبر قيمة في البيانات وحذف القيمة الشاذة المراد تقديرها وإيجاد الوسيط الحسابي للبيانات المتبقية، ويكون التقدير للقيمة الشاذة. وهكذا مع بقية القيم الشاذة .

جودة ملائمة النموذج :

لتحديد مدى ملائمة النموذج المناسب يمكن استخدام المعايير التالية للمقارنة بين النماذج التنبؤية ، ومن هذه المعايير:

١- معامل التحديد : Coefficient of Determination

يقيس معامل التحديد R^2 نسبة التباين التي يفسرها نموذج الانحدار لإجمالي التباين في قيم المتغير التابع لا، تتراوح قيم معامل التحديد بين الصفر والواحد الصحيح $0 \leq R^2 \leq 1$.

٢- متوسط مربعات الخطأ: Mean Square Error

أحد مقاييس الحكم على دقة ملاءمة معادلة الانحدار التبليغية هو متوسط مربعات الخطأ MSE ، حيث يعد النموذج المفضل الذي يحتوى على أقل قيمة لمتوسط مربعات الخطأ وأعلى قيمة لمعامل التحديد.

٣- اختبار F :

تشير القيمة المالية لاختبار F إلى وجود علاقة إحصائية ذاتية بين المتغير التابع والمتغير المستقل.

ثانياً، الدراسات السابقة

قام الباحث بمراجعة مجموعة من الدراسات السابقة العربية والأجنبية ذات العلاقة بموضوع البحث ، وقد تبين هلة الدراسات العربية التي اهتمت بدراسة هذا الموضوع ، أما الدراسات الأجنبية فقد تناولت جوانب مختلفة ، وقد يعود السبب لحداثة الموضوع وفيما يلي عرض الدراسات السابقة: في دراسة قام بها سيو(٢٠٠٦) حول مراجعة طرق تحديد القيم الشاذة في مجموعات البيانات أحادية المتغير ، استعرض الباحث وقارن في الدراسة بعض أساليب طرق تحديد القيم الشاذة بعض الطرق البيانية ، كما عرض كيف يمكن لنسب القيم الشاذة بالمتغير في كل طريقة وقتا لتوزيعات المختلفة وحجم العينة من خلال توليد بيانات محاكاة وتطبيقاتها، كذلك استخدام مجموعات من البيانات الحقيقة. وقد تم تطوير العديد من طرق تحديد القيم الشاذة . وقد توصلت الدراسة إلى أن بعض الأساليب حساسة للقيم الشاذة ، مثل طريقة الانحراف (SD) وبعضها الآخر مقاوم للقيم الشاذة، مثل طريقة توكي (Tukey's method). ورغم أن هذه الأساليب هي قوية جدا مع البيانات الطبيعية الكبيرة فقد تكون هناك مشكلة عند تطبيقها على البيانات غير الطبيعية أو على عينة الأحجام الصغيرة دون معرفة خصائصها في هذه الظروف، والسبب في ذلك أن كل أسلوب له مقاييسه المختلفة في الكشف عن القيم الشاذة وذلك بتغير النسب المئوية المتوقعة للقيم الشاذة بشكل مختلف وقتا لحجم العينة أو نوع توزيع البيانات. وقد تساعد هذه النتائج على وضع مبادئ توجيهية لاختيار طرق الكشف عن القيم الشاذة في البيانات المنحرفة، والتي غالبا ما ينظر إليها في مجال الصحة العامة.

إلا أن الدراسة قد أغفلت بعض الطرق المهمة في الكشف عن القيم الشاذة، كما كانت أغلب الطرق المستخدمة هي طرق تعتمد على الرسومات البيانية أكثر من التحليلية، كذلك أهمت الدراسة ما يتعلق بكيفية معالجة القيم الشاذة.

و حول تأثير القيم الشاذة على نتائج تحليل الانحدار أجرى دبوب ويونس (٢٠٠٦) دراسة ، استخدمت طريقة الرسم الصندوقى في تشخيص القيم الشاذة وتم معالجتها بطريقة البير. وقد

استخدمت بيانات عن المواليد الخدج خلال ثلاث فترات زمنية (١٩٩٩-١٩٨٩) و (١٩٩٥-١٩٩٤) و مثل كل ١٠٠ مولود خديج فترة زمنية واحدة. وقد توصلت الدراسة إلى تأثير القيم الشاذة على تركيبة النموذج ونتائج تحليل الانحدار.

ورغم أن هذه الدراسة تهدف إلى دراسة تأثير القيم الشاذة على نتائج تحليل الانحدار إلا أنها لم تطرق إلى المخالفة التي يمكن استخدامها في الكشف عن القيم الشاذة وأكفت بطريقة واحدة فقط هي طريقة الرسم الصندوقى مما قد يؤثر على النتائج التي توصلت إليها الدراسة. كما قام انپنونق و سوبيتي (Ampanthong and Suwattee ٢٠٠٩) بدراسة تم فيها مراجعة طرق تحديد القيم الشاذة في الانحدار الخطى المتعدد وقد تم التحقق من بعض الطرق الإحصائية لتحديد القيم الشاذة، استخدمت الدراسة بيانات محاكاة مونتي كارلو ووجد أن مقاييس مهلانوبيس Mahalanobis Distance يحدد تأثير القيم الشاذة في كثير من الأحيان أكثر من غيرها في حالة أحجام العينات الصغيرة أو المتوسطة أو الكبيرة مع نسبة القيم الشاذة في كل من المتغيرات المستقلة أو المتغير التابع، يأتي بعد ذلك من حيث الأفضلية إحصائية مصفوفة القيمة (H_i) للمتغير المستقل، أما بالنسبة للمتغير التابع فقد كان مقاييس Cook's e distance DFFITSi distance ومقاييس Cook's e distance.

وفي دراسة أخرى أجرتها الفتال وانترانيك (٢٠٠٩) حول استكشاف وتقدير القيم الشاذة في بعض النماذج اللاحظية، حيث هدفت الدراسة إلى دراسة بعض نماذج الانحدار اللاحظية وتأثير وجودها على مقدرات تلك النماذج وكذلك اقتراح طرق جديدة لتقدير المشاهدات الشاذة في بعض النماذج اللاحظية ، وقد توصلت نتائج الدراسة إلى أن وجود القيم الشاذة ضمن مجموعة من البيانات يؤثر بشكل كبير على نتائج التحليل الإحصائي ، وقد استخدمت طريقة متوسط مربعات الخطأ ومعامل التحديد للمقارنة بين طرق التقدير.

وفي دراسة قام بها يحيى (٢٠٠٦) حول المشاهدات غير العادية في الانحدار الخطى المتعدد، قام بتشخيص بعض أنواع المشاهدات غير العادية، إذ تم الكشف عن المشاهدات الشاذة من خلال استخدام الرسم الصندوقى (Boxplot) ومقاييس بوافي ستيفوندت Studentized residuals وكذلك استخدام مصفوفة القيمة ، كما تم توفيق معادلة انحدار لمرضى التلاسيمية للأطفال وقد توصلت الدراسة إلى بناء نموذج يتفق مع وجهة النظر العلمية.

وفي دراسة أخرى قام بها تشوي (Choi ٢٠٠٤) حول تأثير القيم الشاذة على تحليل الانحدار، أكدت الدراسة على أن وجود القيم الشاذة وحالات تأثيرها يمكن أن يحدث تأثيراً كبيراً في مقدار معاملات الانحدار ، أو حتى اتجاه المعاملات من الجانب الايجابي إلى السلبي أو العكس ، وإذا

تجاهل الباحثون القيم الشاذة ، وخاصة فيما يتعلق بالتأثير الناجع فإن نتائجها يمكن أن تكون مضللة.

ويندراسة أخرى قام بها يارمحمدی ومحمودنژاند (٢٠١٠) Yarmohammadi; Mahmoudvand حيث تم فحص تأثير القيم الشاذة على معامل التحديد في نماذج الانحدار الخطى. واستخدمت عدة طرق لتقدير النموذج ومن ثم حساب قيمة معامل التحديد، حيث تمت مقارنة طريقة the Ordinary Least Squares (OLS) وطريقة Least Trimmed Squares (LTS) وطريقة Least Median Squares (LMS) وطريقة MM-Estimation (MME) وطريقة M-Estimation (ME) . وقد أشارت نتائج المقارنة إلى أن أداء LMS وLTS متباين ، وأن كلا الطريقتين أكثر كفاءة من الطرق الأخرى المذكورة أعلاه. كما أن أداء هاتين الطريقتين يزيد فيما يتصل بحجم العينة . وكذلك فإنه ليس هناك فرق بالمعنى بين طريقة ME وطريقة MME.

وفي دراسة تطبيقية قام بها رحمن والعمري (٢٠١١) Rahman and Al Amri ناقشت تأثير القيم الشاذة على معامل التحديد في نموذج الانحدار، حيث أوردت الدراسة مثلا عمليا واحدا على ذلك. وقد لوحظ أن قيمة شاذة تؤثر بشكل كبير على معامل التحديد وذات دلالة إحصائية مع وجود القيم الشاذة ، ويمكن أن تكون قيمة معامل التحديد أقل من واحد في المائة، وعليه يمكن أن تنتج القيم الشاذة في نموذج الانحدار معامل تحديد أقل، وقد لاحظ الباحثان من الرسوم البيانية أيضا أن القيم الشاذة يمكن أن تتحرك في خط الانحدار، وتذويتها وتحريكها نحو القيم الشاذة، وقد توصلت الدراسة إلى أن وجود القيم الشاذة ونموذج الانحدار يمكن أن تكون مهمة مع وجود ضئيل جدا لمعامل التحديد.

تعليق على الدراسات السابقة :

حاول الباحث التركيز على الدراسات ذات العلاقة بالدراسة الحالية والتي ناقشت جوانب مختلفة من موضوع البحث ، حيث تلتقي مع الدراسة الحالية في الاهتمام بموضوع القيم الشاذة وتأثيرها على التبؤ في الانحدار الخطى ، بعض الدراسات استخدمت طريقة المحاكاة مثل دراسة Choi (٢٠٠٩) و دراسة Yarmohammadi and Mahmoudvand (٢٠١٠) و دراسة Ampanthong and Suwattee (٢٠٠٦) في قياس تأثير القيم الشاذة على تحليل الانحدار، كما استخدمت دراسات أخرى بعض النماذج التطبيقية مثل دراسة Rahman and Al Amri (٢٠١١) و دراسة يحي (٢٠٠٩) و الفتال و انترينيك (٢٠٠٩). في الدراسة الحالية تحاول استخدام بيانات حقيقة للتعرف على عدد من الطرق البيانية والتحليلية مجتمعة في الكشف عن القيم الشاذة

ومن ثم تقدير مدى كفاءة النماذج التنبؤية المختلفة.

الطريقة وأجراءات الدراسة :

منهج الدراسة:

استخدم الباحث في هذه الدراسة المنهج الوصفي وذلك لتحقيق أهداف الدراسة .

مجتمع وعينة الدراسة :

مجتمع الدراسة يمثل جميع الطلاب في الكليات الصحية بجامعة أم القرى بمكة المكرمة لعام ٢٠٠٦ / ٢٠٠٧م والبالغ عددهم (١٦٧) طالباً والذين أكملوا السنة الأولى الجامعية وفق المتغيرات

التوضيحية التالية:

٪ : المعدل التراكمي

X_١ : اختبار الثانوية العامة

X_٢ : اختبار القدرات

الأساليب الإحصائية المستخدمة:

-تحليل الانحدار المتعدد

-تحليل البوافي

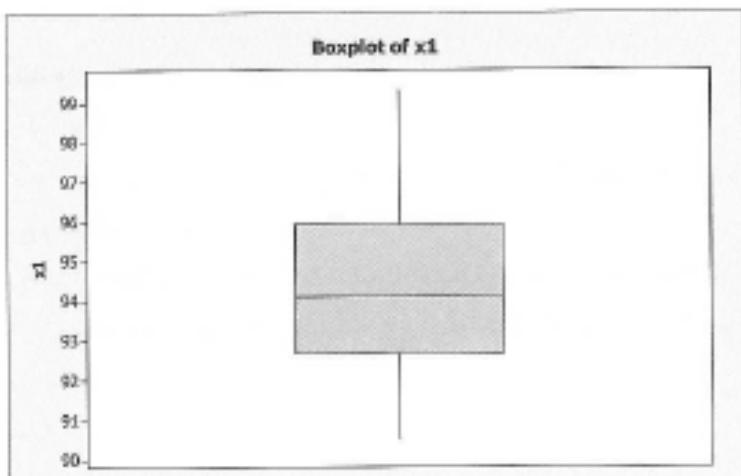
-تحليل بوافي ستيفونز

MSE -متوسط مربعات الخطأ

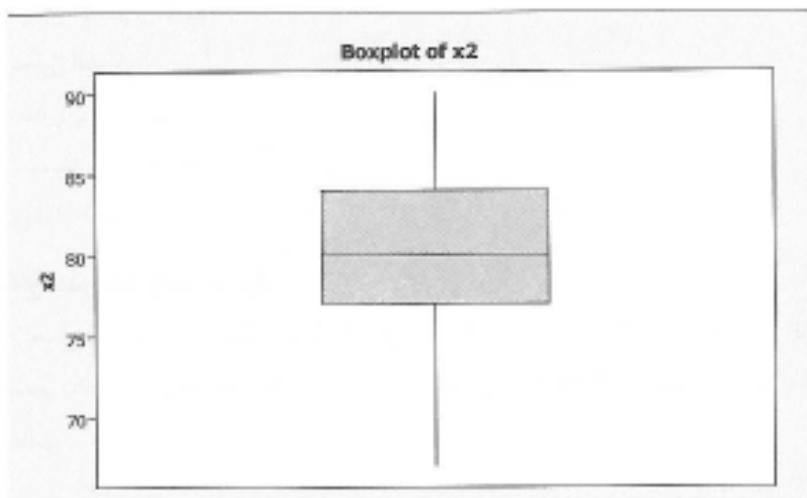
R² -معامل التحديد

نتائج الدراسة ومناقشتها :

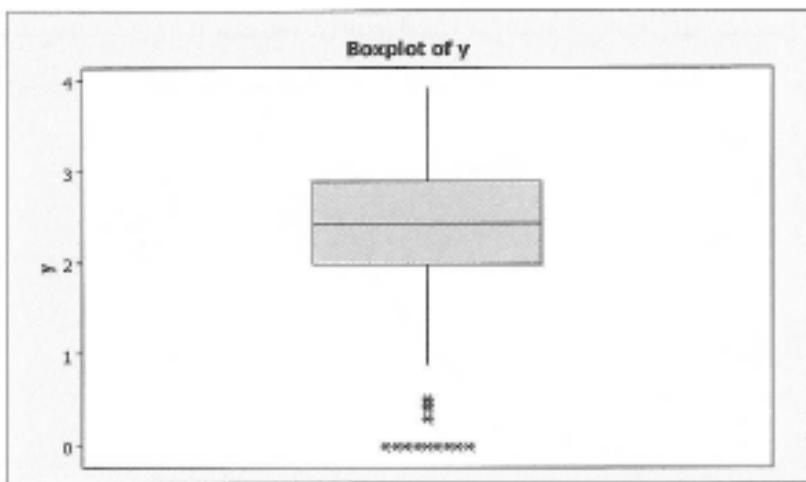
للإجابة على أسئلة الدراسة الحالية قام الباحث بالكشف عن القيم الشاذة في البيانات لكل متغير بالطرق البيانية من خلال الرسم الصنوفي Boxplot ورسوم البوافي والرسم الاحتمالي.



شكل (١) : الرسم الصندوقي لبيانات المتغير المستقل X_1 (اختبار الثانوية العامة)

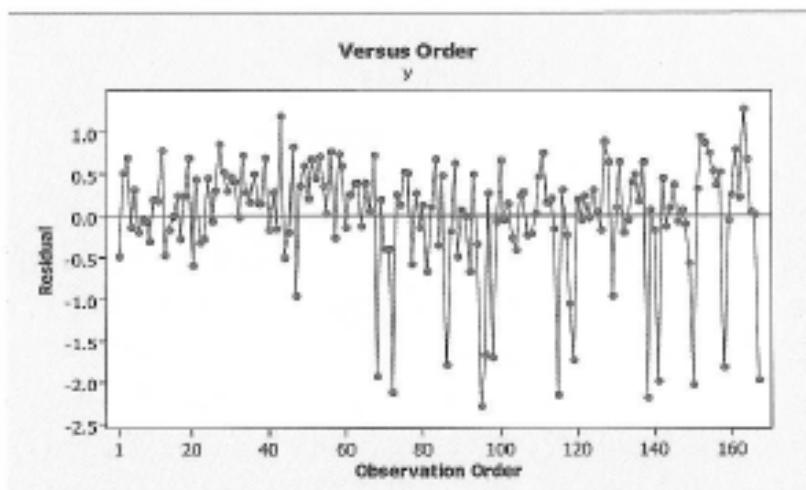


شكل (٢) : الرسم الصندوقي لبيانات المتغير المستقل X_2 (اختبار القدرات)
 يتضح من الرسم الصندوقي في الشكل (١) و (٢) أن قيم المتغيرات المستقلة X_1 ، X_2 لا تحتوي
 أي قيم شاذة .



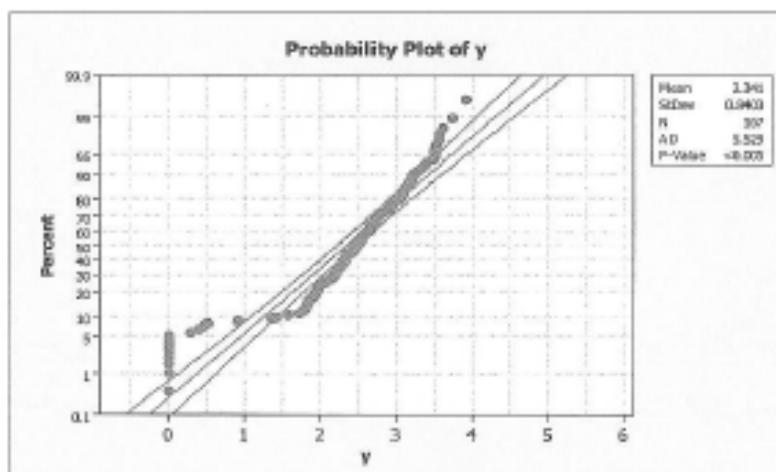
شكل (٢): الرسم الصندوقي لبيانات المتغير التابع y (المعدل التراكمي في السنة الأولى الجامعية)

من خلال الرسم الصندوقي Boxplot للمتغير التابع y ، يتضح وجود عدد من القيم الشاذة في متغير المعدل التراكمي ، ومن خلال برنامج Minitab يمكن تحديد القيم الشاذة على الرسم بالإضافة إلى النقاصل حيث يعطي رقم الحالة الشاذة وقد كانت أرقام الحالات الشاذة هي ٧٢، ٦٨، ١٣٧، ١٥٠، ١٤١، ١٢٨، ١١٥، ٩٨، ٩٦، ٩٥، ١١٩، ١١٥، ٩٨، ٩٦، ٩٥ وتساوي ١٣ حالات.



شكل (٤): رسم الباقي Residual لبيانات المتغير التابع y
وللمزيد من التأكيد يمكن الكشف عن القيم الشاذة في المتغير التابع y باستخدام رسم الباقي

كما يوضح ذلك شكل (٤)، حيث نجد أن القيم الشاذة هي القيم التي لا يبتعد عن القيمة صفر ويتبع الحالات نجد أن الحالات المذكورة في شكل (٣) تكررت في الشكل (٤).



شكل (٥) : الرسم الاحتمالي Probability plot لبيانات المتغير التابع y

كما يتضح من الشكل (٥) أن هناك عدداً من القيم الشاذة ويوضح المؤشر على هذه النقاط في برنامج Minitab تظير أرقام الحالات وهي الحالات الشاذة التي تم تحديدها في الشكل (٤) و (٥).

جدول (٢)

القيم الشاذة لبيانات المتغير التابع y

Unusual Observations

Obs	y	Fit	SE Fit	Residual	St Resid
68	0.5100	2.4500	0.0928	-1.9400	-2.76R
72	0.4000	2.5393	0.0618	-2.1393	-3.03R
86	0.4400	2.2323	0.0707	-1.7923	-2.54R
95	0.0000	2.2958	0.0582	-2.2958	-3.25R
96	0.2900	1.9610	0.0723	-1.6710	-2.37R
98	0.0000	1.7019	0.0946	-1.7019	-2.42R
115	0.0000	2.1569	0.0633	-2.1569	-3.06R
119	0.0000	1.7355	0.1001	-1.7355	-2.47R

138	0.0000	2.1870	0.0640	-2.1870-3.10R
141	0.0000	1.9907	0.1030	-1.9907-2.84R
150	0.0000	2.0357	0.0695	-2.0357-2.89R
158	0.0000	1.8257	0.0986	-1.8257-2.60R
167	0.0000	1.9841	0.0836	-1.9841-2.82R

في جدول (٢) تظهر أيضاً أرقام المشاهدات الشاذة وقيم المتغير التابع المقابل لها وهي القيم التي ظهرت من خلال الرسوم البيانية السابقة (١) و (٥).

جدول (٤)

القيم الشاذة في المتغير التابع γ

بواقي المحدودة	البواقي المعيارية	البواقي	γ	رقم المشاهدة
-2.81863	-2.76079	-1.94002	0.51	68
-3.10866	-3.02967	-2.13925	0.4	72
-2.58496	-2.54131	-1.7923	0.44	86
-3.34965	-3.24992	-2.29577	0	95
-2.4041	-2.36982	-1.67097	0.29	96
-2.45983	-2.4228	-1.70192	0	98
-3.13648	-3.05524	-2.1569	0	115
-2.51299	-2.47323	-1.73547	0	119
-3.18321	-3.09811	-2.18699	0	138
-2.90222	-2.83869	-1.99071	0	141
-2.95304	-2.88589	-2.03568	0	150
-2.64838	-2.60112	-1.82574	0	158
-2.88104	-2.81898	-1.98415	0	167

يتضح من جدول (٤) من خلال البواقي المعيارية ، وبواقي المحدودة وفق معيار فوكس (Fox ١٩٩١) أن القيم الموضحة في الجدول للمتغير التابع تقع خارج القيمة (-٢،٢-) وبالتالي تعتبر هذه القيم قيمًا شاذة وقائمة في الدراسة.

جدول (٥)

القيم الشاذة المؤثرة على نموذج الانحدار

DFFIT	مسافة مهلاً نوبيس MD ²	مسافة COVRATIO	مسافة كوك D	٪	رقم الشاهدية
-0.37206	1.84882	0.89839	0.044268	0.51	68
-0.27217	0.26881	0.86346	0.023454	0.4	72
-0.25919	0.65835	0.91194	0.021644	0.44	86
-0.27608	0.73324	0.8398	0.023917	0	95
-0.24652	1.96352	0.92707	0.019683	0.29	96
-0.3313	0.33092	0.92958	0.035493	0	98
-0.28134	2.31518	0.86119	0.025034	0	115
-0.3584	0.35799	0.92723	0.041473	0	119
-0.28845	2.51181	0.99766	0.026272	0	138
-0.42629	0.60063	0.85693	0.057952	0	141
-0.29083	2.22108	0.89453	0.026927	0	150
-0.37219	1.31665	0.87954	0.044543	0	158
-0.3423	1.84882	0.91532	0.037392	0	167

و لتحديد مدى تأثير القيم الشاذة التي تم تحديدها على مقدرات النموذج تم استخدام مقاييس التأثير، حيث يتضح من جدول (٥) القيم المختلفة لهذه المقاييس، وبالتدقيق في قيم مقاييس مسافة كوك Cook D وبمقارنته القيم في هذا المقاييس بالقيمة المحكية التي افترضها بوكس (1991, FOX)، والتي تساوي (٠,٠٢٣٩٠)، نجد أن جميع قيم مقاييس كوك لجميع الحالات الشاذة أعلى من القيمة المحكية ، وهذا يعني أن جميع القيم الشاذة التي تم الكشف عنها وتحديدها في المتغير التابع ، هي قيم مؤثرة في نموذج معادلة الانحدار. وبالنظر إلى الجدول(٥) لقيم المقاييس DFFIT المطلقة ومقارنتها بالقيمة المحكية التي افترضها بيلسيلي وزملائه (Belsley et al., ٢٠٠٤) والتي تساوي (٠,٠٢١٨)، نجد أن جميع القيم المطلقة وفق المقاييس أعلى من القيمة المحكية وبالتالي يمكن الحكم بأن جميع القيم الشاذة وفق هذا المقاييس هي قيم مؤثرة في النموذج. كذلك بالنظر إلى قيم مقاييس COVRATIO بمقارنة القيم COVRATIO - 1| بالقيمة المحكية التي افترضها (Belsley et al., ٢٠٠٤) والتي تساوي (٠,٠٢٥٩)، نجد أن جميع القيم المطلقة لقيمة المقاييس مطروحاً منها الواحد أعلى من القيمة المحكية المذكورة. وبالتالي نجد أن القيم الشاذة وفق مقاييس COVRATIO هي قيم مؤثرة في النموذج وتستدعي الدراسة. وأخيراً، بالنظر إلى قيم مقاييس مهلاً نوبيس ومقارنتها بالقيمة

المحكية ($\chi^2_{(0,0)} > MD$) ، لقيمة مربع كاي عند مستوى دلالة ٠٥ ، ودرجات حرية ٢ ، تساوي (١٠٢ ، ٠) وبمقارنة قيم مقاييس مهلانوبيس بالقيمة المحكية نجد أن جميع القيم أعلى من القيمة المحكية ، وبالتالي تكون جميع القيم الشاذة هي قيم مؤثرة في النموذج. وبمقارنة جميع قيم المقاييس التي تم استخدامها في تحديد القيم الشاذة المؤثرة ، Cook D ، COVRATIO ، DFITI ، COVRATIO ، ومقياس مهلانوبيس ، تؤكد قيم هذه المقاييس على أن القيم الشاذة التي تم تحديدها والكشف عنها هي قيم مؤثرة في نموذج الانحدار وبحاجة إلى دراسة.

جدول (٦)

يوضح العلاقة بين مقاييس تحديد القيم الشاذة المؤثرة والتغير التابع

DFITI	كوك Cook D	COVRATIO	مهلانوبيس	γ	
0.721**	-**0.634	0.699**	0.156**	1	γ
0.266**	0.109	0.369**			مهلانوبيس
0.546**	-***0.796				COVRATIO
-***0.480					كوك D

بالنظر إلى الجدول (٦) في دراسة العلاقة بين مقاييس تحديد القيم المؤثرة والتغير γ ، نلاحظ أن جميع المقاييس ذات علاقة ارتباطية دالة ، كما أن قوة العلاقة تختلف من مقاييس لآخر فنجد أن قوة العلاقة لمقياس COVRATIO و DFITI وهي الأقوى حيث تساوي على التوالي (٠.٦٩٩) و (٠.٧٢١) علاقة ارتباطية موجبة. كما بلغت قيمة العلاقة بين المتغير γ وقيمة مقاييس كوك (-٠.٦٣٤) وهي قيمة دالة إحصائية سالبة. وقد كانت أقل قيم ارتباطية بين المتغير التابع ومقاييس مهلانوبيس وبلغت قيمة العلاقة (٠.١٥٦) وهي دالة إحصائية. وتظهر النتائج في الجدول أن جميع المقاييس لها علاقة ارتباطية دالة مع المتغير التابع γ . باختلاف قوة العلاقة واتجاهها.

معالجة القيم الشاذة :

تمت معالجة القيم الشاذة بطرقين:

١-طريقة الحذف:

قام الباحث بحذف القيم الشاذة والتي تم تحديدها والطرق السابقة وتحديد مدى تأثيرها في النموذج المقدر.

٢-طريقة متوسط البتر : Trimmed mean

قام الباحث بمعالجة القيم الشاذة باستخدام طريقة متوسط البتر من خلال حذف أكبر المشاهدات بعد ترتيبها تصاعدياً وحذف القيم الشاذة وإيجاد الوسط الحسابي الذي يمثل تقديرأً للقيمة الشاذة ، وبتقدير القيم الشاذة في المتغير التابع \bar{Y} والذي يمثل المعدل التراكمي كانت القيم التقديرية كالتالي :

جدول(٧)

يوضح القيم المقدرة لقيم الشاذة بطريقة متوسط البتر

القيمة المقترنة بطريقة متوسط البتر Trimmed mean	قيمة \bar{Y}	رقم المشاهدة
2.343	0.51	68
2.343	0.4	72
2.343	0.44	86
2.346	0	95
2.344	0.29	96
2.346	0	98
2.346	0	115
2.346	0	119
2.346	0	138
2.346	0	141
2.346	0	150
2.346	0	158
2.346	0	167

استخدمت طريقة متوسط البتر كما في جدول (٧) لتقدير القيم الشاذة في المتغير التابع \bar{Y} وكانت القيم (٢,٣٤٢ ، ٢,٣٤٣ ، ٢,٣٤٤ ، ٢,٣٤٥ ، ٢,٣٤٦ ، ٢,٣٤٧ ، ٢,٣٤٨ ، ٢,٣٤٩) .

نتائج تحليل الانحدار قبل معالجة القيم الشاذة:

جدول(٨)

يوضح قيمة معامل الارقباط ومعامل التحديد والخطأ المعياري للتقدير قبل معالجة البيانات من القيم الشاذة

الخطأ المعياري للتقدير	R^2 المعدلة	R^2	R
0.70880	0.288	0.297	0.545

جدول (٩)

تحليل تباين المتغير التابع في نموذج الانحدار الخطى قبل معالجة البيانات

من القيم الشاذة

مستوى الدلالة	F	متوسط المربعات	درجات الحرية	مجموع المربعات	مصادر الاختلاف	النموذج
.000	34.641	17.404	2	34.807	الانحدار	1
		.502	164	82.394	اليواقي	
			166	117.201	الكلي	

جدول (١٠)

معاملات نموذج الانحدار الخطى قبل معالجة البيانات

مستوى الدلالة	ت	المعاملات المعيارية			النموذج
		Beta	الخطأ المعياري	B	
0.000	-6.274		2.469	-15.487	التابع
0.000	5.484	0.390	0.028	0.156	اختبار الثانوية
0.000	3.601	0.256	0.011	0.039	اختبار القدرات

يتضح من الجدول (٨) ، (٩) ، (١٠) نتائج تحليل الانحدار قبل معالجة القيم الشاذة ، حيث يتضح من قيمة p وجود دلالة إحصائية للمتغيرين X_1 (اختبار الثانوية) ، X_2 (درجات اختبار القدرات) في تأثيرهما على الاختلاف في المتغير التابع (المعدل التراكمي) عند مستوى دلالة .٠٠١ ، كما بلغت قيمة معامل التحديد (٠.٢٩٧) ، أي أن حوالي ٢٩٪ من الاختلافات الموجودة بين قيم لا تعود إلى تأثيرات المتغيرات المستقلة X_1 ، X_2 . كما بلغت قيمة متوسط مربعات الخطأ القيمة (٠.٥٠٢) ، أما قيمة اختبار F فقد بلغت (٣٤.٦٤١) .

وبالتالي تكون معادلة الانحدار للتتبؤ بالمعدل التراكمي على الصيغة التالية:

$$y = -15.487 + 0.156x_1 + 0.0393x_2$$

نتائج تحليل الانحدار بعد حذف القيم الشاذة:

جدول (١١)

قيمة معامل الارتباط ومعامل التحديد والخطأ المعياري للتقدير

بعد حذف القيمة الشاذة

الخطأ المعياري للتقدير	R^2 المقيدة	R^2	R
0.418	0.435	0.443	0.665

جدول (١٢)

تحليل تباين المتغير التابع في نموذج الانحدار الخطى بعد حذف القيمة الشاذة

مستوى الدلالة	F	متوسط المربعات	درجات الحرية	مجموع المربعات	مصادر الاختلاف
.000	59.962	10.519	2	21.038	الانحدار
		.175	151	26.489	البواقي
			153	47.527	الكلي

جدول (١٣)

معاملات نموذج الانحدار الخطى بعد حذف القيمة الشاذة

مستوى الدلالة	t	المعاملات المعاشرة		B	النموذج
		Beta	الخطأ المعياري		
0.000	-7.955		1.483	-11.80	الثابت
0.000	7.398	0.487	0.017	0.126	اختبار الثانية
0.000	4.589	0.302	0.007	0.031	اختبار القدرات

بعد أن تم تحديد وتشخيص القيم الشاذة تمت معالجة هذه القيم الشاذة بالطريقة التقليدية وهي طريقة الحذف والاستبعاد ويتضح من جدول (١١) ، (١٢) ، (١٣) نتائج تحليل الانحدار . حيث تشير نتائج قيم P إلى جود دلالة إحصائية للمتغيرين X_1 ، X_2 في تأثيرهما على الاختلافات في المتغير التابع Y عند مستوى دلالة .٠١ ، كما بلغت قيمة معامل التحديد (٤٤٢ ، ٠) ، أي ما نسبته ٤٤٪ من التباين المفسر ، كما بلغت قيم متوسط مربعات الخطأ (١٧٥ ، ٠)، أما قيمة

اختبار F (٥٦,٩٦)

وتكون معادلة الانحدار للتنبؤ بالمعدل الشراكي

$$y = -11.8 + 0.126 x_1 + 0.0305 x_2$$

نتائج تحليل الانحدار بعد معالجة القيم الشاذة بطريقة متوسط البتر:

جدول (١٤) قيمة معامل الارتباط ومعامل التحديد والخطأ المعياري للتقدير

بعد استخدام متوسط البتر

الخطأ المعياري للتقدير	R^2 المعدلة	R^2	R
0.408	0.401	0.408	0.639

جدول (١٥) تحليل تباين المتغير التابع في نموذج الانحدار الخطى

بعد استخدام متوسط البتر

مستوى الدلالة	F	متوسط المربعات	درجات الحرية	مجموع المربعات	مصادر الاختلاف
0.000	56.588	9.405	2	18.809	الانحدار
		0.166	164	27.256	البواقي
			166	46.065	الكتي

جدول (١٦) معاملات نموذج الانحدار الخطى بعد استخدام متوسط البتر

مستوى الدلالة	t	المعاملات المعيارية		المعاملات غير المعيارية		النموذج
		Beta	الخطأ المعياري	B		
0.000	-7.808		1.420	-11.087		الثابت
0.000	7.563	0.494	0.016	0.123		اختبار الثانوية
0.000	3.905	0.255	0.006	0.024		اختبار القدرات

بعد أن تم معالجة هذه القيم الشاذة بطريقة متوسط البتر ، يتضح من جدول (١٤) و (١٥) ، (١٦) نتائج تحليل الانحدار ، حيث تشير نتائج هم P إلى جود دلالة إحصائية للمتغيرين X_1 (اختبار الثانوية العامة) ، X_2 (اختبار القدرات) في تأثيرهما على الاختلافات في المتغير التابع y (المعدل التراكمي) عند مستوى دلالة $.01$ ، وقيمة معامل التحديد تساوي $(.289)$ ، أي ما نسبته 28.9% من التباين المفسر ، كما بلغت قيمة متوسط مربعات الخطأ $(.178)$ ، كما بلغت قيمة اختبار F القيمة (52.30) .

وبالتالي تكون معادلة الانحدار التنبؤية للمعدل التراكمي هي

$$y = -11.0 + 0.126X_1 + 0.0203X_2$$

مقارنة نتائج التحليلات المختلفة في بناء نموذج الانحدار :

من خلال ما تقدم يمكن تلخيص النتائج التي تم التوصل إليها في الجدول (١٧) .

جدول (١٧)

مقارنة نتائج تحليل الانحدار قبل المعالجة وبعدها

	عند وجود القيم الشاذة	عند حذف القيم الشاذة	عند استخدام متوسط البتر
R^2	29.7%	44.3%	40.9%
MSe	0.502	0.175	0.166
F	34.64	56.96	56.588
N	167	154	167

يتضح من جدول (١٧) المقارنة بين نتائج التحليلات المختلفة ، حيث يلاحظ أن متوسط مربعات الخطأ هي أقل ما يمكن في نموذج تحليل الانحدار عند معالجة البيانات بطريقة متوسط البتر حيث بلغ $(.166)$ مقارنة بالقيمة $(.502)$ عند وجود القيم الشاذة والقيمة $(.175)$ عند حذف القيم الشاذة. أما معامل التحديد فقد بلغت قيمته في حالة متوسط البتر $(.409)$ مقارنة بالقيمة $(.297)$ في حالة وجود القيم الشاذة والقيمة $(.443)$ في حالة حذف القيم الشاذة . أما قيمة F فقد بلغت في حالة متوسط البتر (56.588) وفي حالة وجود القيم الشاذة بلغت (34.64) ، أما في حالة حذف القيم الشاذة فقد بلغت قيمة (56.96) . وإذا ما نظرنا إلى كون بيانات العينة (167) حالة تم التعامل معها في بناء النموذج نجد أن طريقة متوسط البتر هي الطريقة الأفضل في تمثيل البيانات و التنبؤ بالحالات المستقبلية في المعدل التراكمي.

تفسير النتائج:

بالكشف عن القيم الشاذة في البيانات لم تظهر الرسومات البيانية المختلفة أي قيم شاذة في قيم التغيرات المستقلة ، متغير درجات الثانوية العامة (X_1) ، ومتغير درجات اختبار القدرات (X_2) ومثل هذه التغيرات عادة ما تختار بعناية كمعايير قبول ومن النادر أن تحوي قيمًا شاذة، أما المتغير التابع متغير المعدل التراكمي (y) فقد أظهرت نتائج الكشف باستخدام الطرق البيانية Boxplot ورسم البوافي والرسم الاحتمالي والطرق التحليلية طريقة البوافي المعيارية وبوافي المحدودة وجود قيم شاذة بلنت (12) حالة تراوحت القيم الشاذة بين الصفر و (51، 0)، وقد أظهرت هذه الطرق تطابقاً ودقة في تحديد وتشخيص القيم الشاذة في المتغير التابع وقد يعود وجود قيم الشاذة في هذا المتغير إلى انسحاب الطالب من البرنامج أو ضعف الدافعية أو أي أسباب أخرى محتملة أدت إلى وجود القيم الشاذة وبالتالي تكون بحاجة إلى دراسة قبل بناء نموذج الانحدار تنبؤي، وهو ما يتفق مع تأكيدات دراسة (Seo, 2006) ودراسة (Choi, 2009; Ampantong; Suwttee, 2009) من ضرورة فحص البيانات قبل بناء نماذج تنبؤية وتحديد القيم الشاذة ومعالجتها.

ولتحديد تأثير القيم الشاذة المؤثرة في النموذج تم استخدام أربع طرق لتحديد القيم المؤثرة هي مسافة COVRATIO ومسافة Cook's ومسافة كوك DFFTIS كانت مؤثرة هذه المقاييس كما في جدول (٥) أن جميع القيم الشاذة في المتغير التابع (المعدل التراكمي) كانت مؤثرة ومستدعي الدراسة، وهي تتفق مع دراسة (Ampantong; Suwttee, 2009) في ضرورة استخدام مقاييس لتحديد القيم الشاذة المؤثرة.

كما أظهرت نتائج الدراسة عن وجود علاقة بين المقاييس المستخدمة لقياس تأثير القيم الشاذة كما في جدول (٦) ، حيث كانت قوة العلاقة الارتباطية بين المتغير التابع ومقاييس DFFTIS ومقاييس COVRATIO على التوالي (٧٢١، ٠، ٦٩٩) و (٠، ١٥٦) علاقة ارتباطية طردية مرتفعة، مما يمكن من استخدام المقاييس بشكل أكبر لقياس تأثير القيم الشاذة ، أما مقاييس مهلاكتوبيس فقد بلنت قوة العلاقة مع المتغير التابع (٠، ١٥٦) وهذه النتيجة تتفق جزئياً مع دراسة (Ampantong; Suwttee, 2009) في أفضلية مقاييس COVRATIO و DFFTIS ولختلف معها في مقاييس مهلاكتوبيس .

أما في مرحلة معالجة البيانات فقد تم تحليل البيانات بدون معالجة القيم وبعد حذف القيم الشاذة وأخيراً، بعد استخدام طريقة متوسط البتر وقد أظهر جدول (٧) المقارنة بين هذه الطرق المختلفة، حيث كانت طريقة متوسط البتر هي الأفضل في بناء نموذج الانحدار التنبؤي

من خلال حساب متوسط مربعات الخطأ والتي بلغت (١٦٦، ٠) وهي أقل من قيم متوسط مربعات الخطأ عند عدم حذف القيم والبالغ (٥٠٢، ٠) وعند حذف القيم بلغ (١٧٥، ٠) مما يؤكد على أفضلية نموذج الانحدار التبؤي عند معالجة البيانات الشاذة بطريقة البتر وهي تتفق مع دراسة دبدوب ويونس (٢٠٠٦) ودراسة (الفتال وانترانيلك، ٢٠٠٩) في أفضلية طريقة متوسط البتر في معالجة القيم الشاذة في البيانات.

وبه ضوء أهداف الدراسة الحالية وأسئلتها توصل الباحث إلى مجموعة من النتائج تتلخص فيما يلي:

- تساعد الطرق البيانية في الكشف عن القيم الشاذة، ويمكن تحديد القيم الشاذة بالرسومات البيانية المختلفة.
- أظهرت قيم البواقي المعيارية وبواقي متعددة قوتها في تحديد القيم الشاذة بالطريقة التحليلية للبيانات.
- أظهرت قيم مقياس DFFT أن جميع القيم الشاذة للمتغير التابع كانت مؤثرة على النموذج عند القيمة المحكية (٢١٨، ٠).
- أظهرت النتائج أن القيم الشاذة للمتغير التابع كانت مؤثرة عند استخدام مقياس COVRATIO وقيمة محكية (٣٥٩، ٠).
- أظهرت النتائج أن القيم الشاذة كانت مؤثرة بحسب مقياس مهلاً نويس، عند قيمة محكية (١٠٢، ٠).
- كما أظهرت النتائج عند استخدام مقياس كوك Cook D أن جميع القيم الشاذة كانت مؤثرة عند قيمة محكية (٢٣٩، ٠).
- كانت العلاقة مرتفعة وطردية ودالة إحصائية للمقياس DFFT وقياس COVRATIO بقيم المتغير التابع ٧ مقارنة بالمقاييس الأخرى.
- وجود القيم الشاذة أثرت سلباً على نتائج تحليل الانحدار ، حيث قللت من قيمة معامل التعدد R^2 وقيمة F ، وزادت من قيمة متوسط مربعات الخطأ MSe .
- عند حذف القيم الشاذة كانت قيمة متوسط مربعات الخطأ لنموذج مرتفعة .
- عند معالجة البيانات بطريقة متوسط البتر كان النموذج أفضل مقارنة بالنموذج قبل الحذف وبعد الحذف من حيث تقليل متوسط مربعات الخطأ.

التوصيات:

- بناءً على نتائج الدراسة الحالية ، يوصي الباحث بما يلي :
- الكشف عن القيم الشاذة باستخدام الرسمومات البيانية والبواقي المعيارية ويوافي متعدد.
- عند تحديد القيم الشاذة استخدام أكثر من مقياس في الحكم على مدى تأثير القيم الشاذة على النموذج .
- استخدام طريقة متوسط البتر عند معالجة القيم الشاذة وبناء نموذج انحدار .

المراجع:

- ديدوب، مروان عبد العزيز و بونس، فرج عبدالفتاح (٢٠٠٧). تأثير القيم الشاذة على نتائج تحليل الانحدار مع التطبيق على المولود الخدج. مجلة علوم الرافدين، المجلد ١٧، العدد ١، ص ٦٢-٨١، العراق.
- الفيال، حميد ناصر و افتخارهله، انتون (٢٠٠٩). استكشاف وتقييم القيم الشاذة في بعض النماذج اللاخطية. مجلة الادارة والاقتصاد، العدد السابع والسبعين، العراق.
- يحيى، مازاهم محمد (٢٠٠٩). المشاهدات غير العاديّة في الانحدار الخطّي المقيد وبعض طرائق تشخيصها مع التطبيق. المجلة العراقيّة للعلوم الإحصائيّة، العدد ١٥، العراق.
- بيري، عدنان و هندي، محمود و راضي، الحسيني (١٤١٩). أساسيات طرق التحليل الإحصائي . الرياض، النشر العلمي، جامعة الملك سعود.
- Ampanthong, Pimpan and Suwattee, Prachoom (2009). A Comparative Study of Outlier Detection Procedures in Multiple Linear Regression. Proceedings of the International MultiConference of Engineers and Computer Scientists , Vol I , IMECS , Hong Kong.
- Amphanthong, Pimpan (2012).The Comparison of Outlier Detection in Multiple Linear Regression. Proceedings of the World Congress on Engineering Vol I , WCE 2012, July 4 - 6, 2012, London, U.K.
- Choi, S. W. (2009). The Effect of Outliers on Regression Analysis: Regime Type and Foreign direct Investment Quarterly Journal of Political Science , 4 , 153-65.
- Kutner, M. ; Neter, J. and Wasserman, W. (2004).Applied Linear Statistical Models.(5th edition).Irwin, McGraw-Hill, New York, U.S.A.
- Rahman M. S. and Al Amri ,K. (2011). Effect of Outlier on Coefficient of Determination. International Journal of Education Research, Volume 6, Number 1.
- Seo, Songwon (2006). A Review and Comparison of Methods for Detecting Outliers in Univariate Data Sets. M.S. University of Pittsburgh.
- Turkan, S. ; Cetin, M. and Toktamis, O. (2012). Outlier Detection by Regression Diagnostics Based on Robust Parameter Estimates. Hacettepe Journal of Mathematics and Statistics , Volume 41(1), 147-155.
- McClave, J. T.; Sincich, T. (2000). Statistics.(Eighth edition). Prentice Hall, New Jersey.

- Kerlinger, F. N. ; Pedhazur, E. J. (1973). Multiple Regression in Behavioral Research. Holt, New York.
- Fox, J. (1991).Regression Diagnostics. SAGE, London, UK.
- Belsley, D. A. ; Kuh, E. and Welsch, R. E.(2004).Regression Diagnostics Identifying Influential Data and Sources of Collinearity.Wiley, Hoboken, New Jersey.
- Hair, J. F. ; Black, W. C.; Babin, B. J.; Anderson, R. E.; Tatham, R. L.(2006). Multivariate Data Analysis.(6th edition) . Pearson Education, New Jersey.
- Adnan, R. Mohamad, M.(2003). Multiple Outliers Detection Procedures in Linear Regression.Matematika, Jilid 19, UTM.
- Yarmohammadi,M. ; Mahmoudvand, R. (2010). The Effect of Outliers on Robust and Resistant Coefficient of Determination in the Linear Regression Models. International Journal of Academic Research,Vol.2, No.3,Iran.



جامعة المتنابي

واقع كفايات الأداء المهني لمعلمي التعليم العام في ضوء معايير جودة التعليم في المملكة العربية السعودية

دراسة تطبيقية على معلمي التعليم العام بمنطقة القصيم

د/ علي بن صالح الشايع

أستاذ الإدارة التربوية والتخطيط المشارك

كلية التربية/ جامعة القصيم

المـلخص

هدفت الدراسة إلى التعرف على واقع كفايات الأداء المهني اللازمـة لأداء المعلم لدوره في ضوء معايير جودة التعليم في المملكة، وتحديد معايير هذه الكفايات وواقعها بالتعليم العام بالمملكة، وتقديم رؤية مقترحة قد تكسب معلمي التعليم العام هذه الكفايات. وقد تكونت عينة الدراسة من (٢٧٠) معلماً من مجموع معلمي مختلف مراحل التعليم العام بمنطقة القصيم. كما تم استخدام المنهج الوصفي الم叙ي، وأظهرت النتائج أن المعلمين يهتمون بالمؤشرات التي ترتبط بنقل البنية المعرفية دون الاهتمام بتوظيفها، وكذلك قد بيـنت الدراسة أن هناك فصوراً في تصميم الخبرات التعليمية التي تحدى قدرات الطلبة وفي تنمية جوانب الشخصية المترادفة لديهم، وأنه يوجد فصور في التنمية المهنية للمعلمين خاصة فيما يتعلق بتنمية معلوماتهم في المجالات العلمية والثقافة العامة والمشاركة في المؤتمرات والندوات. ويوجد فصور في معرفة المعلم لأدواره ومسئوليـاته وفي كونه عضواً فاعلاً في بناء مجتمع التعلم.

مقدمة

شُفِّلت هضاباً تحسين وتجويد التعليم قدرًا كبيراً من اهتمام الدول التي تشنّد الارتفاع بأنظمتها التعليمية وتطوير عملياتها ونواتجها التعليمية. وازداد هذا الاهتمام وضوحاً في الدول النامية التي تعاني من تدهور كبير في نوعية وجودة التعليم فيها، مما كان له أثر مباشر في بطء وصعوبة عمليات التنمية الاقتصادية بها.

كما أن التحديات العملية والتكنولوجية والضغوط الاقتصادية والاجتماعية المتزايدة والاتجاهات الناقدة للصيغ التقليدية التي تسير وفقاً لها كثير من مؤسسات التعليم، قد أفرزت دعوة للاخذ بمفهوم جودة التعليم في هيكله وأهدافه ومناهجه وأليات العمل في مؤسسه، فضلاً عن أن الثورة المعلوماتية المعاصرة لن تكون مقصورة على الدول المتقدمة، بل يمكن لجميع الدول الاستفادة منها إذا ما وصلت بأنظمتها التعليمية ومخرجاتها إلى مستويات عالية من الجودة. إن استجابة المدرسة للتحديات التي فرضها عالم معرفي معلوماتي سريع التغير يتطلب منها أن تكون أكثر قدرة على التعلم الدائم من المتغيرات التي تحدث داخل وخارج أسوارها، لأن ما تعتبره اليوم يتسم بالجودة سيصبح غداً تقليدياً بفعل سرعة تغير المعرفة وتجدد احتياجات ومتطلبات المستفيدين، لذلك هرحلة المدرسة من التقليدية إلى الجودة مستمرة، لأن الجودة في هذا السياق «هدف متتحرك» لا يمكن تحقيقه بل يستلزم التحسين المستمر لمحاولة الوصول إليه. ومع التحول شطر الألفية الثالثة والدعوة لتحسين الحياة الإنسانية في مختلف نواحيها فقد تركزت التوجهات التربوية على القووية والكيفية. وتعلمت أنظار خبراء التربية نحو أفاق الجودة والتميز في العمليات والمخرجات التربوية، واتحدت جهودهم من أجل الارتفاع بتنوعية الأداء التربوي وجودته في شتى جوانب المنظومة التعليمية وعلى كافة مستوياتها.

وفي هذا السياق قرر تزايد الاهتمام بجودة التعليم، وبدأت العديد من دول العالم بتأسيس جهات تهتم بضمان جودة التعليم مثل شبكة ضمان الجودة الأوروبية European Network for Quality Assurance وبرنامج الأمم المتحدة لضمان الجودة UNDP والشبكة الدولية International Network Of Quality Assurance لمؤسسات ضمان الجودة في التعليم.

In Education والتي تضم منظمات مهتمة بضمان الجودة التعليمية حول العالم. فالمهدى الرئيس لمؤسسات التعليم ممارسة عملية التعليم والتعلم الاهداف، وإخراج المعرفة والمهارات الكامنة لدى الطلاب (Barenboim, ٢٠٠٧:٢٠) وفي القرن الحادى والعشرين تقد المعرفة والمهارات أساس النجاح والتقدم والتواجد الحقيقي بين مصاف النظم التعليمية المتقدمة.

ومن أهم عناصر نظام التعليم المعلم الذي يعتمد عليه بشكل أساس في تطبيق نظام الجودة في التعليم، وما يقوم به في عملية التغيير التربوي، فالتغيير التربوي يعتمد إلى حد كبير على ما يدركه المعلم وما يملكه من كفايات شخصية وفنية ومهنية تجعله قادرًا على تقديم تعليم نوعي متميز (Fullan, 1991, ٤٥: ١٩٩١).

ومن هذا المنطلق فإن المعلمين مسؤولون عن تطوير أنفسهم مهنياً والارتقاء بمستوى أدائهم، فإن لم تكن لديهم المعرفة والمهارات فلا توقع تغييراً كبيراً (Wilson & Cameron, 1996) ويفق مع وجهة النظر السابقة (Kauchak & Eggen, 1998)، حيث أكد أكاديمية مساعدة المعلمين لأن يتخلوا عن اعتقاداتهم السلبية التي قد تجعل ممارساتهم المهنية دون مستوى المعايير والكتابات الموضوعية.

مشكلة الدراسة

أسهمت عدة عوامل في إحساس الباحث بمشكلة الدراسة أهمها:

- انتشار ظاهرة المولنة التي تقودها الدول المتقدمة من سيطرة فكر وفلسفة اقتصاد السوق وتعدد آليات الاقتصاد الحر ونظمها وما صاحبها من تزايد تأثير القطاع الخاص في النشاط الاقتصادي للدول ومنها قطاع التعليم حتى صار التعليم ميدانًا لاستثمارات القطاع الخاص والتي تستهدف في معظم الأحيان تحقيق الربحية إلى أقصى حد ممكן مما يشير لدخول متغير ثالث في هذا الاقتصاد وهو متغير الجودة التعليمية التي يمكن أن تضمن تحقيق الرباعية للقطاع الخاص.
- ربط تأهيل القوى البشرية باحتياجات سوق العمل من كفاءات بشرية متميزة في جوانبها العملية والفنية والسلوكية، مما يوجه كثيراً من الباحثين لاستخدام آليات لضمان جودة التعليم ومداخله في تنمية وتحصين المهارات الفنية والتقنية للمتعلمين.
- ظهور مظاهر نقاوة الجودة في شتى المجالات ومنها المجال التعليمي مما شجع على تشكيل هيئات ومؤسسات جودة التعليم واتساع نطاق عمل هذه الهيئات في اعتماد معايير جودة التعليم (Julkaisupalrelut, ٢٠٠٥: ١٢٣).
- ما بلغه التقدم العلمي والتكنولوجي من مستويات متقدمة وما وصلت إليه الثورة المعلوماتية وتكنولوجيا المعلومات مع مطلع القرن الواحد والعشرين من قمة في الدهة والشمول، واتساع في استخدام وسائلها من الكمبيوتر وشبكة الانترنت الدولية.
- تحول اهتمام بعض السياسات التعليمية العربية من صياغة استراتيجيات تعليمية كمية إلى استراتيجيات نوعية قائمة على جودة التعليم، كما اتجهت كثير من وزارات التعليم في الدول

العربية ومنها وزارة التعليم العالي بالملكة العربية السعودية إلى إنشاء الهيئة الوطنية للتقويم والاعتماد الأكاديمي تستهدف ضبط جودة التعليم وتحسينه في ضوء معايير وطنية وعالمية.

- انعقاد كثير من المؤتمرات الدولية والإقليمية والمحليّة التي تناقش توجهات ورؤى جديدة لتحقيق معايير ضمان جودة التعليم.

ومن ثم فإن المملكة العربية السعودية لابد وأن تأخذ في اعتبارها عملية الإصلاح الشامل للتعليم بروؤية واضحة لطبيعة التحديات والمتغيرات المحلية والإقليمية والدولية في كافة المجالات ولضمان مستوى عال لجودة التعليم والتعلم جاء الاهتمام بضرورة تبني معايير جودة التعليم في عملية تمرين المعلمين من منطلق ما أشارت له نتائج عديد من البحوث التربوية من أن الأنشطة التي يقوم بها المعلم في قاعات الدرس، وطريقة تعليمه ومقدار جودة أدائه... الخ متغيرات محورية على طريق تحسين نتائج التعلم. (Wilson & Cameron، ١٩٩٦، Wilson & Cameron، ١٩٩٨، Woolfolk، ١٩٨٨: ٥٥).

وفي إطار المناقشات عن إصلاح التعليم ونتيجة للجهود المبذولة خلال البحوث التربوية على المستوى العالمي والمحلي، توصلت الدراسات إلى وجود علاقة جوهرية بين جودة المعلم Teacher Quality (ما الذي يمتلكه المعلم من مهارات وكفايات) وبين جودة الأداء (ما الذي يفعله المعلم) حيث يشير المصطلح الأول إلى مستوى كفايات الأداء المهني للمعلم، على حين يشير المصطلح الثاني إلى واقع الأداء التدريسي للمعلم. وأن من أكثر العوامل أهمية في تحقيق التعلم الفعال وجود معلم واسع الاطلاع knowledgeable skilful في مهنته (الباز والميد، ٢٠٠٨: ٨).

كما أوصت دراسة (الورثان، ٢٠٠٧، ٢٢٨) بوجوب العمل بمعايير الجودة الشاملة المتعلقة بالعلم، كما أوصت دراسة (العنزي، ٢٠٠٧، ١٧٢) بضرورة وضع معايير واضحة ومعروفة للجميع لنتائج التعليم الذي نطلع له ومقارنتها بالمعايير العالمية.

ولذلك جاءت فكرة البحث الحالي الذي ركز على محاولة صياغة مجموعة من المعايير والمؤشرات يمكن أن تستخدم للتقييم واقع كفايات الأداء المهني لعلمي التعليم العام بالملكة العربية السعودية وذلك بفرض مساعدة مؤسسات تقييم المعلم ومؤسسات إعداد المعلم والمؤسسات التي يعمل بها المعلم على اتخاذ القرار المناسب حول مستوى كفايات الأداء المهني للمعلم ومن ثم إمكانية اعتماده وتمويهه ليصبح معياراً فعالاً لمهنة التدريس.

وهي ضوء ذلك فإنه يجب تقييم كفايات الأداء المهني لعلمي التعليم العام بالملكة العربية

السعودية في ضوء معايير جودة التعليم.

وبناءً على ما سبق حاول البحث الحالي الإجابة عن السؤال الرئيسي التالي:

ما واقع كفايات الأداء المهني لمعلم التعليم العام في ضوء معايير جودة التعليم في منظمة القصيم بالملكة العربية السعودية؟

ويترعرع منه التساؤلات التالية:

١- ما المعايير والمؤشرات الالازمة للتعرف على جودة الأداء المهني لمعلم التعليم العام بالملكة؟

٢- ما واقع مؤشرات معايير كفايات الأداء المهني لمعلم التعليم العام في المملكة العربية السعودية؟

٣- هل هناك فروق دالة إحصائياً في مؤشرات معايير كفايات جودة الأداء المهني لمعلم التعليم العام تبعاً لمتغيرات الدراسة (المراحل التعليمية، المؤهل، سنوات الخبرة)؟

٤- كيف يمكن إكساب معلم التعليم العام كفايات الأداء المهني في ضوء معايير جودة التعليم بالملكة؟

أهداف الدراسة:

تكمّن أهداف الدراسة الحالية في الآتي:

١- تحديد الكفايات والمعايير والمؤشرات الالازمة للتعرف على جودة الأداء المهني لمعلم التعليم العام بالملكة.

٢- رصد واقع مؤشرات معايير كفايات جودة الأداء المهني لمعلم التعليم العام في المملكة العربية السعودية.

٣- التعرف على واقع الفروق في مؤشرات معايير كفايات جودة الأداء المهني لمعلم التعليم العام في ضوء متغيرات الدراسة.

٤- الوصول إلى آليات مناسبة تسهم في إكساب معلم التعليم العام قدرًا من كفايات الأداء في ضوء معايير جودة التعليم بالملكة العربية السعودية.

أهمية الدراسة:

تكمّن أهمية هذه الدراسة في النقاط الآتية:

١- تلقي الضوء على مفهوم يتصف بالحداثة والجدة في التربية العربية، لاسيما أن تحقيق جودة التعليم صار وسيلة هادفة لتحقيق نظام التعليم لأهدافه المحددة مسبقاً، ومن مصاديقه جهود مؤسسات التعليم وارتباطها برسالتها ورؤيتها، وتؤدي إلى كسب ثقة المستفيدين من الخدمة التعليمية وكذا الممولين لها والتتأكد من رضاهما عنها.

- إعداد قائمة بالكتابات الالزمة للمعلم في ضوء معايير الجودة ومؤشراتها في التعليم العام تكون أداة لتقدير المعلم.
- إفاده صانعي القرارات بالتعليم العام وخاصة مجال تدريب المعلم كيفية إكساب المعلم تلك الكتابات، ويقيدها في تنمية كتابات المعلم وأدائه الفعلي في الميدان.
- النظر إلى تطبيق معايير جودة التعليم بالمملكة لا سيما جودة أداء المعلم مما قد يجعل هذه الدراسة تثري المكتبة العربية بما تضيّقه من معرفة علمية في هذا المجال.
- كما تأتي أهمية الدراسة من كونها إحدى الدراسات التي تربط كتابات المعلم باختلاف خبراتهم ومراحلهم التعليمية، فتكتسب هذه الدراسة أهميتها على المستوى التربوي، لأنها تلقي الضوء على جانب من جوانب العملية التربوية، إذ يمكن للمعلمين والتربويين الاستفادة منها لصقل نظرية معرفية في التدريس انطلاقاً من الكتابات التدريسية لديهم.

حدود الدراسة :

اقتصرت الدراسة الحالية على ما يأتي:

- عينة عشوائية من معلمي التعليم العام بمنطقة القصيم بالمملكة العربية السعودية للتخصصات الآتية: دراسات إسلامية - لغة عربية - علوم اجتماعية - علوم طبيعية)، ويعملون في المراحل الدراسية الثلاث (ابتدائي - متوسط - ثانوي).
- مجالات ومعايير كتابات الأداء المهني التالية (البنية المعرفية لمادة الشخص - تحظى التعليم في ضوء المعايير - استراتيجيات التعليم والتعلم - بيئة التعلم - نمو الطلاب وتعلمه - مهارات الاتصال وتكنولوجيا التعليم - التنمية المهنية المستمرة للمعلمين - التقويم ومراقبة أداء الطلاب - مهارات القيادة - الشراكة مع المجتمع المحلي).
- طبقت الدراسة في العام الدراسي ١٤٢١/٥١٤٢٢ـ.

منهج الدراسة

تمت هذه الدراسة من الدراسات المحسنة الوصفية، حيث اعتمدت على استخدام الاستبيان لجمع البيانات من أجل رصد كتابات الأداء المهني لعلمي التعليم العام في منطقة القصيم بالمملكة العربية السعودية وتحليلها في ضوء معايير جودة التعليم.

المفاهيم الإجرائية للدراسة

1- المعايير Standards

تعرف المعايير على أنها هي آراء محصلة لكثير من الأبعاد السيكولوجية والاجتماعية والعلمية

والتربيوية، يمكن من خلال تطبيقها أن تعرف الصورة الحقيقة للموضوع المراد تقويمه أو الوصول إلى أحكام عن الشيء الذي تقومه (الجمل و اللقاني، ١٩٩٦: ٢٧٩).

ويعرف الباحث المعايير بأنها ممارسات مصاغة في عبارات توضح ما يجب أن يعرفه المعلم ويقوم بأدائه في سياق تعليمي وإداري وتتموي معين في ضوء ما تستقر عليه الهيئات العلمية المتخصصة في التنمية المهنية للمعلمين، مراعية تلك المعايير تحقق الاتجاهات التربوية الحديثة، وما تنهلية الجودة في التعليم، وهذه المعايير ترتبط بجميع عناصر المنهج وفي مقدمتها الأهداف التربوية، والمحظى، والخبرات التربوية، وطرق التدريس وتقنيات التعليم، والتقويم، والبيئة التعليمية... الخ ، وفي ضوء تلك المعايير يتم تقويم تلك العناصر السابقة الذكر للتأكد من مدى تحقق الجودة في التعليم.

٢- الأداء المهني: جملة الأداءات التي يجب أن يقوم المعلم في أثناء ممارسته المهنية بفرض تحقيق أهداف معينة.

٣- كفايات الأداء المهني: قيام المعلم بمتطلبات الأداء المهني بذمة في المجالات المختلفة ووفقاً لمعايير محددة وفي الوقت نفسه مصاغة في ضوء مؤشرات إجرائية قابلة للتحقيق والقياس.

٤- جودة التعليم: تختلف تعرifications الجودة في التعليم حيث يفهم في صياغتها اختلاف المنظور الوظيفي للجودة في نظام التعليم ومكوناته، ومن التعرifications ربط جودة التعليم في تحقيق رضا الملتحقين به، وتحقيق أهدافه كاملة من منظور عصري في إطار مبادئ الجودة الشاملة وضمن قيم المجتمع وثقافته، وحاجاته، فيما يمكنه من التوائم مع متضيبيات العصر (البلاغ، ٢٠٠٧: ٤٤١).

ويذهب البحث الحالي إلى تعرification الجودة في التعليم من خلال أداء العمل بطريقة صحيحة وفق المعايير التربوية الالزمة بأقل جهد وتكلفة لإعداد عقل منظم ومبدع يحقق احتياجات وتطلعات جميع المستفيدون من الخدمة.

الإطار النظري والدراسات السابقة

جودة التعليم

ارتبطة مفهوم الجودة بإنتاج سلعة أو تقديم خدمة بمستوى يجعلها قادرة على الوفاء باحتياجات ورغبات العملاء ومتطلباتهم المشروعة داخل وخارج المؤسسة، وبشكل يتفق مع توقعاتهم الضمنية والصريحة وتحقق لهم الرضا والاكتفاء.

وهذا المعنى هو ما عرفت به الجودة بأنها «درجة من التألق والتميز في الأداء أو خصائص المنتج من سلع أو خدمات عند مقارنتها مع المعايير الموضوعة من منظور المؤسسة أو من منظور المستفيد

(Fisher, ١٩٩٦، ١٥). والجودة أداة فعالة لتطبيق التحسين المستمر للمؤسسة من خلال استثمار مهارات العاملين وقدراتهم الذاتية لصالح المؤسسة بشكل خاص، والمجتمع بشكل عام.

وفي مجال التعليم يصعب اعتماد تعريف محدد لجودة التعليم أو النظر للجودة التعليمية من زاوية واحدة، بل يجب أن ينظر لجودة التعليم نظرة شاملة تلبي متطلبات ومتطلبات الجمهور المستهدف من صانعي القرار وأولياء الأمور والمدرسة والملتحقين والطلاب.

يعنى أن الجودة التعليمية تضم عناصر المدخلات ومنها خصائص الطلاب والملتحقين والجهاز الإداري والموارد والتسهيلات المادية والخدمات المؤسسية المدعمة والبرامج التعليمية والموارد البشرية. بالإضافة إلى عناصر العمليات مثل المناهج التعليمية وعمليات التعليم والتعلم بالإضافة إلى عناصر المخرجات مثل نواتج التعلم والخصائص الشخصية لدى الطالب والإنجازات الوظيفية والقيادية لأفراد المجتمع ومؤسساته.

وبهذا المعنى عرف (King, ٢٠٠٧، ١٦٢) جودة التعليم بأنها «جميع الأنشطة المختلطة والمنهجية المتضمنة داخل نظام الجودة وظهور كاحتياجات ومتطلبات للوصول إلى الجودة».

وأضاف (Bass, ١٩٩٩، ٢٢) عملية المراجعة لتعريف جودة التعليم ك الآتي «جودة التعليم عملية مراجعة منهجية منتظمة ومستمرة للمنظمة أو البرنامج لتحديد مدى تحقيق المعايير التربوية المتوقعة» وقد تضم هذه العملية آليات متعددة لقياس المعايير المختلفة هكذا منها تصميم خاص ونظام محدد يتضمن إجراءات معينة للتتأكد من الوفاء بمتطلبات الجودة والتي تتضمنها معايير الجودة.

كما تتضمن جميع الأنشطة المختلطة لها داخل نظام إدارة جودة التعليم الذي يشمل جميع المعنيين بال التربية و عمليات التدريب في ضوء معايير مبنية (Telxeira, ٢٠٠٥، ١١٢٢) (Smith, ٢٠٠٢، ٢٤٥). كما تتضمن جميع الأنشطة المختلطة لها داخل نظام إدارة جودة التعليم الذي يشمل جميع المعنيين بال التربية و عمليات التدريب في ضوء معايير مبنية (Gynnild, ٢٠٠٧: ٣٦٣).

كما تتضمن جميع الأنشطة المختلطة لها داخل نظام إدارة جودة التعليم الذي يشمل جميع المعنيين بال التربية و عمليات التدريب في ضوء معايير مبنية (Gynnild, ٢٠٠٧: ٣٦٣).

- تكوين رؤية موحدة والالتزام بين الجميع نحو تحقيق أهداف التعليم وقيم المؤسسات التعليمية.

- رفع الروح المعنوية لدى المعلمين والشعور بالانتماء لأسرة واحدة.

- تحقيق الرضا الوظيفي وتحمل المسؤولية الجماعية لتطوير التعليم.

- رفع مستوى الأداء المهني وزيادة الشعور بالمسؤولية المهنية لتابعة المستحدثات التربوية والشخصية.

- إحداث تغيرات جوهرية ودائمة في وظيفة المدرسة من خلال بناء ثقافة للتعليم داخل المدرسة.
- المحافظة على صورة المجتمع المهني للمعلمين والرسالة السامية للتعليم.

المفهوم التربوي للكفاية

هي مجموعة من الصفات والإمكانات التي يطمح المربون في أن توفر لدى المعلم الجيد، ويمكن ملاحظتها أو قياسها وتستند إلى معايير محددة وتجعل المعلم قادرًا على تحقيق أهداف التعليمية والتربوية على أفضل صورة ممكنة بما يساعد على نمو التلاميذ في التوازي الجسمية والعقلية والاجتماعية والروحية (Kelly, ٢٠٠٤) وبالتالي فإن ذلك ينعكس مباشرة على حجرة الدراسية وطرق تدريس المعلمين وكفاياتهم التعليمية.

إن كتابات المعلم تتطلب منه وضعًا وجهدًا خاصًا منها ما يأتي: معرفة تامة بالناهج وأيديولوجياتها، وطرق التدريس، والطالب وكيفية التعامل معه، ومعرفة عميقة بالمحظى، وطرق التقويم، واتساق المحتوى وبيئات التعلم مع حاجات الطلاب لتحقيق تعلمًا فعالاً (Raid, ١٩٩٩) لهذا فإنه بالنهاية يجب أن يركز المعلمون على نوعية الممارسات التعليمية التي تحقق تدريجياً للتللاميد تتحقق من خلالها جملة من نواتج التعلم المستقبلية (Mecranan, ١٩٩٣).

وقد أشار بدوي (Badawi, ٢٠٠٩) إلى أن معرفة المعلم knowledge تعود إلى معرفته عن حالات التعليم، والتعلم مثل نظريات التعلم، وطرق التدريس، وتصميم المنهج، وتقنيات التقويم وقضايا أخرى. والأداء التدريسي وهو يعود إلى الممارسات التعليمية والنشاطات داخل وخارج الصف مثل تحضير الدروس، وتوزيع الوقت في الحصة، وإعداد الاختبارات، والاستفادة من تكنولوجيا المعلومات. فقد وجد كل من روهان وناكونس وجوكينز (Rohaan et al, ٢٠٠٩) أن معرفة المعلم للمحتوى content knowledge هي الجزء الحاسم للأساس المعرفي في التعليم، فقد أظهرت دراساتهم أن معرفة المعلمين تتصل في زيادة تعلم التلاميذ، وداعيّتهم واهتمامّتهم.

وفي ضوء ما سبق فإن كتابات المعلم المهنية يمكن تعريفها على أنها تضم المعرفة والمهارات المطلوبة لتحقيق التعلم الفعال، أي تشير إلى كل من العلم/النظرية والفن /الممارسة، أي أنها عبارة عن عملية تمازج مقدمة من الفهم النظري ومهارة الممارسة (Lovat, ٢٠٠٢).

بإعداد المعلمين كصنائع للمنهج مثلاً بعد مفتاح العلاقة بين السياسة التربوية وتحقيق كتابات المعلم المهنية، وحماية لممارسات المعلمين العملية لجعلها طريقاً لتطوير وتمهين وترقية المعلمين وزيادة خبرتهم والحكم على مهنيتهم، وهذا بدوره مهمٌ لحدوث تعلم احليبية (Grimmet & Chinnery, ٢٠٠٩).

ويرى الباحث ضرورة ربط معايير الكفايات ومؤشراتها بمهام المعلم، لأن تحديد المهام التي سيقوم بها المعلم يؤدي إلى تحديد أدق للكفاية حيث يعتمد تحديد الكفايات على ما سبق تحديده من مهام مما يؤدي بدوره أيضاً إلى تصنيف وتنظيم هذه المهام وأمكانية تقييمها وتقويمها بسهولة.

ويعرف الباحث كنایات المعلم بأنها معايير إجرائية محددة تحديداً دقيقاً يجب أن يمتلكها المعلم بدرجة عالية من الإتقان والمهارة ناتجة عن معارف وخبرات سابقة لأداء جوانب أدواره المختلفة وليلاً حضور عدد من المؤشرات الأكثر إجرائية منها ما هو تربوي ومنها ما هو تعليمي ومنها ما هو إداري ومنها ما هو اجتماعي وإنساني مطلوبة منه لتحقيق جودة عالية لمخرجات العملية التعليمية.

ولقد اتفقت دراسة كل من سليمان أحمد (١٩٩١)، ودراسة عبد الله السهلاوي (١٩٩٢) ودراسة كايد سلامة وشقيق فلاح (١٩٩٢) ودراسة عايش محمود (١٩٩٥) وليلي (١٩٩٧) ودراسة فيرشيلد وسيلي (Fairchild & Selley, ١٩٩٧) على عدد من الخصائص التي يجب توفرها للمعلم وتساعد في تقويمه من قبل طلابه وهي:-

- مدى احترامه للطلاب بتوجيههم وإرشادهم أكاديمياً.

- مدى تمكنه من المادة الدراسية التي يقدمها.

- مدى اهتمامه بتنمية التفكير المنطقي والابتكار لدى طلابه.

- مدى اتباعه لأسلوب التدريس الشيق للتوصيل المعلومة لطلابه.

- مدى حماسه للتدريس.

- مدى تواصله الفعال مع طلابه.

- مدى بشاشته ومرحه ولقته بنفسه.

وعلى الرغم من اتفاق معظم الباحثين على مثل هذه الخصائص إلا أنهم لم يتقدروا على ترتيبها أو الوزن النسبي لإسهام كل منها في الكفاءة المهنية للمعلم. ومن الملاحظ أن بعض المعلمين أكثر حماساً من غيرهم، فقد وجدت بعض الدراسات أن معدل حماس المعلمين يرتبط بمستويات نجاح الطلاب في دراستهم، فالدفء والصداقه والتقاهم من أكثر الخصائص التي ترتبط ارتباطاً قوياً بميول الطلاب.

والملمون الذين يتصفون بالدفء والود في تعاملهم مع الطلاب يحظون بحب الطلاب، وينعكس ذلك على حب الطلاب للدراسة بوجه عام (Woolfolk, ١٩٩٦) كما أن هاالية المعلم واستعداده الأكاديمي والمناخ المنظم والمتكامل داخل مدرسته يزيد من كفاءة المعلم الشخصية وال العامة.

ومن خصائص المعلم الناجح أيضاً التنوع في أساليب عرض المادة العلمية أهلياً ورأسياً حيث يواجه المعلمون مدى واسعاً من التنوع والتباين لدى الطلاب، فيجد المعلم أمامه أفراداً مختلفين في خصائصهم المعرفية والاتقنية، مما ينبع مدي واسعاً من الفروق الفردية بين الأفراد، وهذا التباين والاختلاف يظهر في:

- تباين أداء الأفراد على الفشاط الواحد من وقت لآخر.
- تباين نشاط الفرد من نشاط آخر.
- تباين أداء الذكور عن أداء الإناث على الفشاط الواحد.

وهذا الاختلاف يجعل المعلمين يجهدون في سبيل ملائمة أو تكيف أنشطة التعلم لكل المتعلمين بقدر استطاعتهم، ومما يزيد الأمر تعقيداً وصعوبة أمام المعلمين، أن ذلك التباين بين الطلاب يزيد من ظواهره التباين الشاملة والمستوى الاقتصادي والاجتماعي للطلاب (الزيارات، ١٩٩٥).

ويعد الاستعراض السابق لبعض الأدبيات العلمية ذات العلاقة بالموضوع، نخصص الجزء التالي لعرض النتائج الرئيسية لبعض الدراسات السابقة في هذا المجال:

- دراسة العتيبي (٢٠١١) والتي استهدفت تقديم تصور مقتراح لكفايات معلمة العلوم للمرحلة المتوسطة وقياسها في ضوء معايير الجودة الشاملة، واستخدمت الدراسة طريقة دلفي وتوصلت إلى أهمية الكفايات معلمة العلوم وأن أسلوب قياس الكفايات (تحليل الوثائق، الملاحظة، المقابلة).

- دراسة سليم (٢٠١١) والتي استهدفت التعرف على مدى تطبيق معلمي المرحلة الثانوية في المدارس الحكومية لمعايير الجودة الشاملة في التعليم من وجهة نظر المشرفين في الأردن، وتكونت عينة الدراسة من (٨٠) مشرفاً ومشفراً، وتوصلت الدراسة إلى أن تطبيق المعلمين لمعايير الجودة الشاملة تراوحت بين متسوطة وعالية، وقد احتل مجال تسيير المعرفة وتطويرها المرتبة الأولى في حين احتل مجال العناية بأساليب التقويم المرتبة الأخيرة.

- دراسة الغميطي (٢٠١١) والتي هدفت إلى التعرف على كيفية تطوير الكفايات التدريسية لمعلمي التربية الإسلامية في المرحلة المتوسطة في ضوء معايير الجودة الشاملة، تكونت عينة الدراسة من (٢٦) مشرفاً، وتوصلت الدراسة إلى ضرورة تطوير الكفايات التدريسية لعلم المرحلة المتوسطة في ضوء معايير الجودة الشاملة.

- دراسة صومان (٢٠٠٩) وهدفت إلى التعرف على مدى توافق معايير الجودة الشاملة الدولية لدى معلمي المرحلة الثانوية في الأردن من وجهة نظر المشرفين التربويين، وتكونت عينة

الدراسة من (٢٤) مشرفاً ومشرقـة، وتوصلت الدراسة إلى أن معايير الجودة الشاملة متوفـرة بدرجة كبيرة لدى معلمي المرحلة الثانوية في الأردن.

- دراسة عبدالمنعم وغريب (٢٠٠٨) وهدفت الدراسة للتعرف على مدى توافـر معايير الجودة في الأداء التـدرسي للمعلم في محافظة الأحساء من وجهـة نظر المـشرفـين، وتقديـم تصور مقتـرح لـبرنـامـج تـدرـريـسي لـتحـقـيقـ التـقـيمـةـ المـهـنـيةـ لـلـمـعـلـمـ فيـ ضـوـءـ مـعـاـيـرـ الجـودـةـ، وـتـكـوـنـ عـيـنةـ الـدـرـاسـةـ مـنـ (٤٥) مـعـلـمـاـ وـاستـخـدـمـ الـبـاحـثـانـ بـطـاقـةـ الـمـلاـحظـةـ لـقيـاسـ أـدـاءـ الـمـعـلـمـ الـيـنـيـ عـلـىـ مـعـاـيـرـ الجـودـةـ، وـتـوـصـلـتـ الـدـرـاسـةـ إـلـىـ وـجـودـ اـنـخـفـاضـ كـبـيرـ عـنـ حدـ الـكـفـاءـةـ فيـ الـأـدـاءـ التـدـرـسيـ لـلـمـعـلـمـ فيـ جـمـيعـ مـيـالـاتـ بـطـاقـةـ مـعـاـيـرـ الجـودـةـ.

- دراسة الورثان (٢٠٠٧) التي هدفت إلى التـعرـفـ علىـ مدىـ تـقـبـلـ الـمـعـلـمـينـ لـمـعـاـيـرـ الجـودـةـ الشـامـلـةـ فيـ التـعـلـيمـ فيـ مـحـافـظـةـ الـأـحسـاءـ، وـالـمـوـاـمـلـ الـتـيـ تـشـجـعـهـمـ عـلـىـ تـقـبـلـ مـعـاـيـرـ الجـودـةـ الشـامـلـةـ فيـ التـعـلـيمـ، وـالـمـعـوـقـاتـ الـتـيـ تـحدـ مـنـ تـقـيـلـهـمـ لـهـذـهـ الـمـعـاـيـرـ. وـقـدـ تـكـوـنـ عـيـنةـ الـدـارـسـةـ مـنـ (٨٨٦) مـعـلـمـاـ عـلـىـ اـخـتـلـافـ الـمـراـحلـ الـدـرـاسـيـةـ وـالـتـخـصـصـاتـ الـعـلـمـيـةـ. وـقـدـ خـلـصـتـ الـدـارـسـةـ إـلـىـ أـنـ جـمـيعـ مـعـاـيـرـ الجـودـةـ الشـامـلـةـ فيـ التـعـلـيمـ الـمـتـعـلـقـ بـالـمـعـلـمـ حـظـيـتـ عـلـىـ تـقـبـلـ مـعـاـيـرـ الجـودـةـ الشـامـلـةـ قـبـلـ الـمـعـلـمـينـ، كـذـلـكـ حـظـيـتـ جـمـيعـ الـمـوـاـمـلـ الـتـيـ تـشـجـعـ الـمـعـلـمـينـ عـلـىـ تـقـبـلـ مـعـاـيـرـ الجـودـةـ الشـامـلـةـ بـدـرـجـةـ تـقـبـلـ كـبـيرـةـ. وـأـنـ مـنـ أـهـمـ الـمـعـوـقـاتـ الـتـيـ تـحدـ مـنـ تـقـبـلـ الـمـعـلـمـينـ لـمـعـاـيـرـ الجـودـةـ الشـامـلـةـ هـمـاـ ضـعـفـ فـاعـلـيـةـ نـظـمـ الـمـكـافـآتـ وـالـحوـافـزـ وـعـدـ الـتـهـاـ، وـالـكـثـافـةـ الـعـدـدـيـةـ الـمـرـتـقـةـ لـلـطـلـابـ دـاخـلـ الـفـصـولـ الـدـرـاسـيـةـ.

الدراسة الميدانية

الإجراءات المنهجية للدراسة الميدانية

١- عينة الدراسة

شملت الدراسة الحالية عينة مكونة من (٣٧٠) معلماً من جميع مراحل معلمي التعليم العام يمنطقة القصيم بالمملكة العربية السعودية، وذلك طبقاً لما يوضحه الجدول الآتي:

جدول (١) توصيف عينة الدراسة

النسبة المئوية	التكرار	القلة والتخصص	النسمة المئوية	التكرار	القلة والتخصص
٣٩%	٢٤٢	بكالوريوس	المعلم	٣٧٪	٦٧٨ دراسات إسلامية
٣٥	٢٠	ماجستير		٣٧٪	٩٠ لغة عربية
٢٠٠٠٣	٧	دكتوراه		٣٧٪	علوم اجتماعية
٢٦٥	٥٢	أقل من ٥ سنوات		٣٧٪	علوم طبيعية
٣٧	٢٠٠	من ٥ إلى ١٠ سنوات		٣٧٪	لبناني
٣٨	٢١٢	أكثر من ١٠ سنوات		٣٧٪	متوسط
٣٩	٢١٤	تربيتي		٣٧٪	ثانوي
٣٩	٢٩	غير تربوي			

٢ - أداة الدراسة

استخدم الباحث مع تدilات بسيطة «معايير الاعتماد المهني للمعلم» (الباز والسيد، ٢٠٠٨، ١٠١) وهي تدور حول عشرة كفايات تم تحديدهن في ضوء معايير جودة الأداء المهني. وتتضمن الاستبيان مجموعة من المؤشرات التي تشكل في مجملها معايير جودة الأداء المهني لمعلم التعليم العام وتم توزيع هذه المؤشرات في شكل يندرج تحت عشرة معايير تم استنتاجهم من مجالات كفايات المعلم وهي:

الكفاية الأولى: البنية المعرفية لادة تخصص المعلم وفهمه لطبيعتها.

معيار الكفاية: أن يتقن المعلم البنية المعرفية لادة التخصص وفهمه طبيعتها.

الكفاية الثانية: تحضير التعليم في ضوء المعايير.

معيار الكفاية: أن يخاطب المعلم للتعليم القائم على المعايير الوطنية للتعليم.

الكفاية الثالثة: استراتيجيات التعليم والتعلم.

معيار الكفاية: أن يمارس المعلم استراتيجيات التعليم والتعلم بكفاءة.

الكفاية الرابعة: بيئة التعليم والتعلم.

معيار الكفاية: أن يوفر المعلم بيئة تعلم ايجابية.

الكفاية الخامسة: تعلم ونمو الطلاب.

معيار الكفاية: أن يفهم المعلم كيفية نمو وتعلم الطلاب.

الكفاية السادسة: مهارات الاتصال وتكنولوجيا التعليم.

معيار الكفاية: أن يستخدم المعلم مهارات الاتصال وتكنولوجيا التعليم بكفاءة.

الكتابية السابعة: التنمية المهنية المستدامة.

عيار الكتابية: أن يحرص المعلم على التنمية المهنية المستمرة.

الكتابية الثامنة: تقويم أداء الطالب ومراقبته.

عيار الكتابية: أن يقوم أداء الطالب ويراقبه بمهارة.

الكتابية التاسعة: مهارات القيادة.

عيار الكتابية: أن يمارس المعلم مهارات القيادة.

الكتابية العاشرة: التعاون مع المجتمع المدرسي والمحلي.

عيار الكتابية: أن يكون المعلم عضواً متعاوناً في المجتمع المدرسي والمحلي.

صدق الأداة وثباتها

للتحقق من صدق الأداة قام الباحث بتحكيم الأداة من خلال توزيعها على مجموعة من أعضاء هيئة التدريس وعددهم (١٤) محكماً وقد تمأخذ الملاحظات والمترادات حول المعايير والمؤشرات وهي ضوئتها تم تعديل وتطوير الأداة.

وكذلك تم عرض الأداة على عينة من المعلمين قوامها (١٢) معلماً من معلمي التعليم ومن ذوي الخبرة المرتفعة في التدريس وذلك لمعرفة إذا ما كانت هذه الفقرات تعبّر عن آرائهم وتعبر بصدق عن مجمل معايير أداء المعلم ولقد قام الباحث بحساب معاملات الاتفاق بين المحكمين من أعضاء هيئة التدريس والمعلمين. (الشريري، ١٩٩٥).

جدول (٢) معاملات الاتفاق في المجالات المختلفة

المعايير الثانية المتعلقة مع المجتمع المدرسي والمحلي	مهارات القيادة	مهارات أداء الطلاب ومراقبته	تقويم أداء الطالب	التنمية المهنية المستدامة	مهارات الاتصال وتقنيولوجيا التعليم	تعلم وتنمية الطلاب	بيئة التعليم والتعلم	استراتيجيات التعليم والتعلم	تخطيط التعليم & شوه المعايير	المعرفية المترادفة
٠,٨٥	٠,٥٦	٠,٣٢	٠,٣١	٠,٣١	٠,٦٦	٠,٦٨	٠,٧٧	٠,٧٨	٠,٦٤	٠,٧٧

تشير معاملات الاتفاق في جدول (٢) إلى صدق عبارات الاستثناء

ثبات الأداة

تم التوصل إلى ثبات الأداة، باستخدام معادلة كرونباخ ألفا للتأكد من معامل الثبات للأداة وذلك لكتابيات معايير ومؤشرات أداء المعلم حيث بلغت معاملات الثبات في مجالات الدراسة:

جدول (٣) يوضح معاملات ثبات معايير أداء المعلم

١٠,٥٤	١-أن يتقن المعلم البنية المعرفية للأداء الشخصي ويفهم طبيعتها.
٩,٨٧	٢-أن يحيط المعلم للتعليم القائم على المعايير الوطنية للتعليم.
٩,٧٦	٣-أن يمارس المعلم استراتيجيات التعليم والتعلم بكفاءة.
٩,٥٤	٤-أن يوفر المعلم بيئة علم إيجابية.
٩,٦٥	٥-أن يفهم المعلم كيفية تقويم الطلاب.
٩,٧٢	٦-يستخدم المعلم مهارات الاتصال وتكنولوجيا التعليم بكفاءة.
٩,٦٤	٧-أن يحرص المعلم على التنمية المهنية المستمرة.
٩,٤٦	٨-أن يقوم أداء المطالب ويراقبها بمهارة.
٩,٤٦	٩-أن يمارس المعلم مهارات القيادة.
٩,٥٦	١٠ - أن يكون المعلم عضواً متعاوناً في المجتمع المدرسي والمحلين.
٩,٧٥	معامل الثبات الكلي

نتائج الدراسة الميدانية

تهدف الدراسة الميدانية إلى تقصى واقع مؤشرات معايير كفايات جودة الأداء المهني لملحق التعليم العام في المملكة العربية السعودية. وكذلك رصد واقع الفروق في مؤشرات معايير كفايات جودة الأداء المهني لملحق التعليم العام في ضوء المرحلة (ابتدائي - متوسط - ثانوي) وطبيعة المؤهل الأخير (تربوي - غير تربوي) وسنوات الخبرة في مجال التدريس (أقل من خمس سنوات - من خمس سنوات إلى عشر سنوات - أكثر من عشر سنوات).

نتائج التساوی الثاني:

ما واقع مؤشرات معايير كفايات جودة المعلم في مراحل التعليم العام بمنطقة القصيم؟ وللإجابة على هذا السؤال قام الباحث بحساب الأوزان النسبية وترتيبها والجدارتين الآتية تبين ذلك:

الكتابية الأولى : البنية المعرفية لمادة التخصص

جدول (٤) المؤشرات وترتيبها النسبي لمعلم التعليم العلم الكتابية البنية المعرفية لمادة التخصص

الوزن النسبي	مؤشرات الكتابية	معيار الكتابية
١٦,٤	يفهم المعلم المفاهيم الرئيسية والمبادئ والنظريات التي تشكل البنية المعرفية لمادة تخصصه.	
٧,٣٨	يوظف مادته العلمية في أنشطة تعليمية جديدة.	
٤,٤٦	يضم خبرات تعليمية تعزز مهارات الطلاب.	يقنن المعلم البنية المعرفية لمادة تخصصه ويفهم طبيعتها
٢,٤٧	يطرح قضایا أساسية مرتبطة بموضوعات مادته.	
٢,٩٤	يمارس عمليات البحث والاستقصاء في تخصصه.	
٠,٩٠	يربط بين مفاهيم مادته وبين مفاهيم المواد الأخرى.	
٠,١٨	يتبع أحدث التطورات العلمية في مادته.	

يبين جدول (٤) آراء معلم التعليم العام لكتابية (البنية المعرفية للتخصص) ومؤشراتها وترتيب الوزن النسبي للمؤشرات التعرف على واقع هذه الكتابية لدى معلم التعليم العام، حيث بين الجدول أن مؤشر «يفهم المعلم المفاهيم الرئيسية والمبادئ والنظريات التي تشكل البنية المعرفية لمادة تخصصه» استحوذ على أعلى ترتيب، ولعل ذلك يعزى إلى وجود هذه المفاهيم والنظريات في كتاب المعلم، وتفق هذه النتيجة مع ما توصلت له دراسة (صومان، ٢٠٠٩) من أن معايير الجودة لأداء المعلم تدور في تشقيق المعرفة وتطورها متوفرة بدرجة كبيرة. يليه مؤشر «يربط بين مفاهيم مادته وبين مفاهيم المواد الأخرى» يليه مؤشر «يمارس عمليات البحث والاستقصاء في تخصصه»، يليه مؤشر «يطرح قضایا أساسية مرتبطة بموضوعات مادته»، يليه مؤشر «يضم خبرات تعليمية تعزز مهارات الطلاب» وأخذ المؤشران «يوظف مادته العلمية في أنشطة تعليمية جديدة» و«يتبع أحدث التطورات العلمية في مادته» الترتيبين الآخرين، وتفق هذه النتيجة مع ما توصلت له دراسة (ظميان، ٢٠٠١) من أن أقل الأدوار التي يرى المعلمون أنهم مؤهلون للقيام بها هي نقل الثقافة المطورة للطلاب، وهذا يوضح أن معلم التعليم يهتمون

بالمؤشرات التي ترتبط بالبنية المعرفية دون الاهتمام بتوظيف البنية المعرفية للتخصص وتنص
الاهتمام بتوظيف التكنولوجيا في مادة التخصص.

الكفاية الثانية ، تخطيط التعليم في ضوء المعايير

**جدول (٥) المؤشرات وترتيبها النسبي لمعلم التعليم العام لكتابية تخطيط التعليم في ضوء
المعايير**

الوزن النسبي	مؤشرات الكفاية	معيار الكفاية
١٢,٦٩	يحدد المعلم أهدافاً واضحة لموضوع الدرس.	أن يخطط المعلم للتعليم القائم على المعايير الوطنية للتعليم
١٢,٠١	يصمم الأنشطة التعليمية التي تحقق أهداف الدرس.	
١٠,٥٥	يراعي المعلم في تخطيط الدرس تنوع قدرات ومهارات الطلاب.	
١٠,٤٤	يصبح أهدافاً تقيس المستويات العقلية العليا لدى الطلاب.	
٩,٦٤	يوظف موارد البيئة والمجتمع في تخطيط التعليم.	
١,٨٣	يصبح أهدافاً تقيس جميع جوانب الشخصية المتمثلة في الجوانب الوجدانية والاجتماعية والمهنية والمعرفية.	
١,٤٥	يستخدم الأدوات والوسائل التعليمية التي تحقق أهداف الدرس.	
١,٣٣	يصمم التبريرات التعليمية التي تحدى قدرات الطلاب، وتعزز الابتكار لديهم.	
٠,٣٦	يتبع الأنشطة التعليمية بما يتلاءم وتنوع الطلاب.	

يبين جدول (٥) آراء معلم التعليم العام لكتابية (تخطيط التعليم في ضوء المعايير)
ومؤشراتها والوزن النسبي للمؤشرات وكذلك ترتيب الوزن النسبي للمؤشرات التعرف على واقع
هذه الكفاية لدى معلم التعليم العام، حيث بين الجدول أن مؤشرات «يحدد المعلم أهدافاً واضحة
لموضوع الدرس»، «يصمم الأنشطة التعليمية التي تحقق أهداف الدرس»، «يراعي المعلم في
تخطيط الدرس تنوع قدرات ومهارات الطلاب»، «يصبح أهدافاً تقيس المستويات العقلية العليا

لدى الطلاب» أخذت الترتيب من الأول إلى الرابع، وهذه النتيجة تتفق مع ما توصلت له دراسة (المالكي، ٢٠٠٥) إلى أن صياغة الأهداف بطريقة إجرائية سليمة، واشتمال الأهداف للمهارات العلمية لدى المتعلم، واهتمام الأهداف بالمواضف العملية داخل الفصل وخارجه احتلت قيمةً عالية، ولعل ذلك يعود إلى إيمان المعلمين بأهمية الأهداف وصياغتها. أما مؤشراته يصيغ أهدافاً تقيس جميع جوانب الشخصية المتمثلة في الجوانب الوجودانية والاجتماعية والمهارية والمعرفية؛ ويستخدم الأدوات والوسائل التعليمية التي تحقق أهداف الدرس». و «يضمم الخبرات التعليمية التي تتحدى قدرات الطلاب وتتنمي الابتكار لديهم». و «ينبع الأنشطة التعليمية بما يتلاءم وتنوع الطلاب» هأخذت الترتيب من السادس إلى التاسع وبقراءة محتوى المؤشرات نجد أن المعلمين لديهم شفافية ورقية أي يهتمون بكتابية أهداف واضحة للدرس وتصميم الأنشطة التعليمية ووضع أهداف تقيس المستويات المتباينة للطلاب ونجد فصورةً لديهم في مؤشرات تصميم الخبرات التعليمية التي تتحدى قدرات الطلبة وعدم قدرته على تنفيذ أنشطة تناسب تنويع الطلاب وتبادر بين استعداداتهم وقدراتهم.

الكافية الثالثة : استراتيجيات التعليم والتعلم

جدول (٦) المؤشرات وترتيبها النسبي لمعلم التعليم العام لكافية استراتيجيات التعليم والتعلم

الوزن النسبي	مؤشرات الكافية	معيار الكافية
٢,٥٢	يتقن المعلم البنية المعرفية لإستراتيجيات التعليم والتعلم الحديثة التي تتعدد من الحالات مجهزاً لها.	أن يمارس المعلم استراتيجيات التعليم والتعلم بكفاءة
٢,٤٢	يلجأ الإستراتيجيات المستخدمة بما يتفق وحاجات الطلاب.	
٢,٣٨	يعدل من الإستراتيجية المستخدمة في ضوء التقديرية الراجحة في أشاء الموقف التدريسي.	
٢,٣٦	يمارس إجراءات الإستراتيجية بفعالية مع الطلاب.	
١,٣٤	يمكن من دمج أكثر من إستراتيجية في الموقف الواحد.	
١,٢٢	يغير الإستراتيجية الملائمة للأهداف والمحتوى.	
٠,٧٧	يحرس على إيجابية الطلاب خلال استخدام استراتيجيات التعليم والتعلم.	
٠,٦١	يعرض على تقييم جوانب الشخصية المترادفة لدى الطلاب في أثناء ممارسة لاستراتيجية.	
٠,٣٦	يدبر وقت ممارسة إجراءات الإستراتيجية بكفاءة.	
٠,٣٥	يختتم للتعليم وفقاً لمقاييس المعايير الوطنية للتعلم.	

يبين جدول (٦) آراء معلمي التعليم العام لكتابية (إستراتيجيات التعليم والتعلم) ومؤشراتها والوزن النسبي للمؤشرات التعرف على واقع هذه الكتابية لدى معلمي التعليم العام، حيث يبين الجدول أن مؤشرات «يقتن المعلم البنية المعرفية لاستراتيجيات التعليم والتعلم الحديثة التي تتحذ من الطالب محوراً لها» - وتنوع استراتيجيات المستخدمة بما يتنق حاجات الطلاب - وبعدل من الاستراتيجية المستخدمة في ضوء التقنية الراجمة في أثناء الموقف التدريسي - ويعارض إجراءات الإستراتيجية بفعالية مع الطلاب - ويتمكن من دمج أكثر من إستراتيجية في الموقف الواحدة أخذت الترتيب من الأول إلى الخامس. أما مؤشرات «يتغير الإستراتيجية الملائمة للأهداف والمحظى» - ويحرص على إيجابية الطلاب خلال استخدام إستراتيجيات التعليم والتعلم - ويحرص على تتمة جوانب الشخصية المتقاعلة لدى الطلاب في أثناء ممارسة الإستراتيجية - ويختلط للتعليم وفقاً لمتطلبات المعايير الوطنية للتعليم، فأخذت الترتيب من الرابع إلى التاسع، ولعل ذلك يعود إلى أنه لم يؤكّد عليها في عملية الإعداد التربوي، وهذا يقتضي ضرورة الاهتمام بالإعداد التربوي.

الكتابية الرابعة : بيئة التعلم

جدول (٧) المؤشرات وترتيبها النسبي لمعلم التعليم العام لكتابية بيئة التعلم

الوزن النسبي	مؤشرات الكتابية	معيار الكتابية
٢,٢٢	يوفر المعلم بيئة مادية مناسبة لللامعنة.	أن يوفر المعلم بيئة تعلم إيجابية
١,٦٩	يستخدم المعلم أساليب التفاعل النقدي وغير النقدي بكفاءة.	
٠,٩٠	يحرص على تكوين مجتمع التعلم داخل الفصل.	
٠,٤١	يقنظم وقت التعليم والتعلم بما يتناسب مع متطلبات الدرس وأداء الطلاب.	
٠,٣٤	يماجع مشكلات إدارة الصف بكلفة.	
٠,٣١	يشجع إنمازات جميع الطلاب.	
٠,٣٧	يشجع التفاعلات الإيجابية بين الطلاب.	
٠,٣٨	يثير دافعية الطلاب على نحو مستمر.	
٠,٣٢	يدبر سلوكيات الطالب بفعالية.	
٠,٣١	يؤكد على المساواة والاحترام في جماعة الدراسة.	
٠,٣٠	يهيئ مثلاً اجتماعياً للتعلم.	

يبين جدول (٧) آراء معلمي التعليم العام لكتابية (بيئة التعلم) ومؤشراتها والوزن النسبي

للمؤشرات التعرف على واقع هذه الكفاية لدى معلمي التعليم العام ،حيث بين الجدول أن مؤشرات يحرص على تكوين مجتمع التعلم داخل الفصل - ويوجه المعلم بيئة مادية مناسبة لطلابه- ويستخدم المعلم أساليب التفاعل اللفظي وغير اللفظي بكفاءة- وينظم وقت التعليم والتعلم بما يتاسب مع متطلبات الدرس وأداء الطلاب- وبمعالج مشكلات إدارة الصف بكفاءة- ويشجع إنجازات جميع الطلاب. أخذت الترتيب من الأول إلى السادس.

أما مؤشرات « يشجع التفاعلات الإيجابية بين الطلاب -ويثير دافعية الطلاب على نحو مستمر - ويدبر سلوك الطالب بفعالية». ويؤكد على المساواة والاحترام في حجرة الدراسة. فأخذت الترتيب من السابع إلى العاشر.

الكتابية الخامسة : نمو الطلاب وتعلمه

جدول (٨) المؤشرات وترتيبها النسبي لمعلمي التعليم العام لكتابية نمو الطلاب وتعلمه

الوزن النسبي	مؤشرات الكتابية	معيار الكتابية
٦,٦	يفهم كيفية بناء الطلاب للمعرفة	رقم الصفحة الكتابية المقدمة للمعلم
٢,٩٨	يضمم الآشعة التعليمية في ضوء تفكير الطلاب وخبراته.	
٢,٦٢	يعرض المفاهيم والمبادئ بمستويات متعددة لتأديم وتتنوع مستويات الطلاب.	
٢,٥١	يحضر عمليات التأمل والتفكير لدى المعلم بما يؤدي إلى تكامل الخبرات المأولة وغير المأولة لديهم.	
٢,٤٢	يتنمى في طلابه عادات التفكير العلمي	
٠,٧٨	يستخدم تواهي الثقة لدى الطالب كأساس لتمهيد وشواحي ضعفه كفرصة لعلمه.	
٠,٦١	يستطاع مدى واسعاً من الاستراتيجيات التعليمية لتقابل تنويع الطلاب.	
٠,٤٩	يتحقق مبادئ التعلم بمهارة مع الطلاب.	
٠,٤٢	يستخرج العلاقة بين الجواهير الجسمية والمعزفية والاجتماعية للطلاب وقدراته على التعلم.	
٠,٤٧	يتخذ القرارات التعليمية في ضوء عوامل نمو الطلاب، واحتياجاته.	
٠,٠١	يعي كogeneity اكتساب الطلاب للمهارات	

يبين جدول (٨) آراء معلمي التعليم العام لكتابية (نمو الطلاب وتعلمه) ومؤشراتها وزن النسبي للمؤشرات التعرف على واقع هذه الكفاية لدى معلمي التعليم العام ،حيث بين الجدول أن

مؤشرات «يفهم كيفية بناء الطلاب للمعرفة - ويصمم الأنشطة التعليمية في ضوء تفكير الطالب وخبراته» - ويعرض المفاهيم والمبادئ بمستويات متعددة لتتلاعيم وتتنوع مستويات المطلب - ويحفر عمليات التأمل والتفكير لدى الطلاب بما يؤدي إلى تكامل الخبرات المألوفة وغير المألوفة لديهم - وينهي في طلابه عادات التفكير العلمي - ويستخدم نواحي القوة لدى الطالب أساساً لنموه ونواحي ضعفه كفرصه لتعلمهاأخذت الترتيب من الأول إلى السادس.

أما مؤشرات « يستخدم مدى واسعاً من الإستراتيجيات التعليمية لتبادل ثقوع الطلاب - ويحقق مبادئ التعلم بمهارة مع الطلاب - ويستنتج العلاقة بين الجوانب الجسمية والمعرفية والاجتماعية للطلاب وقدراته على التعلم - ويتخذ القرارات التعليمية في ضوء عوامل نمو الطالب واحتياجاته» - ويعني كيفية اكتساب الطلاب للمهارات فأخذت الترتيب من السابع إلى الحادي عشر.

الكفاية السادسة : مهارات الاتصال وتكنولوجيا التعليم

جدول (٩) المؤشرات وترتيبها النسبي لمعلمي التعليم العام للكفاية مهارات الاتصال وتكنولوجيا التعليم

الوزن النسبي	مؤشرات الكفاية	معيار الكفاية
٥,٥٥	يصمم برمجيات تعليمية تستخدم في تعلم الطلاب.	
٢,٨٣	يستخدم الأساليب التقليدية وغير التقليدية للتواصل الجيد.	أن يستخدم
١,٦	يستخدم مصادر التعلم التكنولوجية لإثراء عملية التعلم.	المعلم
٠,٩٧	يتواصل مع زملائه والمعززين بالأمر في المجتمع المحلي لتحسين تعلم الفائهم.	مهارات الاتصال
٠,٧٩	يستخدم مهارات التعلم الإلكتروني بمهارة في تحفيظ الدروس وتفتيذه.	وتكنولوجيا التعليم
٠,٦٢	يستخدم إستراتيجيات متنوعة لتنمية مهارات الاتصال.	يكتامة
٠,٤٤	يوثق برامج الكتابة والجدوار الإلكتروني والبريد الإلكتروني والإنترن特 .. الخ في التعلم.	
٠,١١	يستخدم الأدوات التكنولوجية الحديثة بكفاءة في عملية التعليم والتعلم.	
٠,٦	يستخدم المصطلحات التكنولوجية بكفاءة.	
٠,٠٨	يبي مميزات ومحاذير استخدام التكنولوجيا الحديثة.	

يبين جدول (٩) آراء معلمي التعليم العام للكفاية (مهارات الاتصال والإنترن特 . التعليم) ومؤشراتها والوزن النسبي للمؤشرات التعرف على واقع هذه الكفاية لدى معلمي التعليم العام ، حيث بين الجدول أن مؤشرات « يصمم برمجيات تعليمية تستخدم في تعلم الطلاب - ويستخدم الأساليب التقليدية وغير التقليدية للتواصل الجيد - ويستخدم مصادر التعلم التكنولوجية لإثراء

عملية التعلم - ويتواءل مع زملائه والمعنيين بالأمر في المجتمع المحلي لتحسين تعلم التلاميذ - وتحدد مهارات التعلم الإلكتروني بمهارة في تخليط الدرس وتنفيذها - ويستخدم استراتيجيات متعددة لتنمية مهارات الاتصال أخذت الترتيب من الأول إلى السادس.

أما مؤشرات «يوظف برامج الكتابة والجداول الإلكترونية والبريد الإلكتروني والإنترنت .. الخ في التعلم - ويستخدم الأدوات التكنولوجية الحديثة بكفاءة في عملية التعليم والتعلم - .. ويسخدم المصطلحات التكنولوجية بكفاءة - ويعي مميزات ومخاطر استخدام التكنولوجيا الحديثة فأخذت الترتيب من السابع إلى العاشر، وربما يرجع ذلك إلى عدم امتلاك المهارات الالزمة لاستخدام التكنولوجيا الحديثة، إما لغفال الاهتمام بها في مرحلة البكالوريوس، أو قلة الاهتمام بها من قبل الإدارة المدرسية أو تكون غير متوفرة لدى المعلمين، وهذا ما توصلت له دراسة (أحمد، ٢٠٠٢) أن نسبة توفير الأجهزة التعليمية بصفة عامة تمثل ٥٧٪ غير أن معظمها معطل ويحتاج إلى صيانة. وأكدته دراسة (الدالي، ٢٠٠٤) بأن الوسائل التعليمية الحديثة والمطلوبة غير متوفرة في المدارس.

الكتابية السابعة : التنمية المهنية المستمرة للمعلمين

جدول (١٠) المؤشرات وترتيبها النسبي لمعلمى التعليم العام لكتابية التنمية المهنية المستمرة للمعلمين

الوزن النسبي	مؤشرات الكفاية	معايير الكفاية
٢,٤	يتطور أداته في ضوء ملاحظة آداء زملائه.	أن ي��رس المعلم على التنمية المهنية المستمرة
١,٨٠	يتطور أداته في ضوء التقويم الذاتي لنفسه.	
١,١٥	يتقن بأخلاقيات مهنة التدريس.	
١,١	بعد بحوث عمل تناول حل المشكلات التي يراها داخل المجتمع المدرسي.	
٠,٧٩	يشارك المعلم في دورات تدريبية متعددة واستمرار.	
٠,٢٥	يلم بالفلسفات والنظريات والممارسات التربوية في مجال تدريسي.	
٠,٠٨	يشارك في فعاليات الندوات والمؤتمرات الخاصة بالتعليم والتعلم.	
٠,٠٧	يستخدم تنازع التقويم لتحسين أداته.	
٠,٠٤	يحرص على انتقال التدريب لزملائه.	
٠,٠٢	يتعم معلوماته في مجالات علمية وثقافية عامة.	

يبين جدول (١٠) آراء معلمى التعليم العام لكتابية (التنمية المهنية المستمرة للمعلمين)

ومؤشراتها والوزن النسبي للمؤشرات التعرف على واقع هذه الكفاية لدى معلمى التعليم العام، حيث بين الجدول أن مؤشرات «يطور أدائه في ضوء ملاحظة أداء زملائه» ويتحقق بأخلاقيات مهنة التدريس - ويطور أدائه في ضوء التقويم الذاتي لنفسه. - ويحرص على انتقال التدريب لزملائه - ويشارك المعلم في دورات تربوية متعددة باستمرار - ويعلم بالمفاهيم والنظريات والمارسات التربوية في مجال تدرسيه - ويشارك في فعاليات التدوين والمؤتمرات الخاصة بالتعليم والتعلم أخذت الترتيب من الأول إلى السابع. وقد توصلت دراسة (الصغير، ٢٠٠٩) أن المعلمين يحرصون على تبادل الخبرات والتعلم من الآخرين.

أما مؤشرات «يستخدم نتائج التقويم لتحسين أدائه» - ويتحقق على انتقال التدريب لزملائه - وينمى معلوماته في مجالات علمية وثقافية عامة. أخذت الترتيب من الثامن إلى العاشر، وتتفق هذه النتيجة مع دراسة (الصغير، ٢٠٠٩) حيث حازت عبارة «يشكل معلمو التخصص الواحد في المدرسة فرق عمل متعاونة لتطوير أدائهم» درجة قليلة، مما يشير إلى عزلة المعلمين في المدرسة الواحدة. أما المؤشرة الثامنة: «تفق النتيجة مع ما توصلت له دراسة (همبان، ٢٠٠١) من أن نسب نوع وحجم الثقافة التي اكتسبها المعلمون بعد التخرج محددة جداً، ويمكن تفسير ذلك بعدم وجود الرغبة لدى الكثير من المعلمين في البحث عن مسارات ومصادر لتنمية معلوماته بعد التخرج.

الكفاية الثامنة : التقويم ومراقبة الطلاب

جدول (١١) المؤشرات وترتيبها النسبي لمعلمى التعليم العام للكفاية التقويم ومراقبة الطلاب

الوزن النسبي	مؤشرات الكفاية	معايير الكفاية
٦,٦٢	يشترك الطلاب وأولياء الأمور في عملية التقويم.	أن يقوم أداء الطلاب وبرأيه بمهارة
٥,٥٢	يشجع الطلاب على استخدام نتائج التقويم كمدخل للتعلم الجديد.	
٤,٩٢	يتغير أدوات التقويم التي تناسب مع مستويات الطلاب والموقف التعليمي.	
٤,١٤	يصمم ويستخدم أساليب تقويم متعددة تقيس الأداء الشامل للطلاب.	
٣,٩٨	يحرص على تقويم أداء الطلاب في ضوء المعايير الوطنية للتعليم.	
٢,١٧	يشجع الطلاب على التقييم الذاتي للأداء.	
١,٢٩	يعرض نتائج التقويم بمهارة لجميع المعلمين بالأمر.	
٠,٢١	يعرف مصطلحات التقويم ومفهومه وأساليبه.	

يبين جدول (١١) آراء معلمى التعليم العام للكفاية (التقويم ومراقبة الطلاب) ومؤشراتها والوزن النسبي للمؤشرات التعرف على واقع هذه الكفاية لدى معلمى التعليم العام، حيث بين

الجدول أن مؤشرات « يشارك الطلاب وأولياء الأمور في عملية التقويم - ويشجع الطلاب على استخدام نتائج التقويم مدخلًا للتعلم الجيد - ويتحسن أدوات التقويم التي تتناسب مع مستويات الطلاب والموقف التعليمي - ويصمم ويستخدم أساليب تقويم متعددة لقياس الأداء الشامل للطلاب - ويحرص على تقويم أداء الطلاب في ضوء المعايير الوطنية للتعليم ». - ويشجع الطلاب على التقييم الذاتي للأداء - - ويعرض نتائج التقويم بمهارة لجميع المعنيين بالأمر - - ويعرف مصطلحات التقويم ومفاهيمه وأسانيبه. أخذت الترتيب من الأول إلى الثامن. وتتفق هذه النتيجة مع ما توصلت له دراسة (صومان، ٢٠٠٩) من أن معايير أداء المعلم لدوره في جانب المعايير بأساليب التقويم ثالت درجة متوسطة.

الكفاية التاسعة : مهارات القيادة

جدول (١٢) المؤشرات وترتيبها النسبي لمعلم التعليم العام للكفاية مهارات القيادة

المعيار الكتابية	مؤشرات الكفاية	الموزن النسبى
أن يمارس المعلم مهارات القيادة	يشارك بفعالية في اتخاذ القرارات المدرسية .	١,٩١
	يمارس أدواره ومسئoliاته على نحو صحيح .	١,٢١
	يفهم المعلم سياسات النظام المدرسي وإجراءاته والقواعد المنظمة له .	٠,٣٦
	يعرف حقوق الطلاب ذوى الاحتياجات الخاصة .	٠,٢٢
	يعرف أدوار ومسئoliات المعلم / الطالب / ولى الأمر وجميع المعنيين بشئون التعليم	٠,٠٠٢

يبين جدول (١٢) آراء معلم التعليم العام لكتابية (التقويم ومراقبة الطلاب) ومؤشراتها والوزن النسبي للمؤشرات المعرف على واقع هذه الكتابية لدى معلم التعليم العام، حيث بين الجدول أن مؤشرات « يشارك بفعالية في اتخاذ القرارات المدرسية - - ويمارس أدواره ومسئoliاته على نحو صحيح - - ويفهم المعلم سياسات النظام المدرسي وإجراءاته والقواعد المنظمة له أخذت الترتيب من الأول إلى الثالث - - ويعرف حقوق الطلاب ذوى الاحتياجات الخاصة - - ويعرف أدوار المعلم / الطالب ومسئoliاته/ ولى الأمر وجميع المعنيين بشئون التعليم أخذت الترتيب من الرابع إلى الخامس وتتفق هذه النتيجة مع ما توصلت له دراسة (طريف، ٢٠٠٧) حيث جاءت عبارات في الدراسة آنفة الذكر، يظهر التزاماً بواجباته ومسئoliاته المهنية التي يؤديها بأخلاص وأمانة وتواضع، و عبارة يظهر التزاماً بحقوق المعلم والمؤسسة التي يعمل فيها ويدافع عنها بدرجة متوسطة.

الكتفائية العاشرة : التعاون مع المجتمع الداخلي والخارجي للمدرسة**جدول (١٢) المؤشرات وترتيبها النسبي لمعلم التعليم العام لكتفائية مهارات القيادة**

المعيار الكفائية	مؤشرات الكفائية	وزن النسبي
أن يكون المعلم عضواً متلائماً في المجتمع المدرسي والمعلم	يتشارن مع أولياء أمور الطلاب في تحسين أدائهم والتعرف على احتياجاتهم.	٥,٠٤
	يسعى لتحقيق أهداف الجماعات المدرسية.	٣,٩٦
	يسهم في تقوية علاقة المدرسة بالمجتمع المحيط بها.	٢,٩٣
	يتعاون المعلم مع زملائه في الأنشطة المدرسية.	١,٣١
	يدرك أن المدرسة هي جزء منقاعد ومكمل للمجتمع الأكبر الذي توجد فيه.	٠,٢٢
	ويحرص على أن يكون عضواً بناءً في مجتمع التعلم.	٠,١٩

يبين جدول (١٢) آراء معلمي التعليم العام لكتفائية (التعاون مع المجتمع الداخلي والخارجي للمدرسة) ومؤشراتها ووزن النسبة للمؤشرات التعرف على واقع هذه الكفائية لدى معلمي التعليم العام، حيث بين الجدول أن مؤشرات «يتشارن مع أولياء أمور الطلاب في تحسين أدائهم والتعرف على احتياجاتهم» - ويسهم في تقوية علاقة المدرسة بالمجتمع المحيط بها - ويسعى لتحقيق أهداف الجماعات المدرسية، أخذت من الترتيب الأول إلى الثالث وتتعارض مع النتيجة التي توصلت لها دراسة (طريف، ٢٠٠٧) حيث جاءت عبارة «يتعاون مع أولياء الأمور والمجتمع المحلي من أجل تطوير تعلم أوليائهم وسلوكهم الإيجابي» بدرجة منخفضة، أما عبارات «- ويتعاونون المعلم مع زملائه في الأنشطة المدرسية - ويدرك أن المدرسة هي جزء منقاعد ومكمل للمجتمع الأكبر الذي توجد فيه» - ويحرص على أن يكون عضواً بناءً في مجتمع التعلم أخذت من الترتيب الرابع إلى السادس.

نتائج التساؤل الثالث:

- أ- تباين مؤشرات معايير كفايات جودة المعلم كما هي في الواقع بين معلمي التعليم العام بمنطقة القصيم على اختلاف المراحل الدراسية (ابتدائي - متوسط - ثانوي).
- وللحقيق من صحة هذا الفرض استخدم الباحث اختبار تحليل التباين أحادي الاتجاه One Way ANOVA للكشف عن دلالة الفروق بين أداء المعلمين في مراحل التعليم المختلفة وكانت النتائج كما هي موضحة بالجدول الآتي:

جدول (١٤) دالة الفروق بين أداء المعلمين في مراحل التعليم المختلفة

ف	متوسط المعلمات	درجة الجودة	مجموع النوبات	مصدر البيانات	المتغيرات
xx,٢	٢٢٠,٥	٢	٦٤١,٦	بين المجموعات	البيئة المعرفية ثالثة للشخص
	٦٠,٧١	٣٦٨	١٢٥٩١,٣	داخل المجموعات	
	٣٧-	٣٧-	١٢٥٩٢,٦	المجموع	
٢,٣,٤	٢٨,٧	٢	٥٧,٤	بين المجموعات	تبسيط التعليم ضوء المعايير
	٢٢,٢	٣٦٨	١١٥٧٥,٣	داخل المجموعات	
	٣٧-	٣٧-	١١٦٧٧,٣	المجموع	
xxA,٢	٧٥١,٨٥	٢	٥٨٩,٢	بين المجموعات	استراتيجيات التعلم والتعلم
	٧٧,٨	٣٦٨	١٢٥٥٧,٨	داخل المجموعات	
	٣٧-	٣٧-	١٢٣٤٢,٥	المجموع	
xx٦,١	١٨٧,٤٥	٢	٢٢٤,٩	بين المجموعات	بيئة التعلم
	٢١,١٨	٣٦٨	١١٦٧٧,٥	داخل المجموعات	
	٣٧-	٣٧-	١١٦٤٧,٤	المجموع	
١,٢	٤١,٣٥	٢	٨٨,٢	بين المجموعات	نمو وتعلم الطلاب
	٢٠,٧٦	٣٦٨	١١٣٢٦,١	داخل المجموعات	
	٣٧-	٣٧-	١١٤٤٩,٨	المجموع	
xxx,٥	٧٤٦,٥	٢	٤٣٢,٧٦	بين المجموعات	مهارات الاتصال وتقنيات التعليم
	٢٢,٥٨	٣٦٨	١١٩٩١,١٩	داخل المجموعات	
	٣٧-	٣٧-	١٢٣٨٩,٠٣	المجموع	
xx,٥	١١٧,٣	٢	٢٣٥,٨	بين المجموعات	التنمية المهنية المستمرة للمعلمين
	٢٣,٨	٣٦٨	١٢٤٥١,٣	داخل المجموعات	
	٣٧-	٣٧-	١٢٣٦٧	المجموع	
١,١٢	٢٧,٤	٢	٧٤,٨	بين المجموعات	التقويم ومراقبة أداء الطلاب
	٣٦,٤٢	٣٦٨	١٢٢٥٤,٢	داخل المجموعات	
	٣٧-	٣٧-	١٢٣٢٩	المجموع	
١,٢	٤١,٣٥	٢	٨٢,٧	بين المجموعات	مهارات القيادة
	٢١,٩	٣٦٨	١١٤٥١,٨	داخل المجموعات	
	٣٧-	٣٧-	١٢٣٢٩	المجموع	
٢,٦	٩٦,٦٥	٢	١٦٧,٢	بين المجموعات	التعاون مع المجتمع الداخلي والخارجي للمدرسة
	٦١,٣٧	٣٦٨	١٦١٨٧,٢٤	داخل المجموعات	
	٣٧-	٣٧-	١٦٨٣٦,٠٤	المجموع	

يتضح من الجدول السابق (١٤) أن قيم (ف) دالة إحصائيةً حيث بلغت (٣,٥,٦) بعد البيانية المعرفية للشخص و(٧,٨,٨) بعد استراتيجيات التعليم والتعلم و(٦,٦,٦) بعد بيئه التعلم، و(٥,٥,٥) بعد مهارات الاتصال وتقنيات التعليم و(٥,٥,٥) بعد التنمية المهنية المستمرة للمعلمين) وذلك عند

مستوى دلالة (٠٥ ، ٠) ، الأمر الذي يشير إلى وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين تقديرات معلمي التعليم الابتدائي والمتوسط والثانوي على هذه الأبعاد لدرجة ممارسة المعلمين لهارات التعليم وكفاياته بشأن كل من معيار كفايات المعلم بينما جاعت قيم (ف) غير ذات إحصائية للأبعاد الأخرى وهي (تحفيظ التعليم في ضوء المعايير - ونمو وتعلم الطلاب - والتقويم ومراقبة أداء الطلاب - ومهارات القيادة - والتعاون مع المجتمع الداخلي والخارجي للمدرسة) وبما أن اختبار Levenes test غير دال إحصائياً أن ذلك يعني تجانس التباين ، فإن الاختبار المناسب للمقارنات البعدية هو (اختبار شفيه) كما يتضح من الجدول الآتي.

جدول (١٥) دلالة الفروق بين متواسطات درجات كفايات المعلمين تبعاً لتغير المرحلة

الدراسية باستخدام اختبار ذو كوى

توجيه الفروق	فرق المتواسطات		المتواسطات	المتغير
لصالح معلم الثانوي	ثانوي م = ٢١,٤	متوسط م = ١٢,٧	ثانوي م = ١١,٨	البنية المعرفية لعادة التخصص
	٢٢,٧	١,٩	١٣,٠	
	-٦	-	١٢,٧	
لصالح معلم المتوسط والثانوي مقارنة بالابتدائي	ثانوي م = ١٨,٩	متوسط م = ١٦,٦	المتواسطات	استراتيجيات التعليم والتعلم
	٢٠,٤	٨٧,١	١٧,٥	
	٢٢,٢	-	١٤,٦	
لصالح معلم الثانوي مقارنة بالمتوسط بالابتدائي	ثانوي م = ٢٢,٧	متوسط م = ١٤,٧	المتواسطات	بيئة التعليم
	٢٣,١	٠,٦	١٢,٨	
	٢٤	-	١٤,٧	
لصالح معلم الثانوي مقارنة بالابتدائي	ثانوي م = ١٨,٤	متوسط م = ١٢,٦	المتواسطات	مهارات الاتصال وتقنيات
	٢٢,٨	٠,٥	١٤,٧	
	٢٣,٢	-	١٦,٧	
لصالح معلم الثانوي مقارنة بالمتوسط بالابتدائي	ثانوي م = ٢٣,٧	متوسط م = ١٩,٨	المتواسطات	التنمية المهنية
	٢٤,٢	٠,٧	١٧,٥	
	٢٤,٩	-	١٩,٨	

يتضح من الجدول السابق نتائج اختبار شفيه للمقارنات المتعددة لكتفاسيات المعلم حيث تبين أن قيمة الفرق بين متواسطي معلمي الابتدائي والمتوسط في بعد البنية المعرفية للتخصص، وهي قيمة دالة إحصائياً عند مستوى دلالة (٠٥ ، ٠) الأمر الذي يشير إلى أن هناك فرقاً ذو دلالة إحصائية في درجة معرفة معلمي المتوسط للبنية المعرفية للتخصص مقارنة بالابتدائي وهذا منطقى لافتراضيه طبيعة المرحلة.

ب- توجد فروق ذات إحصائية في تحقيق معايير كفاسيات جودة معلمي التعليم العام على ضوء طبيعة المؤهل الآخر (تربوي - غير تربوي).

وللحتحقق من صحة هذا الفرض استخدم الباحث اختبار (ت) لإيجاد الفروق بين مدى تحقيق معايير جودة كفايات الأداء المهني للمعلم على ضوء خبرته التربوية (تربوي - غير تربوي) والجدول الآتي يوضح هذه النتيجة.

جدول (١٦) دلالة الفروق بين متوسطات درجات المعلمين التربويين والمعلمين غير التربويين على معايير جودة أداء

كفايات جودة أداء المعلم	المؤهل	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	قيمة (ت) و Dunnها
البيئة المعرفية لآدأ المخصوص	غير تربويين	٢٢,٧٠	١,٩٢	** ١٥,٣٢
	تربويين	١٧,٩٠	١,٩١	
تضليل التعليم في ضوء المعايير	غير تربويين	١٦,٧	١,٧٨	** ١٥,٧٠
	تربويين	٢١,١١	١,٧١	
استراتيجيات التعليم والتعلم	غير تربويين	١٥,٥٠	١,١٤	** ١٢,٣٧
	تربويين	٢٠,٠٢	١,١٢	
بيئة التعلم	غير تربويين	١٥,٩٠	١,٣٧	** ١٦,٤٨
	تربويين	٢٠,٩٥	١,٣٩	
شو وتعلم الطلاب	غير تربويين	١٥,٦٠	١,٢٣	** ١٤,٢٢
	تربويين	١٩,١٥	١,٢٤	
مهارات الاتصال وتكنولوجيا التعليم	غير تربويين	١١,٢	٢,٥	** ١٢,٥
	تربويين	١٥,٨	١,٨	
التقدمة المهنية المستمرة للمعلمين	غير تربويين	١٢,٥	١,٩	** ١١,٢
	تربويين	١٦,٤	١,٩	
التقويم ومراقبة أداء الطلاب	غير تربويين	١١,٩	٢,٣	** ٨,٧
	تربويين	١٤,٥	٢,٣	
مهارات القيادة	غير تربويين	٩,٨	١,٩	** ٤,٧
	تربويين	١٢,٨	٢,٢	
التعاون مع المجتمع الداخلي والخارجي للمدرسة	غير تربويين	٩,٧	٢,٧	** ٧,٣
	تربويين	١١,٢	١,٨	

ج- توجد فروق ذات إحصائية في تحقيق معايير كفايات جودة معلمي التعليم العام على ضوء سنوات الخبرة (أقل من خمس سنوات - من خمس سنوات إلى عشر سنوات - أكثر من عشر سنوات) . وللحتحقق من صحة هذا الفرض استخدم الباحث أسلوب تحليل التباين الأحادي الاتجاه لكشف الفروق بين أداء المعلمين في مراحل التعليم المختلفة والجدول الآتي يوضح هذه النتيجة.

النوع	متوسط المربعات	درجة الحرية	مجموع المربعات	مصدر التباين	التغيرات
*٢,٩	١٦٤,٨٥	٢	٣٥٨,٩	بين المجموعات	البنية المعرفية للشخص
	٦٠,٧١	٣٦٨	٢٢٣٤١,٢	داخل المجموعات	
	٣٧٠		٢٧٧٠٠,١	المجموع	
*٠,٧٤	١٦٢,٦	٢	٢١٥,٨	بين المجموعات	تخطيط التعليم في ضوء المعايير
	٥١١,٤	٣٦٨	٨٧٩,٤	داخل المجموعات	
	٣٧٠		١٧٩٧٢,٠٢	المجموع	
*٤,٧١	٥١٠,٦٢	٢	١٠٢١,٤٤	بين المجموعات	استراتيجيات التعليم والتعلم
	١٠٨,١	٣٦٨	٣٩٨٦٧,٨	داخل المجموعات	
	٣٧٠		٣٠٩١٩,١٤	المجموع	
*٠,٣٦	٣٠,٨٥	٢	٤١,٧	بين المجموعات	بيئة التعلم
	٥٧,٧	٣٦٨	١١٤٢,٨	داخل المجموعات	
	٣٧٠		١١٨٤,٥	المجموع	
*٠,٢٤	٣٣,٨٥	٢	٦٥,٧	بين المجموعات	نمو وتعلم الطلاب
	٩٥,٦٥	٣٦٨	٢١٤٥٢,٥	داخل المجموعات	
	٣٧٠		٢١٩٩٩,١	المجموع	
**١٢,١٥	١٩٦,٤٧	٢	٩٩٢,٤٤	بين المجموعات	مهارات الاتصال وتقنيات تعليمية
	٣٨,٠٢	٣٦٨	١٣٩٤١,١٩	داخل المجموعات	
	٣٧٠		١٤٩٤٥,٠٣	المجموع	
*٤,٦٧	٢٦١,٧٥	٢	٦٨٩,٥	بين المجموعات	التنمية المهنية المستمرة للمعلمين
	٥١,٧٢	٣٦٨	١٩٣٢١,٥٦	داخل المجموعات	
	٣٧٠		١٩٧٢١,٠٦	المجموع	
**٤,٦٨	٢٤٢,٨١	٢	٤٨٧,٧٢	بين المجموعات	التقويم ومراقبة أداء الطلاب
	٥٢,١٤	٣٦٨	١٩١٥٢,٣	داخل المجموعات	
	٣٧٠		١٩٦٤٠,٩٣	المجموع	
١,٢	٦,٣٦	٢	١٢,٧٣	بين المجموعات	مهارات القيادة
	٥,٧٧	٣٦٨	٢١٠٤,٩	داخل المجموعات	
	٣٧٠		٢١١٧,٦٢	المجموع	
١,٦	١٢٤,٤	٢	١٤٨,٨	بين المجموعات	التعاون مع المجتمع الداخلي والخارجي المدرسة
	٤٦,٧	٣٦٨	١٨١٨٧,٢٤	داخل المجموعات	
	٣٧٠		١٧٣٢٦,٠٤	المجموع	

* دال عند مستوى (٠٠٠١) ** دال عند مستوى (٠٠٥)

جدول (١٨) دلالة الفروق بين متواسطات درجات كتابيات المعلمين تبعاً لتغير

توجيه الفروق	فروق المتواسطات		المتواسطات	المتغير
لصالح معلم أكثر من ١٠ سنوات مقارنة بأقل من (٥) سنوات	أكثر من ١٠ ١٦,١ = ٢م	من ٥ إلى ١٠ ١٥,٨ = ٢م	أقل من ٥ ١٢,٧ = ١م	البيئة المغربية للشخصين
	*٤,١	١,٨		
	١,١	-	من ٥ إلى ١٠ ١٥,٨ = ٢م	
لصالح معلم أكثر من ١٠ سنوات مقارنة بأقل من (٥) سنوات	أكثر من ١٠ ١٧,٢ = ٢م	من ٥ إلى ١٠ ١٤,١ = ٢م	المتواسطات أقل من ٥ ١٢,٩ = ١م	استراتيجيات التدام والتعلم
	*٤,٣	١,٢		
	*٢,١	-	من ٥ إلى ١٠ ١٤,١ = ٢م	
لصالح معلم أكثر من ١٠ سنوات مقارنة بالمعلمين من (٥) إلى (١٠) سنوات	أكثر من ١٠ ١٧,٨ = ٢م	من ٥ إلى ١٠ ١٥,٧ = ٢م	المتواسطات أقل من ٥ ١٢,٤ = ١م	مهارات الاتصال وتقنيولوجيا التعليم
	*٥,٤	*٢,٣		
	*٢,١	-	من ٥ إلى ١٠ ١٥,٧ = ٢م	
لصالح معلم أكثر من ١٠ سنوات مقارنة بأقل من (٥) سنوات من (٥) إلى (١٠) سنوات	أكثر من ١٠ ١٩,١ = ٢م	من ٥ إلى ١٠ ١٦,١ = ٢م	المتواسطات أقل من ٥ ١٤,٧ = ١م	التنمية المهنية المستمرة للمعلمين
	*٤,٧	١,١		
	*٢,٣	----	من ٥ إلى ١٠ ١٦,١ = ٢م	
لصالح معلم من ٥ إلى (١٠) سنوات مقارنة بالابتدائي والصالح أكثر من ١٠ سنوات مقارنة بعملي الابتدائي	أكثر من ١٠ ١١,٤ = ٢م	من ٥ إلى ١٠ ٩,٤ = ٢م	المتواسطات أقل من ٥ ١١,٥ = ١م	التقويم ومراقبة أداء الطلاب
	*٢,٩	*٢,١		
	*٥	-	من ٥ إلى ١٠ ٩,٤ = ٢م	

الرؤية المقترحة

لتحسين جودة التعليم وتخريج طلبة متعلمين يتمتعون بمواصفات الجودة يقوم الباحث بتقديم رؤية لتطوير كفايات المعلم من أجل الوصول لجودة أدائه ومن ثم الحصول على مخرجات تعليمية ذات جودة عالية، في ضوء معايير الجودة في التعليم العام انطلاقاً من الأمس الآتية:

١- إن مدارسنا لا بد أن تكون على مستوى المسؤولية في تخرج أجيال تجمع بين العلم الواسع والسلوك الرشيد، والمهمة المثلية لتحقيق ذلك هي اجتناب أحسن العناصر خلقاً وذكاءً وعلماً ومهارة لميدان التعليم.

٢- إن أي إصلاح يحاول تغيير التعليم دون تفهم ودعم تام لأداء المعلمين داخل حجرة الدراسة سيكون أكثر هشاً حتى من أي إصلاح آخر لم تتوفر له التكاليف اللازمة.

٣- المعلم هو أساس العملية التعليمية، وركنها الركيـن: فعلـي سـبيل المـثال فإن المـنهـج الجـيد، والكتـاب المـتمـيز، والبنـى النـمـوذـجيـ، والوسـائل المعـيـنة المـطـلـورة جـمـيعـها لا تـجـدـي إـذـا لمـيـكـنـ المـعـلـمـ قادرـاً، وحـكـيمـاً فيـ تـرـيـبـتهـ، وـمـمـكـنـاً منـ تـخـصـصـهـ، جـيـداً فيـ تـدـرـيـسـهـ، مـفـوـقاً لـهـلـلـاـبـهـ، مـؤـثـراً فـيـهـمـ.

٤- من الأمور المهمة في تشجيع المعلمين التعرف على الأداء الجيد والمميز في حجرة الدراسة من خلال إطلاع المعلمين على الكفايات المطلوبة ومعايير الجودة المحددة لكل دور.

٥- إن المعلم لن يستجيب لتوقعات المجتمع إلا عندما تنمو شخصيته وثقافته العامة والمهنية بوتيرة أسرع من نمو شخصية وثقافة الفاشئة وجمهور العاملين.

٦- إن من السمات المهنية الأساسية للمعلم القدرة على التفكير الذاتي، وعلى اتخاذ قرارات مبتكرة في أوضاع متغيرة ومركبة، فنشاهله الذهني المتوجه دوماً نحو حل مشكلات تربية، وتجديد وتحسين مجموعة المعرف التي ينقلها، والاستراتيجية التي يطبقها في سلوكه وهي نشاهله الهنوي، كل ذلك يمنحه عقلية مميزة، وطريقة تفكير مختلفة عن تلك التي تجدها في المهن الأخرى.

٧- إن الكفايات المطلوب من المعلم أن يمتلكها حتى يؤدي دوره بدرجة عالية من الإتقان لتحقيق جودة عالية لمخرجات التعليم تتضمن مجموعة من السمات والخصائص منها:

- أن الكفاية قابلة للقياس واللاحظة.

- ارتباط الكفاية بالأداء.

- اعتماد تقويم الكفاية على تقويم الأداء كمعيار لإتقان الكفاية مع الأخذ بعين الاعتبار المعرفة النظرية لدى المقوم.

- ارتباط الكفاية بمستوى معين من الإتقان.

- اعتماد الكفاية على المعرف والخبرات السابقة.

- التكامل بين المعارف والمهارات والاتجاهات في تعريف الكفاية أي أن الكفاية هي قدرات مركبة وليس أداء منعزلاً عن المعرفة.
- التداخل بين الكفاية والمهارة والهدف السلوكي بحيث يصعب التفريق بينهم لأنها جميعاً تحدد السلوك المرغوب فيه.
- ارتباط الكفاية بدور المعلم وبالتالي فالكافيات المطلوبة تتغير تبعاً لتغير جوانب هذا الدور المطلوب من المعلم.
- تهدف الكفاية التعليمية إلى إحداث التغيرات في سلوك الطلاب، فلا معنى لامتلاك الكفاية دون فاعلية في إحداث النتائج المتوقعة وتحقيق جودة عالية لمخرجات العملية التعليمية.
- لا يمكن أن ينفصل الحديث عن المعلمين وفاعلية أدائهم التربوي عن نظام وأسلوب اختيارهم. حيث أدى التغيير في دور المعلم إلى إعادة النظر في أسلوب اختياره، وأدت التغيرات التي طالت العملية التعليمية التربوية إلى بروز جوانب جديدة من أدوار المعلم أكثر جوهرياً، ولعل أهمها كونه صار وسيطاً بين الطلاب ومصادر المعرفة، يهيئ لهم البيئة التعليمية الملائمة، ويشير لديهم التفكير العميق، والتفاعل الإيجابي مع المادة العلمية المعلمة.
- تفعيل دور المقابلة الشخصية في اختيار المتقدم للالتحاق بكلية التربية: وذلك بأن تفتض المقابلات الشخصية في ضوء إجراءات ومعايير محددة وواضحة متყق عليها مسبقاً وتحقق السمات الشخصية الآتية في المتقدم:

 - وضوح مخارج الحروف والألفاظ بما لا يحتمل اللبس في فهمها.
 - قدرة المتقدم على عرض أفكاره بصورة واضحة.
 - تناسق الأفكار وترابطها من المتقدم.
 - عنابة المتقدم - في حدود المقبول - بمظهره العام.
 - الحضور الشخصي للمتقدم وثقته بنفسه وعدم تردداته في طرح آرائه الخاصة.
 - سلامية حواس وبنية جسم المتقدم بما لا يعيقه عن التدريس الفعال.
 - القدرات القيادية (القدرة على تصور الأهداف البعيدة، وصنع القرارات المناسبة، وتحمل المسؤولية، وتوجيه الآخرين).
 - المرونة (القدرة على التعامل مع المواقف المختلفة، والتصرف حسب ما يفرضهحدث أو الموقف، والتأقلم مع مستجدات الموقف، التسامح واستيعاب الآخرين وتقديرهم دوافعهم).
 - الكاريزما (قدرة المعلم على التأثير على الطلاب وجعلهم يتلقون به وينجذبونه وينفذون توجيهاته عن طوعية).

هذه السمات الشخصية تعد سمات جوهرية يجب توفيرها بدرجة مقبولة عند كل من يتقىء لهنة التعليم. ولكن السؤال المهم هو: كيف تتحقق من وجود تلك السمات لدى كل من يتقىء لهنة التدريس وما الاحتياطات الواجب توفيرها في المقابلة الشخصية كي تكون فاعلة في الكشف عن هذه السمات؟ (حسن، ٢٠٠٤، ٣٧: ٢٠٠٤).

- يجب ألا يكون الهدف من المقابلة الشخصية جس الثقافة العامة عند الطالب أو فحص قدراته المعرفية.
- في المقابلة الشخصية لا يفهم ما يقوله الطالب بقدر ما يفهم كيف يقوله ويعرضه.
- يجب أن يشترك في إجراء المقابلة الشخصية ما لا يقل عن ثلاثة أفراد من لديهم حس تربوي مميز قادر على كشف أهلية المتقدم لهنة التعليم.
- يجب أن يستند قرار اللجنة باجتياز الطالب أو عدمه للمقابلة الشخصية إلى منطق تربوي واضح يأخذ في الاعتبار ملبيعة مهنة التدريس ومتطلباتها التنسية والجسمانية العالية.

توصيات الدراسة

في ضوء النتائج التي أسفرت عنها الدراسة يوصي الباحث بالآتي:

- ١- نشر ثقافة الجودة بين المعلمين، وتوعيتهم بأهمية الدورات التدريبية في صقل معايير جودتهم التعليمية.
- ٢- عقد دورات تدريبية وورش عمل لتطوير الكفايات المهنية للمعلمين، مع الاستمرار في تقديم تلك الدورات التدريبية وتقاديمها في أوقات زمنية مناسبة حتى يتمكن من حضورها كقاديمها في الفترة المسائية.
- ٣- وضع قائمة بمعايير معتمدة لجودة أداء المعلم كما وردت في هذه الدراسة وإطلاع المعلم عليها بهدف الوصول إليها في أثناء أدائه وتحديد احتياجاته من برامج التدريب في ضوء هذه المعايير في التعليم العام.
- ٤- إعادة النظر في بنود تقويم الأداء الوظيفي للمعلم ليتناسب مع معايير الجودة في التعليم العام.
- ٥- تصميم برامج تدريبية للمعلم وفقاً للكفايات المطلوبة في ضوء معايير الجودة كما وردت في هذه الدراسة.
- ٦- نشر روح الجدارة التعليمية (الثقة / الصدق / الأمانة / الاهتمام الخاص بالطلاب).
- ٧- أن يكون التعلم الذاتي والتعليم المستمر مما تقتضيه ارتياز عملية تنمية المعلمين مهنياً.
- ٨- الإبقاء على علاقة وطيدة مستمرة بين المعلمين ومؤسسات الإعداد وتزويدها ببنية راجحة مستمرة.

- ٩- البدء في تنفيذ مشروع الاختبارات الدورية للمعلمين كل أربع سنوات لقياس مستواهم في الجانب العلمي والتربوي والثقافي، ويتربى على ذلك ما يأتي:
- * حصول المعلم على رخصة التدريس لزاولة المهنة.
 - * اختيار المشرفين التربويين ومديري المدارس من المتوفين في هذه الاختبارات.
 - * إتاحة فرص الدراسات العليا للمتفوقين في هذه الاختبارات.
 - * منح المتوفين في هذه الاختبارات درجة إضافية في السلم الوظيفي.
 - * إنذار المقصرين في هذه الاختبارات، واعطاؤهم مهلة محددة لتعويض هذا القصور.
- ١- تكوين جهاز متخصص للجودة في التعليم العام، وهذا الجهاز يكون قادرًا على التطبيق والتنفيذ والتقويم للمخرجات التعليمية المطلوبة وبشكل مستمر، مع تحديد وظيفة كل فرد في هذا الفريق .
- ٢- وضع معايير واضحة ومعروفة للجميع لنتائج التعليم الذي نتعلم له في كل مرحلة من المراحل التعليمية ومقارنتها بالمعايير العالمية.
- ٣- وضع معايير لقياس الأداء الوظيفي للمعلم، ويمكن الاستفادة من الكفايات التي وردت في هذه الدراسة لبناء هذا المقياس.

مراجع الدراسة

- أحمد، سليمان (١٩٩٩) : الصفات الجيدة في المدرسين الجامعي كما يراها الطلاب في المواقف الحارة. دورية دراسات، المجلد (١٨) العدد (٢).
- أحمد، محمد (٢٠٠٢) . واقع الوسائل التعليمية المستخدمة في تدريس الرياضيات في مدارس المرحلة الابتدائية بمحافظة بيضاء. مجلة كلية المعلمين، مجلد ٢، عد ١.
- ابياز أحلام حسن، والسيد، القراخي مصطفى (٢٠٠٨) . الاعتماد المهني للمعلم «دخل تطوير التعليم» الإسكندرية، دار الجامعة الجديدة.
- البلاع، فوزية محمد (٢٠٠٧) . إستراتيجية مقتربة للتعاب على معتقدات تحقيق الجودة في التعليم العام المسعودي «في ضوء مبادئ الجودة الشاملة، اللقاء السنوي الرابع عشر لجمعية المسعودية للملتم التربوية والتربية». كلية التربية، جامعة الملك سعود.
- الدايل، سعد (٢٠٠٤) معتقدات استخدام الوسائل التعليمية التي تواجه المدرسين من خريجي كليات المعلمين في مدارس مدينة الرياض الابتدائية، مجلة كلية التربية، جامعة طنطا، مصر، مجلد (١)، عدد (٢٢).
- الزيات، فتحي (١٩٩٥) : الأسس المعرفية للتكتون المقاوم وتجهيز المعلمات. المتصور: دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع.
- سلامة، كايد، وفلاح شحوق (١٩٩٢) : خصائص المعلم الناجح كما يراها المشرفون والمديرون والمعلمون والطلاب. دراسات تربوية، المجلد السابع، العدد (٤٢)
- سليم، تيسير اندراؤس (٢٠١١) . مدى تحقيق معلمي المرحلة الثانوية في المدارس الحكومية الأردنية لمعايير الجودة الشاملة من وجهة نظر المشرفين التربويين، مجلة القدس المفتوحة للأبحاث والدراسات- فلسطين، ع.٢٤.
- السهلاوي، عبد الله (١٩٩٢) : الأستاذ الجامعي الجديد صفاته وخصائصه من وجهة نظر عينة من هيئة التدريس وطلاب كلية التربية. دراسات تربوية، المجلد الثامن، العدد (٤٧).
- الصقير، أحمد حسين (٢٠٠٩) مجتمعات التعلم مدخل لضمان الجودة في المدارس الثانوية : دراسة ميدانية في مجتمع الإمارات، التربية، مصر، مجلد (١٢)، العدد (٢٦).
- سومان، أحمد (٢٠٠٩) درجة توازن معايير الجودة الشاملة الدولية لدى معلمي المرحلة الثانوية في الأردن من وجهة نظر المشرفين التربويين، المؤتمر الدولي السابع (التعليم في مطلع الألفية الثالثة ، الجودة - الإنارة - التعلم مدى الحياة) = مصر ، مع ٢، معهد الدراسات التربوية، جامعة القاهرة.
- طريف، عاطف (٢٠٠٧) درجة ممارسة المعلمين لأخلاقيات مهنة التعليم في الأردن من وجهة نظر مدراء

- المدارس، المؤتمر العلمي السنوي الثاني - معايير ضمان الجودة والاعتماد في التعليم النوعي بمصر والوطن العربي ، معج ١ ، كلية التربية النوعية - جامعة الفيوم.
- عبدالمعلم، محمد، وغريب، زينب (٢٠٠٨) قياس معايير الجودة في التدريس لدى معلم المرحلة الثانوية بمحافظة الأحساء من وجهة نظر المشرفين التربويين ومقترحاتهم للتنمية المهنية لديه، مجلة القراءة والمعرفة، مصر، عدد .٤٢.
- العتيبي، وضيئي بنت حباب (٢٠١١). تصور مقتراح لكفايات معلمة العلوم للمرحلة المتوسطة وفيها في ضوء معايير الجودة الشاملة، رسالة الخليج العربي - السعودية، س. ٢٢، ع. ١٢٠.
- العمري، هاني (٢٠٠٢) الجودة في قطاع التعليم- المنهجية والتلبيق، الرياض، المجلس السعودي للجودة .
- المنزري، يशרי (٢٠٠٧) تطوير كفايات المعلم في ضوء معايير الجودة في التعليم، بحث مقدم للقاء السنوي الرابع عشر للجمعية السعودية للعلوم التربوية والنفسية: الجودة في التعليم العام، جامعة الملك سعود، التصريح.
- الشميطي، عبدالله أحمد محمد. تطوير الكفايات التدريسية لعلمي التربية الإسلامية بالمرحلة المتوسطة على ضوء معايير الجودة الشاملة، دراسات عربية في التربية وعلم النفس - السعودية، معج ٥، ع. ٢.
- هليمان، علي (٢٠١). واقع ثقافة معلم المرحلة المتوسطة بالمدينة المنورة: دراسة استطلاعية، مجلة جامعة أم القرى للعلوم التربوية والاجتماعية والإنسانية، مجلد ١٣، عددا .
- اللقاني، أحمد حسين، والجمل، علي أحمد (١٩٩٦) ، معجم المصطلحات التربوية، القاهرة، عالم الكتب.
- المالكي، هيدر الرحمن (٢٠٠٥) . استراتيجية توظيف النشاط المدرسي في تدريس التربية الإسلامية في المرحلة الابتدائية، رسالة الخليج العربي، س. ٢٥، العدد .٩٤.
- الورثان، عدنان (٢٠٠٧) مدى تقبيل المعلمين لمعايير الجودة الشاملة في التعليم، بحث مقدم للقاء السنوي الرابع عشر للجمعية السعودية للعلوم التربوية والنفسية: الجودة في التعليم العام، جامعة الملك سعود، بحث مقدم للقاء السنوي الرابع عشر للجمعية السعودية للعلوم التربوية والنفسية: الجودة في التعليم العام، جامعة الملك سعود، التصريح.
- Badawi, Mohamed Farrag.(2009).Using Blended Learning for Enhancing EFL Prospective Teachers' Pedagogical Knowledge and Performance, Online Submission, Paper presented at Learning & Language--The Spirit of the Age Conference (Cairo, Egypt, Mar 14-15).
 - Barenboim, M (2007):Evaluating the Assessment: Sources of Evidence of Quality Assurance «, Studies In Educational Evaluation, V37 n1 p29-49.

- Bass, K (1999). Assessing the use of Total Quality Management in the Business school classroom, Journal of Education for Business; 71 (6), 339-343.
- Fairchild, T.N.& Selley, T.J.(1997): Evaluation of school psychological services a case illustration. Psychology in the schools ,v33, (1)
- Fisher, B (1996): Installing Implemented Document, U.K, and Loughbroraugh University.
- Fullan , M.G (1991) :The New Meaning Of Educational Change , Cassell In London
- Gynnild, V (2007): Quality Assurance Reconsiderd, Quality in Higher Education,V13, n3, P263-273.
- Julkaisupalrelut, P (2005): Standards and Guide Lines for Quality Assurance in the European Higher Education, European Association for Quality Assurance, Helsinki,
- Kauchalk,D.P& Eggen,P.D, (1998): Learning and teaching.: Research based Methods. Needham Heights, M A:Allyn and Bacon.
- kelly, R .(2004) .The Curriculum ; Theory and Practice . London ; Sage Publication.
- King, R(2007): « Regulatory Intermediation and Quality Assurance in Higher Education », Oxford Review of Education V33, n2, P161-174.
- Lily, R. (1997): Evaluating teacher professional development : Local assessment moderation and the challenge of MultiMate evaluation. Paper presented at The annual meeting of national evaluation institute, in, July.
- Lovat,, T.J .(2003) .«The Role of the 'Teacher' coming of Age?» Australian Council Deans of Education, Discussion Paper.
- Mecranan,J.(1993). Perspective and Imperatives: some limitations of outcome-based education. Journal of Curriculum &supervision,8(4),p343-353.
- Raid, W.(1999). Curriculum As Institution and practice: Mahwa.
- Rohaan, J.; Taconis, R&Wim M. G) 2009(.Measuring Teachers' Pedagogical Content Knowledge in Primary Technology Education,

- Research in Science & Technological Education, v27 n3 p327-338.
- Smith, W (2003) : «Education For All in South Africa: Developing a National System For Quality Assurance », Comparative Education , V39, n3, P345-365.
 - Teixeira, J(2005) : « Teaching For Quality Learning in Chemistry, International Journal of Science Education, V 27, N9, p1123-1137.
 - Wilson, S. and Cameron, R. (1996) Student teachers perceptions of effective teaching: A developmental perspective. Journal of education for teaching. Vol. 22 , No. (2) pp. 181-195.
 - Woolfolk, A.E.(1998): Teaching for learning. Needham Heights, MA: Allyn & Bacon

٣

الشريعة و الأنظمة



جامعة الطائف

انتقام المرتهد بالوهن في الفقه الإسلامي والقانون المدني الأردني - دراسة مقارنة

د . عبدالمهدي ضيف الله السعد الشرع

أستاذ القانون المدني المساعد بقسم الأنظمة - كلية الشريعة والأنظمة

جامعة الطائف - المملكة العربية السعودية

الدكتور : قاسم محمد حزم الهمود

وزارة التربية والتعليم - الأردن

٢٠١٢ - ١٤٣٣ م

المستخلص

لقد قمنا ببحث موضوع انتقاض المرتهن بالرهن عند فقهاء المسلمين مقارنة مع القانون المدني الأردني، هذا وقد تناولت الدراسة حكم انتقاض المرتهن بغير الرهن بإذن الراهن، مع بيان آراء الفقهاء وأدلة لهم، وعرض المواد القانونية في هذا الشأن، وكذلك بحثنا حكم انتقاض المرتهن بالرهن بدون إذن من الراهن مع بيان الرأي القانوني في هذه المسألة، ومن ثم قمنا بترجيح الرأي الذي يحقق المصالحة للمطربين، وهو مبحوث في موضعه.

المقدمة :

الحمد لله رب العالمين الذي شرع لنا في الدين من الأحكام ما تستقيم به حياتنا ، والصلة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد ، الذي ندبنا أن يقبل أحدنا عشرة أخيه وبين لنا أن مطلب الغني ظلم يحل عرضه ومسألته ، وبعد:

فإن الإنسان خلق مدنياً بطبيعته، إذ يستطيع أن يعيش بمفرده بمنأى عن أبناء جنسه ، بل يحتاج للتعامل مع غيره بالبيع والشراء والاقتراض وفي جميع شؤون حياته ، وإذا كانت تلك هي حقيقة الإنسان ، ومع التسليم أنه يحتاج لاستقامة حياته إلى طعام وشراب يمكن صلبه ولباس يواري سوانه ومسكتاً يأويه ، فإن من المتصور بمكان أن لا يجد من المال القدر الذي يعنيه للحصول على تلك الأشياء التي تعد عناصر أساسية لاستقامة حياة كل إنسان في هذه الحياة الدنيا ، الأمر الذي يضطر منه للاقتراض من الغير من أجل الحصول على مقومات الحياة تلك ، وإذا كان الدين والقانون قد أجازا الاقتراض واعتبروا ذلك من باب التيسير على الناس ، إلا أنهما عادة وأكدا على ضرورة حماية حقوق المقرضين أو الداقفين لدى مدعيتهم وحفظها وعدم ضياعها وذلك من خلال وسائل من شأنها أن تتحقق تلك الحماية وتعمل على توثيق الحق وحفظه ، شريطة لا تخالف نصاً في الشرع أو القانون ، فمن هنا شرع الله تعالى الرهن كوسيلة لتوفيق الدين ، من أجل أن يطمئن الإنسان الدائن على حقه لدى مدینه ، وهو الأمر الذي نصت عليه الكثير من التشريعات الوضعية من خلال تنصيص قانونية مسربحة والتي كان من بينها القانون المدني الأردني^(١) لكن إذا ما وصل المرهون إلى يد المدين وبات في حيازته وتحت يده ، فهل يجوز للمرهون حينذاك أن ينزعج به ، سواء أكان ذلك بإذن من الراهن ، أم بغير إذن؟ ولذلك جاءت هذه الدراسة من أجل معالجة هذه المسألة ، وبيان مدى مشروعية انتفاع المرهون بالرهن ، من عدمها ، وذلك وفقاً لما قال به فقهاء المسلمين وما نص عليه القانون المدني الأردني.

مشكلة الدراسة :

تكمّن مشكلة الدراسة في مدى المشروعية بالانتفاع بالرهن من قبل المرهون من عدمها؛ ولذلك جاءت هذه الدراسة لتجيب على جملة من الأسئلة ، وهي:

- ١- ما مفهوم الرهن في الفقه الإسلامي ، والقانون المدني الأردني؟
- ٢- ما حكم انتفاع المرهون بالرهن بإذن الراهن؟
- ٣- ما حكم انتفاع المرهون بدون إذن الراهن؟

منهجية الدراسة :

لقد كان منهجنا في الدراسة يقوم على ما يأتي:

- ١- استقراء المسائل المبحوثة في مطانها ومصادرها (الشرعية والقانونية).
- ٢- نسبة الآيات الكريمة إلى اسم السورة، ورقم الآية.
- ٣- تخريج الأحاديث الشريفة من مطانها، وبيان اسم المصدر مع الجزء، والصفحة.
- ٤- النظر في تصورات الفقهاء القدماء.
- ٥- عرض ومناقشة آراء الفقهاء القانونيين في المسألة.
- ٦- المنهج التحليلي حيث إننا في بحثنا هذا لم نكتف بذكر التصورات الشرعية أو القانونية أو سرد المادة العلمية فحسب بل عمدنا إلى تحليلها من أجل الوقوف على فهم معاناتها وإدراك دلالاتها.
- ٧- مقارنة الدراسة في الفقه الإسلامي والقانون المدني الأردني.
- ٨- إعداد التقرير للمصادر والمراجع.

أهداف البحث :

يعنى البحث إلى تحقيق الأهداف التالية :

- ١- بيان مدى حرص واهتمام كل من التشريع الإسلامي والقانون المدني الأردني في المحافظة على حقوق الدائنين لدى مدينهم من خلال إقرارهما للسبيل التي من شأنها تحقيق ذلك.
- ٢- بيان أن الرهن كوسيلة يحفظ بها الدائن حقه لدى مدينه واعتبارها أداة لتحقيق ذلك بعد أمراً أقره كل من التشريع الإسلامي والقانون المدني الأردني ونصا عليه بمقتضى نصوص صريحة.
- ٣- بيان موقف المشرع الإسلامي والمشرع المدني من مسألة إمكانية انتفاع الدائن المرتهن بالعين المرهونة سواء بإذن أو دون إذن المدين الراهن.
- ٤- بيان أن العين المرهونة تبقى ملكاً للمدين الراهن وبالتالي فإن الدائن المرتهن ليس من حقه أن ينتفع بالعين المرهونة بتحوط قائم.
- ٥- حتى المشرع المدني على إلزام الدائن المرتهن باستئجار المرهون لما فيه من تحقيق لمصلحة كلا الطرفين.

كلمات مفتاحية :

Mortgager .- مرتهن .

Wager .- راهن .

capital Mortgaged .- العين المرهونة .

Utilization . انتفاع .

Exploitation of the capital . استغلال المين .

alrawqi@hotmail.com

خطة البحث :

قمنا بتقسيم البحث إلى ثلاثة مباحث ، وكل مبحث يشتمل على مطالبه
المبحث الأول: تعريف الرهن ومشروعيته.

المطلب الأول: تعريف الرهن لغة ، اصطلاحاً وقانوناً .

المطلب الثاني: مشروعية الرهن في الفقه والقانون ،

المبحث الثاني : انتفاع المرتهن بالرهن بإذن الراهن .

المطلب الأول : انتفاع المرتهن بالرهن بإذن الراهن في الفقه الإسلامي وأراء الفقهاء فيها
وأدلةهم .

المطلب الثاني : مناقشة الأدلة .

المطلب الثالث ، موقف القانون المدني الأردني من انتفاع المرتهن بالرهن بإذن الراهن .

المبحث الثالث: انتفاع المرتهن بالرهن بدون إذن الراهن.

المطلب الأول: انتفاع المرتهن بالرهن بدون إذن الراهن في الفقه الإسلامي وأراء الفقهاء
فيها وأدلتهم .

المطلب الثاني: مناقشة الأدلة .

المطلب الثالث: موقف القانون المدني الأردني من انتفاع المرتهن بالرهن من غير إذن الراهن .

المبحث الأول: تعريف الرهن في اللغة والاصطلاح والقانون ومشروعيته :

المطلب الأول: تعريف الرهن لغة ، اصطلاحاً وقانوناً ،

الرهن في اللغة: الرهن من رهن الشيء يرهنه رهناً، قال ابن سيده «ما وضع عند الإنسان
مما يتوب مثاب ما أخذ منه، يقال رهنت هلااناً داراً رهناً، وارهنته إذا أخذه رهناً»^(٢).

وعند صاحب المفردات الرهن ما يوضع وثيقة للدين، يقال: رهنت الرهن، وأرهنته رهاناً
رهن ومرهون^(٣)، ويجمع الرهن على رهان لقوله تعالى: «فَرَهَانٌ مُقْبُوضَةٌ»^(٤).

وورد الرهن بمعنى الحبس، يقال رهنته لسانى: أي كفنته، وحبسته فهو مرهون، ورهن،
وهذا المعنى ورد بيانه في قوله تعالى: «كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسِبَتْ رَهِينَةٌ»^(٥).

وورد الرهن في اللغة بمعنى الشivot والدوم، يقال ما راهن، أي راكد، كل شيء ثبت ددام
فقد رهن، يقال أرهنت لهم طعامي، أي أدمته لهم^(٦).

الرهن في الاصطلاح: من خلال النظر في مصنفات الفقه المختلفة وجدنا أن الرهن في التعريف الاصطلاحي للعلماء يعني:

أولاً، عند الحنفية: الرهن عقد وثيقة بمال مشروع للتوفيق في جانب الاستيفاء^(١).

ثانياً، عند المالكية: الرهن هو شيء متول أخذ توثيقاً به في دين لازم^(٢).

ثالثاً، الشافعية: الرهن جعل عين مالية وثيقة بدين يستوفي منها عند تذرع وفائه^(٣).

رابعاً، الحنابلة: عرّفوه بأنه: المال الذي يجعل وثيقة بالدين يستوفي من ثمنه إن تذرع استيفاؤه

ممن هو عليه^(٤).

التعريف المختار:

بعد عرض التعريفات السابقة للرهن نستطيع القول إن التعريف الراجم منها هو ما ذهب إليه الحنابلة، والذي يقضي بأن الرهن هو: المال الذي يجعل وثيقة بالدين يستوفي من ثمنه عن تذرع استيفاؤه ممن هو عليه.

الرهن في القانون:

عرف القانون المدني الأردني، الرهن بأنه: «عقد به يكتب الدائن على عقار مخصص لهؤلاء دينه حقاً عيناً يكون له بمقدامه أن يتقدم على الدائرين العاديين والدائرين التاليين له في المرتبة في استيفاء حقه من ثمن ذلك العقار في أي يد يكون»^(٥).

من خلال بيان تعريف الرهن سواء لدى فقهاء الشريعة الإسلامية أو في القانون المدني يمكن لنا القول إن محل الرهن كما ذكر فقهاء الشريعة الإسلامية من المتصور أن يرد على مال منقول كما أنه يمكن أن يرد على مال عقار حيث أشارت تعريفاتهم إلى ذلك صراحة إذ جاء فيها (مال مشروع، شيء متول، عين مالية، المال) هجيمهما جاعت ألقاظاً مطلقة ولم تقييد بنوع مخصوص من المال، والمتعلق يترك على إطلاقه مالم يرد ما يقيده، في حين نجد أن القانون قد اشترط أن يكون محل الرهن عقاراً وبالتالي فإنه لا يصلح أن يرد على مالٍ منقول يتضمن ذلك من خلال نص المادة / ١٢٢٢ من القانون المدني الأردني والمشار إليها آنفاً في سياق تعريف الرهن قانوناً، كما نصت الفقرة / ١ من المادة / ١٢٢٩ مدني أردني على «أنه لا يجوز أن يقع الرهن التأميني إلا على عقار يصح التعامل فيه ...»^(٦).

لكن قد ترد على هذا الأصل بعض الاستثناءات والتي تتضمنها الطبيعة الخاصة لبعض المنقولات حيث إن تلك الطبيعة الخاصة لها تسمح بإمكانية شهر الحقوق العينية عليها والتي تمكّن الغير من إعلامه بوجود تلك الحقوق عليها ومثال ذلك، السفن، الطائرات والسيارات والمحال التجارية وهذا ما دلت عليه المادة / ١٢٢٤ مدني أردني صراحة إذ جاء فيها «تسري أحكام الرهن

التأميني على المقول الذي تقتضي قوانينه الخاصة تشجيله كالسيارة والسيقنة^(١٦)

المطلب الثاني : موقف الفقه الإسلامي والقانون المدني الأردني من الرهن :

المسألة الأولى : موقف الفقه الإسلامي من الرهن :

اقرر فقهاء الشريعة الإسلامية على مشروعية الرهن وبالتالي جواز التعامل به لثبوت ذلك

في عدد من مصادر التشريع الإسلامي^(١٧).

الأدلة على مشروعية الرهن:

الرهن مشروع بالكتاب، والسنة، والإجماع، والمقول.

أولاً: القرآن الكريم:

قال تعالى: ﴿وَلَمْ يُكُنْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَّلَمْ تَجِدُوا كُلُّكُمْ فِرْهَنَ مَقْبُوضَةً﴾^(١٨).

وجه الدلالة: ورد القول عن الجحاصن: بأنه إذا عدمتم التوثيق بالكتاب والأشهاد، فالوثيقة برهان مقبوسة، وقام الرهن في توثيق الدين مقام الكتاب والأشهاد عند عدم إمكان التوثيق بالكتاب والأشهاد وذكر حال السفر؛ لأنّه يعد فيه الكتاب والشهود^(١٩).

هذا القول الوارد عن الجحاصن في توجيه الآية الكريمة يدل بصراحة على مشروعية الرهن في السفر لتوثيق الدين، ولكن هذا لا يعني أن الرهن لا يجوز في الحضر، فالرهن جائز في السفر، وفي الحضر لكنه ذكر في السفر لأن الفالب في السفر عدم وجود وسائل التوثيق كالأشهاد والكتاب.

ثانياً: السنة:

١- عن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلوات الله عليه وآله وسلامه اشتري من يهودي معلاماً إلى أجل فرهنه درعه^(٢٠).

وورد الحديث عن عائشة برواية أخرى «توفي النبي صلوات الله عليه وآله وسلامه ودرعه مرهونة عند يهودي بثلاثين صاعاً من شعير»^(٢١).

وجه الدلالة: يدل الحديث على مشروعية الرهن، لاسيما أن الراهن هو النبي صلوات الله عليه وآله وسلامه ففعله يعد تبريراً يلدن من الله عزوجل، هلول يكن الرهن جائزأً لما فعله صلى الله عليه وسلم ، ولما تعامل به، وما كان لرسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه أن يفعل امراً يخالف الشرع.

٢- عن أبي هريرة أن رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه قال: «لا يفلق الرهن لصاحبه غفرمه وعليه غرمته»^(٢٢).

وجه الدلالة : يظهر لنا وجه الدلالة من النص من خلال قول سعيد بن المسيب، حيث ورد عنه أنه قال: قلت للزهري «أرأيت قول الرجل لا يفلق الرهن، فهو الرجل يقول: إن لم آتك بمالك فالرهن لك»، قال: نعم.

قال معمراً: ثم بلغني عنه انه قال: إن هلك «يعني الرهن» لم يذهب حق إنما هلك من رب

الرهن له غنمه وعليه غرمه^(٢٠).

فالقول: المروي عن ابن المسمى يدل على مشروعية الرهن، وجوازه كوسيلة من وسائل توثيق الديون والحقوق.

ثالثاً: الإجماع:

من خلال التتبع لهذا الموضوع في مصادره وجدنا أن صاحب المفتني يذكر لنا في كتابه، بأن العلماء أجمعوا على مشروعية الرهن، وهذه عبارته: «أجمع المسلمون على جواز الرهن»^(٢١).

رابعاً، المعقول:

إن الناس يتعاملون فيما بينهم، وقد يحتاجون إلى التقد ولا يجدونه، وبنفس الوقت يحتاج البعض إلى السلع، ويحتاج إلى تأجيل الثمن، ويرغب صاحب السلعة بما يوثق حته ويطمئن إلى أنه سيعود إليه كاملاً، فيطلب رهناً يكون بيده مقابل حقه، وبذلك تتحقق مصلحة المطهرين، ويسهل بذلك التعامل بين الناس^(٢٢).

المسألة الثانية : موقف القانون من الرهن :

أجازت التشريعات القانونية ومن بينها القانون المدني الأردني عقد الرهن باعتباره عقداً يتم إبرامه بين المدين الراهن والدائن المرتهن كوثيقة ضمان يحفظ بها الدائن حقه لدى مدنه وتحمله حق أفضليه على متأخر الدائنين العاديين والدائنين التاليين له في المرتبة وقد كان ذلك من خلال تصويم قانونية أشارت إلى ذلك على نحو صريح وباعتبر الرهن عقداً صحيحاً في ظل القانون المدني الأردني قادرًا على إنشاء كافة آثاره القانونية ويتحقق ذلك جلياً من خلال نص المادة / ١٢٢٢ منه والتي جاء فيها « الرهن التأميني عقد يكسب الدائن على عقار مخصص لوفاء دينه حقاً عيناً يكون له بمقتضاه أن يتقدم على الدائنين العاديين والدائنين التاليين له في المرتبة في استثناء حقه من ثمن ذلك العقار في أي يد يكون» فتنص المادة أشار إلى أن الرهن عقد صحيح وذلك من خلال ذكره بأنه عقد قادر على إنشاء أو ترتيب آثاره القانونية والتي تتتمثل في منح الدائن المرتهن حقاً عيناً على العقار المرهون وهذا الحق يكسبه حق التقديم على دائن الراهن العاديين أو الذين يلونه في المرتبة من أجل أن يستوي حقه من قيمة ذلك العقار المرهون أو من ثمنه^(٢٣).

المبحث الثاني: انتفاع المرتهن بالرهن بإذن الراهن :

المطلب الأول : انتفاع المرتهن بالرهن بإذن الراهن في الفقه الإسلامي وأدلة أصحاب المذاهب :

قبل أن نبين الحكم الشرعي في مسألة انتفاع المرتهن بالرهن لابد من الوقوف على محل النزاع في هذه المسألة، وذلك بعد بيان مواطن الاتفاق.

أولاً: مواطن الاتفاق وتمثل فيما يأتي :

- أن عين الرهن، ومنهاه للراهن.

- أن المرتهن لا يحل له الانتفاع بشيء من الرهن إذا لم يأذن له المالك، وهذا الحكم فيما إذا لم تكن العين المرهونة مركوباً، أو محلوباً.

ثانياً: مواطن الاختلاف، تتمثل فيما يأتي:

- انتفاع المرتهن بالرهن إذا أذن له الرهن.

- انتفاع المرتهن بالرهن إذا كان مركوباً، أو محلوباً إذا كان ينفق عليه، ولم يأذن له المالك.

المسألة الأولى : آراء العلماء في انتفاع المرتهن بالرهن بإذن الراهن:

للعلماء في هذه المسألة ثلاثة آراء:

الرأي الأول: ذهب أصحاب هذا الرأي إلى القول بعدم جواز انتفاع المرتهن بالرهن حتى ولو أذن له الراهن، وهذا ما ذهب إليه كل الحنفية^(١) في قول، والشافعية في الأظهر عندهم^(٢)، ورواية عن الإمام أحمد^(٣).

وحتى يتضح الأمر في المسألة ارتدينا أن نورد بعض التصوص الفقهية التي تؤيد ما ذهب إليه أصحاب الرأي السابق:

١- عند الحنفية: ورد القول: «ليس للمرتهن في الرهن إلا الحفظ...»^(٤).

وأورد الجصاص في أحكام القرآن، بأن أبي حنيفة، والصحابيين ، والحسن بن زياد، وزفر، قالوا: «أنه لا يجوز للمرتهن الانتفاع بشيء من الرهن»^(٥).

٢- عند الشافعية: ورد في الأم عن الإمام الشافعى: «إذا رهن الرجل على أن ينتفع المرتهن بالرهن أن كانت داراً سكتها أو دابة ركبها فالشرط في الرهن باهلال»^(٦).

٣- أما عبارة الحنفية في هذا الرأي فهي: «إن شرط في الرهن أن ينتفع به المرتهن فالشرط فاسد؛ لأنه بناء مقتضي العقد»^(٧).

الرأي الثاني: ذهب أصحاب هذا الرأي إلى القول بجواز انتفاع المرتهن بالرهن، وهو القول الثاني عند الحنفية، وبعض متاخرى الحنفية، وبعض المتقدمين، ووردت العبارة عند الحنفية

التي تؤيد هذا الرأي وتصها: «وليس للمرتهن أن ينتفع بالمرهون إلا بإذن الراهن، فإذا أذن له جاز أن يفعل ما أذن له فيه»^(٢١).

الرأي الثالث: ذهب أصحاب هذا الرأي إلى القول بجواز التفاق المرتلون بالرهن، ولكن بشروط، وهذا الرأي ذهب إليه الجمهور من المالكية، والشافعية، والحنابلة^(٢٢).

أما بالنسبة للشروط التي اشتربطاها أصحاب الرأي الثالث لجواز الانتفاع فتتمثل فيما يأتي:

- ١- أن يأذن الراهن للمرتهن بالانتفاع بالرهن.
- ٢- أن تكون مدة الانتفاع بالمرهون محددة معلومة.
- ٣- أن لا يكون الدين ناتجاً عن قرض.

وبالنسبة للشروط السابقة فقد استخلصناها من أقوال أصحاب المذاهب، والتي جاءت على النحو الآتي:

أولاً: المالكية: ورد القول عند صاحب الشرح الصغير بما يخص غلة الرهن «وجاز لمرتهن شرط منفعة في الرهن، كسكن ، أو ركوب بشرطين أحدهما، ما أشار إليه بقوله: «عینت»، أي المدة الزمنية للخروج من الجهة في الإجارة، والشرط الثاني: «بيع»، أي في دين بيع لا في قرض؛ لأنّه في البيع، بيع وإجارة ، وهو جائز وفي القرض سلف جر ثغماً وهو لا يجوز^(٢٣).

ثانياً: الحنابلة: فقد ورد عن الإمام أحمد، أنه يجوز في البيع، قال القاضي: معناه: أن يقول: بعثتك هذا الثوب بدينار شرط أن ترهن عبدك بخدمتي شهرآً فيكون بيعاً وإجارة^(٢٤).

ثالثاً: الشافعية: وورد عند الشافعية: «أنه إن شرط كون المدة معلومة، وكان الرهن مشروطاً في بيع، فهو جمع بين بيع وإجارة فليس بحال^(٢٥).

المسألة الثانية : أدلة أصحاب المذاهب

أدلة أصحاب الرأي الأول:

احتجوا لرأيهم بعدد من الأدلة من السنة، والمعقول، وهي:

أولاً: السنة:

١- عن أبي هريرة رض: قال رسول الله ﷺ: «الظهر يركب بتفقته إذا كان مرهوناً، وبين الدر يشرب بتفقته إذا كان مرهوناً وعلى الذي يركب ويشرب التفقة»^(٢٦).

وجه الدلالية: يدل الحديث على أن الحق في الرهن للراهن باعتباره المالك، فالأسأل أن الراهن هو الذي ينفق على المرهون وينفع به^(٢٧)، إلا إذا امتنع الراهن عن النفقة على المرهون، فئدتها ينفع عليه المرتهن، وتكون الغلة مقابل النفقة.

٢- عن علي رض: أن رسول الله ﷺ: «نهى عن كل قرض جر ثغماً»^(٢٨). وفيه رواية: «منفعة».

- وجه الدلالة: ورد الحديث بصيغة النهي، وهو يفيد التحريم، ولذا فالحديث يدل على تحريم الانتفاع بالرهن من قبل المربحين، وعلوا هذا التوجيه والاستدلال، بأن الانتفاع بعد ربا، ولذلك ورد القول: «وإن شرطلة في العقد فهو ربا»^(١٣).

فالحقيقة في قولهم بالمنع يمتنع الانتفاع زيادة على الدين، والزيادة هنا تدرج تحت نهي النبي ﷺ عن كل قرض جر نفعاً، لأن المرهون يستوي في دينه كاملاً، فتبقي المنفعة فضلاً، فيكون ربا^(١٤).

- عن أبي هريرة، أن النبي ﷺ قال: «لا يقلق الرهن من صاحبه الذي رهنه له غنمه وعليه شرمه»^(١٥).

وجه الدلالة: يدل الحديث بظاهره على أن الراهن هو الملاك للرهن، وبينه على ذلك فهو الذي يستحق منافعه، لأن المكافف بالنتيجة عليه، أما إعطاء المرهون حق الانتفاع، فإنه يخالف ما جاء به ظاهر الحديث^(١٦).

ومما يؤكد التوجيه السابق أن النبي ﷺ أضاف الرهن إلى المالك وسماه صاحباً له، وهذا يستلزم أن يكون المنفع بمنفع الرهن المالك: الراهن لا المرهون.

المقولة:

١- أن القروع تابعة للأصول، فوجب لها حكم الأصل، فإن حكم الولد تابع لحكم أمه في التدبير والكتابة^(١٧).

وقولهم هذا يؤخذ منه، بما أن الأصل ملك الراهن، فإن الفرع يتبع أصله في ذلك، يعني أن الفرع سيكون ممولاً للأصل.

٢- أن الرهن شرع للتوثيق - أي توثيقاً للدين، وملك الحبس على سبيل الدوام يضاد معنى الوثيقة، لأنه يكون في يده على الدوام، وقد يهلك المرهون فيسقط الدين، فيكون في هذه الحالة توهيناً للدين لا توثيقاً له^(١٨).

٣- أن القول بمنع الراهن من الانتفاع بالمرهون، يؤدي إلى تعطيل العين عن الانتفاع بسبب العقد «الرهن»^(١٩).

٤- أن انتفاع المرهون بالرهن يخالف مقتضى العقد، هذا في حالة الشرط في العقد: لأن فيه نفعاً للمرهون، وضرراً بالراهن^(٢٠).

أدلة أصحاب الرأي الثاني:

أدلة المجزرين للانتفاع بالرهن:

احتجو لرأيهم بعدد من الأدلة، وهي:

أولاً: السنة: قال رسول الله ﷺ: «لا يحل مال امرئ مسلم إلا بطيب نفسه»^(٢١).

وجه الدلالات: يدل الحديث على أن الراهن يملك منافع المرهون، ومن حق المالك أن يمنع ما يملكه لغيره؛ وبناءً على ذلك فإنه يجوز للراهن أن يأخذ للمرتهن بالانتفاع^(١٨).

ثانياً: القياس: وذلك بقياس انتفاع المرتهن على انتفاع الغير، ومعرفة ذلك، أنه يجوز للأجنبى الانتفاع بما في إذن له، كذلك المرتهن إذا إذن له الراهن بالانتفاع بالرهن^(١٩)، فإنه يجوز له الانتفاع.

ثالثاً: المعمول: أن الانتفاع للمرتهن يجوز لأنّه نوع معاوضة، وجاءت العبارة عند الحنابلة في ذلك، «إذن له في الإنفاق والانتفاع بقدر جاز، لأنّه نوع معاوضة»^(٢٠).

أدلة أصحاب الرأي الثالث:

احتجووا رأيهم بجواز الانتفاع بشرطه بمقدار الأدلة، وهي:

١- استدلوا بالأدلة التي سقناها للرأي الثاني، أي: بأدلة المحيزن للمرتهن بالانتفاع بالرهن، ولا حاجة لتكرار تلك الأدلة مرة أخرى.

٢- الأدلة المتعلقة بالشروط، وهي:

أ- أن تبيّن المدة يفيد الخروج من الجهة في الإجارة^(٢١).

وبيانه من خلال الأقوال الصادرة عن المالكيّة... ومن ذلك: «أما شرط الانتفاع بالمرهون إذا كان عقد بيع، فإن ذلك يجعله عقد بيع وإجارة»^(٢٢) وهذا يعتبر جائزًا شرعاً، ولاسيما أنه يدع نتيجة عقد معاوضة.

ب- الدليل المتعلق بشرط عدم كونه عن قرض؛ وذلك لأنّ الراهن إذا كان عن قرض، فإنه يكون من باب السلف، أو القرض الذي يجر نفعاً، وهذا مما لا يجوز شرعاً^(٢٣) وهذا ما يؤيده الحديث الذي رواه علي عليه السلام، وذلك أن رسول الله ﷺ: «نهى عن كل قرض جر نفعاً فهو ربا».

ج- أما ما يتعلّق بشرط إذن الراهن: فلأنّ الراهن ملك للراهن، ولا يجوز للإنسان أن يستعمل شيئاً ممولاً للأخرين إلا بإذنهم، وإلا كان متعدياً.

المطلب الثاني :

مناقشة الأدلة التي استدل بها كل فريق لتأييد رأيه:

أولاً: مناقشة أدلة المانعين

نوقشت أدلةهم على النحو الآتي :-

١- بالنسبة لقول المانعين: بأن انتفاع المرتهن يؤدي إلى الواقع في الربا، رد المحيزن بأن هذا الاستدلال غير مسلم لهم إلا في حالة واحدة، وذلك إذا كان الدين نتيجة قرض، حيث إنه يكون في هذه الحالة من باب القرض الذي يجر نفعاً، أما إن كان نتيجة

معاوضة، فلا مجال للقول بالرثى، لأنه في المعاوضات لا يعد الانتفاع بدون عوض، بل له مقابل ينافي عنه شبهة الرثى^(٤٤).

- بالنسبة للحديث: «كل فرض جر نفعاً فهو رباء، فإن العلماء تكلموا في هذا الحديث، بما يخص الإسناد فقالوا، في إسناده راوٍ متزوك ألا وهو سوار بن مصعب الهمداني^(٤٥)».

- بالنسبة لحديث: «الظاهر يركب بتفقهه إذا كان مرهوناً ناقش المخالفون توجيه الحنفية ومن وافقهم، بأن قولكم المراد بالحديث أن الراهن يتفق، ويتفق، فإن ذلك لا يصح لوجهين: أـ أنه قد روی في بعض الألفاظ: «إذا كانت الدابة مرهونة فعلى المرتهن علقها، وبين الدر يشرب، وعلى الذي يركب ويشرب نفقته». فجعل المتفق المرتهن، فيكون هو المنتفع بالرهن^(٤٦)».

بـ- ومما يبين أنه لا يصح توجيه الحنفية للحديث أنه ورد في ألفاظ الحديث «بنفقته» وهذا يشير إلى أن الانتفاع عوض عن النفقه، وإنما ذلك حق المرتهن^(٤٧).

أما بالنسبة للراهن فإن إنفاقه على المرهون، وانتفاعه لا يكون بطريق المعاوضة: لأنه مالك للرهن في الأصل.

- بالنسبة للحديث: لا يفاقر الرهن عن رهنه، لصاحبه غرمه، وعليه غرمه، نوقل بأنه حصل الاختلاف في وصله، وإرساله، ورفعه، ووقفه، وهذا يوجب عدم انتهاشه لمعارضة ما ورد في صحيح البخاري، وغيره من الأحاديث التي استدل بها الحنابلة، أي الأحاديث التي تجيز للمرتهن الانتفاع بالرهن^(٤٨).

ولكن ومن خلال البحث وجدنا أن الحديث قد رواه الدارقطني مرفوعاً، وقال هذا إسناد حسن متصل، وعلى القول بأنه مرسل، فإنه من مراسيل، سعيد بن المسيب، وقد روى ابن وهب هذا الحديث فجوده، وبين أن هذه اللقطة من قول ابن المسيب وكذا أبو داود في المراسيل قوي انه من قوله^(٤٩).

- وبالرجوع إلى كتب الحنابلة نجد أن فقهاء الحنابلة يقولون بموجبه، وهو أن النماء للراهن، ولكن للمرتهن ولاية صرفها إلى نفقته لثبتت يده عليه وولايته، وهذا إذا اتفق على المرهون محتسباً بالرجوع: أي يحتسب قدر النفقة من المرهون ومنافعه^(٥٠).

- من جهة أخرى فإن الحديث السابق على فرض صحته يقرر قاعدة لا يستطيع أحد أن ينكرها، وهي أن الرهن يبقى على ملك صاحبه، وله منافعه وعليه نفقاته، أما بالنسبة لموضوع الذي نحن بصدد البحث فيه ف مختلف، وذلك أن الراهن، وهو المالك أذن للمرتهن بالانتفاع ولم ينكر عليه حقه...^(٥١)

أما بالنسبة للشرط الذي أشار إليه الشافعية، والذين وافقوا قول الحنفية في هذا الرأي،

وقولهم: بأن شرط الانتفاع يخالف مقتضى المقد، هذا وفق المذهب الذي ساروا عليه: لأن مقتضى عقد الرهن يتمثل بشبوت حق حبس المرهون لمصلحة المرتهن^(١٦). وبالنسبة لاشتراط الانتفاع، فلا يعتبر من مقتضيات عقد الرهن، ولا يعد مخالفاً لمقتضاه في الوقت نفسه.

أما فيما يتعلق بالضرر، وقولهم: بأن المرتهن سوف يتلقي بالرهن، والراهن يتضرر وبخسر، فقد توافق بأن اشتراط مثل هذا الشرط لا يجعله في عداد الشروط الباطلة خاصة وأنه قد أمن من وقوع المحظور كالربا والضرر^(١٧). ومن جهة أخرى فإن الرهن معلوك للراهن، وبما أنه أذن للمرتهن بالانتفاع، فإن ذلك حصل عن طيب نفس منه، فلا ضرر.

ثانياً : مناقشة أدلة المحيزنين :

نوقشت أدتهم على النحو الآتي:

١- بالنسبة للحديث لا يحل مال امرئ مسلم إلا بطيب نفس منه....

نوقشت: بأن الاستدلال به ليس على إطلاقه، فهو مقيد بما لا يؤدي إلى الحرام، فلا يجوز للمرتهن الانتفاع بالرهن إذا كان نتيجة قرض، لأنه إذا كان عن قرض أدى إلى حرام... والرضا لا يحل الحرام^(١٨).

٢- بالنسبة لاستدلالهم بالقياس: أي يقاس المرتهن على الغير، وهذا يعتبر من باب القياس مع الفارق: لأن الإذن للغير يعتبر من باب التعاون على البر والخير^(١٩).

٣- أما بالنسبة لانتفاع المرتهن فيتوجه إليه بأنه لو لا الانتفاع بالمرهون لما أفرض الراهن، وهذا ربا بعينه، هذا إذا كان الرهن نتيجة قرض، أما إذا لم يكن الرهن نتيجة قرض وكان العقد عقد معاوضة - عن بيع مثلاً - فإن المحاباة في هذه الحالة تكون ظاهرة، والاستقلال واضح؛ وذلك لأن الراهن لم يكن ليسمح للمرتهن بالانتفاع بالرهن إلا أنه يريد الاستدانة منه ولو عن طريق المعاوضة^(٢٠).

ثالثاً ، مناقشة أدلة أصحاب الرأي الثالث

والذين ذهبوا إلى القول بجواز انتفاع المرتهن بالرهن بشرطه ، نوقشت أدتهم على النحو الآتي:

١- بالنسبة لدليلهم: بأنه يشترط تحديد المدة لنفي الجهة ، توافق هذا الدليل بأن الأسباب الأخرى غير القرض شبيهة بالقرض، فالشبه يكمن في أن الجميع أسباب لديون غير لازمة يكون الانتفاع بها مقابل التأجيل، وهذا هو الربا^(٢١).

٢- بالنسبة لشرط الانتفاع فقد ورد القول عند الحنابلة بتساد الرهن إذا اشتهرت انتفاع

المرتهن بالرهون أثناء العقد، وعلوا ذلك بان الشرط ينافي مقتضى العقد^(١٣). هذه هي أهم المناقشات التي وردت على أدلة المحيزين للانتفاع بشرطه ، ونلاحظ أن الطرف المناهض يحاول الدفاع عن رأيه بقوة، ليثبت عدم جواز انتفاع المرتهن بالرهن..لأسباب التي ظهرت من خلال المناقشة.

المطلب الثالث : موقف القانون المدني الأردني من انتفاع المرتهن بالرهن بإذن

الراهن :

نصت المادة / ١٣٩٢ من القانون المدني الأردني على أنه : «ليس للمرتهن أن يتصرف في المرتهن بغير إذن الراهن ولا يجوز له بيعه إلا إذا كان وكيلًا في البيع، ونصت الفقرة / ١ من المادة/ ١٣٩٢ منه على أنه: لا يجوز للمرتهن أن ينتفع بالمرتهن حيازياً منقولاً أو عقاراً بغير إذن الراهن». المادتان السابقتان من القانون المدني الأردني تدللان بوضوح على أنه لا يصح للمرتهن وهو الدائن أن يتصرف بعين الرهن أو أن ينتفع بها بدون إذن من المدين الراهن باعتباره مالكاً للمرتهن، أما إذا أذن الراهن للمرتهن بانتفاع بعين الرهن ، ففي هذه الحالة يصح للمرتهن الانتفاع بها .

ويعد أن أجاز المشرع المدني الأردني للمرتهن إمكانية انتفاعه بعين المرهونة إلا أنه عاد واشتربط لتحقيق تلك المكنته ضرورة حصوله . أي المرتهن . على إذن مسبق من الراهن والا فلا يجوز له أن ينتفع بالمرتهن إذا خالف ذلك الشرط وإذا خالف فإنه من الممكن اعتبار انتفاعه من غير إذن الراهن تعد يوجب مساءلته .

وهنا لا بد من طرح السؤال الآتي: وهو أن المرتهن إذا انتفع بالمرتهن، فهل هذا يستدعيه شيئاً من الدين الثابت في ذمة الراهن مقابل النافع الذي حصلها المرتهن جراء انتفاعه بعين المرهونة ؟ هذا ما تجيب عليه الفقرة الثانية من المادة/ ١٣٩٣ والتي تنص على أنه: «إذا أذن الراهن وأباح له الانتفاع بنفسه بلا شرط من الدائن فله الانتفاع بنفسه ولا يسقط من الدين شيء» يلاً مقابل ذلك «يشير النص وينحو جلي إلى أن انتفاع المرتهن بعين المرهونة بمقتضى إذن الراهن ليس من شأنه أن يرتب حقاً للراهن بسقمه جزء من الدين المشفولة به ذمته بل تبقى مشفولة به كاملاً .

ولكن هنا ينبغي أن نلاحظ، بأن الراهن هو الذي أذن بالانتفاع وبدون شرط من المرتهن، ومن جانب آخر، فإن المرتهن يريد أن ينتفع بنفسه بالمرتهن، ففي هذه الحالة لا يسقط شيء من الدين مقابل انتفاع المرتهن، وهذا الحكم يكون في حالة تبرع الراهن للمرتهن بالانتفاع بدون أن يشترط المرتهن ذلك.

وبالمقابل تنص الفقرة الثالثة من المادة / ١٣٩٢ على أن «للمرتهن أن يستقله، أي الرهن، استغلاً كاملاً بإذن الراهن على أن يحصل ما حصل عليه من الغلة أولاً من النفقات التي أداها عن الراهن، وثانياً من أصل الدين».

فنص تلك المادة من القانون المدني الأردني يدل على أن للمرتهن أن يستأذن الراهن باستقلال العين المرهونة استغلاً كاملاً وإذا ما استقلها بشكل كامل، وحصل على منافع منها ، فإن الغلة التي حصلها المرتهن تحسم من النفقات التي أتفقها على الرهن إذا كان بحاجة للفقة، أما الباقى فإنه يحصل من أصل الدين الذي ترتب في ذمة الراهن للدائنين المرتهن كما يستفاد من نص الفقرة / ٢ ساقفة الذكر أن المشرع أجاز للمرتهن أن يطلب من الراهن أن يستقل العين المرهونة استغلاً كاملاً، إلا أنه عاد وأورد شرطاً حيال ذلك مفاده أن المرتهن في حال استقل العين المرهونة فإن ما حصل عليه من ريع جراء ذلك فإنه يكون للراهن باعتباره مالكاً للدين المرهونه وبالتالي تحسم تلك الغلة من النفقات مثل مصروفات حفظ العين وإصلاحها أو الفوائد التي تسري على أصل الدين ، وإذا ما تبقى شيء من الغلة فإنه يخصم من أصل الدين وذلك لمنع المرتهن من الحصول على فوائد مقابل انتفاعه بالعين دون مقابل ، ولتنا القول هنا أن المشرع الأردني قد هرق بين انتفاع الراهن بالعين المرهونة بنفسه أو عن طريق استغلاله بواسطه الغير وذلك من جهة اعتبار الناتج عن عملية الاستثمار مقابل أو دون ذلك ، فإن كان انتفاع المرتهن بنفسه فإنه لا يتربط عليه سقوط شيء من الدين ، وذلك بخلاف ما إذا كان استغلاً للدين حيث إنه حين ذلك يخصم ريع الاستغلال من نفقات الدين وأصله^(٣).

الرأي الراجح - في مسألة انتفاع المرتهن بالرهن بإذن الراهن

بعد عرض آراء الفقهاء في المسألة، وذكر الأدلة التي احتجوا بها، ومناشتها، فإننا نميل إلى القول: بعدم جواز انتفاع المرتهن بالرهن، وذلك أن المرتهن ما أخذ الرهن إلا ليكون وثيقة بيده - لدینه الذي ينتمي إليه: حتى يطمئن على ثبوت حقه.. فهوما إذا عجز الراهن عن الوفاء بالدين، أما أن ينتفع المرتهن بالعين المرهونة، ففي هذه الحالة يكون المرتهن قد استفاد من خلال دينه الذي أصبح في ذمة الراهن، ومعلوم في الشرع أن كل قرض جر نفعاً، فهورياً هذا من جهة، ومن جهة أخرى، فإن موضوع القرض مبني على التقرب لله تعالى، فإذا دخله نفع خرج عن دائرة القريبة، إلى دائرة الحرمة والربا، وكذلك فإن الله تعالى حث المؤمنين على التعاون فيما بين بعضهم البعض، وانتفاع المرتهن بالرهن ينافي روح التعاون: لأنه يفهم في هذه الحالة أنه ما أقرض الراهن إلا ليحصل على المنافع من وراء دينه الذي أصبح ثابتاً في ذمة الراهن.

ولذلك فإن هذا الصنيع يظهر فيه استغلال المرتهن للراهن بسبب الدين الذي أصبح ثابتاً في ذمته أي: الراهن، وهذا مما يأبه الشرع. وبالمثال يتضح المقال، فإذا كان المرهون سيارة وكانت

معدة للمعلم بالأجرة، فإذا قتنا بجواز انتفاع المرتهن، فإنه في هذه الحالة يجد مدخلًا لاستغلال المدين بأن يحصل على غلة السيارة بحجة أنه يحق له الانتفاع، فيحصل على زيادة واضحة على دينه الثابت في ذمة الراهن، وبالتالي يكون ذلك من قبيل الفرض الذي جر نفعاً، وهو محرم شرعاً، فالعدالة تقضي أن الغلة تابعة للأصل، وبما أن الرهن مملوك للراهن، وكذلك بالنسبة لقلبه، فإنها تعد ملكاً له، على أن يكون ذلك في حالة مالم يخصم ريع الانتفاع من نفقات ومحسروهات الدين أو أصله، أما إن كان انتفاع المرتهن بالعين المرهونة بمقابل هنرى أنه لا يام في ذلك إذ إن التهمة أو شبهة الربا حين ذاك متفقة. والله أعلم.

المبحث الثالث : انتفاع المرتهن بالرهن بدون إذن الراهن :

من خلال البحث في مصادر الفقه في حكم هذه المسألة، وجدنا أن بيان حكمها يعتمد على نوع العين المرهونة، وبناء على ذلك نستطيع أن نقف على مواطن الانتفاع، ومواطن الاختلاف.
أولاً : موطن الانتفاع: اتفق الفقهاء على عدم جواز الانتفاع بالعين المرهونة إذا كانت من غير المخلوب، أو المركوب إذا لم يأذن الراهن بالانتفاع.

ثانياً : محل الاختلاف: أما بالنسبة لوطن الاختلاف بين الفقهاء في هذه المسألة، فيكمن فيما إذا كانت العين المرهونة من المخلوب أو المركوب، ولم يأذن الراهن: المالك؛ للمرتهن بالانتفاع.
الطلب الأول : آراء العلماء في المسألة وأدلةهم :

المسألة الأولى : آراء العلماء في انتفاع المرتهن بالرهن دون إذن من الراهن :
بعد التتبع والبحث استطعنا الوقوف على آراء العلماء في مسألة انتفاع المرتهن بالرهن إذا لم يأذن الراهن.. وهي مفصولة على النحو الآتي:

الرأي الأول: ذهب جمهور العلماء الحنفية، والشافعية، والمالكية، والحنابلة، في رواية، إلى القول بمنع المرتهن من الانتفاع بالعين المرهونة من المركوب، والمخلوب إذا لم يأذن الراهن^(١٦).
الرأي الثاني: ذهب الإمام أحمد في الرواية الراجحة، وإسحاق إلى القول بجواز انتفاع المرتهن بالرهن بالحلب، أو المركوب بمقدار النفقة التي ينفقها على المرهون، وكذلك أجاز أبو ثور وابن حزم انتفاع المرتهن بالرهن، ولكن بقيود^(١٧).

وهنا لابد أن نشير إلى توضيح رأي أبي ثور، وابن حزم في جواز انتفاع المرتهن بالرهن، أما بالنسبة لأبي ثور، فإنه أجاز للمرتهن الانتفاع بمقدار النفقة التي ينفقها على الرهن، وهذا في حالة امتياز الراهن عن النفقة على الرهن. أما بالنسبة لابن حزم، فإنه أجاز الانتفاع بالمركوب، أو المخلوب إذا أتفق المرتهن على الرهن في حالة امتياز الراهن عن النفقة، ولكنه لم يقييد الانتفاع بمقدار النفقة^(١٨).

سبب الاختلاف في المسألة

يكون سبب الاختلاف بين العلماء في هذه المسألة، من خلال الأحاديث الواردة في الرهن، وذلك أن الأحاديث وردت بصيغة المبني للمجهول.. ومن ذلك الحديث: «الظاهر يركب ولبن الدر يُشرب».

هذا وقد علق الدكتور عبد الجود خلف حول الحديث بقوله: «الحديث نموذج عملٍ لبيان أن أمر الرهن مرتبطة بالمصلحة، وهي أحياناً قد تكون في حل انتقام المركون حيث يصعب على الراهن أن ينفق على العين المرهونة».

وقد تكون أحياناً في بقاء حق الراهن في الانتقام بالعين المرهونة، هذا وقد وردت عبارة ذكرها الدكتور عبد الجود خلف، من قوله: «بقت المسألة معلقة على المصلحة، وهي تختلف زماناً ومكاناً، وقال: «والا فالنبي ﷺ لا يفلط عن الهوى، إذ كان قادرًا على إبراد اللفظ معلوماً مجهولاً، وبما أن الأمر متعلق بالمصلحة.. هاتسألة بقيت مجالاً للاجتهاد الفقهي بين العلماء»^(٢٧). المسألة الثانية : أدلة أصحاب المذاهب :

أ. أدلة الجمهور ...

احتجووا ثرائهم بمنع الانتقام بعدد من الأدلة من السنة والمعقول، وهي:

أولاً: السنة النبوية:

١- عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال: «لا يفلط الرهن من صاحبه الذي رهنه، له ثمنه، وعليه غرمه»^(٢٨).

وجه الدلالة: قالوا: أن الشارع قد جعل الثمن الذي هو الزبادة يعنون به المنافع قد جعلها للراهن، وبالنسبة للمركون فلا يملك من منافع الرهن شيئاً إلا إذن الراهن^(٢٩).

٢- عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ «الرهن يركب بتفنته إذا كان مرهوناً، ولبن الدر يُشرب بتفنته إذا كان مرهوناً. وعلى الذي يركب ويُشرب تفنته»^(٣٠).

وجه الدلالة: يدل الحديث على أن المركون إذا كان من ذوات الدر والظاهر، أي: يركب ظاهره ويُشرب لبنه، فإن الراهن لا يمنع من درها وظاهرها، أي يركب ويُشرب لبنه، فتعد مركبة ومحلوبة للراهن كما كانت قبل الرهن، وقيد الشافعية هذا التصرف بشكل لا يؤدي إلى ضرر المركون^(٣١).

٣- واستدلوا أيضاً بقوله ﷺ: «لا يحل بن أحد ماشية أمرئ بغير إذنه...»^(٣٢) فالظاهر من الحديث أن الراهن وهو المالك للعين المرهونة إذا لم يأذن للمركون بحلب المركونة، فلا يحل له الانتقام، فالانتقام متوقف على إذن المالك وإلا فلا.

ب : المعمول : أن المرهون ملك الراهن، ولم يأذن للمرتهن بالانتفاع، ولا الإنفاق عليه هلم يكن له ذلك كالآجنبين^(٧٣).

أدلة المجيزين للانتفاع ،

احتجوا لرأيهم بعدد من الأدلة من السنة، المعمول، وهي:

أولاً: السنة: بحديث أبي هريرة عن رسول الله ﷺ: «الظاهر يركب بنفقة إذا كان مرهوناً ولبن الدري يشرب إذا كان مرهوناً..»^(٧٤).

وجه الدلالة بما يوافق رأي المجيزين: قالوا أن المراد بالحديث هو المرتهن، والقرينة الدالة على ذلك أن انتفاع الراهن بالعين المرهونة لأجل كونه مالكاً لها، أما بالنسبة لانتفاع المرتهن في هذا المقام، فإن المراد به الانتفاع مقابل النفقة، وهذا يختص بالمرتهن^(٧٥).

والحناية دعموا رأيهم بهذا التوجيه والاستدلال بما وقع عند حماد بن سلمة في جامعة بلفط: «إذا ارتهن شاء شرب المرتهن من لبنيها يقدر علقها فإن استفضل من الدين بعد ثمن العلف فهو رباء»^(٧٦).

ويؤخذ منه أنه يجوز للمرتهن الانتفاع بالرهن، إذا قام بما يحتاج إليه من النفقة، حتى ولو لم يأذن له المالك.

المعمول: أن نفقة الحيوان واجبة، والمرتهن له فيه حق، وقد أمكنه استيفاء حقه من ثماء المرهون، وهذا الاستيفاء من المفاسع، كالمرأة التي يجوز لها أن تأخذ مؤنثها من زوجها عند امتناعه عن النفقة عليها^(٧٧).

وبناء على ما سبق فقد أعمل المرتهن حق الانتفاع بالرهن إذا أنفق على المرهون لاعتبارين:

١. من أجل أن يحفظ المرتهن حقه.

٢. من أجل المحافظة على حياة حيوان محترم.

وبالنسبة لابن حزم باعتباره موافقاً للأصحاب الرأي الثاني استدل على رأيه بالحديث الذي رواه أبو هريرة قال النبي ﷺ: «الظاهر يركب بنفقة إذا كان مرهوناً، ولبن الدري يشرب بنفقة إذا كان مرهوناً، وعلى الذي يركب ويشرب النفقة»^(٧٨).

قال ابن حزم: وأما الركوب والاحتلام خاصة، ملن أنفق على المركوب والمحلوب^(٧٩).

هذه مجمل الأدلة التي استدل بها الفرقان، كل يريد أن يدعم رأيه وينتصر له من خلال الأدلة التي ساقها، فالجمهور كما رأينا لم يعطوا المرتهن حق الانتفاع، ولهم أدلةهم سنأتي على مناقشتها إن شاء الله تعالى، وأحمد، وأبوفؤود، وأبي ذئب، وأبن حزم لهم أدلةهم على جواز انتفاع المرتهن بالرهن، وكل وجه أدنته بما يراه ممدوحاً للرأي الذي تبناه، وحتى تقف على الرأي الراجح لا بد من

مناقشة أدلة الفريقين، لنرى ما وجه إليها من نقد من قبل الطرف الآخر، وبعد ذلك نقف على الرأي الراجح بمشيئة الله تعالى.

المطلب الثاني : مناقشة الأدلة :

آ. مناقشة أدلة الجمهور

أولاً: أما بالنسبة لحديث: «لا يغلق الرهن...» فقد بينا أقوال العلماء فيه في مواطن سابقة وذكرنا ما قال عنه الدارقطني، وأنه يحتاج به^(٤١).

وقال أبو داود في المراسيل: قوله: «له غنميه وعليه غرمه، من كلام سعيد بن المسيب نقله عنه الزهري، وأنه يوحى به عراسيل سعد بن المسيب، وهذا ما أسفنا القول فيه فلا حاجة للتكرار^(٤٢)». ولكن لا بد من الإشارة إلى أن الحنابلة يقولون بموجب الحديث، وهو أن النماء للراهن باعتباره المالك للمرهون، ولكن للمرتهن ولایة صرف هذه المนาقة إليه مقابل النفقة التي أتفقها على المرهون^(٤٣).

ثانياً: أما بالنسبة لحديث «الظاهر يركب بتفنته إذا كان مرهوناً». قالوا: بأن المراد من الحديث المرتهن وليس الراهن^(٤٤)، وهذا ما أسلفنا فيه القول في موضع سابق، وعللوا هذا التفسير بأن المقصود المرتهن مقابل ما ينفق على الرهن باعتباره في يده كوبية مقابل دينه.

ثالثاً: أما حديث «لا يحلين أحد ما شيبة أمرئ...»^(٤٥) فهو حديث صحيح، ولكن قالوا: بأن هذا الحديث يعارضه حديث آخر: «الظاهر يركب بتفنته»، ويمكن التوفيق بين الحديثين، بأن المنع من الانتفاع يكون في حالة عدم حاجة المرهون للنفقة، أما إذا كان بحاجة للنفقة فإنه ينتفع به مقابل ما أتفق عليه.

أما قيام تصرف المرتهن بالعين المرهونة على الأجنبي، فهو قيام مع الفارق^(٤٦)؛ لأن العين تكون تحت يد المرتهن، وإذا متناه من الانتفاع، فإنه يضيع الانتفاع بالعين المرهونة، فلا ينتفع لا الراهن ولا المرتهن.. وقد يمتنع الراهن عن الإنفاق على الرهن فلا بد من إجازة انتفاع المرتهن مقابل النفقة.

ب. مناقشة أدلة المجيزين:

ناقشت الجمهور أدلة المجيزين... بما يأتي:

بالنسبة للحديث «الظاهر يركب بتفنته»^(٤٧) ناقشه الجمهور بقولهم: إن الحديث خالف القياس من وجهين^(٤٨).

١- تجويز الركوب، والشرب لغير المالك بغير إذنه.

٢- تضمينه ذلك بالنفقة لا بالقيمة؟

- وأورد ابن عبد البر القول: بأن هذا الحديث ترده أصول مجتمعة، وأنه ثابتة لا يختلف في صحتها^(٤٤).

- وتحذلوا حول نسخ هذا الحديث: قال ابن عبد البر: ويدل على نسخه حديث ابن عمر: «لا تحجب ما شئت أمرى بغير إذنه».

- وبالنسبة للقول بنسخ الحديث فقد تم الرد عليه، من خلال أن القول بالنسخ يتوقف على معرفة التاريخ ولم يعرف، ولا يحمل على النسخ إلا إذا تعدد الجمع بين الأدلة، وهنا لم يتعدد الجمع.. فلا تقول بالنسخ.

وبالنسبة لقولهم: بأن الحديث مخالف للقياس، نوشط بأن الأحكام الشرعية ليست مطردة على سق واحد، بل الأدلة تفرق بينها في الأحكام ففي هذا الموضع، حكم الشارع برکوب المرهون، وشرب بيته مقابل النفقة، وفي موضع آخر جعل الشارع صاع التمر عوضاً عن اللبن وهكذا..^(٤٥). وبالنسبة للقول: بوجوب النفقة على المرهونين تجاه المرهون... نوشط بأن النفقة واجبة على الراهن، أما المرهون فهو متخلص بالنفقة وليس بواجبة عليه^(٤٦).

المطلب الثالث : رأى القانون المدني الأردني في انتفاع المرهون بالرهن من غير إذن الراهن: من خلال عرضنا للمواد القانونية الناظمة لمسألة انتفاع المرهون بالرهن ياذن الراهن في ظل القانون المدني الأردني ، تبين لنا من خلال تلك المواد بأن المرهون، وهو الدائن يصح له الانتفاع بالمرهون في حال صدور الإذن من الراهن، أما إذا لم ياذن الراهن للمرهون بالانتفاع بالمرهون، على اعتبار أن المرهون وثيقة الدين من أجل استيفاء الحق إذا عجز الراهن أو امتنع عن الأداء، لسبب أو لآخر ، ففي هذه الحالة، وهي حالة عدم الإذن لا يصح للمرهون الانتفاع بعين الرهن، وهذا ما يقتضي من نص المادة / ١٢٩٣ من القانون المدني الأردني إذ تشير بمنطوقها على جواز الانتفاع في حالة الإذن، وقد يفهم منها على عدم جواز الانتفاع المرهون بالرهن في حال عدم الإذن من الراهن^(٤٧)، فالنص القانوني الذي نص على عدم جواز الانتفاع وافق رأي الجمهور في هذه المسألة ، وأما النصوص التي دلت على جواز انتفاع المرهون فقد اتفقت مع الرأي الآخر ، وهو ما ذهب إليه المحتابلة في رواية ، وابن حزم ، وأبوثور .

الرأي الرابع في مسألة انتفاع المرهون بالرهن بدون إذن الراهن.

بعد عرض آراء العلماء في المسألة السابقة، وسوق الأدلة التي استدل بها كل فريق، لتأييد الرأي الذي ذهب إليه، فالجمهور منعوا انتفاع المرهون بالرهن، واستدلوا برأيهم بعدة أدلة... بينها، وكذلك بالنسبة للمجيزين أيدوا رأيهم بأدلة سقناها، وبينما مناقشات كل فريق لأدلة الطرف الآخر، بعد هذا المعرض للأراء والأدلة، فإننا نميل إلى القول بجواز الانتفاع بالمرهون من

قبل المرتهن، وذلك إذا كان الرهن يحتاج إلى النفقة، وأنفق عليه المرتهن، وبالنسبة للقول بالجواز والذي تم ترجيحه، فهو يحقق مصلحة الطرفين «الراهن والمرتهن»، بالنسبة للراهن يبقى الرهن محفوظاً من الهلاك ، ويعود إليه سالمًا ، ولا سيما إذا كان يحتاج إلى النفقة ، ولا يعيش بدونها ، كما أن فيه استغلالاً وإعمالاً للمرهون وتوظيفاً له فيما أعد له ، أما المرتهن فالفائدة بالنسبة له تتمثل باستمرار المرهون في قدرته على أداء وظيفته الاقتصادية أو المادية عموماً والتي أعد لها ، حيث إنه في حال عجز الراهن عن الوفاء بالدين ، فإن ذلك يعطي المرتهن الحق في بيع الرهن ، واستيفاء دينه من ثمنه .

- أيضاً بالنسبة لانتفاع المرتهن بالرهن فهو ثابت بالتصريح في حالة النفقة، وهذا يظهر لنا من خلال موطن الشاهد من الحديث: «على الذي يركب ويشرب النفقة».

- كذلك من مسوغات الترجيح لهذا الرأي أن العمل بهذه الرأي فيه جمع بين الأدلة، والجمع بين الدليلين أولى من إهادارهما، أو إهادار أحدهما.

- وذلك يظهر من خلال الحديثين: لا يحل بن أحد ما شهية أمرئ إلا ياذنه، مع حديث: «الظاهر يركب بنفقة...».

فالحديث الأول يحمل على حالة نفقة الراهن على الرهن، أما الحديث الثاني فيحمل على حالة امتياز الراهن عن النفقة ، فينفق المرتهن مقابل أن ينتفع بالرهن.

- أيضاً من مسوغات الترجح لهذا الرأي، أن فيه بعداً عن الربا؛ وذلك لأن الانتفاع يكون بمقدار النفقة، فلا يكون من باب القرض الذي جر نفعاً.

ومن الأمثلة التي تؤيد ما نحن بصدده، أنه إذا كان المرهون حساناً، ومن المعلوم أن الحسان يحتاج للنفقة من مأكل ومشروب حتى يبقى على قيد الحياة، فإذا لم ينفق الراهن على الحسان المرهون، ففي هذه الحالة يقوم المرتهن بالنفقة على الحسان، وبينما على ذلك فإنه يصح له الانتفاع به، لأن يحمل عليه أمتاعه، أو يواجره للغير، فتكون الأجرة مقابل النفقة.

النتائج:

بعد أن تم البحث بعون الله تعالى خلصنا إلى النتائج والتوصيات الآتية:

أولاً ، النتائج :

- ١- أن الرهن يعد وثيقة بدين بحيث يستوفى الدين من ثمنه إن عجز المدين عن الوفاء عما ترتب في ذاته.
- ٢- أن الرهن مشروع من أجل الاطمئنان إلى أن الحقوق مصونة، ومحفوظة من الضياع، وكذلك من أجل البعد عن الخلاف والنزاع الذي ينشأ عن إنكار الحقوق، وذلك أن الرهن يعتبر وثيقة إثبات للحق.
- ٣- أن المرتهن لا يصح له أن ينتفع بالمرهون من غير إذن الراهن؛ لأن حصوله على غلة المرهون يعتبر زيادة على دينه الثابت في ذاته، وبالتالي فإن ذلك يعد من باب القرض الذي جر نفعاً، وهو محروم شرعاً إذ إن الرهن ليس من شأنه أن ينشأ للدائن المرتهن حقاً في أن ينتفع بالمرهون دون إذن المدين الراهن.
- ٤- إذا كان المرهون يحتاج للنفقة، بحيث لا يستمر ولا يعيش إلا بالنفقة، ولم ينفق عليه الراهن، ففي هذه الحالة يجوز للمرتهن أن ينتفع بالمرهون إذا قام بالنفقة عليه حيث تكون الغلة التي حصلها مقابل ما أنفقه على المرهون.
- ٥- إن المشرع المدني الأردني هرق بين أن ينتفع الراهن بالعين المرهونة بنفسه أو من خلال استغلالها بواسطة الفير هي الصورة الأولى لا يترتب على انتفاع المرتهن بالمرهون سقوط شيء من الدين ، في حين إذا استغلها فإن الريع الحاصل من ذلك يخصم من النفقات ومن أصل الدين.
- ٦- إن المشرع الأردني لم يلزم المرتهن باستثمار العين المرهونة بل ترك ذلك لرغبة على أن يستأذن الراهن إن هو رغب في استثمارها وذلك بخلاف ما نص عليه المشرع المصري الذي ألزم المرتهن باستثمار المرهون وحسنأً صنع المشرع المصري حين ألزم المرتهن باستثمار المرهون ووفقاً للشروط التي سافها في هذا المقام لما فيه من نفع وتحقيق لمصالح الراهن والمرتهن على حد سواء.
- ٧- إن موقف المشرع المدني الأردني في المسألة قد جاء متقدماً مع ما ذهب إليه الجمهور من فقهاء المسلمين والذي يقيد أنه لا يجوز للمرتهن أن ينتفع بالمرهون إلا بإذن الراهن .
- ٨- في ظل التشريع الإسلامي من المتضور أن يكون محل الرهن عقاراً أو منقولاً في حين في القانون المدني الأصل أن محل الرهن لا يرد إلا على عقار أما المقبول فالاصل أنه لا يصلح

لأن يكون محلًا للرهن وإذا أجازه فإنه يكون ذلك في حالات مخصوصة ومحددة وعلى سبيل الاستثناء.

٩- في ظل القانون المدني الأردني إذا انتفع المرتهن بالمرهون بإذن الراهن فإنه لا يترتب على انتفاعه ذلك به أي مسام بأصل الدين ولا يسقط جزءاً منه وذلك على خلاف موقف المشرع المدني المصري .

ثانياً : التوصيات :

١- نوصي المشرع المدني الأردني بأن يلزم الدائن المرتهن باستثمار العين المرهونة واستغلالها وأن لا يجعل الأمر تقديرياً يترك لسلطة وتقدير الدائن المرتهن لما يترتب على ذلك من تحقيقمصلحة كل من الراهن والمرتهن على حد سواء على أن يكون ذلك وفق ضوابط وشروط محددة .

٢- نوصي المشرع المدني الأردني أن يحظر على المرتهن الانتفاع بالمرهون دون مقابل بل يخصم ما استقاد من استعماله للعين المرهونة من قيمة مبلغ الدين المضمن بالرهن ، والقول بخلاف ذلك ربما يترب عليه لحق ضرر بالمرتهن ، إذ معلوم إن في استعمال العين فيما أعدت له من شأنه أن يتقصى من قيمتها المادية غالباً والمسدة في ذلك ظاهرة بتحوّل .

هذا ونسأل الله التوفيق والسداد والرشاد .

الهواش :

- (١) نظم القانون المدني الأردني التأسيسات العيلية (الرهن) في المزاد (١٤٤٩، ١٣٢٢) منه ، كما نظم القانون المدني المصري الحقوق العينية الثمينة (الرهن) في المزاد (١٤١٩، ١٠٢٠) منه .
- (٢) ابن منظور، أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، ط١، ابن منظور، أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، ط١، ج ١٢، ١٩٩٢-١٤١٢، من ١٨٨ - ١٩٠، الفيروز أيامي، محمد بن يعقوب، اقاموس المحيط، دار الجليل - بيروت، ج ٤، ص ٢٢١.
- (٣) الأسههاني، أبي القاسم الحسين بن محمد، الفرداتية غريب القرآن، دار المعرفة ، بيروت، لبنان ، من ٤ - ٢٠٤.
- (٤) سورة البقرة، الآية: ٢٨٢.
- (٥) سورة المدثر، آية: ٢٨.
- (٦) إبراهيم مصطفى وأخرون، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية - المكتبة العلمية، من ٢٨٩ - ٢٨٨.
- (٧) المرتضى، شمس الدين، ليسوول، دار المعرفة - بيروت ، ط١، ج ٢١، من ٦٢.
- (٨) الصاوي، أحمد الصاوي، بلة السالك لأقرب السالك مع الشرح الصغير لمسيحي أحمد الدردير، بيروت- لبنان، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م، ج ٣، من ١٨٩.
- (٩) الشريوني، محمد الخطيب، ملتقى الحاج، دار الفكر، بيروت - لبنان، ج ٢، ١٩٩٨، ص ١٩٦.
- (١٠) ابن قدامة ، أبي عبد الله محمد بن أحمد ، المفتى ، مكتبة الرياض الحديثة ، ج ٤ ، صفحه ٣٦١.
- (١١) المادة (١٣٢) من القانون المدني الأردني الصادر سنة ١٤٣٢هـ ، وانظر في تعریف الرهن ما ورد في المادة (١٠) من القانون المدني المصري ، انظر العبدلي ، علي هادي ، الحقوق العينية ، دار الثقافة ، عمان، ١٩٩٩ صفحه ١٤ وما بعدها .
- (١٢) وقد جاء موقف المشرع المصري مطابقاً تماماً لما هو منصوص عليه في القانون المدني الأردني حيث اشتريت في المادة ١٠-٢٠ منه أن يكون محل الرهن عقاراً .
- (١٣) السنوري، عبد الرزاق أحمد ، الوسيط، شرح القانون المدني الجديد دار الكتب، القانونية القاهرة فقرة ١٢٠ مسلمة ٢٧١.
- (١٤) انظر : السرخسي المراجع السابق مسلمة ٦٢ إلى ٦٤ ، الصاوي المراجع السابق صفحه ١٩٠ وما بعدها الشرعي المراجع السابق صفحه ١٦٧ وابن قدامة المراجع السابق مسلمة ٢٦٢ .
- (١٥) سورة البقرة، الآية: ٢٨٣.
- (١٦) الجصاص، أحمد بن علي ابرازى، حکام القرآن، ضبطه عبد السلام شاهين، دار الكتب العلمية - بيروت، ط١ ،
- (١٧) البيطارى، محمد بن إسماعيل، صحیح البخاری، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط١، ١٤٢٢-٢٠٠٢، ٢، ص ١٢١.
- (١٨) ابن ماجه، أبي عبد الله محمد بن يزيد، مسنون ابن ماجه، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان ، رقم الحديث ٢٤٣٦، ج ٢، ص ٨١٥.

- (١٩) البهقي، أبي يكرز أحمد بن الحسن ، السنن الكبرى « سنن البهقي »، مكتبة الرشد - الرياض ، ج ١ ، ١٤٢٥-١٤٠٤ هـ ، ص ٦٣.
- (٢٠) الزيلاعي، أبي محمد عبد الله بن يوسف ، تصحيف الرواية، مراجعة وتصحيح : محمد عوامة، دار القبة للثقافة الإسلامية-جدة، ج ١، ١٤٩٧-١٤٩٦ هـ ، ص ٤، ج ٣٢.
- (٢١) ابن قدامة، المغلي، ج ٤، ص ٣٦٢.
- (٢٢) الخن والبيهقي، مصطفى، الفقه التمهي على مذهب الشافعى، الشافعى، دار القلم ، دمشق، ج ٢، ٢٠٠٠-١٤٢١ هـ ، ج ٢، ص ٢٦٦.
- (٢٣) انتظار النادة / ١٠٢٠ هـ مصري والتي دلت على جواز عقد الرهن، العودي ، المراجع السابق ملحة ١٨ وما بعدها ، أبو السعود ، رمضان ، الوسيط في التأمينات الشخصية والمعينة ج ١ التأمينات الشخصية والرهن الرسمي ط ١٩٨٣ صفحات ١١ وما بعدها ، سعد ، فؤيل إبراهيم ، التأمينات المبنية والشخصية ، طبعة دار المعرفة الجامعية . الإسكندرية صفحات ٢٢ وما بعدها .
- (٢٤) الكاساني، علاء الدين، بدائع الصنائع، دار الكتب العلمية، بيروت ، ج ٦، ١٤٨٦-١٤٠٦ هـ ، ج ٦، ص ١٤٧.
- (٢٥) الشافعى، محمد بن إدريس، الأئم، تحقيق رفعت عبد المطلب، دار الوفاء ، المنصورة ، ج ١، ١٤٢٢-٢٠١١ هـ ، ج ٤، ص ٣٢٢، الماوردي، أبي الحسن علي بن محمد، الحاوي الكبير، تحقيق: علي معوض، عادل عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط ١، ١٤١٢هـ-١٩٩٤ م، ج ١، ص ٢٠٢.
- (٢٦) ابن قدامة، المغلي، ج ٤، ص ٤٢٦.
- (٢٧) الكاساني، بدائع الصنائع، ج ٦، ص ١١٧.
- (٢٨) الجصاص، أحكام القرآن، ج ١، ص ٦٤٤.
- (٢٩) الشافعى، الأئم، ج ٤، ص ٣٢٢.
- (٣٠) ابن قدامة، المغلي، ج ٤، ص ٤٢٧.
- (٣١) المرغيفانى، علي بن أبي بكر، الهدایة شرح بداية المبتدىء ، المكتبة الإسلامية، ج ٤، ص ١١.
- (٣٢) ، المصاوي، بلقة المسالك، ج ٢، ص ٢٠٤، الاتصاري، أبي يحيى ذكريا، أشنى المطالب شرح روض الطالب، ضبطه محمد تامر، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان ، ج ١، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١ م، ج ٤، ص ٤٢٥، ابن قدامة، المغلي، ج ٤، ص ٤٢٦.
- (٣٣) الدردير، أبي البركات أحمد بن محمد، الشرح الصغير على أقرب المسالك، مصر، دار المعارف، ج ٢، ص ٣٢٥.
- (٣٤) ابن قدامة المغلي، ج ٤، ص ٤٢٧، البهوي، كشف النقاب، بيروت، هاليم الكتب، ج ٢، ص ٣٥٥.
- (٣٥) النورى، يحيى بن شرف، المجموع، بيروت – لبنان، دار الكتب العلمية، ج ١، ج ٢، ص ٦٣٤.
- (٣٦) سنن ابن ماجه، ج ٢، ص ٨١٦، الشوكانى، محمد بن علي، نيل الأوطار، تحقيق: أبوريان ، دار الوفاء – المنصورة ، ج ٢، ١٤٢٢-١٤٠٣ هـ ، ج ١، ٢٠٠٣-١٤٢٢ هـ ، ص ١٢٨.
- (٣٧) الكاساني، بدائع الصنائع، ج ٦، ص ١٤٥.

- (٢٨) الصنعاني، سبل السلام، ج ٣، من ٥٣.
- (٢٩) المصدر السابق، ج ٢، من ٥٣.
- (٣٠) ابن عابدين، محمد أمين، حاشية رد المحتار على الدر المختار، دار الفكر، ١٩٩٩ - ١٩٧٩، ج ٦، من ٤٨٢.
- (٣١) ابن ماجه، محمد بن يزيد القزويني، سنن ابن ماجه، ج ٢، من ٨١٦.
- (٣٢) الكاساني، بداع الصنائع، ج ٦، من ١٤٥.
- (٣٣) الزيلعي، عثمان بن علي، ثوبان الحقائق، ج ٢، من ١٤٣.
- (٣٤) الكاساني، بداع الصنائع، ج ٦، من ١٤٥.
- (٣٥) السرخسي، ليسوطة، ج ٢١، من ١٠٦.
- (٣٦) الماوردي، الحاوي الكبير، ج ٦، من ٢٤٣.
- (٣٧) ابن حجر، أحمد بن علي، تلخيص الحبير، المدينة المنورة، ١٢٨٤، ج ٣، من ٤٥.
- (٣٨) عثمان رأفت محمد وأخرون، الفقه المقارن، مكتبة الشلاح - الكويت ، مل ١١٠٩ - ١١٨٩، من ٢٢٦.
- (٣٩) الدربني، الفقه المقارن، مطبعة طربيق، ١٤٠٠ هـ، من ٥٦.
- (٤٠) ابن قدامة، المغني، ج ٤، من ٤٢٧.
- (٤١) الدرداري ، أحمد بن محمد ، الشرح الصغير على أقرب السالك ، دار المعارف - مصر ، ج ٢، من ٣٣٦ - ٣٣٧.
- الخرشبي، محمد بن عبد الله بن علي، حاشية الخرشبي، دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان ، مل ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م، ج ٦، من ١٥٣.
- (٤٢) الصحاوي، بلقة السالك، ج ٢، من ٢٠١.
- (٤٣) الخرشبي، حاشية الخرشبي، ج ٦، من ١٥٣.
- (٤٤) الأشقر ، عمر وأخرون، مسائل في الفقه المقارن، دار الفقاه ، عمان -الأردن ، مل ١٤١٦ - ١٤٩٦ .. من ٢٤٢.
- (٤٥) الصنعاني، محمد بن إسماعيل، سبل السلام شرح بلوع الram ، دار الكتب العلمية- بيروت، لبنان ، مل ٢٠١٢، من ٢٠١٢.
- ج ٢، من ٥٧.
- (٤٦) الصنعاني ، سبل السلام ، ج ٣، من ٥١.
- (٤٧) الشوكاني ، نيل الأوطار ، ج ١، من ١٣٩ ، الصنعاني، سبل السلام، ج ٢، من ٥١.
- (٤٨) الشوكاني، نيل الأوطار، ج ٤، من ١٣٠.
- (٤٩) الصنعاني، سبل السلام، ج ٢، من ٥٢.
- (٥٠) ابن قدامة، المغني، ج ٤، من ٤٢٨.
- (٥١) الأشقر ، عمر وأخرون، مسائل في الفقه المقارن، من ٢٤٢.
- (٥٢) الأشقر ، عمر وأخرون، مسائل في الفقه المقارن، من ٢١٢.
- (٥٣) الصنعاني، محمد بن إسماعيل، سبل السلام شرح بلوع الram ، دار الكتب العلمية- بيروت، لبنان ، من ٢٠١٢.
- (٥٤) المصدر السابق ، من ٢٤٢.

- (٦٤) البهوي، متصوّر بن يوسف، كشف النقاب، ج ٢، من ٣٥١ مسأله في الفقه المقارن، عمر الأشقر، من ٢١٣ - ٢١٤.
- (٦٥) مسائل في الفقه المقارن، الأشقر، عمر، من ٢٤٤.
- (٦٦) للصدر السابق، من ٢١١.
- (٦٧) عثمان، محمد رأفت والخرون، الفقه المقارن، مكتبة الفلاح، من ٢٢١، تناول عن عهد الرهن، للشافعي عبد الرحمن، من ١٣٦.
- (٦٨) ابن قدامة، المغني، ج ٤، من ٤٢٧.
- (٦٩) وفي هذا القام نجد أن المادة / ١١٤ مدحى مصري تنص على « ١. ليم للدان أن يتطلع بالشيء المرهون دون مقابل، ٢. وعليه أن يستثمره استثماراً كاملاً مالم يتحقق على غير ذلك ». وما حصل عليه الدان من صلاة الربع وما استعاده من استعمال الشيء يخصّم من التبعي المضمن بالرهن ولو لم يكن قد حل أجله على أن يكون الخصم أولاً من قيمة ما أتقنه في الحافظة على الشيء وفي الإصلاحات، ثم من المتصروفات والفوائد ثم من أصل الدين « . ويلا ذلك يمكننا القول إن المشرع المدنى المصرى قد ألزم المركون باستثمار الشيء سواء من خلال انتفاعه به لنفسه أو استغلاله بواسطة التبرير إذ لم ينشأ التشريع المصرى أن يجعل من ذلك حقاً للمركون بل جملة التزاماً عليه على نحو جمل من تركه للعين دون استثمار لها فيما أحدثت له تقصير من جهةه وإخلال بالتزامه على تحويه بحسب مسأله له بل ورتب على الإلقاء على استعماله دون مقابل أن يقع ذلك الانتقام باطلًا ، وهذا بخلاف ما تنص عليه المشرع المدنى الأردنى والذي جعل من ذلك أمراً تقديرياً للراهن حيث أجاز له في حالة ما إذا طلب منه المركون ذلك أن يمكّنه منه إن شاء لو أن يرهقه ، كما أن التشريع المصرى اعتبر كذلك أن ما يحصله المركون من ريع ماسف وما عاد عليه من نفع للقاء استثماره للعين الرهونية فإنه يخصّم مما يذلل من ثقفات ومتصروفات أو فوائد من أصل الدين ولم يفرق بذلك بين النهاية للرهن بالعين بنفسه أو استغلالها بواسطة غيره وذلك بخلاف ما تنص عليه المشرع الأردنى أيضاً على نحو ما سبقت الإشارة = إليه . انتظر أبو المسمود ، رمضان . الوسيط في التأسيئات العينية والشخصية . ج ١ مذ ١٩٨٠ م صفحه ٧٧ وما بعدها . مسعد ، نبيل إبراهيم . التأسيئات العينية والشخصية . طبعة دار المعرفة الجامعية . الإسكندرية صفحه ٢٠٥ وما بعدها .
- (٧٠) المرغيلاني، الهدایة، ج ٤، من ١٢٠، المصاوي، بلقة السالك، ج ٢، من ١٩٥ - ١٩٦، المجموع، ج ٢، من ٢٢٨، ابن قدامة، المغني، ج ٤، من ٤٢٧ .
- (٧١) ابن قدامة، المغني، ج ٤، من ٤٢٦، ابن حزم، أبي محمد علي بن أحمد ، المعلم، دار إحياء التراث العربي ، مذ ١٤١٨ - ١٤٢٧ ، ج ٨، من ٢٢١ .
- (٧٢) ابن حزم، المعلم، ج ٨، من ٢٢٢ .
- (٧٣) خلف، عبد الجماد ، التشريع الإسلامي جذوره الحضارية وأدواره التاريخية ، دار ابن الهيثم للطباعة والنشر، من ٢٢٤ - ٢٢٦ .
- (٧٤) البيهقي، أبي بكر أحمد بن الحسن، السنن الكبرى، الرياض، مكتبة الرشد، مذ ١، ١٤٢٥ - ٢٠٠٤ ، ج ٦، من ٦٢ .
- (٧٥) الصنعاني ، سهل السلام ، ج ٢، من ٥٢ .
- (٧٦) الشيرازى ، أبي إسحاق إبراهيم بن علي ، المذهب ، شبيطه ذكرها عميرات ، دار الكتب العلمية - بيروت لبنان ، مذ ١ .

- (٧٦) ابن ماجه، ستن ابن ماجه، ج ٢، ص ٨١٦، رقم الحديث ٢٤٤، الصنعاني، سبل السلام، ج ٢، ص ٥١.
- (٧٧) التشيرازي، المهدب، ج ٢، ص ٩٧-٩٦.
- (٧٨) أبو داود، سليمان بن الأشعث، ستن أبي داود، راجحه، محمد عبد الحميد، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ج ٣، ص ٢.
- (٧٩) الكلمة المجمع، ج ٢، ص ٦٢٩.
- (٨٠) البيطاري، صحيح البيطاري، ج ٢، ص ١٢٢.
- (٨١) الشوكاني، نيل الأوطان، ج ٤، ص ١٢٩.
- (٨٢) المصدر السابق، ج ٤، ص ١٢٩، ابن حزم، الحل، ج ٨، ص ٢٢٣.
- (٨٣) ابن قدامة، المغني، ج ٤، ص ٤٢٨.
- (٨٤) سبق تخربيه، ص ١.
- (٨٥) ابن حزم، المحنى، ج ٨، ص ٢٣٢.
- (٨٦) ص ١٢-١١.
- (٨٧) الصنعاني، سبل السلام، ج ٢، ص ٥٢.
- (٨٨) ابن قدامة، المغني، ج ٦، ص ٤٢٨.
- (٨٩) الشوكاني، نيل الأوطان، ج ٤، ص ١٢٩.
- (٩٠) ستن أبي داود، ج ٢، ص ٤.
- (٩١) عمر الأشقر، عصيال في الفقه المقارن، ص ٢٥٠.
- (٩٢) سبق تخربيه، ص ١.
- (٩٣) ابن حجر، أحمد بن علي، فتح الباري شرح صحيح البخاري، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ج ٦، ١٤٢٦ - ١٤٩٢.
- (٩٤) نثاراً عن الصناعي، سبل السلام، ج ٢، ص ٥.
- (٩٥) الصناعي، سبل السلام، ج ٢، ص ٥٢.
- (٩٦) الماوردي، علي بن محمد، الحاوي الكبير، بيروت - لبنان، دار الكتب العلمية، ج ٦، ١٤١١ - ١٤٩١، ص ٢١٢.
- (٩٧) تنص المادة / ١٤٩٢ في الفقرة الأولى منها صراحة على عدم جواز انتفاع المرتهن بالرهن دون إذن من الراهن فقد جاء فيها « لا يجوز للمرتهن أن ينفع بالرهن حيازاً مثقالاً أو عقاراً بغير إذن الراهن » ، كما جاء في الفقرة الثالثة في ذات المادة « وللمرتهن أن يستقله، أي الرهن، استقلالاً كاملاً بإذن الراهن ...» فقد أكدت هذه الفقرة من المادة المشار إليها على ما نصت عليه الفقرة الأولى منها وهو أن انتفاع المرتهن بالرهن متوقف على إجازة وإذن الراهن.

قائمة المصادر والمراجع :

القرآن الكريم .

- (١) إبراهيم مصطفى وأخرين، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، المكتبة العلمية.
- (٢) ابن حجر، أحمد بن علي، تلخيص الحبير، المدببة المتقدمة، ١٣٨٤.
- (٣) ابن حجر، أحمد بن علي، فتح الباري شرح صحيح البخاري، وفمه محمد فؤاد عبد الباقي، دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان ، ط١ ، ١٤٢٥ - ٢٠٠٤.
- (٤) عمر الأشقر وأخرين، مسائل في الفقه المقارن، دار النقاش، عمان - الأردن، ط١ ، ١٤١٦ - ١٩٩٦.
- (٥) أبو السعود ، رمضان ، الوسيط في التأمينات الشخصية والمعينة ج١ التأمينات الشخصية والرهن الرسمي ط١ ، الإسكندرية ، ١٩٨٠.
- (٦) ابن حزم، أبي عبد الله محمد بن حزم، المطبخ، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان ، ط١ ، ١٤١٨ - ١٩٩٧.
- (٧) ابن عابدين، محمد أبن، حلقة رد المحتار على الدر المختار، دار الفكر، ١٢٩٩ - ١٩٧٩.
- (٨) ابن قدامة، أبي عبد الله محمد بن أحمد، المقني، مكتبة الرياض الحديثة.
- (٩) ابن منظور، أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان ، ط١ ، ١٤٩٢ - ١٤١٢.
- (١٠) الأصفهاني، أبي القاسم الحسين بن محمد، المفردات في غريب القرآن، دار المعرفة بيروت - لبنان.
- (١١) عمر الأشقر وأخرين، مسائل في الفقه المقارن، دار النقاش، عمان - الأردن، ط١ ، ١٤١٦ - ١٩٩٦.
- (١٢) البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، ط١ ، ١٤٢٢ - ٢٠٠٢ .
- (١٣) الأنساري ، أبي يحيى ذكري ، أنس الطالب ، شرح روض الطالب ، ضبطه : محمد ناصر ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، ط١ ، ١٤٢٢ - ٢٠٠١ .
- (١٤) البيهقي، منسور بن يوش ، كشف النقاب ، عالم الكتب ، - بيروت ..
- (١٥) البيهقي، أبي بكر أحمد بن الحسين، السنن الكبرى، مكتبة الرشد- الرياض ، ط١ ، ١٤٢٥ ، ١٤٠٤ - ٢٠٠٤ .
- (١٦) الجصاص، أحمد بن علي الرازي، أحكام القرآن ، ضبطه : عبد السلام شاهين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٤٢٤ ، ٢٠٠٣ - ١٤٢١ .
- (١٧) الخرشبي، محمد بن علي، حاشية الطرشبي، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان ، ط١ ، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م.
- (١٨) خلف ، عبد الجود ، التشريع الإسلامي جذوره الحضارية وأدواره التاريخية ، دار البيان للطباعة والنشر.
- (١٩) الحنف ، مصطفى ، الفقه المنهجي على منهج الشافعى ، دار القلم - دمشق ، ط١ ، ١٤٢١ - ٢٠٠٠ م.
- (٢٠) الدردير ، أبي البركات أحمد بن محمد ، الشرح الصغير على أقرب المسالك ، دار المارف - مصر.
- (٢١) الدريلى ، محمد فتحى ، الفقه المقارن ، مطبعة طربون ، ١٤٠٠ هـ.

- (٢٢) الزيلعبي، أبي محمد عبد الله بن يوسف، تصحيب الراوية في تحرير أحاديث الهدایة ، دار القبلة للثقافة الإسلامية - جدة ، ط١ ، ١٤٣٨ هـ - ١٩٦٧ م.
- (٢٣) السرخسي، شمس الدين، المسموطة، دار المعرفة - بيروت ، ط٢.
- (٢٤) سعد ، نبيل إبراهيم . التأمينات المبنية والشخصية. طبعة دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية .
- (٢٥) المستهوري ، عبد الرزاق أحمد . الوسيط في شرح القانون المدني الجديد . المجلد الثاني - دار الكتب الفاتحية . القاهرة .
- (٢٦) الشافعي، محمد بن إدريس، الأفم، تحقيق رضت فوزي عبد المطلب، المنسورة- دار الوفاء، ط١، ١٤٢٢-٢٠٠١.
- (٢٧) الشريفي، محمد الخطيب، مقتني المحتاج، دار الفكر، بيروت - لبنان ، ط١١٩، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨.
- (٢٨) الصابوري، أحمد الصابوري، بلقة السالك لأقرب المسالك، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان ، ط١١٥، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥.
- (٢٩) الصستاني، محمد بن إسماعيل، سبل السلام شرح بلوغ المرام، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان ، ط١٢١، ٢٠٠٢، ١٤٢١.
- (٣٠) عثمان، محمد رأفت، الفقه المقارن، مكتبة الفلاح، الكويت ، ط١، ١٤٠٩-١٩٨٩.
- (٣١) العبيدي ، علي هادي . الحقوق العينية . مكتبة دار الثقافة، عمان ط١ ١٩٩٩
- (٣٢) القوروز أبادي، محمد بن يعقوب، القاموس المعجم، دار الجليل- بيروت .
- (٣٣) القانون المدني الأردني ، لسنة (١٩٧٦) .
- (٣٤) القانون المدني المصري لسنة (١٩٦٨) .
- (٣٥) الكاساني، علاء الدين، يدائع الصنائع، دار الكتب العلمية- بيروت، ط٢، ١٤٠٦- ١٩٨٦.
- (٣٦) المازري، أبي الحسن علي بن محمد، الحاوي الكبير، تحقيق: علي معرض ، عادل عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان ، ط١، ١٤١٤هـ- ١٩٩٣.
- (٣٧) المرغيناني، علي بن أبي بكر، الهدایة شرح بيد آية المبتدئ، المكتبة الإسلامية.
- (٣٨) النزوبي، يحيى بن شرف، المجموع، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان ، ط١ ..



جامعة المتنابع

مشاهد يوم القيمة في سورة الزلزلة

د. إبراهيم سيد أحمد إبراهيم
الأستاذ المساعد بكلية أصول الدين والدعوة
فرع جامعة الأزهر بالزقازيق
 والأستاذ المشارك بكلية الشريعة والأنظمة
جامعة المتنابع

الملخص

إن اليوم الآخر وما فيه من بعث وحساب ، وجنة ونار ، ونعميم وعداب ، واضح وضوح العقيدة الإسلامية ، فاما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم الجنة بما فيها من النعيم ، وأما الذين كفروا وكذبوا بلقاء الله فلهم النار بما فيها من جحيم .

ومشاهد يوم القيمة تعرض في سورتين ، وتتنوع وتتوزع في معظم سور القرآن الكريم ، وقد تحتوى السورة الواحدة أكثر من مشهد واحد (كما في سورة الزلزلة موضوع البحث) ، وسورة الزلزلة شأنها شأن نظائرها من السور القرآنية في وصف اليوم الآخر ، فتتحدث السورة الكريمة عن عدة مشاهد ليوم القيمة :

(زلزلة الأرض واضطرايها ، وتعجب الإنسان من حالها ، وتحدى الأرض بأخبارها « ياذن ربها » ، وحضور الناس لوقف الحشر والحساب ، والمجازاة على الأعمال) **فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَسْرُهُ ⑦ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَسْرُهُ** (الزلزلة : ٨ ، ٧)

مقدمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين ، جعل أمارات ومشاهد ل يوم الدين ، والصلوة والسلام على أشرف المرسلين ، وخاتم النبيين ، ورحمة الله للعالمين ، نبينا محمد ، الذي رُغب في القليل من الخير ، وحدّر من اليسير من الشر ، وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم يا حسان إلى يوم الدين .

أما بعد

فلقد خلق الله تعالى الخلق لعبادته ، قال تعالى (وَمَا خَلَقْتُ لِجَنَاحَيْنِ إِلَّا يَعْبُدُونِ) ^(١) . وبين لهم أن جزاء أعمالهم التي عملوها في الدنيا ، إنما يكون يوم القيمة ، خيراً كانت أم شراً ، قليلاً كانت أم كثيرة ، صفيحة كانت أم كبيرة . وأن هذا الحساب والجزاء سيكون يميز ان دقيق فقال (فَقَعَ الْوَكِينَ الْقُسْطُ لِكُوْرِ الْقِسْمِ فَلَا ظُلْمُ فِيْنِ شَيْئًا وَلَكُوكَ حَسْكَةٌ وَنَحْرَدَلِ أَيْنَا إِلَيْهَا وَكُوكِيْنِ يَكْحِيْنِ) ^(٢) .

وهي هذا البحث مسوف نبيين - إن شاء الله تعالى - مشاهد يوم القيمة في سورة من سور القرآن الكريم ، لا وهي سورة (الزلزلة) ، وذلك من خلال دراسة آياتها دراسة تحليلية موضوعية . وسورة (الزلزلة) شأنها شأن نظائرها في هذا الصدد في وصف اليوم الآخر مثل سور : الذاريات ، التكوير ، الانقطاع ، الفاشية ، القارعة ، حيث يتركز موضوعها حول الرجوع إلى الله تعالى ، والإخبار عن أحوال يوم القيمة وشدائدها ، وأشاراط البعث وما يعتري الناس عند حدوثه من هز ، وذكر جزاء الطاعة وعقوبة المعصية ، وذكر وزن الأعمال في ميزان العدل .

خطة البحث :

رأيت أن الخططة المناسبة لهذا البحث ينبغي أن تكون -وفق تصوري- على النحو التالي :

مقدمة ، وتمهيد ، وثلاثة مباحث ، وخاتمة .

أما المقدمة : فتحدّث فيها عن موضوع البحث وخطته وأهدافه .

وأما التمهيد : فتبين فيه معنى (مشاهد) عند المؤمنين والمفسرين .

وأما المبحث الأول : فتشير فيه إلى أسلوب القرآن الكريم في الحديث عن يوم القيمة .

وأما المبحث الثاني : فقدمت فيه لسورة الزلزلة ، واحتفل على : أسمائها ، مكانتها أو مدنتها ، ترتيبها وعدد آياتها ، فضلها ، سبب نزولها ، مناسبتها لما قبلها ، موضوعها الرئيس وأهم ما اشتغلت عليه من أهداف ومقاصد ، المعنى الإجمالي للسورة الكريمة .

وأما المبحث الثالث : (من البحث) مشاهد يوم القيمة في سورة الزلزلة ، وفيه أربعة مطالب :

المطلب الأول : زلزلة الأرض واضطرابها ، وتعجب الإنسان من حالها (الآيات ٢ - ١) .

- المطلب الثاني : تحدث الأرض بأخبارها «بِإذن ربيها» (الآياتان ٤ ، ٥) .
- المطلب الثالث : حضور الناس إلى موقف الحشر والحساب لرؤية الأعمال (الآية ٦) .
- المطلب الرابع : المجازاة على الأعمال ، خيرها وشرها ، قليلها وكثيرها (الآياتان ٧ ، ٨) .
- وأما الخاتمة : فتضمنت ما يلي :
- ١) أهم نتائج البحث وتوصياته .
 - ٢) مراجع البحث ومصادره .
 - ٣) هواشن البحث .

ومن أهداف البحث ما يلي :

- ١- توضيح معنى (مشاهد) عند اللغويين والمفسرين .
 - ٢- الإشارة - بيايجاز - إلى أسلوب القرآن الكريم في الحديث عن يوم القيمة .
 - ٣- إعطاء القارئ فكرة عامة موجزة عن (سورة الزلزلة) والمشاهد الواردة فيها .
 - ٤- بيان قدرة الله تعالى ، ومصداقيةبعث والجزاء ، وأن الإنسان لا يظلم شيئاً .. بالإضافة إلى أهداف أخرى مذكورة في ثانياً البحث .
- أسأل الله تعالى أن يتقبل عملي هذا ، وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم ، وأن ينفع به الإسلام والمسلمين ، إنه نعم المولى ونعم النصير .
- ﴿رَبَّنَا عَلَيْكَ تُؤْمِنُوا بِإِيمَانِ أَبْنَائِكَ الظَّاهِرِ﴾^(١) .

تمهيد

معنى (مشاهد) عند اللغويين :

(شهاد) الشين والهاء والدال : أصل بدل على حضور وعلم وإعلام ، لا يخرج شيء من طروحه عن الذي ذكرناه ، ومن ذلك الشهادة .

والشهادة : خبر قاطع ، والشاهد : المعاينة ، والمشهود والمشهدة والمشهدة : بالفتح في الكل ، وضم الهاء في الأخير : محضر الناس ومجمعهم ، وشاهد مكة : المواطن التي يجتمعون بها^(٢) .

ومشهد مفرد ، وجمعه مشاهد : اسم زمان ، أو اسم مكان ، أو مصدر ميمي من شهد الشفاهي ، وزنه مفعَّل بفتح الميم والعين ، أو هو ما يشاهد : ما يقع تحت النظر من مشهد رهيب ، ومشهد طبيعي ، وشاهد : بمعنى حضر أو نطق بالشهادة^(٣) .

مما تقدم يتبيَّن لنا : أن المشاهد هي الموضع والمواطن التي يحضرها الناس ويجتمعون فيها ، ويشاهدون ما يجري وما يقع فيها .

وأما عن معنى (مشاهد) عند المفسرين :

فيقول الراغب الأصبهاني في مفرداته : (الشهود والشهادة) : الحضور مع المشاهدة ، إما بالبصر ، أو بال بصيرة ، ويقال للمحضر : مُشَهَّد ، وللمرأة التي يحضرها زوجها : مُشَهَّد ، وجمع مُشَهَّد : مُشَاهِدُون ، ومنه : مُشَاهِدُ الحجّ ، وهي مواطنة الشريفة التي يحضرها الملائكة والأبرار من الناس . وقيل : مُشَاهِدُ الحجّ : مواضع الناسك . والشهادة : قول صادر عن علم حصل بمشاهدة بصيرة أو بصر . وشهيْدٌ يقال على ضربين : أحدهما : جار مجرى العلم ، وبلفظه تقام الشهادة ، ويقال : أشَهَّ بـكذا ، والثاني : يجري مجرى القسم ، فيقول : أشَهَدَ بالله أن زيداً منطلق ، فيكون قسماً)^(١) .

ويقول الشيخ السعدي في قوله تعالى : (فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ شَهِيدِيْوْ عَظِيمٍ)^(٢) أي : مشهد يوم القيمة ، الذي يشهد الأولون والآخرون ، أهل السماوات وأهل الأرض ، الخالق والملائكة ، الممثل بالزلزال والأهوال ، المشتمل علىجزاء بالأعمال ، فحيثنت يتبين ما كانوا يخفون ويبدؤن ، وما كانوا يكتمنون)^(٣) .

جُوز القرطبى في تفسيره كون المشهد اسم مكان فقال : (وَالْمُشَهَّدُ يَعْنِي الْمَصْدِرِ ، وَالْشَّهُودُ الْحُضُورُ ، وَيُضَافُ إِلَى الظَّرْفِ لِوُقُوعِهِ فِيهِ ، وَقِيلَ: الْمُشَهَّدُ يَعْنِي الْمَوْضِعِ الَّذِي يَشَهُدُ الْخَلَائِقَ ، كَالْمُحْشَرُ لِلْمَوْضِعِ الَّذِي يَحْشُرُ إِلَيْهِ الْخَلْقَ)^(٤) .

وذهب الشيخ الشنقطى إلى أن المشهد مصدر ميعدى ، بمعنى شهود ذلك اليوم « يوم القيمة » ، أي : حُضُور ، وضعف قول من قال بأن المشهد اسم مكان ، أي : المكان الذي يشهدون فيه تلك الأهوال والعذاب ، ورجح كون المشهد مصدرًا بمعنى الشهود ، أي : الحضور)^(٥) .

وعلى هذا قراراً بـ (مشاهد يوم القيمة) المواطن والموضع التي يحضرها الأولون والآخرون ويجتمعون فيها يوم القيمة ، فيشهدوا ذلك اليوم العصيب ، ويشاهدوا ما يجري فيه من زلزال وأهوال يجعلهم في حيرة من أحاديث ، ويجدوا جزاء أعمالهم من خير أو شر ، فحيثنت يتبين لهم ما كانوا يخفون ويبدؤن ، وما كانوا يكتمنون . و(مشاهد) مضافة إلى هائلها (يوم القيمة) وهو ظرف لوقوعها فيه .

المبحث الأول : أسلوب القرآن في الحديث عن يوم القيمة

لقد عُنى القرآن الكريم بـ مشاهد القيمة : البعد والحساب ، والتغريم والعقاب ، فلم يُعد ذلك اليوم الآخر الذي وعده الناس بعد هذا العالم الحاضر موصوفاً فحسب ، بل عاد مصروراً محسوساً ، وحياناً متحركاً ، وبارزاً شاكساً ، وعاش المسلمين في هذا العالم عيشة كاملة . هذا العالم يسيط كل البساطة ، واضح وضوح العقيدة الإسلامية ، موت وبعث ، ونعم وعذاب ،

فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمُ الْجَنَّةُ بِمَا فِيهَا مِنْ نَعِيمٍ ، وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَبُوا بِلِقَاءَ اللَّهِ فَلَهُمُ النَّارُ بِمَا فِيهَا مِنْ جَحِيمٍ ، وَلَا شَفاعةَ هُنَاكَ ، وَلَا قَدْيَةَ مِنَ الْعَذَابِ ، وَلَا اخْتِلَالٌ قَبْدَ شَرْعَرَةٍ فِي مِيزَانِ الْعَدْلِ الْمُقْرَنِ : (فَمَنْ يَعْمَلْ إِيمَانًا حَسْرًا حَسْرًا بَرَكَةً) (٧) وَمَنْ يَعْمَلْ إِيمَانًا حَسْرًا شَرًّا يَرَهُ) (٨)

وَهَذِهِ الْحَقِيقَةُ الْبَيِّنَةُ الْوَاضِحَةُ تُعْرَضُ فِي صُورٍ شَتَّى ، وَتُرْسَمُ فِي عَالَمٍ كَامِلٍ ، حَافِلٍ بِالْمَشَاهِدِ ، وَتَرَاءِي عَشَراتُ مِنَ الْأَوْضَاعِ وَالْأَشْكَالِ (٩) .

الطريقة التي تناول بها القرآن مشاهد يوم القيمة :

يقول الأستاذ/ سيد قطب في « التصوير الفني في القرآن » : (إن التصوير هو الأداة المفضلة في أسلوب القرآن الكريم ، وطريقة التصوير هي أجمل طرائق التعبير ، وأفضليها في الفن والدين ، والأمثلة على ذلك كثيرة ، بل إن هناك ما يقرب من ثلاثة أرباع القرآن - من ناحية الكم - كلها تستخدم طريقة التصوير في التعبير .

ويكتفي ببيان هذا التفضيل أن تتصور المعاني في صورتها الذهنية التجريدية ، وأن تتصورها بعد ذلك في صورتها التصويرية التشخيصية . إن المعاني في الطريقة الأولى تخاطب الذهن والوعي ، وتحصل إليهما مجردة من ظلالها الجميلة ، وهي الطريقة الثانية تخاطب الحس والوجودان ، وتحصل إلى النفس من منافذ شتى ، وبهذه الطريقة (محاكاة الحس والوجودان) تناول القرآن مشاهد يوم القيمة ، فإذا بعضاً منها ملامح رائعة ، وبعضاً مناظر شاخصة ، وبعضاً صور وظلال (١٠) .

سمات مشاهد يوم القيمة :

مشاهد يوم القيمة سمات كثيرة ، وصفات عديدة ، منها ما يلى :

- أنها مشاهد حية ، منتزةة من عالم الأحياء ، لا ألوان مجردة ، ولا خطوط جامدة ، وهذه سمة أصلية شاملة لجميع المشاهد ، ثم تفترق السمات بعد ذلك في شتى المشاهد.
- أنها مشاهد حاضرة اليوم تراها العين ، وتحسها النفس ، والفارق السحيق بين العالمين هارق قريب ، بل لا هارق هناك في بعض الأحيان .

٣- التناسق ، وهو تناسق يتجلى أولاً : في جزئيات المشهد ، هتبتو هذه الجزئيات منسقة ، بين بعضها البعض لون من التماثل أو التشبه أو التداعي أو التقابل ، ويتجلى ثانياً : في جرس الأنفاس ، ليدل هذا الجرس على صورة معناه في بعض الأحيان ، ويتجلى ثالثاً : في اتساق المشهد كله ، باتفاقه ومعاناته وجرسه وإيقاعه مع المياق الذي يعرض فيه .

ومشاهد القيمة في القرآن كلها مسوقة لأداء الفرض الديني ، ذلك الفرض الأول للقرآن الكريم ، وهي تعنى بتصوير الهول يوم القيمة ، وتصوير موافق الحساب قبل النعيم والعقاب ،

وتصویر التعميم والمعذاب بعد البعث والحساب^(١٠).

وتتوزع مشاهد القيامة في معظم سور القرآن ، وإن كانت كثرتها بالسور المكية ، وقد تحتوي السورة الواحدة أكثر من مشهد واحد (كما في سورة الزلزلة ، وسيأتي لذلك مزيد إيضاح في ثنايا البحث) ، يطول ويقصر تبعاً لغرض الديني في السياق، وتماشياً مع أصول العرض الفنية ، والمجيب حقاً أن تعدد هذه المشاهد - وأساسها واحد - لم يُنشئ نوعاً من التكرار، هكذا مشهد يختلف عن سابقه في كلياته أو جزئياته ، وذلك لون من الإعجاز^(١١).

المبحث الثاني : مقدمة بين يدي سورة الزلزلة

يجدر بنا قيل أن نبدأ في بيان مشاهد يوم القيمة الواردة في السورة الكريمة ، أن نشير إلى أمور عجمة تتعلق بها ، وهي :

١- أسماؤها :

لهذه السورة الكريمة عدة أسماء ، فتسمى بسورة «إِنَّ رَبَّكَ» لافتتاحها بقوله تعالى «إِنَّ رَبَّكَ الْأَرْضَ يَرْزَقُهَا» وهذه التسمية توثيقية ، روى الترمذى عن أنس بن مالك مرفوعاً : (من قرأ «إِنَّ رَبَّكَ» عدل له ب Finch القرآن)^(١٢) ، وكذا عنونها البخاري^(١٣) .
وتسمى أيضاً بسورة الزلزلة ، والزلزال ، وزلزلت ، لافتتاحها بالإخبار عن حدوث الزلزال
العنيد قبيل يوم القيمة^(١٤) .

ولم يعد المسوظي هذه السورة في عدد سور ذات أكثر من اسم ، هكأنه لم ير هذه ألقاباً لها ، بل جعلها حكاية بعض ألفاظها ، ولكن تسميتها (سورة الزلزلة) تسمية بالمعنى لا بحكاية بعض كلماتها^(١٥) . إذ لم يرد لفظ «الزلزلة» في السورة الكريمة .

ومما سبق يتبين لنا أن الاسم التوثيقى للسورة الكريمة هو «إِنَّ رَبَّكَ» ، وبعض أسمائها حكاية لبعض ألفاظها ، والسورة تسمى إما بفتحتها أو بأبرز شيء فيها .

٢- مكيتها أو مدتيتها :

أمر مكية سورة الزلزلة أو مدتيتها مختلف فيه على قولين :

أحدهما : أنها مدنية ، وهو قول فتاوة ومقال وجابر بن زيد ، وكذا حكى كريب عن ابن عباس في أحد قوله ، وعزرا التفسى هذا القول للجمهور.

يقول الآلوسي : (واستدل له في الإنegan بما أخرجه ابن أبي حاتم عن أبي سعيد الخدري^(١٦) قال : لما نزلت «فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرٌ يَرَهُ» قلت : يا رسول الله إني لرأي عملي^(١٧) قال : «نعم» ، قلت : تلك الكبار الكبار^(١٨) قال : «نعم» ، قلت : الصغار الصغار^(١٩) قال : «نعم» ، قلت : واتكل أمي^(٢٠) قال : أبشر يا آبا سعيد ، فإن الحسنة بعشر أمثالها^(٢١) الحديث ، وأبا سعيد لم يكن

إلا بالمدنية ولم يبلغ إلا بعد أحد^(٣١).

والثاني: أنها مكية، وهو قول ابن مسعود ومجاحد وعطاء والضحاك وجابر بن عبد الله، وابن عباس في أحد قوله^(٣٢).

والقول بأن سورة الزلزلة مدنية هو ما نميل إليه وترجحه، وقد رجع كثير من المفسرين القول بمدنيتها. يقول د/ الزريحي في «التفسير المثير»: (أسلوب هذه السورة المدنية وموضوعها يشبه أسلوب موضوع سور المكية، لإخبارها عن أحوال القيمة وشدة أنها)^(٣٣).

وتقول صاحبة التفسير البهانى: (السورة في وصف اليوم الآخر، وهي مدنية مبكرة، وثمة قول بأنها مكية، ومعروف أن عناية القرآن الكريم اتجهت في العهد المكي إلى تقرير أصول الدعوة، وفي العهد المدني إلى التشريع وبيان الأحكام).

ولا يعني هذا أن تخلو سور المكية من أحكام تشريع، ولا تخلو المدنية من أصول عامة للعقيدة مثل سورة الزلزلة، التي تستأنس لها بنتائجها من سور المكية في اليوم الآخر، مثل سور: الذاريات، التكوير، الانقطاع، الانشقاق..)^(٣٤).

٢- ترتيبها وعدد آياتها:

سورة «الزلزلة» هي التاسعة والتسعون بحسب الرسم العثماني، وتقع بين سورتي البينة والعاديات، وقد عدّت الرابعة والتسعين في عدد نزول السور - فيما روی عن جابر بن زيد، وهو بناء على أنها مدنية. نزلت بعد سورة النساء وقبل سورة الحديد^(٣٥).

واختلف العلماء في عدد آيات هذه السورة الكريمة، فهي ثانية آيات في المدى الأول والكوني^(٣٦)، وتشتمل في عدد الباقين، وسبب الخلاف آية (يَوْمَئِذٍ يَصُدُّ النَّاسُ أَشْنَانًا) لم يعدها المدى الأول والكونية آية مستقلة، وعددها الباقيون، وأما كلماتها خمس وثلاثون كلمة، وحررها مائة وستة وأربعون حرفاً^(٣٧).

٤- فضلها:

قال القراطبي: (قال العلماء : وهذه السورة فضلها كثير ، وتحتوي على عظيم)^(٣٨). ولقد ورد في فضل سورة الزلزلة روايات كثيرة ، لكنها لم تسلم من النقد ، ومما ورد في فضلها : ما روی عن عبد الله بن عمرو، قال: أتى رجُلَ رَسُولَ اللَّهِ فَقَالَ أَفْرِتَنِي يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَالَ: أَفْرَا تَلَانِي مِنْ ذَوَاتِ الرِّزْقِ، فَقَالَ: كَبُرْتَ مِنِّي، وَأَشْتَدَ قَلْبِي، وَغَلَطْتُ لِسَانِي، فَقَالَ: هَافِرًا تَلَانِي مِنْ ذَوَاتِ حَامِيمِ، فَقَالَ مِثْلَ مَقَائِيمِه، فَقَالَ: أَفْرَا تَلَانِي مِنَ الْمُسْبَحَاتِ، فَقَالَ مِثْلَ مَقَائِيمِه . فَقَالَ الرَّجُلُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَفْرِتَنِي سُورَةً جَامِعَةً، فَأَفْرَأَهُ النَّبِيُّ إِذَا زَلَّتِ الْأَرْضُ حَتَّى فَرَغَ مِنْهَا، فَقَالَ الرَّجُلُ: وَالَّذِي يَعْلَمُ بِالْحَقِّ، لَا أَزِيدُ عَلَيْهَا أَبْدًا، ثُمَّ أَدْبَرَ الرَّجُلُ، فَقَالَ النَّبِيُّ

: «أَفْلَحَ الرُّوِيْجُلُ مَرْتَبٌ»^(١٩)

وَعَنْ أَبْنَ عَيْبَاسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: إِنَّ زَلْزَلَ نَصْفَ الْقُرْآنِ، وَ { قُلْ هُوَ اللَّهُ أَكْبَرُ } تَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ، وَ { قُلْ يَكِيْهَا الْحَكَمُوْرُكُ } تَعْدِلُ رُبْعَ الْقُرْآنِ»^(٢٠).

وَلَا تَعْرِضُ بَيْنَ مَا وَرَدَ عَنْ أَبْنَ عَيْبَاسٍ^(٢١) مِنْ أَنْ سُورَةَ الْزَلْزَلَةِ تَعْدِلُ نَصْفَ الْقُرْآنِ، وَبَيْنَ مَا وَرَدَ عَنْ أَنْسٍ^(٢٢) مِنْ أَنَّهَا تَعْدِلُ رُبْعَ الْقُرْآنِ، بِلْ كُلُّ مِنْهُمَا نَاظِرٌ إِلَى السُّورَةِ مِنْ جَهَّةٍ.

فَإِنَّمَا كَوْنُهَا نَصْفًا : فَلَأَنَّ حُكْمَ الْقُرْآنِ تَقْسِيمٌ إِلَى حُكْمَ الدُّنْيَا وَحُكْمَ الْآخِرَةِ ، وَهَذِهِ السُّورَةُ الْكَرِيمَةُ تَشْتَعِلُ عَلَى حُكْمَ الْآخِرَةِ كُلَّهَا إِجْمَاعًا ، وَزَادَتْ عَلَى الْقَارِئِ يَأْخُرَاجَ الْأَنْتَابِ وَبِحَدِيثِ الْأَخْبَارِ، وَلَأَنَّ كُلَّ أَحَدٍ يَرِى كُلَّ مَا عَمِلَ .

وَأَمَّا كَوْنُهَا رُبْعًا : فَلَأَنَّ الإِيمَانَ بِالْبَعْثَةِ رُبْعَ الْإِيمَانِ^(٢٣) ، وَلَأَنَّ أَمْرَ الدِّينِ أَرْبَعَةَ أَجْزَاءٍ : أَمْرُ الْمُبْعُودِ ، وَأَمْرُ الْمُبَيْدِ ، وَأَمْرُ الْمُبَاهِدَةِ ، وَأَمْرُ الْجَزَاءِ . فَهَذِهِ السُّورَةُ تَكْتَلَتْ بِأَمْرِ الْجَزَاءِ^(٢٤) .

٥- سبب نزولها :

لَمْ يَرِدْ فِي سببِ نزولِهَا نصٌّ صَرِيحٌ صَحِيفٌ ، وَلَكِنْ وَرَدَ أَنَّهَا عِنْدَمَا نَزَّلَتْ – كَمَا قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ : كَانَ أَبْيُو بَكْرٍ^(٢٥) قَاعِدًا هَبِقِيًّا ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: مَا يَبْكِيكَ يَا أَبْيُو بَكْرٍ؟ قَالَ : أَبْكَانِي هَذِهِ السُّورَةُ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (لَوْ أَنْكُمْ لَا تَخْطَلُونَ وَلَا تَذَنَّبُونَ، هَيْقَنْرُ لَكُمْ، لَخَلْقُ اللَّهِ أَمْةٌ مِنْ بَعْدِكُمْ يَخْطَلُونَ وَيَذَنَّبُونَ هَيْقَنْرُ لَهُمْ)^(٢٦) .

وَجَاءَ فِي التَّقْسِيرِ الْمُتَّيَّرِ : أَنَّ الْكُفَّارَ كَانُوا يَسْأَلُونَ كَثِيرًا عَنِ السَّاعَةِ وَيَوْمِ الْحِسَابِ ، فَيَقُولُونَ «أَنَّ رَبَّ الْعِزَّةِ»^(٢٧) ، «مَنْ هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كَثُرَ مُنْكِرُوْنَ»^(٢٨) ، «مَنْ هَذَا الْفَتْحُ»^(٢٩) ، وَنَحْوُ ذَلِكَ . ثَبَّأْنَ لَهُمْ فِي هَذِهِ السُّورَةِ عَلَامَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ هُنْ حُسْبٌ ، لَيَعْلَمُوا أَنَّ عِلْمَ ذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ ، وَلَا سَبِيلٌ إِلَى تَعْيِينِ ذَلِكَ الْيَوْمِ لِلْعِرْضِ وَالْحِسَابِ وَالْجَزَاءِ^(٣٠) .

٦- مناسبتها لما قبلها :

الْمُنْاسِبَةُ وَالْحَصْلَةُ بَيْنَ سُورَةِ الْزَلْزَلَةِ وَسُورَةِ الْبَيِّنَةِ وَاضْعَافَهَا حَتَّى لَتَكَادُ تَكُونُ سُورَةَ الْزَلْزَلَةِ اسْتِعْرَارًا لِسُورَةِ الْبَيِّنَةِ ، وَمِنْ أَوْجَهِ التَّنَاسُبِ وَالرِّيَاضَةِ بَيْنَهُمَا مَا يَالِي :

أ) لَا خَتَمَ اللَّهُ تَعَالَى سُورَةَ الْبَيِّنَةِ بِجَزَاءِ الصَّالِحِ وَالظَّالِمِ فِي دَارِ الْبَقاءِ عَلَى مَا أَسْلَفَهُ فِي مَوَاطِنِ الْفَنَاءِ ، ذَكْرِيَّةُ هَذِهِ السُّورَةِ أَوْلَى مُبَادَيِّ تِلْكَ الدَّارِ وَآخِرِ غَایَاتِهَا .

ب) لَا ذَكْرٌ سِيعَانِهِ فِي السُّورَةِ السَّابِقَةِ جَزَاءِ الْفَرِيقَيْنِ يَقُولُهُ : «جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَاحُهُمْ أَهْرَى مِنْ أَهْرَانِ الْأَهْرَانِ»^(٣١) ، كَانَ ذَلِكَ كَالْمُحْرَكُ لِلْسُّؤَالِ عَنْ وَقْتِهِ وَعِلَامَاتِهِ ، هَبِّيَّنَهُ جَلْ شَانِهِ فِي هَذِهِ السُّورَةِ ، فَكَانَ الْمُكَافَلُ قَالَ : وَمَتَى يَكُونُ ذَلِكَ يَا رَبِّ؟ فَقَالَ تَعَالَى : «إِنَّ زَلْزَلَتِ الْأَرْضُ زَلَّافًا» ، أَيْ يَكُونُ يَوْمُ الْقِيَامَةِ .

ج) لما ذكر سبحانه في السورة المتقدمة وعيد الكافر ووعد المؤمن ، أراد أن يزيد في وعد الكافر فقال : أجازيه حين يقول الكافر السابق ذكره : ما للأرض تزلزل ^٥ ، ثم جمع بينهما في آخر السورة ، هذكر النذرة من الخير والشر ^(٣) .

٧- موضوعها وأهم ما اشتغلت عليه :

ترتكز سورة (الزلزلة) حول موضوع الرجوع إلى الله تعالى ، والإخبار عن أحوال يوم القيمة وشدائدها ، وأشارت البعث وما يعترى الناس عند حدوثه من هز ، وذكر جزاء الطاعة وعقوبة المعصية ، وذكر وزن الأعمال في ميزان العدل ... واصفاته إلى ما ذكره المفسرون نرى أن موضوع السورة الرئيس هو بيان قدرته سبحانه على البعث ، والدليل قوله تعالى «إِنَّ رَبَّكَ أَوْسَى لَهَا» أي أمرها ، فسبحانه إذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون ، واضح من السياق أن ما بعد هذه الآية بيان لآيات البعث وهو محاسبة الخلق .

فالسورة الكريمة هزة عنيفة للقلوب الفاسدة . هزة يشترك فيها الموضوع والمشهد والإيقاع النفسي ، وصيحة قوية من زلزلة للأرض ومن عليها ، مما يكادون يفيقون حتى يواجههم الحساب والوزن والجزاء .

وقد اشتغلت السورة الكريمة على مقصدين :

أ) بيان حدوث الزلزلة والاضطراب الشديد للأرض يوم القيمة ، هيئار كل ما عليها ، ويخرج الناس المؤمن من بطنهما من قبورهم ، وتشهد حينئذ على كل إنسان بما عمل على ظهرها «إِنَّ زَلْزَلَتِ الْأَرْضُ يَرَانَاهَا ① وَأَغْرَمَتِ الْأَرْضُ أَقْلَانَهَا ② وَقَالَ الْإِنْسَنُ مَا لَمَّا ③ يَوْمَئِذٍ لَحِثُّ أَخْبَارَهَا ④ إِنَّ رَبَّكَ أَوْسَى لَهَا» (الآيات ١-٥)

ب) الحديث عن رجوع الناس إلى الله تعالى ، وذهاب الخلاق لوقف العرض والحساب ثم مجازاتهم على أعمالهم ، وقسمتهم إلى طريقين : سعيد إلى الجنة ، وشقي إلى النار (يُؤْمِنُ بِصَدْرِ الْأَشْأَشِ أَشْهَادًا ⑤ إِنَّ رَبَّهُمْ ⑥ أَعْنَتْهُمْ ⑦ فَمَنْ يَقْسِمَ بِيَقْسِمَ كَلَّ دَرَّةً حَبَّرَ يَرْمَةً ⑧ وَمَنْ يَقْسِمَ بِيَقْسِمَ كَلَّ دَرَّةً شَرَّ يَرْمَةً ⑨) (الآيات ٦-٨)

والفرض من السورة الكريمة الترغيب في الخير والتحذير من الشر ، وهذا يناسب ما ختم به السورة السابقة من أن الكافرين هم شر البرية ، والمؤمنين هم خير البرية ، فجاءت هذه السورة بعدها للترغيب في طريق المؤمنين من الخير ، والتحذير من طريق الكافرين من الشر ^(٤) .

٨- المعنى الإجمالي للسورة الكريمة :

تصف آيات السورة الكريمة بعض مشاهد يوم القيمة ، حينما تضطرب الأرض الثابتة اضطراباً شديداً ، وترتجف ارتجافاً ، وتتنفس ما في جوفها نفضاً ، وتخرج ما ينتلاها من أجسام

مدفونة، ومعادن مطحورة ، وكثوز مكتونة .

ويبيهت الإنسان لهذا المشهد الذي لم يألفه ، والذي يُقْعِدُ^(١٢) حسه وبنفسه ، فيسأل : ما لها ؟ ما لها تزلزل وتضطرب ، وتخرج ما فيها من دقائق وأجساد ؟ وهذا يبيه^(١٣) الإنسان مشهد لعله أشد من مشهد الزلزلة والانفجار ، فهذه هي الأرض **(جُحُوتُ أَخْبَارَهَا)** وتصف حالها وما جرى لها ، لقد كان ما كان لها **(إِذَا رَأَكَ أَوْحَى لَهَا)** وأمرها أن تمور موراً ، وأن تزلزل زلزالها ، وأن تخرج ألقابها ؛ فأطاعت أمر ربها **(وَلَاتَرِبَّهَا وَحَقَّتْ)**^(١٤) .

وفي لحة نرى مشهد الشيام من القبور **(يَوْمَئِلُ يَصْدُرُ أَكَاسُ أَنْشَاءَهَا)** وينبعثون أفراداً ، يبعثهم الهول الهائل ، ويفرقهم الشغل الشاغل . إنهم صدروا **(إِنَّهَا أَعْمَلُهُمْ)** لا ليروها طوعاً ، بل ليحملوا على الروية حملأً .

ثم تبدأ عملية الوزن في الميزان الدقيق ، الذي قيمته الذرة إن خيراً وإن شراً **(فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۖ ۚ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ۖ ۖ)** فالذرة من ثقل من خير أو شر تحضر ويراهما صاحبها ويجد جزاءها^(١٥) .

المبحث الثالث : مشاهد يوم القيمة في سورة الزلزلة

المطلب الأول : زلزلة الأرض واضطرابها ، وتعجب الإنسان من حالها

قال تعالى : **(إِذَا زَلَّتِ الْأَرْضُ زَلَّ أَنْفُسُهُمْ ۖ ۖ وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَقْنَانَهُمْ ۖ ۖ زَلَّ الْأَنْكَنُ مَالِهِمْ ۖ ۖ)**^(١٦)

يقول ابن عاشور : (افتتاح الكلام بظرف الزمان مع إطالة الجمل المضاف إليها تشويق إلى متعلق الظرف ، إذ المقصود ليس توقيف صدور الناس أشتاتاً ليروا أعمالهم ، بل الإخبار عن وقوع ذلك وهو البعد ثم الجزء ، وهي ذلك تزلزل وقوع البعث منزلة الشيء المحقق المفروغ منه ، بحيث لا يهم الناس إلا معرفة وقته وأشرافه)^(١٧) .

والبيان فيه « إذا » لها أثرها في هذا الموقف ، وهذه ظاهرة أسلوبية تسيطر على الحديث عن اليوم الآخر الذي يأتي بفتحة ، إمعاناً في الترهيب . فالسر البياني في افتتاح الكلام به « إذا » ، ومناط القوة في التعبير هو : بفتحة المفاجأة ، وتأكيد الحدث ، وصرف الذهن إليه^(١٨) .

وأسلوب الشرط (إذا) جاء هاتحة لسبعين سور ، هي : **(المنافقون ، الواقعمة ، التكوير ، الانقطاع ، الانشقاق ، الزلزلة ، النصر)** « وهذه السور السبع يمكن أن نصلح على تسميتها : المجموعة الشرطية - أو القسم الشرطي من سور القرآن الكريم ، وأثر القرآن افتتاح هذه السور (ومن بينها سورة الزلزلة) بأسلوب الشرط - والله أعلم ، لأن الأسلوب الشرطي يمتاز بربطه بين أجزاء الكلام ربطاً ملائحاً فيه ترتيب المسبب على السبب ... فإذا ذكرت أدلة الشرط وأردتها بفعل الشرط تشوقت النفس إلى ذكر ما سيكون ... فإذا ذكر الجواب بعد هذه الإثارة وهذا

التشويق تمكن أياً تمكن^(١).

والزلزلة : الحركة الشديدة بسرعة . يقول ابن منظور : (الزلزلة والرثائل : تحريرك الشيء، وزلزل الله الأرض زلزاً فتزلزلت . ومعنى قوله عز وجل (إذا زللت الأرض زللتا) ^(٢) إذا حرقت حركة شديدة) ^(٣) .

ومادة (زلزال) وردت في القرآن الكريم ست مرات في أربع آيات من أربع سور كريمة ، وذلك على صيغتين ، صيغة الفعل ، وصيغة المصدر ^(٤) . وبالنظر في هذه الآيات التي ورد فيها مادة (زلزال) نجد أنها تأتي في سياقين ^(٥) .

السياق الأول : وصف يوم القيمة ، وذلك في موضعين :

الأول : قوله تعالى في مطلع سورة الحج **(إِنَّا لَهَا أَنَّاسٌ لَفَوَّ رَبِّكُمْ إِنَّكَ زَلَّةُ الْكَاعِنَةِ فَنِّيْنُ هُنَّ طَيِّبُوْنَ يَرْوُنَهَا نَذَلْلُ مَكْلُ مُرْضِعُكُمْ عَنَّا لَرَكَعَتْ وَقَسَعَ مَكْلُ فَانِ حَسَلَ حَلَّهَا وَرَقَى أَنَّاسٌ شَكَرَيْنَ وَمَا هُمْ يُشَكَرُونَ وَلَكُنْ عَذَابَ أَلْهُوكِيدَ)** ^(٦) .

الثاني : قوله تعالى هنا في سورة الزلزلة **(إِذَا زَلَّتِ الْأَرْضُ زَلَّتْ أَنْهَارُهَا وَأَرْجَتِ الْأَرْضُ أَنْهَارُهَا وَقَالَ الْإِنْسَنُ مَا لِمَا يَرَهُنَتْ أَنْهَارُهَا إِنَّ رَبَّكَ أَوْسَى لَهَا)** ^(٧) .

والمراد بالزلزلة هنا المعنى الحقيقي ، وهو التحريك الشديد والإزعاج العنيف بطريق التكرير بحيث يزيل الأشياء من مقارها ويخرجها عن مراكزها ^(٨) .

يقول الشيخ السعدي : (يخبر تعالى عما يكون يوم القيمة ، وأن الأرض تزلزل وتترجف وتترجع حتى يسقط ما عليها من بناء وعلم ، فتدك جبالها ، وتتسوی تلالها ، وتكون قاعاً صفصفاً لا عوج فيه ولا أمانتا) ^(٩) .

ويقول الأستاذ / سيد قطب في مشاهد القيمة في القرآن : (والهول هنا مادي في مشاهد الطبيعة ، وحسني في داخل الحس الإنساني . فالأرض تزلزل زلزلتها ، والأرض تخرج أثقالها من جثث مدفونة ، ومعادن مطمرورة ، وكنوؤں مكنونة . وبيهت الإنسان لهذا المشهد الذي لم يأنقه ، والذي يفهم حسه ونقشه ، فيسأل : ما لها؟ ما لها؟ ما لها تزلزل وتضطرب ، وتخرج ما فيها من دفائن وأجساد ؟) ^(١٠) .

السياق الثاني : وصف حال الشدة القاسية والذعر البالغ والهلع الشديد من هول الحرب واستبطاء النصر ، وقد جاء ذلك في موضعين :

الأول : في سياق الحديث عن غزوة الأحزاب .

والثاني : في قوله تعالى : **(أَمْ حَيْثُمْ أَنْ تَكُونُوا الْجَحَّةُ وَلَمَّا يَأْتُكُمْ مَئُلُّ الْأَوْيَنِ خَلَا وَمِنْ قَبْلِكُمْ نَسْبِمُ الْأَسْكَدَهُ وَالْمُشَرَّدَهُ وَزَلَّتِ الْوَاحِدَهُ يَقُولُ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مُهَمَّهُ مَنْ تَصْرِهُ الْأَفْوَهُ الْأَلَاءُ إِنَّ نَصْرَهُ أَلَّهُ فَرِيقُهُ)** ^(١١) .

وعن السر في إسناد الزلزلة هنا إلى الأرض ، وإسنادها في آية سورة الحج إلى الساعة نقول : لما كانت الساعة من حيث الظاهر كالسبب في حصول تلك الزلزلة أسندا لفظ الزلزلة إليها ، فالعلاقة على هذا الاعتبار السببية ، وإن الفاعل (المحرك) في الحقيقة ، وعلى كل اعتبار هو الله تعالى ، وهو متعين ، وليس القصد في أمثل تلك المواقف إسناد الأفعال إلى قاعدها على الحقيقة ، وإنما الحال تعني صرف الأذهان وصب الوعي كله في الحديث ذاته وزمان وقوعه ، وهذه طريقة القرآن المطردة في عرض مشاهد القيمة ومقدامتها ^(١٠) .

يقول صاحب الظلال رحمة الله : (والإنسان قد شهد الزلزال والبراكين من قبل ، وكان يصاب منها بالهلع والذعر ، والهلاك والدمار ، ولكنه حين يرى زلزال يوم القيمة لا يجد أن هناك شيئاً بينه وبين ما كان يقع من الزلزال والبراكين في الحياة الدنيا . وهذا أمر جديد لا عهد بالإنسان به . أمر لا يعرف له سراً ، ولا يذكر له ظهيراً . أمر هائل يقع للمرة الأولى) ^(١١)

وهي وقت هذه الزلزلة قوله :

أحددهما : أنها تكون في الدنيا ، وهي من أشراف الساعة .

الثاني : أنها زلزلة يوم القيمة ^(١٢) . ويعين القول الثاني قوله : (**وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَنْقَافَهَا**) ^(١٣) ، فإن الإخراج إنما هو في النفحـة الثانية . وكذا شهادتها بما وقع عليها إنما هو بعد النفحـة الثانية ، وكذلك انتصار الناس من المؤمنين يكون بعد الثانية فتأمل ^(١٤) .

ورجح الإمام ابن حجر العسقلاني القول الثاني عند تفسيره لمطلع سورة الحج : (**إِذَا يَأْتِيهَا الْأَنْفَاسُ أَغْوِيَّكُمْ إِنَّكُمْ إِذَا زَلَّةُ الْأَسْعَافِ شَفَتُمْ عَظِيمًا**) ^(١٥) ، واحتج لذلك بالصحاح من الأخبار عن رسول الله ﷺ ، ورسول الله ﷺ أعلم بمعناي وحي الله وتزيله ، فالصواب من القول في ذلك ما صرّبه الخبر عنه ^(١٦) .

ومن هذه الأحاديث ما أخرجه الإمام الترمذى بسنده عن عمران بن حسین أن النبي ﷺ قال لما نزلت (**إِذَا يَأْتِيهَا الْأَنْفَاسُ أَغْوِيَّكُمْ إِنَّكُمْ إِذَا زَلَّةُ الْأَسْعَافِ شَفَتُمْ عَظِيمًا**) إلى قوله (**وَلَكِنَّ حَذَابَكَ لَئُو شَوِيدٌ**) قال : انزلت عليه الآية وهو في سفر فقال : (أتدرون أي يوم ذلك) ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال : (ذلك يوم يقول الله لأدم ابعث بعث النار الحديث) ^(١٧) .

وأختلف العلماء في المراد من هذه الآية الكريمة :

فقال قوم : المراد أن الله تعالى يحرك الأرض حركة شديدة ، كما قال تعالى (**إِذَا زَلَّتِ الْأَرْضُ رَجَّ**) ^(١٨) . وقال آخرون : المراد أن الأرض نفسها تتحرك وتضطرب ، والدليل عليه : أنه تعالى يخبر عنها (الأرض) في جميع السورة كما يخبر عن المختار القادر ، ولأن هذا أدخل في التهويل ، كأنه تعالى يقول : إن الجماد ليضطرب لأوائل القيمة ، أما آن ذلك أن تضطرب وتتقطّط

من غفلتك ، ونظير ذلك قوله تعالى : **﴿لَوْلَأَرْتُكَهُنَّا لِلْقَرْبَانَ عَلَى جَنَاحِ لَرِبِّنَا خَشِّيًّا﴾**^(١٤) .

وقوله تعالى : **﴿وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضَ أَنْقَالَهَا﴾**^(١٥) .

هذه الآية الكريمة ترتبط بما قبلها ارتباطاً وثيقاً ، يقول البقاعي : (ولما كان الانهيار العظيم يكشف عن الخفي في المضطرب قال) **﴿وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضَ أَنْقَالَهَا﴾**^(١٦) .

(الأنقال) جمع ثقل ، والثقل في اللغة : مَتَاعُ الساكن وحشمة ، وكل شيء نقيس محسون^(١٧) .

وكلمة «الأنقال» وردت في القرآن الكريم خمس مرات في ثلاث آيات^(١٨) ، مرة في آية من سورة النحل ، وثلاث مرات في آية من سورة العنكبوت ، ومرة في الآية التي نحن بصددها من سورة الزلزلة ، وهي في سياق الحديث عن أشراف الساعة ومشاهد يوم القيمة .

وللمفسرين أقوال في المراد من هذه الأنقال التي تخرجها الأرض :

القول الأول : الأنقال : الموتى الذين في بطن الأرض ، والمعنى : وأخرجت الأرض ما في بطنها من الموتى أحياء ، وبهذا قال ابن عباس رضي الله عنهما^(١٩) .

القول الثاني : الأنقال : كنوز الأرض وموتها^(٢٠) . أخرج الإمام مسلم بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : (نَقِيَّ الْأَرْضَ أَفْلَادُ كِبِيرِهَا) ^(٢١) أمثال الأسطوان من الذهب والفضة ، فيجيء القاتل فيقول : يا هذا قتلت ، ويجيء القاطع فيقول : يا هذا قطعت رحبي ، ويجيء السارق فيقول : يا هذا قطعت يدي ، ثم يدعونه فلا يأخذون منه شيئاً^(٢٢) .

القول الثالث : الأنقال : الموتى والكنوز معاً ، وبهذا قال الإمام التفسري ، واليعقوبي^(٢٣) ، والمعنى : وأخرجت الأرض ما في جوفها من الأموات والدفائن^(٢٤) ، وقال الإمام الواحدى في معنى الآية : (لفظت ما فيها من كنوزها وموتها)^(٢٥) .

وهذا القول هو ما نميل إليه وترجحه ، لكونه يجمع بين القولين السابقين ، فالقول بالعموم أولى ، ومما يعن القول بعموم إخراج الأرض جميع ما في بطنها قوله تعالى : **﴿وَلَا الْأَرْضُ مُنْتَهٍ﴾** **﴿وَلَقَتْ مَا فِيهَا وَغَطَتْ﴾**^(٢٦) ، ذ (ما) اسم موصول بمعنى الذي ، والتعبير به يقيد العموم ، أي : رمت ما في جوفها من الموتى والكنوز^(٢٧) .

ومن العلماء من فسر الأنقال هنا بالأسرار التي استودعتها ، فيرمي ذلك تكشف الأسرار ، ولذلك قال تعالى (يَوْمَئذٍ تُحْكَىُ أَخْبَارُهَا) **﴿هُنَّ شَهِيدُكَ أَوْ عَلَيْكَ﴾** . قال أبو عبيدة : إذا كان التقليل في بطن الأرض فهو ثقل لها ، وإذا كان هوقتها فهو ثقل عليها^(٢٨) .

والظاهر أن إخراج الأرض أنقالها سبب عن الزلزال ، كما ينخفض البساط ليخرج ما فيه من الفبار ونحوه ، ومن هنا كان الظاهر أن يعبر بالفاء فيقال : إذا زلزلت الأرض زلزلها فأخرجت الأرض أنقالها ، لكنه ذكر الواو دون الفاء ، والسر في ذلك كما قال الألوسي : (وإنما اختيرت

الواو على الفاء تقوياً لذهب السامع كما قيل ، ولعل الظاهر أنه لم ترد المسببة والمسببة ، بل ذكر كل مما ذكر منحوتات من غير تعرض لسبب شيء منها على الآخر)^(٤١) . والله أعلم بأسرار كتابه .

قوله تعالى : « وَقَالَ إِلَيْنَاكُنْ مَا لَمْ »)^(٤٢) .

لما ذكر سبحانه في الآيتين السابقتين بعض أشرطة الساعة ومشاهد يوم القيمة ، أتبع ذلك بتصوير حال الإنسان حيال المشهد المعروض ، ورسم انفعالاته وهو يشهده فقال)« وَقَالَ إِلَيْنَاكُنْ مَا لَمْ »)^(٤٣) . والذى يتدارس سياق ورود لفظ (الإنسان) في القرآن الكريم في خصمه وستين موضعًا يطمئن إلى الدلالة المميزة للإنسانية)^(٤٤) . فلا إنسان بالرغم مما يتمتع به من خصائص إنسانية ، فهو يلاهول وفزع من أشرطة الساعة ومشاهد يوم القيمة .

وللمفسرين في المراد بالإنسان في الآية قوله :

الأول : المراد به الكافر خاصة ، فهو الذي يقول : ما للأرض قد زلت وأخرجت أثقالها ، وعزى ابن عطية هذا القول إلى جمهور المفسرين فقال : (قال جمهور المفسرين : الإنسان هنا يراد به الكافر .. لأنه يرى ما لم يظن به قط ولا صدقه))^(٤٥) .

الثاني : المراد به جنس الإنسان ، وهذا يعم المؤمن والكافر)^(٤٦) ، ومن رجحه من المفسرين : أبو حيان ، وأبو السعود ، والآلوسي .

قال الآلوسي : (والأظهر : هو أن المراد بالإنسان كل هردي من أفراده ، لما يبهرهم من الطامة التامة ، ويدهمهم من الدهمية العامة ، على أن المؤمن يقول ذلك بطريق الاستعظام ، والكافر بطريق التعجب))^(٤٧) .

ولسنا نرى وجهاً لتخصيص الإنسان هنا بالكافر ، فاللغة لا تُعنى على هذا التخصيص ، والاستعمال القرآني للفظ الإنسان لا يبيده ، ثم هو تخصيص لا يقوى به المعنى ، فلأن تكون رحة الزلزلة وهول الموقف مما يبرر الإنسان على الإطلاق ، كافراً كان أو مؤمناً ، أقوى من أن يقتصر الدهش والتعجب على الكافر وحده .

ويؤنس إلى هذا الإطلاق والتعميم قوله تعالى في وصف الزلزلة في آية الحج)يَأَيُّهَا أَيُّهَا النَّاسُ أَتَقْرَبُوا
رَبِّكُمْ إِلَيْكُمْ زَلْزَلَةُ الْكَاعَنَ شَتْتٌ ؟ مَوْلِيٌّ)^(٤٨) يَقُولُ تَرَوْنَاهَا تَدْهُلُ كُلَّ مَرْبِعٍ كُلَّ مَرْبِعٍ وَتَصْبَحُ
كُلُّ فَانٍ حَتَّىٰ حَلَّهَا وَقَرَىٰ النَّاسُ شَكَرٌ وَمَا هُمْ بِشَكَرٍ وَلَكُنَ عَذَابُ أَنُوْشَكِيدٌ)^(٤٩) ، تذهل
كل مرضعة ، وتضع كل ذات حملها ، وتري الناس ، عامة الناس لا الكفار وحدهم)^(٥٠) .

ومعنى قوله :)مَا لَمْ) أي : ما لها زلزلت وأخرجت أثقالها ، وهي كلمة تعجب ، أي لأي شيء زلزلت ؟ والاستفهام في قوله :)مَا لَمْ) ليس على حقيقته ، وإنما المراد به التعجب لما يرى من الدهول)^(٥١) .

وإنما قال الإنسان **(نَمَّا)** على غير المواجهة : لأنه يعاتب بهذا الكلام نفسه ، كأنه يقول : يا نفس ما للأرض تفعل ذلك ؟ يعني : يا نفس أنت السبب فيه ، فإنه لو لا معااصيك لما صارت الأرض كذلك^(١٢).

ومن السمات البينانية العامة في الآيات بل في السورة الكريمة ، وهي ظاهرة مطردة في أحداث اليوم الآخر ، أن القرآن الكريم يصرف الحديث عمداً عن محدثه ، هنا يسنده إليه ، وإنما يأتي به مبنيناً للمجهول ، أو مستنداً إلى غير هائله على طريق المطاوعة أو المجاز .

وجاء هنا صرف الحديث عن محدثه ، وبناء الفعل للمجهول في موضعين : في قوله تعالى **(إِنَّ زُلْزَلَ الْأَرْضَ لِرَبِّكَ)** بقوله **(لَمْرَا أَعْكَلْهُمْ)** وأما الاستثناء عن الفاعل بإسناد الحديث إلى غير هائله على المطاوعة أو المجاز ، فقد جاء هنا في قوله **(وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضَ أَنْقَاثَهَا)** بقوله **(يَوْمَئِلُ تُحَدِّثُ أَخْيَارَهَا** **①** **يَأَنْ رَبَّكَ أَوْعَنَ لَهَا)** .

والسر البيناني في ذلك هو أن البناء للمجهول فيه تركيز للاهتمام بالحدث . بصرف النظر عن محدثه ، وفي الإسناد المجازي أو المطاوعة تقرير لوقوع الأحداث في طباعة تلقائية ، إذ الكون كله مهيأ للقيمة على وجه التسخير ، والأحداث تقع تلقائياً لا تحتاج إلى أمر أو هائل .

ومن السمات البينانية الأخرى في السورة الكريمة : ظاهرة التكرار . والتكرار في اللغة : الإعادة ، وفي الاصطلاح : إعادة اللفظ أو مراده للتقرير معنى ، خصية تناسى الأول لطول المهد به ، فإن أعيد للتقرير المعنى السابق لم يكن منه^(١٣) ، والتكرار مأذوف في مواقف الإطناب والإطالة ، لكنه حين يأتي في مواقف الإيجاز الحاسمة يكون لافتاً ومثيراً ، ففي سورة (الزلزلة) على إيجازها وقصر آياتها تجد التكرار في ثمانية مواضع^(١٤) .

فالتكرار ظاهرة أسلوبية في القرآن الكريم يعمد إليها مع الإيجاز والقصر ترسيناً وتقريراً واقعياً ، والأفواه المختارة لوقف القيمة باللغة الإلزامية قوية الواقع ، إما بعنفها كالزلزلة ، وإما بدققتها كمثال الذرة^(١٥) .

وبعد هذا البيان لأيات المشهد الأول من مشاهد يوم القيمة في هذه السورة الكريمة نختتم بما قاله الأستاذ / سيد قطب رحمة الله عليه في المطالع « حيث قال : (إنه يوم القيمة حيث ترتجف الأرض الثابتة ارتجافاً ، وتزلزل زلزاً ، وتفضض ما في جوفها تفضضاً ، وتخرج ما يتكللها من أجساد ومعادن وغيرها مما حملته طويلاً . وكأنها تتحفف من هذه الأنفال ، التي حملتها طويلاً) .

وهو مشهد يهز تحت أقدام المستمعين لهذه السورة كل شيء ثابت ، ويخيل إليهم أنهم يتربخون ويتأرجحون ، والأرض من تحتهم تهتز وتتمور . مشهد يخلع القلوب من كل ما تتشبث به من هذه الأرض ، وتحسسه ثابتاً ياقتـاً ، وهو الإيحاء الأول مثل هذه المشاهد التي يصورها القرآن .

ويزيد هذا الأثر وضوحاً بتصوير (الإنسان) حيال المشهد المعروض ، ورسم انفعالاته وهو يشهد «**وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا هُنَّ**» .. وهو سؤال المشدوه المبهوت المقجوء ، الذي يرى ما لم يعهد ، ويواجه ما لا يدرك ، ويشهد ما لا يملك الصبر أمامه والسكوت . **مَا هُنَّ** وكأنه يتمايل على ظهرها ويترنح معها ، ويحاول أن يمسك بأي شيء يسنده ويثبته ، وكل ما حوله يمور موراً شديداً ^(١٤) .

المطلب الثاني : تحدث الأرض بأخبارها (ياذن ربها)

قال تعالى «**يَوْمَئِذٍ تُحَرَّكُ أَخْبَارُهَا** **إِنَّ رَبَّكَ أَعْلَمُ لَهَا** ^(١٥) » .

ما طال الكلام وأريد التهويل ، أبدل من إذا « قوله **يَوْمَئِذٍ** » معرفاً للإنسان ما سأله عنه ، أي إذا كان ما ذكر من الزلزال وما لزم عنه ^(١٦) .

والفعل (حدث) يأتي في اللقة بعدة معان منها : تكلم وأخبر ، وروى حديث رسول الله ﷺ ، وأنشأ النعمة وشكر عليها ^(١٧) .

وتحدث الأرض بأخبارها مما وقفت المفسرون عنده ملوكاً : فالإمام الطبرى يذهب إلى أن تحدث الأرض هنا تمثيل ، أي أن حالها وما يقع فيها من الانقلاب غير المعهود ، يعلم العائل يفهمه الخير ^(١٨) .

وتتابعه في ذلك جماعة منهم الزمخشري ، إذ يقول في الكشاف : (والتحدث مجاز عن إحداث الله تعالى فيها من الأحوال ما يقوم مقام التحدث باللسان) ^(١٩) .

ونذهب آخرون إلى أن التحدث حقيقة لا مجاز ، وأن الله تعالى يجعل الأرض حيواناً عاقلاً ناطقاً ويعبر عنها جميع ما عمل أهلها ، ضجئلاً تشكر الطائع وتشهد له ، وتشكو العاصي وتشهد عليه ،

قال الإمام ابن عطية : (إخبار الأرض هو شهادتها بما عمل عليها من عمل صالح وفاسد ، كما قال ابن مسعود والثوري وغيرهما ، فالتتحدث - على هذا - حقيقة وكلام يادرك وحياة يخلقها الله تعالى) ^(٢٠) .

ويبدو أن هذا هو ما أطمأن إليه أبو حيان بقوله في البحر المحيط : (الظاهر أنه تحدث وكلام حقيقة ، بأن يخلق فيها حياة وإدراكاً ، فتشهد بما عمل عليها من صالح أو فاسد ، وهو قول ابن مسعود والثوري وغيرهما) ^(٢١) .

ويشهد له ما جاء في الترمذى عن أبي هريرة رضى الله عنه عنه قال : (قرأ رسول الله ﷺ هذه الآية **يَوْمَئِذٍ تُحَرَّكُ أَخْبَارُهَا**) قال : أتدركون ما أخبارها ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال : فإن أخبارها أن تشهد على كل عبد أو أمة بما عمل على ظهرها ، تقول : عمل يوم كذا كذا وهذا فيه أخبارها) ^(٢٢) .

ومن ابن مسعود : تحدث الأرض بقيام الساعة إذا قال الإنسان : ما لها ؟ فتخبر أن أمر الدنيا قد انقضى ، وأن أمر الآخرة قد أتى ، فيكون ذلك جواباً لهم عن سؤالهم .

والبيان القرآني المعجز لا ينطق الجمام فحسب ، بل يجرد منه شخصية حية ، هائلة ناطقة ، مربدة مدركة ، وهذا القول : بأن الله يخلق في الأرض الحياة ، والعقل ، والنطق حتى تخبر بما أمرها به ، هو قول الجمهور ومذهب أهل السنة ^(١٦٧) .

وحول هذا المشهد يقول الأستاذ / سيد قطب رحمة الله : (يوم تحدث هذه الأرض أخبارها ، وتصف حالها وما جرى لها .. لقد كان ما كان لها) **«يَأَنْ رَبُّكَ أَوْحَى لَهَا»** .. وأمرها أن تمور موراً ، وأن تزلزل زلزاً لها ، وأن تخرج أثقالها .

فأطاعت أمر ربها **«وَأَتَتْ لِهَا وَحْتَ»** ^(١٦٨) .. تحدث أخبارها . فهذا الحال حديث واضح عما وراءه من أمر الله ووحيه إليها . وهنا يبيه الإنسان مشهد لعله أشد من مشهد الزلزلة والانفجار ، وقد انتقلب هذه الأرض شخصية حية ، تسأل هتجيب ، وتبدي الطامة للخالق المدب ^(١٦٩) .

ومما سبق يتبين لنا أن تحديد الأرض بأخبارها ، لا استبعاد فيه ولا وجه لتاویله ، بناء على أنها شاعرة عارفة بربها . وهذا هو الأرجح ، ويشهد لرجحانه جمهورة قائلية ، وظاهر النص وأطلاقه ، ثم عموم قدرة الله تعالى على كل شيء .

والفعل **«تُحَوِّلُ»** يتعدى إلى مفعولين ، المفعول الأول ممحظ و هو الخلق ، والمفعول الثاني قوله **«أَخْبَارَهَا»** ، وحذف المفعول الأول لأن المقصود ذكر تحديدها الأخبار لا ذكر الخلق بناء على أن السورة نازلة لبيان هول يوم القيمة ^(١٧٠) .

وعن السر في معجم **«أَخْبَارَهَا»** جمعاً يقول ابن عاشور : (جمع **«أَخْبَارَهَا»** باعتبار تعدد دلالتها على عدد القائلين **«مَا لَهَا»** ، وإنما هو خير واحد وهو المبين بقوله **«يَأَنْ رَبُّكَ أَوْحَى لَهَا»** ^(١٧١) . وذهب الألوسي إلى أن معجم **«أَخْبَارَهَا»** جمعاً للمبالغة ^(١٧٢) . قوله تعالى : **«يَأَنْ رَبُّكَ أَوْحَى لَهَا»** ^(١٧٣) .

يقول البقاعي في مناسبة الآية لما قيلها : (ولما كان من المقرر أن لا يكون شيء إلا ياذنه تعالى ، وكان قد بني الأفعال لما لم يسم هائلة ، وكان الجاهل ربما خفي عليه هائل ذلك قال : **«يَأَنْ رَبُّكَ أَوْحَى لَهَا»**) ^(١٧٤) .

والرَّبُّ يطلق في اللغة : على المالك ، والسيد ، والمدبر ، والمربى ، والقيم ، والنعم ، ولا يطلق غير مضارف إلا على الله عز وجل ، وإذا أطلق على غيره أضيف ، فيقال : رب كذا ^(١٧٥) . وهو يه الأصل مصدر بمعنى التربية ، والتربية إنشاء الشيء حالاً فحالاً إلى حد التمام ، يقال : رب يربه ربها ، ورباه يربيه تربية ، ثم نقلت كلمة (رب) من المصدرية إلى اسم الفاعل بمعنى (راب) ^(١٧٦) .

وذهب الزمخشرى إلى أن **(أوحى لها)** بمعنى : أوحى إليها^(١١٧) ، وقال الطبرسى في مجمع البيان : **(أوحى لها)** أي الهمها وعرفها بأن تحدث أخبارها^(١١٨) ، وقيل : الوحي هو الأمر الإلهي الخاص ... هذه آقوال متقاربة ومقبولة ، لكنها لا تكفى لتبيّن أثر اللفظ في المعنى ، والراغب الأصفهانى كان أقرب إلى حس العربية ، وهدى القرآن حين قال الوحي : الإشارة السريعة مع الخفاء ، فإن كان الوحي إليه حياً فهو إلهام ، وإن كان جماداً فهو تسخير^(١١٩) . والتراد بالوحي في الآية هذا المعنى اللقوى ، وليس معنى الأمر ، لأن الأمر يقتضى توجيه الحديث ، وبعوزه ما للوحي من دلالة السرعة والخفاء ، وإنما الوحي يكفى منه إيداع القوة فيها ، مما هو أنساب لجو التسخير والمطلاوعة المسيطر على الموقف^(١٢٠) . وهذا سر من أسرار التعبير بـ **(أوحى)** هنا دون غيرها من الألفاظ القرآنية الدلالة منها .

ويضيف الأستاذ عبد الكريم الخطيب سراً آخر فيقول : (الإيماء إلى أن الأرض بمجرد الإشارة إليها من الله ، خضعت لمشيئته تعالى ، ظلم تكون في خضوعها لربها محتاجة لأن يردد عليها القول ، أو يؤكد لها الأمر .. بل هو مجرد اللام والإشارة ، وهذا هو شأن الخاضع المطاع ، الذي لا إرادة له مع من يأمره ..

إنه لا يحتاج إلى أمر صريح مؤكد ، بل تلقى الإشارة عن العبارة . فالوحي هنا هو التلميح دون التصريح ، والإشارة دون العبارة ، وهذا من معنى قوله تعالى : **(وَإِذَا) الأُرْضُ مُتَّكِّثٌ (٢) وَأَنْتَ مَا فِيهَا وَمُخْلَقٌ (٣) وَأَنْتَ رَبُّهَا وَحْدَتْ (٤)**^(١٢١) ، أي : حق ووجب عليها الامتثال والطاعة^(١٢٢) .

والقرآن الكريم قد استعمل الفعل **(أوحى)** إحدى وسبعين مرة : في مرتبة منها لم يصرح بالوحي إليه ، وفي سبع وستين مرة ، تعدد الفعل بـ **(إلى)** ، ومرة واحدة تعدد بـ **(في)** في آية من سورة هصلت **(وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَلَكٍ أُمْرًا)**^(١٢٣) ، ومرة واحدة تعدد بـ **(اللام)** هنا في سورة الزلزلة **(بِأَنَّ رَبِّكَ أَوْحَىٰ لَهَا)**^(١٢٤) .

وبتدير صنيع القرآن الكريم فيما استقرأتنا من مواضع استعماله للفعل ، نرى أن الوحي به يتعدى إليه الفعل بنفسه ، أما الوحي إليه فيتعدى الفعل إليه بحرف الجر **(إلى)** ، إذا كان من الأحياء . أما الجماد فلا يتعدى الوحي إليه بعرف **(إلى)** ، بل بحرف **(في)** كما في قوله تعالى : **(وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَلَكٍ أُمْرًا)** ، أو بحرف **(اللام)** كما في قوله تعالى هنا **(أَوْحَىٰ لَهَا)**^(١٢٥) . وقد قال ابن هشام في المفتى : إن **(اللام)** تقوم مقام **(إلى)**^(١٢٦) ، واستشهد بأية سورة الزلزلة .

والقول بأن الوحي إليه ممحوظ ، أي أوحى إلى ملائكته أن تتعلّق في الأرض تلك الأفعال ، فهو مما يأبه السياق ، لأن معناه أن الموقف يحتاج إلى وساطة لإيصال الإيحاء إلى الأرض ، والسياق يقتضي عكس ذلك .

فإليها هنا للأرض مباشرةً ليلام إسناد التحدث إلى الأرض ، وسر قوته في هذه التقافية المباشرة على وجه التسخير . ومن هنا كان اختيار التعدي باللام ، لما في (اللام) من اختصاص ، والصاق ، وصيغة وصيغة ، وقوية الإيصال ^(١٧٣) . وقد ذكر المفسرون أسراراً أخرى في تعبية الفعل (أَتَنْ) باللام ^(١٧٤) .

المطلب الثالث : حضور الناس إلى موقف الحشر والحساب لرؤية الأعمال

قال تعالى «**يَوْمَئِذٍ يَصُدُّ الْأَنْشَاءَ أَنْشَاءً لَيَرُوا أَعْمَلَهُمْ**» ^(١٧٥) .

هذه الآية الكريمة ترتبط بما قبلها ارتباطاً وثيقاً، وذلك أنه تعالى لما أخبر بإخراج الأنفال التي منها الأموات، اشتد التشوق إلى هيئة ذلك الإخراج وما يتاثر عنه، فقال: «**يَوْمَئِذٍ يَصُدُّ الْأَنْشَاءَ أَنْشَاءً لَيَرُوا أَعْمَلَهُمْ**» ^(١٧٦) . والكلام مسوق لإثبات الحشر والتذكير به والتحذير من أهواله، فإنه عند حصوله يعلم الناس أن الزلزال كان إنذاراً بهذا الحشر ^(١٧٧) .

وقوله (يَوْمَئِذٍ) كرار زيادة في التهويل ، وليرد الساعي إلى ما سبق من آيات ، ويستعيد ما استقر في خاطره من نذر ، وإنه يصل به القرآن مشاهد الموقف السابقة ^(١٧٨) .

وأكثر المفسرين على أن (يَصُدُّ الْأَنْشَاءَ) هنا بمعنى: يخرجون من القبور، ومنهم من يقول بأن معناها: ينصرعون من موقف الحساب ^(١٧٩) .

وأصل مادة (صدَّر) في اللغة: خلاف الورَد ، يُقال: صَدَّر عن الماء ، مصدر عن البلاد، إذا كان وَرَدَها ثم شخص عنها . ثم توسيع في دلالة مادة (صدَّر) هاملت على كل انصراف ورجوع عن مقصد ^(١٨٠) .

والقرآن الكريم قد استعمل اللفظ نفسه بتصريح مقابلته لورد الماء في قصة موسى عليه السلام وابنها شعيب في سورة القصص ، قال تعالى: «**وَلَمَّا وَرَدَ مَاءً مَرِيًّا وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً فِي الْكَبَّانِ يَسْقُطُونَ وَوَجَدَهُمْ أَكْرَافَنِي تَذَوَّلُونَ لَيْلًا مَا خَطَبَكُمْ فَأَنَّا لَا نَسِيَ حَقَّ يُصْدُرُ أَرْكَانَهُ وَلَوْكَا شَيْخٌ حَكِيرٌ**» ^(١٨١) ، ونستأنس بهذه الآية الكريمة في فهم آية الزلزلة على أن الصدر مقابل الورد .

ومن هنا - والكلام لاصحاحية التفسير البباني: لا أجد ما يفسر به الصدر في آية الزلزلة ، إلا نقىض الورَد ، لأن في ربطهما سُر الدلالة الموجبة بأن الحياة الدنيا ليست بدار مقام ، وإنما هي رحلة نجتازها ، ولا بد من تأمين طريق العودة والصدر .

ولا يمكن أن يقنى عن (يَصُدُّ) في هذا الموقف أي لفظ آخر أو يقوم مقامه ، إذ تتمثل لهم به الدنيا مورداً يجب أن يؤمنوا الصدر عنه ولا نظمثن إلى شيء في تفسير الصدر إلا أنه مقابل الورد ، يكون عن ماء كما في آية القصص ، وعن الحياة الدنيا كما في آية الزلزلة ، ولم يستعمل القرآن الصدر إلا في هاتين الآيتين ^(١٨٢) .

﴿أَشْتَأْنَا﴾ الشين والتاء أصل يدل على تفرق وتزييل ، تقول : شُتُّ شعيبهم شتاناً وشتاً ، أي تفرق جمعهم . وقال الراغب (الشت) فريق الشعب ، يقال : شُتُّ جمعهم شتاً وشتاناً ، وجاءوا شتاناً ، أي متفرقون النظام . قال تعالى : ﴿يُوَسِّعُ بَصَلَرَ أَكَائِشَ أَشْتَأْنَا﴾^(١٣٧) . ومني قوله ﴿أَشْتَأْنَا﴾ متفرقين ، من التفرق المقابل للتجمع ، ويدل على ذلك مقابلة لفظ ﴿أَشْتَأْنَا﴾ للفظ (جيمياً) في قوله تعالى ﴿لَكُمْ تَكْسِيمٌ جُمَعٌ أَن تَلْكُلُوا كِبِيرًا أَشْتَأْنَا﴾^(١٣٨) . وبالتفرق هسر الإمام الراغب أشتاناً في آية الزلزلة التي مننا ، وهو ما يعطيه اللفظ من حيث دلالته في أصل اللغة ، وتؤيده آية النور ، كما يؤيده أن القرآن استعمل في وصف الموقف نفسه ، بالبعثة والانتشار والبث :

﴿أَفَلَا يَسْمَعُ إِذَا يُتْبَرِّأُ مَا فِي الْقُبُورِ﴾^(١٣٩) .

﴿خَسْنَا أَنْصَرْهُمْ بِمَرْجِعِهِنَّ كَمَّهُمْ جَرَادٌ شَتَّيْر﴾^(١٤٠) .

﴿يَوْمَ يَكُونُ الْكَائِشُ حَكَّالْفَرَاثِ الْبَشُوشِ﴾^(١٤١) .

ولكن كثيراً من المفسرين ذكروا في تأويل أشتات أقوالاً بعيدة^(١٤٢) ، لا يعنينا الحسن اللغوي للمادة ، والاستعمال القرآني لأشتات ، وما يؤنس إلهه وصفه للخروج في الموقف نفسه بالبعثة ، كان الناس جراد منتشر أو فراش مبشوّث .

... وما ذكره المفسرون من تأويلات في المراد بـ ﴿أَشْتَأْنَا﴾ هنا لا تعود على المعنى بشيء ذي بال ، وإنما تقوى الإثارة والجحرة والترهيب والردع ، حين يكون من التشتت بمعنى التفرق والبعثة والانتشار ، بما تقتضيه طبيعة الموقف من اضطراب ، ولما يكون مع التشتت من فقدان الأنس بالجماعة والتماس نوع من الأمان ، ولو على سبيل الوهم في الصحبة والتجمع .

يقول صاحب الظلال رحمة الله في هذا المشهد : (وهي لحة ترى مشهد القيام من القبور شيئاً منبعاً من أرجاء الأرض)^(١٤٣) ... وهو مشهد لا عهد للإنسان به كذلك من قبل مشهد الخلاق في أجيالها جميعاً تبعث من هنا ومن هناك ﴿يَوْمَ تَسْقُطُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ يَرَاكُمْ﴾^(١٤٤) وحيثما امتد البصر رأى شيئاً يتبعث ثم يطلق مسرعاً لا يلوى على شيء ، ولا ينظر وراءه ولا حواليه ﴿مُهَطِّبِيَّةً إِلَى الْأَنْجَعِ﴾^(١٤٥) ، ممدودة رقباهم ، شاخصة أبصارهم (لأنّ آمري ربهم يوسيط شائعاً) إنه مشهد لا يعبر عن صفتة لفة البشر ، هائل مروع ، مفرغ ، مرعب ، مذهل ... كل أولئك وسائل ما في المجمع من أمثالها لا تبلغ من وصف هذا المشهد شيئاً مما يبلغه إرسال الخيال قليلاً ، يمتلاه بقدر ما يملك وهي حدود ما يطيق^(١٤٦) .

وقوله ﴿إِنَّهُمْ أَعْمَلُهُمْ﴾ تعليل لهذا الصدور ، أي : وذلك ليروا أعمالهم التي عملوها في الدنيا ، والرؤيا هنا بصرية تتعذر إلى مفعول واحد ، والمعنى ليبصرروا أعمالهم^(١٤٧) .

يقول الأستاذ / سيد قطب في «الظلال» في قوله: **(إِنَّمَا أَعْنَلُهُمْ)** (... وهذه أشد وأدهى إنهم ذاهبون إلى حيث تعرض عليهم أعمالهم ، ليواجهوها ويواجهوا جزاءها . ومواجهة الإنسان لعمله قد تكون أحياناً أقسى من كل جراء ، وإن من عمله ما يهرب من مواجهته بمهنه وبين نفسه ، ويشيخ بوجهه عنه ليشاشة حين يتمثل له في نوبة من ذوبات الندم ولذع الضمير ، هكيف به وهو يواجه بعمله على روؤس الأشهاد، في حضرة الجليل العظيم العجبار المتكبر .^{١٩}

إنها عقوبة هائلة رهيبة ... مجرد أن يروا أعمالهم ، وأن يواجهوا بما كان منهم ، ووراء رؤيتها الحساب الدقيق الذي لا يدع ذرة من خير أو من شر لا يزنها ولا يجازي عليها) ^(٢٠) .

ويقول في «مشاهد القيمة في القرآن» عن سر بناء الفعل **(إِنَّمَا)** للمفعول: **(يَوْمَئِذٍ يَصَدُّرُ أَكْلُشَ أَشْنَانَ إِنَّمَا أَعْنَلُهُمْ)** وينبعون أفراداً ، يغترهم الهول الهائل ، ويفرقهم الشغل الشاغل . إنهم صدرموا **(إِنَّمَا أَعْنَلُهُمْ)** لا يرونها طوعاً، بل ليحملوا على الروية حملًا ^(٢١) .

ويبيّن ابن عاشور سراً آخر هيقول: (وبُيُّ فعل **(إِنَّمَا)** إلى النائب ، لأن المقصود: رؤيتهم أعمالهم لا تعيين من يريهم إياها) ^(٢٢) .

المطلب الرابع : المجازاة على الأعمال ، خيرها وشرها ، قليلها وكثيرها
هال تعالى (فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْكَلَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ④ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْكَلَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ⑤) ^(٢٣)
 يقول ابن عاشور في مناسبة هاتين الآيتين لما قبلهما : (هذا تفريع على قوله **(إِنَّمَا أَعْنَلُهُمْ)** تفريع الفذكة ، انتقالاً للترغيب والترهيب بعد الفراغ من إثبات البعد والجزاء ، والتفرع قاص بأن هذا يكون عقب ما يصدر الناس أشتاناً) ^(٢٤) .

سبب نزول الآيتين : روى الواحدى في أسباب النزول عن مقاتل قال: نزلت في رجليْنْ كان أحدهما يأبه السائل فيسقط أن يعطيه الثمرة والكسرة والجوزة ، ويقول: ما هذا يشيء ، وإنما تُؤجر على ما تُعطي وتُعْنَى سُبْحَةُ ، وكان الآخر يتهاون بالذنب اليسير الكذبة والغيبة والنظرية ويقول: ليس على من هذا شيء ، إنما أوعذ الله بالثار على الكبائر ، فأنزل الله - عز وجل - يُرْغِبُهُمْ في القليل من الخير فإنه يُوشِّكُ أن يذكر ، ويعذرُهُم اليسير من الذنب فإنه يُوشِّكُ أن يذكر: **(فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْكَلَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ، إِنَّمَا أَخْرِهَا)** ^(٢٥) .

«يَصَدُّرُ» خص لفظ العمل: لأن العمل كل فعل يكون من الحيوان بقصد ، فهو أخص من الفعل ، لأن الفعل قد ينبع إلى الحيوانات التي يقع منها فعل بغير قصد ، وقد ينبع إلى الجمادات ، والعمل كلما ينبع إلى ذلك ، والعمل يستعمل في الأعمالي الصالحة والمسيئة ، والمتناهى ما يوزن به وهو من التقليل ^(٢٦) .

وجاء في اللسان: (متناهى الشيء: ما آذن وزنه هنْكَلْ فَلَهُ، ومعنى متناهى ذرة: وزن ذرة) ^(٢٧)

﴿ذَرْهُ﴾ الذرة : واحدة ذر ، وهيها قولان :
أحدهما : أنها النملة الصغيرة .

والثاني : أنها واحدة الهباء التي ترى في أشعة الشمس ، وكلاهما مروي عن ابن عباس رضي الله عنهما^(١٤٦) . وقيل : الذرة لا زنة لها ، وهذا مثل ضربه الله تعالى أنه لا ينفل من عمل ابن آدم صفيرة ولا كبيرة ، وقيل : الخردلة ، وقيل غير هذا .

وهي في الجملة عبارة عن أقل الأشياء وأصغرها . وفي صحيح مسلم عن أنس بن مالك ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مُؤْمِنًا حَسَنَةً ، يُعْطِي بِهَا فِي الدُّنْيَا وَيُجَزِّي بِهَا فِي الْآخِرَةِ ، وَإِنَّ الْكَافِرَ فَيَظْلِمُ بِحَسَنَاتِ مَا عَمِلَ بِهَا اللَّهُ فِي الدُّنْيَا ، حَسْنَ إِذَا أَفْحَى إِلَى الْآخِرَةِ ، لَمْ تَكُنْ لَهُ حَسَنَةٌ يُجَزِّي بِهَا)^(١٤٧) .

قال صاحب الظلال : (كان المفسرون القدامي يقولون : إن الذرة البعوضة ، وكانوا يقولون : إنها الهباء التي ترى في ضوء الشمس .. فقد كان ذلك أصغر ما يتصورون من لفظ الذرة ... فتحن الأن نعلم أن الذرة شيء محدد يحمل هذا الاسم وأنه أصغر بكثير من تلك الهباء التي ترى في ضوء الشمس ، فالهباء ترى بالعين المجردة .

أما الذرة هلا ترى أبداً حتى بأعظم المجاهر في المعامل ، إنما هي «رقابية ضمير العلماء ، لم يسبق لها أحد منهم أن رأها بعينه ولا بمجهره ، وكل ما رأه هو آثارها ! هنهذه أو ما يشبهها من ثقل ، من خير أو شر ، تحضر ويراهما صاحبها ويجد جزاءها ! .. عندئذ لا يحقر الإنسان شيئاً من عمله ، خيراً كان أو شراً . ولا يقول : هذه صفيرة لا حساب لها ولا وزن)^(١٤٨) .

وعلى هذا فالمراد بقوله (مِنْكَالَ ذَرَةً) كل ما يمثل الصالحة والصفر وخفة الوزن ، وهو ما يلائم مادياً وبياناً . جو الموقف ونسق السياق ، من الزلزلة والانفجار والتقطيع والتثبيت .

ولفظ (مثقال) ورد في القرآن ثمان مرات ، أضيف في اثنين منها إلى حبة من خردل ، وفي المرات المتل الأخرى أضيف إلى ذرة ، ولعل ذكر الذرة هنا على سبيل المثال لعرفتهم لصغرها ، لأن الله تعالى عمم العمل في قوله (يَوْمَ يَنْظُرُ الْأَرْضَ مَا قَدَّمَتِ يَدَاهُ)^(١٤٩) .

وقال السمين الحلبي : (إنما خطوب العياد بذلك - بذكر الذرة - لأنها أقل ما ينمارفونه من الأشياء القليلة ، والا هالله لا يظلم مثقاله ، ولا أقل من ذلك)^(١٥٠) .

ولفظ (ذر) ورد في القرآن الكريم مرتين^(١٥١) ، وذلك في سياقات متعددة منها : سياق الحديث عن مجازاة الله تعالى للإنسان على عمله ، مهما كان قليلاً ضئيلاً من خير أو شر . قال تعالى : (فَتَنَ يَعْسُلَ مِنْكَالَ ذَرَةً خَيْرًا يَرَهُ) ﴿٧﴾ وَمَنْ يَعْسُلَ مِنْكَالَ ذَرَقَ شَرَّاً يَرَهُ)^(١٥٢) .

ومن الإعجاز العلمي للقرآن الكريم : أنه أخبر بأن هناك ما هو أصغر من الذرة ، قال تعالى

في سورة يومن : « وَمَا يَرْبِطُ عَنْ رِيحَةٍ وَمِنْ يَنْفَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا يَسْكُنُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتْبٍ مُّبِينٍ »^(١٣٠).

وقال تعالى في سورة سباء : « عَلَيْهِ الْعَذَابُ لَا يَعْرُثُ عَنْهُ مِنْ قَالٍ ذَرَّةً فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَسْكُنْرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتْبٍ مُّبِينٍ »^(١٣١).

والعلم الحديث قد أثبت اليوم ما أخبر به القرآن الكريم منذ أكثر من ألف وأربعين سنة ، وهي هذا دليل على إعجاز القرآن ، وصدق من جاء به ، وما زالت عطاءاته وحقائقه لا تنتهي ، « قُلْ لَوْ كَانَ الْجَنْرُ مِنَ الْأَكْنَافِ فَلَمْ يَنْقُذْكُمْ رَبُّكُمْ جَنَاحِيْلُو ، مَدَّهُ »^(١٣٢).

ونبه تعالى بقوله « يَنْفَالَ ذَرَّةً » على أن ما فوق الذرة يراه قليلاً كان أو كثيراً ، وهذا يسمى مفهوم الخطاب ، وهو أن يكون المذكور والمسكوت عنه في الحكم واحداً ، بل يكون المسكون عنه بالأولى في ذلك الحكم .

يقول الشيخ السعدي في هذه الآية : (وهذا شامل وعام للخير والشر كله ، لأنه إذا رأى مثقال الذرة التي هي أحرق الأشياء « وجوزي عليها » فما فوق ذلك من باب أولى وأخرى ، وهذه الآية فيها غاية الترغيب في فعل الخير ولو قليلاً ، والترهيب من فعل الشر ولو حظيراً)^(١٣٣).

أخرج الإمام الطبرى من طريقى عن ابن طلحة عن أبي عباس في قوله : « فَمَنْ يَعْمَلْ يَنْفَالَ ذَرَّةً خَيْرًا يَرَهُ » قال : ليس مؤمن ولا كافر عمل خيراً ولا شراً في الدنيا ، إلا أن الله إياه ، فأما المؤمن فخيره حسناته وسعياته ، هيفقر الله له سعياته ، وأما الكافر فخير حسناته ، وبعده سعياته)^(١٣٤).

الأية الجامعة الفادحة :

هذه الآية معدودة من جوامع الكلم ، وجعل النبي ﷺ الآيتين لترابطهما بمثابة الآية الواحدة ووصفها بالجامعة الفادحة . أخرج الإمام البخاري بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه : سئل النبي ﷺ عن الحمر فقال : لَمْ يَنْزَلْ عَلَىٰ هُنْهَا شَيْءٌ إِلَّا هَذِهِ الْأَيْةُ الْجَامِعَةُ الْفَادِحَةُ (فَمَنْ يَعْمَلْ يَنْفَالَ ذَرَّةً خَيْرًا يَرَهُ) وَمَنْ يَعْمَلْ يَنْفَالَ ذَرَّةً شَرًّا يَرَهُ)^(١٣٥).

فالنبي ﷺ سماها (جامعة) لشمولها لجميع الأنواع من طاعة ومعصية ، فمعنى (الجامعة) العامة المتداولة لكل خير وشر ، وسمتها (فادحة) لأنفرادها في معناها ، فمعنى (الفادحة) المنفردة في معناها ، القليلة النظير .

قال ابن مسعود : أحكم آية في القرآن (فَمَنْ يَعْمَلْ يَنْفَالَ يَنْفَالَ ذَرَّةً خَيْرًا يَرَهُ) وَمَنْ يَعْمَلْ يَنْفَالَ ذَرَّةً شَرًّا يَرَهُ) . وقال كعب الأحبار : لقد أنزل الله على محمد ﷺ آيتين أحسنا ما في التوراة والإنجيل والزبور والصحف (فَمَنْ يَعْمَلْ يَنْفَالَ ذَرَّةً خَيْرًا يَرَهُ)^(١٣٦).

وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْكَانَ ذَرْزَهُ يَرْهُ

والصحابة الكرام رضوان الله عليهم كانوا بعد نزول هاتين الآيتين يتصدقون بما قيل وكثير، وجاء ذلك عن عديد منهم رضوان الله عليهم ، كعائشة وعمر بن الخطاب وغيرهما^(١٩١). وكان غرض الصحابة رضوان الله عليهم تعلم الناس أنه لا يأس بالتصدق بالقليل ، ولهم في ذلك أسوة برسول الله ﷺ . عن الحسن أنَّ سائلًا أتى النبي ﷺ فأعطيته تمرة ، فقال الرجل : سبحان الله ، نبِيٌّ من الأنبياء يتصدق بتمرة ، فقال له النبي ﷺ : (أَوْ مَا عَلِمْتَ أَنَّ فِيهَا مِثَاقِيلَ ذَرْكَيْرَ) ^(١٩٢).

و عمل الخبر قدم في قوله **«وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْكَانَ ذَرْزَهُ يَرْهُ**» لأنَّه أشرف القسمين ، والمقصود بالأصلية ، وللتقويم بأهل الخير .

وأعده قوله **«وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْكَانَ ذَرْزَهُ**» دون الاكتفاء بحرف العطف ، لتكون كلُّ جملة مستقلة الدلالة على المراد ، لتختص كل جملة بفرضها من الترغيب أو الترهيب . فأهمية ذلك تقتضي التصرير والإطباب ^(١٩٣).

الخاتمة :

الحمد لله الذي بنعمته تم الصالحات ، والصلوة والسلام على من جاء بالهدى والبيانات ، محمد بن عبد الله ، وعلى آل الله وصحبه ومن والاه ، وبعد ...
فهي خاتمة هذا البحث نستخلص العديد من النتائج ، ونستنتج الكثير من الدروس والفوائد ، نذكر منها ما يلي :

- ١- مشاهد يوم القيمة تتبع وتتوزع في معظم سور القرآن ، وإن كانت كثيرتها بالسور المكية ، وقد تحتوي السورة الواحدة على أكثر من مشهد ، وهذه المشاهد - بالرغم من تعددها - لم ينشئ عنها تكرار ، بل هي لون من الإعجاز .
- ٢- سورة (الزلزلة) وإن كانت مدنية على ما رجحناه - إلا أنها أشبه شيء في نظامها وضي مشاهدها بالسور المكية ، وهي تتحقق بمشاهد القيمة في سور التكوير ، والانفجار ، والانشقاق ، وغيرها من سور القرآن المكية .
- ٣- بيان بعض مشاهد يوم القيمة وأحداثه ، حيث قررت السورة الكريمة عقيدة البعث والجزاء ، والنشر والحساب ، ثم المآل إلى الجنة أو النار .
- ٤- تقرير ظاهرة الانقلاب الكوني ، الذي تتبدل فيه الأرض غير الأرض ، والسموات غير السموات . فتحتمل زلزلة الأرض لتلتفت الكواكب والهالئن ، وتخرج الأموات من قبورهم أحياهم للحساب .
- ٥- إبراز أسلوب القرآن الكريم في عرض أحداث اليوم الآخر؛ في صرف الحديث عمداً عن

محمدته ، هلا يستند إليه ، وإنما يأتي به مبنية للمجهول ، أو مستنداً إلى غير قائله على المطابعة أو المجاز . كقوله تعالى «إِنَّا زَرَيْنَا الْأَرْضَ زِرَانِا» ، وقوله «لَسْرُوا أَعْنَاهُمْ» ، وقوله «وَأَخْرَجْنَا الْأَرْضَ أَنْقَافَهَا» ، وقوله «بَوْمَرْ تَحْوَثُ أَحْيَاهَا» .

- ٦- الأنفاس المختارة لوقف القيمة : باللغة الإثارة ، قوية الواقع ، إما بعنفها كالزلزلة ، وإما بدقتها كمثال النرة .

- ٧- ذكر بعض الآيات الدالة على قدرة الله تعالى وعلمه وحكمته مثل تكلم الجمادات ، وهي من موجبات ألوهيته وحده دون سواه .

- ٨- كل من يعمل في الدنيا عملاً خيراً أو شراً ، صغيراً أو كبيراً ، قليلاً أو كثيراً ، يجد جزاءه يوم القيمة إن خيراً فخير ، وإن شراً هشر .

- ٩- مصداقية المجازاة على الأفعال ، وبيان عدالة قانون السماء في وفاء كل ذي حق حقه ، حيث حددت السورة الكريمة النرة كمقاييس للمحاسبة في المجازاة على الأفعال يوم القيمة ، وهذا منتهى العدل الإلهي ، وصدق الله تعالى إذ يقول : «وَيَعْلَمُونَ مَا عَمَلُوا كَانُوا
وَلَا يُظْلَمُونَ إِنَّكَ أَنْعَشْتَ»^(١٣) .

والله تعالى أعلى وأعلم ،

الهوامش

- (١) سورة الداريات الآية : ٥٦ .
- (٢) سورة الأنبياء الآية : ٤٧ .
- (٣) سورة المتحدة من الآية : ٤ .
- (٤) لسان العرب لابن منظور جـ ٣ ص ٢٢٨ وما بعدها ، ومعجم مقاييس اللغة لابن هارس جـ ٣ ص ٢٢١ ، ونتاج الفروع للزبيدي جـ ١ ص ٢٦٠ باختصار .
- (٥) معجم اللغة العربية المعاصر ٢ جـ ٢ ص ١٢٤٢ ، واتجاهات إعراب القرآن جـ ١ ص ٢٩٣ باختصار .
- (٦) راجع : المفردات في غريب القرآن جـ ١ ص ٤١٥ ، وبصائر ذوى التعبير للقبروزكابادى جـ ٣ ص ٣٥٠ ، والموسوعة القرآنية جـ ٣ ص ٣٠٢ .
- (٧) سورة مريم من الآية : ٣٧ .
- (٨) تفسير الكريم الرحمن في تفسير كلام الفنان للشيخ عبد الرحمن السعدي جـ ١ ص ٤٢٩ .
- (٩) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن للشيخ الشنقيطي جـ ٢ ص ١٢٠ .
- (١٠) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي جـ ١ ص ١٨٤ .
- (١١) سورة الزلزلة : الآيات ٧ ، ٨ .
- (١٢) راجع : مشاهد القيامة في القرآن للأستاذ / سيد قطب من ٤٢ . باختصار وتصريف ، ط / دار الشروق .
- (١٣) راجع : التصوير الفني في القرآن للأستاذ / سيد قطب من ٣٧ ، ٣٨ ، ٥٨ ، ط / دار الشرقي ، ومشاهد القيامة في القرآن من ٨ ، ٩ . باختصار وتصريف .
- (١٤) راجع : مشاهد القيامة في القرآن من ١٢ وما بعدها ، والتصوير الفني في القرآن من ٦٧ وما بعدها . باختصار وتصريف .
- (١٥) راجع : مشاهد القيامة في القرآن من ١٠ . باختصار .
- (١٦) راجع : سنن الترمذى / كتاب فضائل القرآن ، باب ما جاء في سورة (إذا زلزلت) جـ ٥ ص ١٦٥ ح رقم ٢٨٩٢ وقول أبو عيسى : هذا حديث غريب لا تعرفه إلا من حدث هذا الشيخ الحسن بن سالم ، وشعب الإيمان للبيهقي جـ ٤ ص ١٢٩ ح رقم ٢٢٨٦ ، ط / مكتبة الرشد - الرياض ، والوسيل في تفسير القرآن المجيد للواحدى جـ ٤ من ٥١ ، ط / دار الكتب العلمية - بيروت . والحديث ضيف لضعف الحسن بن سالم .
- (١٧) صحيح البخاري / كتاب التفسير ، سورة (إذا زلزلت) جـ ١ ص ١٧٥ ، ط / دار طوق التجاة .
- (١٨) جمال القراء وكمال الإقراء للمصلحوى جـ ١ ص ٢١٦ ، ط / دار الأمون للتراث .
- (١٩) التحرير والتوكير للطاهر ابن عاشور جـ ٣ ص ٤٨٩ ، ط / الدار التونسية ، وراجع : الإنفاق في علوم القرآن للسيوطى جـ ١ ص ١٨٧ ، ط / الهيئة المصرية العامة للكتاب .
- (٢٠) سورة الزلزلة الآية : ٧ .

- (٢١) روح المعلاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثانى للألوسي ج ١٥ ص ١٣٣ ، ط / دار الكتب العلمية ، والإنصان للسيوطى ج ١ ص ٥٤ ، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم ج ١ ص ٢٤٥٦ ، ط / مكتبة نزار مصطفى الباز ، وتفسير ابن كثير ج ٨ ص ٤٦٢ ، وذكرة السيوطى في الدر المنثور ج ٤ ص ٥٩٤ وعزاء لابن أبي حاتم
- (٢٢) راجع: مساعد النظر للإشراف على مقاصد السور البقاعي ج ٢ ص ٢٢٢ ، ط / مكتبة المعارف - الرياض ، وزاد المسير في علم التفسير لابن الجوزى ج ١ ص ٤٧٧ ، ط / دار الكتاب العربي ، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ج ٢٠ ص ١٥٦ ، ط / دار الكتب المصرية.
- (٢٣) التفسير المثير في العقيدة والشريعة والمنهج ، د / وفية الزحيلى ج ٣ ص ٢٥٥ ، ط / دار الفكر المعاصر .
- (٢٤) التفسير البيانى للقرآن الكريم ، د / عائشة محمد (المروفة بـ الشاطئ) ج ١ ص ٧٩ ، ط / دار المارف .
وراجع: تفسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المتن ، للشيخ الصعدي ج ١ ص ٩٣٢ ، ط / مؤسسة الرسالة .
- (٢٥) راجع: الموسوعة القرآنية ، خصائص السور لجعفر شرف الدين ج ١٢ ص ٧٧ ، ط / دار التقربى بين المناصب الإسلامية - بيروت .
- (٢٦) العدد الكوبلا : هو الذي رواه حمزة بن حبيب الزيات رحمة الله ، يستدله إلى أبي عبد الرحمن المسلمين ، وأبو عبد الرحمن يستدله إلى علي بن أبي طالب (عليه السلام) ، والعدد المدحى الأول : هو الذي رواه نافع بن أبي نعيم رحمة الله ، عن أبي جعفر يزيد بن النعيم ، وشيبة بن نصاج (راجع: جمال القراء ج ١ ص ٢٧٤)
- (٢٧) راجع: جمال القراء ج ١ ص ٢١٦ ، والبيان في عذر آي القرآن اللداتي ج ١ ص ٢٨٣ / مركز التخطيطات والتراجم بالكويت ، وبصائر ذوى التمييز للطيران آليادي ج ١ ص ٥٣٥ ط / المجلس الأعلى للشئون الإسلامية .
- (٢٨) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ج ٢٠ ص ١١٦ .
- (٢٩) أخرجه أبو داود في سننه / كتاب المسلاة ، باب تحزيب القرآن ج ٢ ص ٥٧ ح رقم ١٣٩٩ ، ط / المكتبة العصرية - بيروت ، وصححه العساکم في مستدركه ج ٢ ص ٥٩٠ رقم ٢٩٦٤ ، ط / دار الكتب العلمية ، وأبو عبد القاسم بن سلام في فضائل القرآن ج ١ ص ٣٧٢ ، ط / دار ابن كثير - بيروت .
- (٣٠) أخرجه الترمذى في سننه / كتاب فضائل القرآن ، باب ما جاء في (إذا زلزلت) ج ٥ ص ١٦٦ ح رقم ٢٨٨٢ ، ط / البيان الحلبى ، وقال: هذا حديث غير بُلّ ثُغْرِيَةٍ لِأَنَّ حَدِيثَ يَمَانَ بْنَ الْمُقْبِرَةِ ، وأَبْوَ عَبْدِ الْمُنْذِرِ بْنَ سَلَامَ فِي فَضَائِلِ الْقُرْآنِ ج ١ ص ٢٦٢ ، والحاكم في مستدركه ج ١ ص ٧٥٦ ، وطه إسناده: الحسن سالم العجل ، وهو مجهم . وورد من وجه آخر من حديث أنس أخرجه الترمذى ج ٦ ص ١٦٥ ، وطه إسناده: الحسن سالم العجل ، وهو مجهم . وورد من وجه آخر عن أنس وفيه: «إذا زلزلت ربِّ القرآن» وهذا اضطراب ، وحسنة الترمذى ، قال ابن حجر في الفتح: «حديث أنس ضعيف لضعف سلعة ، الرواوى عن أنس ، وإن حسنة الترمذى هاملة تشاهد فيه لكونه من فضائل الأعمال ، وصحح الحاكم حديث ابن عباس ، وعن سندته يمان بن المغيرة ، وهو ضعيف عندهم» (راجع: فتح البارى لابن حجر ج ٩ ص ٦٦) ، فالحديث ضعيف من كافة طرقه ، وبعضاها أشد ضعفاً من بعض ، والمعنى فيه ذكر «إذا زلزلت» ، أما بقية السور فقد ورد فيها أحاديث أخرى ، وبخاصة سورة الإخلاص ، فقد ورد في فضائلها أحاديث متقدّمة عليها . (راجع:

- هامش تفسير الإمام البغوي ، تحقيق عبد الرزاق مهدي ج ٤ من ٢٩١ ، ط/ دار إحياء التراث العربي)
- (٢١) باعتبار ما قضنه الحديث الذي رواه الترمذى عن علیؑ قال: قاتل رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا يؤمن عبد حتى يؤمن بآياتي»، يشهد أن لا إله إلا الله، وأتى رسول الله يعثى بالحق، ويزعم بالموت، وبالبعث بعد الموت، ويؤمن بالقدر» (راجع: سنن الترمذى / باب ما جاء في الإيمان بالقدر خيره وشره ج ٤ من ٤٠٧ ح رقم ٢١٥ ، ونظم الدرر ج ٢٢ ص ٢٠٩)
- (٢٢) مصادر النظر للإشراف على مقاصد السور ج ٢ من ٢٢٣ .
- (٢٣) أخرجه الواحدى في أسباب النزول ج ١ من ٤٦٢ ، ط/ دار الإصلاح - الدعائم ، وابن حجرير الطبرى في جامع البيان في تأويل آي القرآن ج ٢ ص ٥٥٣ ، ط/ مؤسسة وابيدهنى في الإيمان / باب معاجلة كل ذنب باتوبية ج ١ ص ٢١٢ ، ط/ مكتبة الرشد بالرياض .
- (٢٤) سورة القيمة من الآية : ٦ .
- (٢٥) سورة الملك من الآية : ٢٥ .
- (٢٦) سورة المسجدة من الآية : ٢٨ .
- (٢٧) التفسير التبشير ، د/ وهبة الزنجيلى ج ٢٠ ص ٢٩٥ .
- (٢٨) سورة البينة من الآية : ٨ .
- (٢٩) راجع: نظم الدرر في تناسب الآيات وال سور للبقاعى ج ٢٢ ص ٢٠٣ ، ط/ دار الكتاب الإسلامي ، ومفائق الغرب (التفسير الكبير) للإمام الرازى ج ٢٢ ص ٤٥٣ ، ط/ دار إحياء التراث العربى ، وأسرار ترتيب القرآن للسيوطى ج ١ ص ١١٥ ، ط/ دار الفضيلة .
- (٣٠) راجع: يـا طلـالـ القرآن لـلـأسـتاـذـ سـيدـ قـطبـ جـ ٦ـ صـ ٢٦٤ـ ١ـ ، طـ دـارـ الشـرـقـ ، والتـفسـيرـ التـبـشـيرـ جـ ٢ـ صـ ٢٥٥ـ ٢ـ ، والتـفسـيرـ الـوضـوعـيـ لـسـورـ القرآنـ الـكـرـيمـ ، إـعـدـادـ لـخـبـةـ مـنـ عـلـمـاءـ التـفسـيرـ وـعـلـومـ الـقرـآنـ ، إـشـرافـ ١ـ دـ ، مـصـطـفىـ مـسلمـ ، جـامـعـةـ الشـارـقةـ جـ ٦ـ صـ ٢٨٥ـ .
- (٣١) الوسـوعـةـ القرـآـنيةـ ، خـصـائـصـ السـورـ جـ ١٢ـ صـ ٩٧ـ .
- (٣٢) الـقـعـمـ وـالـأـقـمـ : المـمـتـلـىـ ، وـقـيـلـ : الـقـائـصـ اـمـتـلـاـ . رـاجـعـ: لـسـانـ العـرـبـ لـابـنـ منـظـورـ جـ ١٢ـ صـ ٤٥٥ـ .
- (٣٣) الـيـدـةـ : أـوـلـ كـلـ شـيـءـ وـماـ يـجـأـ مـنـهـ ، وـقـالـ الـأـزـهـرـيـ : الـيـدـهـ : أـنـ يـسـتـقـبـ الـإـسـلـانـ بـأـمـرـ مـفـاجـأـ ، رـاجـعـ لـمـانـ العـرـبـ جـ ١٢ـ صـ ٤٧٥ـ ، طـ دـارـ صـانـدـرـ .
- (٣٤) سـورـةـ الـاشـتـاقـ : الـآـيـاتـ ٢ـ وـ٤ـ .
- (٣٥) رـاجـعـ: يـا طـلـالـ القرآنـ لـلـأسـتاـذـ سـيدـ قـطبـ جـ ٦ـ صـ ٢٩٥ـ ١ـ ، طـ دـارـ الشـرـقـ ، وـمـشـاهـدـ الـقـيـامـةـ بـهـ الـقرـآنـ صـ ٢١٢ـ بـالـختـصارـ وـتـصـرفـ .
- (٣٦) سـورـةـ الـزلـزلـةـ : الـآـيـاتـ ٢ـ وـ٤ـ .
- (٣٧) التـحرـيرـ وـالـتـبـشـيرـ لـابـنـ هـاشـمـ وـشـرـمـ جـ ٣ـ صـ ٤٨ـ .

- (١٨) راجع: التفسير البهائى للقرآن الكريم ج١ من ٨٢، ٨٣ .
- (١٩) خصالص التعبير القرآني ج١ من ٢٠٨ ، باختصار .
- (٢٠) سورة الزلزلة الآية : ١ ، .
- (٢١) لسان العرب للعلامة لابن منظور ج١ من ٢٠٧ ، .
- (٢٢) راجع: المجمع المفهوس لأنفاس القرآن الكريم فؤاد عبد البالقى ص ٣٣٢ ، ط / دار الريان .
- (٢٣) راجع: التفسير البهائى للقرآن الكريم ج١ من ٨٢ بالصرف .
- (٢٤) سورة الحج الآيات : ١ ، ٢ ، .
- (٢٥) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم لأبي الصعوب ج١ من ٩١ ، ط / دار إحياء التراث العربي .
- (٢٦) تفسير الشيخ السعدي ج١ من ٩٢٦ .
- (٢٧) مشاهد القيمة في القرآن للأستاذ / سيد قطب ص ٢١٢ ، ٢٤٢ .
- (٢٨) سورة البقرة الآية : ٢١ ، وأية سورة الأحزاب قوله (﴿كَلَّمَ اللَّهُ كُلُّ شَيْءٍ وَلَيَأْتِيَ رَبُّكُمْ بِإِذْنِهِ﴾) .
- (٢٩) راجع: من أسرار النظم القرآنية دراسة يلقيها تحاليف سورة الحج ، د / محمد على أبو زيد من ١٨ ، ط / دار الأرقام للطباعة والنشر والتوزيع بائزهانيل .
- (٣٠) في ظلال القرآن للأستاذ / سيد قطب ج١ من ٣٩٥ .
- (٣١) زاد السير في علم التفسير لابن الجوزي ج١ من ١٧٧ .
- (٣٢) سورة الزلزلة الآية : ٢ ، .
- (٣٣) اللتوحات الإلهية يتوضّح تفسير الجنالين للساقية سليمان بن عمر الشهير بالجمل ج١ من ٤٧٢ ، ط / دار المثار .
- (٣٤) سورة الحج الآية : ١ ، .
- (٣٥) جامع البيان لابن جرير الطبرى ج١ من ٥٥٦ .
- (٣٦) سعد الترمذى / أبواب تفسير القرآن ، باب ومن سورة الحج ج١ من ٢٢٢ وما ينطلي رقم ١٦١ . وقال الترمذى : هذا حديث حسن صحيح ، قد روى من غير وجه عن عمران بن حبيب عن القمي .
- (٣٧) سورة الواقعة الآية : ٤ ، .
- (٣٨) سورة النصحر من الآية : ٢١ ، وراجع: تفسير الرازى ج٢ من ٢٥٤ .
- (٣٩) سورة الزلزلة الآية : ٢ ، .
- (٤٠) نظم الدور في تناسب الآيات وال سور البقاعى ج٢ من ٢٢ ص ٢٠٤ .
- (٤١) القاموس المحيط للفيروز آبادى ج١ من ٦٧٢ ، ط / مؤسسة الرسالة .
- (٤٢) المجمع المفهوس لأنفاس القرآن لفؤاد عبد البالقى ص ١٥٩ .
- (٤٣) راجع: تفسير الإمام الطبرى ج١ من ٥١٧ ، وتفسير ابن عطية ج٥ من ٥١ .

- (٧٤) تفسير ابن عطية ج ٥ ص ٥١ .
- (٧٥) قوله (نبيه) أي : تخرج وتنظر ، ومعنى (نبي الأرض أهلاد كيدها) تخرج الكثرة المذهبة فيها ، وهذا مثل قوله تعالى في تأريخ الأرض (أنت أنت لها) . قال ابن السكري : الفلاح لا يكون إلا للبشير ، وهو قلمة من كبد ، يقال : هلادة واحدة ، ثم يجمع هلا ، وأفلاد ، أو هي القطع المقطوعة ملولاً . وسمى ما في الأرض كبدآ تشبّهياً بالكبش الذي يهلك البشير ، وبهذا يختلف البشير ، وبهذا يختلف البشارة (راجع : شرح صحيح مسلم للقاضي عياض المسعري إكمال المعلم بموالك مسلم ج ٢ ص ٥٢٢ تحقيق أ. د / يحيى إسماعيل ، ط / دار الوفاء) .
- (٧٦) الأسطوان : يضم الهمزة والطاء ، وهو جمع أسطوانة ، وهي السارية أو الممود ، وتبه ما خرج من الأرض بالأسطوان - السواري والأعمدة - لفظمة وكثثرته (راجع : شرح الإمام التوروي على صحيح الإمام مسلم ج ٧ من ٩٨ ، ط / دار إحياء التراث العربي) .
- (٧٧) الحديث أخرجه مسلم في صحيحه / كتاب الزكاة ، باب الترغيب في الصدقة قبل أن لا يوجد من يطلبها ج ٢ ص ١٧٠ رقم ١٠١٢ ، ط / دار إحياء التراث العربي ، كما أخرجه الترمذى في سننه / كتاب الفتن ، باب ما جاء في أشراف المساعة ج ٤ ص ٤٩٣ ح رقم ٢٢٠٨ ، وقال أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح لا تمرره إلا من هذه الوجه .
- (٧٨) راجع : تفسير الفسقى ج ٢ ص ٦٦٩ ، ط / دار الكلم الطيب ، وتفسير البغوى ج ٥ ص ٢٩٢ .
- (٧٩) تفسير أبي السعدي ج ٩ ص ١٨٨ .
- (٨٠) الوسيط في تفسير القرآن التجويد الواحدى ج ١ ص ٦٤٢ .
- (٨١) سورة الانشقاق الآيات : ١ ، ٢ .
- (٨٢) تفسير أبي السعدي ج ٩ ص ١٢١ .
- (٨٣) راجع : تفسير الماوردي ج ٦ ص ٢١٦ ، ط / دار الكتب العلمية ، وتفسير الرازى ج ٢ ص ٢٥٥ .
- (٨٤) تفسير الألوسى ج ٥ ص ١٢٤ بتصريف .
- (٨٥) سورة الزلزلة : الآية ٢ .
- (٨٦) في ظلال القرآن للأستاذ / سيد قطب ج ٦ ص ٣٩٥ بتصريف .
- (٨٧) راجع في ذلك : التفسير البشائى للقرآن الكريم ج ٢ ص ٦١ وما بعدها بتصريف .
- (٨٨) تفسير ابن عطية ج ٥ ص ٥١ .
- (٨٩) زاد التفسير لابن الجوزى ج ٣ ص ٤٧٧ وما بعدها .
- (٩٠) تفسير الألوسى ج ١٥ ص ١٢٤ ، ٤٢٥ ، وراجع : تفسير أبي السعدي ج ٩ ص ١٨٨ ، والبحر المحيط لأبي حيان ج ١ ص ٥٢٢ .
- (٩١) سورة الحج الآيات : ١ ، ٢ .
- (٩٢) التفسير البشائى للقرآن الكريم ج ١ ص ٨٦ ، ٨٧ .

- (٩٢) راجع : الثواب في علوم الكتاب لابن عادل الحنفي ج ١ من ١١٦ ، مذ / دار الكتب العلمية ، والبحر المحيط لابن حبان ج ١٠ من ٥٢٢ .
- (٩٣) تفسير الرازى ج ٢٤ من ٧٦٥ .
- (٩٤) البرهان في علوم القرآن للزرکشى ج ٢ من ١٠ ، مذ / دار إحياء الكتب العربية - الباسط الحلبي .
- (٩٥) هي : زارواها ، الأرض فلا قوله (إِنَّ زَارَتِ الْأَرْضَ رَبَّكَمْ) وَلَغَيَّبَ الْأَرْضَ أَنْقَلَكُمْ) ويعنى فَلَا قَوْلَهُ (تَوَسَّرَ زَارَتِ الْأَنْثَاثَ) ، ومن ، ويعلم ، ومقابل ، وذرة ، وبهذا فَلَا قَوْلَهُ (وَمَنْ يَسْعَلْ بِمَنْكَانِ زَارَ شَرَّ بَرَدَ) .
- (٩٦) راجع : التفسير البهائى ج ١ من ٨٠ ، ٨١ يتصرف .
- (٩٧) راجع : طلال القرآن للأستاذ / سعيد فطب ج ١ من ٢٩٥٠ ، ٢٩٥١ .
- (٩٨) سورة الزلزلة : الآيات ٤ ، ٥ .
- (٩٩) نظم الدرر في تفاسير الآيات والسور للبقاءوى ج ٢٢ من ٢٠٥ يتصرف .
- (١٠٠) راجع : المجمع الوسيط ، مجمع اللغة ج ١ من ١٥٩ ، ١٦٠ ، مذ / دار الدعوة ،
- (١٠١) تفسير الإمام الطبرى ج ٢٧ من ٥٦٠ .
- (١٠٢) تفسير الزمخشري ج ٤ من ٧٨٤ .
- (١٠٣) تفسير الإمام ابن عطية ج ٥ من ٥١١ .
- (١٠٤) البحر المحيط لابن حبان ج ١٠ من ٥٢٢ .
- (١٠٥) سنن الإمام الترمذى / كتاب التفسير ، باب ومن سورة (إذا زارت) وفاطم أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح ثواب ج ٥ من ٤٤٦ ح رقم ٣٣٥٢ .
- (١٠٦) راجع : التفسير البهائى للقرآن ج ١ من ٨٤ ، ولباب التأويل في معانى التنزيل للخازن ج ١ من ١٤٩ ، مذ / دار الكتب العلمية ، وتفسير الرازى ج ٢٢ من ٢٠٥ ، وتفسير الماوردي ج ١ من ٣٢٠ .
- (١٠٧) سورة الانشقاق : الآية ٤ .
- (١٠٨) راجع : طلال القرآن ج ١ من ٣٩٥٠ ، ومشاهد القيمة في القرآن من ٢١٢ .
- (١٠٩) حاشية محظى الدين شيخ زاده على تفسير البيضاوى ج ١ من ٦٦٦ .
- (١١٠) تفسير الطاهر ابن عاشور ج ٢٠ من ١٩٢ .
- (١١١) راجع : تفسير الإمام الألوسى ج ٢٠ من ٤٣٥ .
- (١١٢) سورة الزلزلة : الآية ٥ .
- (١١٣) نظم الدرر للبقاءوى ج ٢٢ من ٢٠٦ ، وراجع : التفسير القرآني للقرآن للأستاذ / عبد الكريم الخطيب ج ١ من ١٦٥١ ، مذ / دار الفكر العربي .
- (١١٤) لسان العرب لابن منظور ج ١ من ٢٩٩ .
- (١١٥) المفردات في غريب القرآن للراغب من ٢٢٦ .

- (١١٧) تفسير الإمام الزمخشري ج١ ص ٧٨٤ .
- (١١٨) مجمع البيان للطبرسي ج٢ ص ٣٧٤ .
- (١١٩) المفردات في غريب القرآن للراغب عادة (وهي) ص ٨٥٦ .
- (١٢٠) راجع : التفسير البياني ج١ ص ٩٩ ، ٤٠ بتصريف .
- (١٢١) سورة الانشقاق الآيات : ٥ ، ٢ .
- (١٢٢) التفسير القرآني للقرآن للأستاذ عبد الكريم الخطيب ج٦ ص ١٦٥٢ ، ١٦٥١ .
- (١٢٣) سورة همسات من الآية : ١٢ .
- (١٢٤) سورة الزلزلة الآية : ٥ .
- (١٢٥) سورة الزلزلة من الآية : ٥ .
- (١٢٦) راجع : ملئلي الليب عن كتب الأعiarib لابن هشام ج١ ص ٢٨٠ ، ط/ دار الفكر .
- (١٢٧) التفسير البياني للقرآن الكريم ج١ ص ٩٢ بتصريف .
- (١٢٨) راجع : البحر المحيط لأبن حيان ج١ ص ٥٢٣ ، ونظم الدرر لليقاعي ج٢ ص ٢٠٦ ، وتفسير القرآن العظيم للحافظ ابن كثير ج٨ ص ٤٦١ ، ط/ دار عطية ، وتفسير الآلوسي ج٢ ص ٤٣٥ .
- (١٢٩) سورة الزلزلة الآيات : ٦ - ٨ .
- (١٣٠) نظم الدرر في تناسب الآيات وال سور لليقاعي ج٢ ص ٢٠٦ بتصريف .
- (١٣١) راجع : التحرير والتغور لابن عاشور ج٢ ص ٤٩٣ .
- (١٣٢) راجع : نظم الدرر ج٢ ص ٢٠٧ ، والتفسير البياني للقرآن الكريم ج١ ص ٩٢ .
- (١٣٣) راجع : تفسير الزمخشري ج١ ص ٧٨٤ ، وتفسير الجلالين ج١ ص ٨١٨ ، ط/ دار الحديث ، ومجمع البيان ج١ ص ٢٧٤ ، وتفسير الآلوسي ج١ ص ٤٢٦ .
- (١٣٤) لسان العرب لابن منظور ج١ ص ٤٤٨ ، ومجمع مقلديين اللغة لابن فارس ج٢ ص ٣٣٧ .
- (١٣٥) سورة القصص الآية : ٢٢ .
- (١٣٦) التفسير البياني للقرآن الكريم ج١ ص ٩٣ ، ٩٤ بتصريف . وراجع : تفسير ابن عطية ج٥ ص ٥١١ .
- (١٣٧) المفردات في غريب القرآن للراغب ص ٤١٥ .
- (١٣٨) سورة النور من الآية : ٦١ .
- (١٣٩) سورة العاديات الآية : ٩ .
- (١٤٠) سورة القمر الآية : ٧ .
- (١٤١) سورة القارعة الآية : ٤ .
- (١٤٢) راجع : تفسير الزمخشري ج١ ص ٧٨٤ ، ومجمع البيان للطبرسي ج١ ص ٣٧٦ ، وتفسير جزء عم للأستاذ محمد عبد الله ص ١٤ ، ط/ الجمعية الطيرية .

- (١٤٣) راجع : التفسير البهائى ج ١ ص ٩٥ وما بعدها بتصرف .
- (١٤٤) سورة القمر الآية : ٧ .
- (١٤٥) سورة ق من الآية : ٤٤ .
- (١٤٦) سورة القمر من الآية : ٨ .
- (١٤٧) سورة عيسى الآية : ٢٧ .
- (١٤٨) في طلال القرآن للأستاذ سيد قطب ج ١ ص ٢٩٥٥ يتصرف .
- (١٤٩) راجع : تفسير الإمام الألوسي ج ١٣ ص ١٣٦ ، والتفسير القرآني للقرآن ج ٦ ص ١٦٥٣ .
- (١٥٠) في طلال القرآن للأستاذ / سيد قطب ج ١ ص ٢٩٥٥ .
- (١٥١) مشاهد القيمة في القرآن للأستاذ / سيد قطب من ٢١٢ .
- (١٥٢) التحرير والتحوير ج ٢ ص ٤٩١ .
- (١٥٣) سورة الزلزلة الآيات : ٨ ، ٧ .
- (١٥٤) التحرير والتحوير ج ٢ ص ٤٩١ .
- (١٥٥) أسباب نزول القرآن للواحدى ج ١ ص ٤٦٢ .
- (١٥٦) التفرادات للإمام الراغب ص ١٧٦ .
- (١٥٧) لسان العرب لابن منظور ج ١١ ص ٨٦ .
- (١٥٨) أضواء البيان للشنقيطي ج ٤ ص ٥٤ .
- (١٥٩) راجع : تفسير القرطبي ج ٢٠ ص ١٥ ، وصحيح مسلم / كتاب سنة القيمة والجلة والنثار ، باب جزاء المؤمن بمحنتها في الدنيا والآخرة ج ١ ص ٢١٦٢ ح رقم ٢٨٠٨ .
- (١٦٠) في طلال القرآن ج ٦ ص ٢٩٥٦ .
- (١٦١) راجع : أضواء البيان ج ٤ ص ٥٤ ، والتفسير البهائى ج ١ ص ٩٦ ، والأية ٤٠ من سورة النبأ .
- (١٦٢) عدة الحفاظ في تفسير أشرف الأنفاط ج ٢ ص ٧٨ .
- (١٦٣) المعجم المهرجان لألفاظ القرآن الكريم من ٢٧ .
- (١٦٤) سورة الزلزلة الآيات : ٨ ، ٧ .
- (١٦٥) سورة يومن من الآية : ٦١ .
- (١٦٦) سورة سباء من الآية : ٢ .
- (١٦٧) سورة الكهف : الآية : ١٠٤ .
- (١٦٨) تفسير الشيخ السعدي ج ١ ص ٩٢٢ بالختصار .
- (١٦٩) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ج ٢١ ص ٥٥ ، وراجع : موسوعة الصحيح المسمى من التفسير بالتأثير لحكمة بن يثير ج ١ ص ٦٦١ ، ملوك دار المأثر - المدينة المنورة ، الأولى ١٤٢٠ هـ ، والبعثة والنشر للبيهقي ج ١ ص ٨١ .

- ٦٠/ مركز الخدمات والأبحاث الثقافية - بيروت ، الأولى ١٤٠٦ هـ .
- (١٧٠) صحيح البخاري / كتاب التفسير ، باب سورة : (وَمَن يَعْمَلْ مِثْكَانَ ذَرْهَدًا يُبَشِّرُهُ) ، جا ٣ من ١٧٢ ح رقم ٩٦٢ .
- وصحيف مسلم / كتاب الزكاة ، باب إثم مانع الزكاة ، شرح النووي ج ٢ ص ٦٨٢ .
- (١٧١) راجع : تفسير القرطبي ج ٢٠ ص ١٥٢ .
- (١٧٢) راجع : تفسير الألوسي ج ١٥ من ٦٣٩ ، والحديث ذكره الهمدي في فن العمالي في سن الأقوال والأفعال ج ٧ ص ٢٠٥ ح رقم ١٨٦٤ ، حل / مؤسسة الرسالة ، وزراء للبيهقي في شعب الإيمان ج ١ ص ٢٨٥ .
- (١٧٣) راجع : التحرير والتورير ج ٢٠ ص ٤٩٥ ، وروح المانع ج ١٦ ص ٤٣٨ .
- (١٧٤) سورة الكهف من الآية ١٩ ، وراجع : مشاهد القيامة في القرآن من ٢٤٢ ، والتفسير الموضوعي ج ٩ ص ٢٩٠ .
- والتفسير البيهقي ج ١ ص ٨٠ . بالختصار وتصريف .

ثبت المصادر المراجع

- ١- الإنchan في علوم القرآن ، للإمام السيوطي ، حل / الهيئة المصورة العامة للكتاب ، مسلة ١٢٩٤ هـ
- ٢- أساس البلاغة ، للإمام محمود بن عمر الزمخشري ، حل / دار الكتب العلمية ، الأولى ١٤١٩ هـ
- ٣- آسيا نزول القرآن ، لأبي الحسن علي بن أحمد الواحدى الفوساوى ، حل / دار الإصلاح - الندام ، الثانية ١٤١٢ هـ
- ٤- أسرار ترتيب القرآن ، للإمام جلال الدين عبد الرحمن السيوطي ، حل / دار الفضيلة .
- ٥- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ، محمد الأمين بن محمد الشنقيطي ، حل / دار الفكر ، سنة ١٤١٥ هـ
- ٦- الإكيليل في استنباط التنزيل ، للإمام جلال الدين عبد الرحمن السيوطي ، حل / دار الكتب العلمية ، مسلة ١٤٠١ هـ
- ٧- البحر للجحظ في التفسير ، للإمام أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن حيان ، حل / دار الفكر ، سنة ١٤٢٠ هـ
- ٨- البرهان في علوم القرآن ، للإمام يدر الدين الزركشي ، حل / دار إحياء الكتب العربية ، الأولى ١٢٧٦ هـ
- ٩- بصائر ذوى التنبیہ في تطابق الكتاب العزيز ، للتفسیر آبادی ، حل / المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ١٣٩٢ هـ
- ١٠- التحرير والتورير للإمام الطاهر ابن عاشور ، حل / الدار التونسية ، مسلة ١٩٨٥ م
- ١١- التصویر القفي في القرآن ، للأستاذ ميد قطب ، حل / دار الشروق ، السابعة عشر ١٤٢٥ هـ
- ١٢- التعریفات ، للإمام السيد الشریف الجرجاني الحنفی ، حل / دار الكتب العلمیة ، الأولى ١٤٠٢ هـ
- ١٣- تفسیر ابن عطیة ، المسنی المحدث الوجیز في تفسیر الكتاب العزیز ، حل / دار الكتب العلمیة ، مسلة ١٤٣٢ هـ
- ١٤- تفسیر أبي السعود ، المسنی إرشاد العقل السالم إلى مزایا الكتاب الكريم ، حل / دار إحياء التراث العربي .
- ١٥- تفسیر الإمام النسفي ، المسنی مدارک التنزیل وحقائق التأویل ، حل / دار الكلم الطیب ، الأولى ١٤١٩ هـ
- ١٦- التفسیر البيهقي لقرآن الكريم ، د / عائشة عبد الرحمن (بنت الشاعان) ، حل / دار المعارف .
- ١٧- تفسیر الجلالین ، لجلال الدين الحلی ، وجلال الدين السيوطي ، حل / دار الحديث ، الأولى بدون .
- ١٨- تفسیر الخازن ، المسنی لباب التأویل في معانی التنزیل ، للإمام علاء الدين على بن محمد المعروف بالخازن ،

- ١٦- ملوك دار الكتب العلمية ، الأولى ١٤١٥ هـ .
- ١٧- تفسير السعدي ، لأبي مظفر منصور بن محمد السعدي ، ملوك دار الوطن - الرياض ، الأولى ١٤١٨ هـ .
- ١٨- تفسير القرآن المظيم ، لأبي محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم ، ملوك مكتبة نزار مصلح الباز ، الثالثة ١٤١٩ هـ .
- ١٩- تفسير القرآن المظيم ، للحافظ إسماعيل بن عمر بن كثير ، ملوك دار طيبة ، الثانية ١٤٢٠ هـ .
- ٢٠- التفسير القرآني للقرآن ، للأستاذ عبد الكريم الخطيب ، ملوك دار الفكر .
- ٢١- تفسير القرآن المظيم ، المسن الجامع لأحكام القرآن ، لأبي عبد الله بن أحمد بن فرج الأنصاري القرطبي ، ملوك دار الكتب المصرية ، الثالثة ١٤٨٤ هـ .
- ٢٢- التفسير القرطبي ، المسن الجامع لأحكام القرآن ، لأبي عبد الله بن أحمد بن فرج الأنصاري القرطبي ، ملوك دار الكتب المصرية ، الثانية ١٤٨٤ هـ .
- ٢٣- التفسير المثير في العقيدة والشريعة والمنهج ، للدكتور / وهبة الزحلبي ، ملوك دار الفكر المعاصر ، الثانية ١٤١٨ هـ .
- ٢٤- التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم ، إعداد تجربة من علماء التفسير ، ملوك جامعة الشارقة ، سنة ١٤٢١ هـ .
- ٢٥- تفسير جزء عم ، للشيخ / محمد عبد ، ملوك الجمعية الخيرية ، الثالثة ١٤٢١ هـ .
- ٢٦- تفسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، للشيخ عبد الرحمن السعدي ، ملوك مؤسسة الرسالة ، الأولى ١٤٢٠ هـ .
- ٢٧- جامع البيان عن تأويل أبي القرآن ، للإمام محمد بن جرير الطبّري ، ملوك مؤسسة الرسالة ، الأولى ١٤٢٠ هـ .
- ٢٨- جمال الشراء وكمال الإقراء ، لأبي الحسن علي بن محمد السخاوي ، ملوك دار الأمون للتراث ، الأولى ١٤١٩ هـ .
- ٢٩- جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب ، لأحمد إبراهيم الهاشمي ، ملوك مؤسسة المعرفة .
- ٣٠- حاشية الشهاب المسماة عناية القاضي وكفاية الرافضي ، لشهاب الدين الخفاجي على تفسير البيضاوي ، ملوك دار صادر .
- ٣١- حاشية محي الدين شيخ زاده على تفسير الإمام البيضاوي ، ملوك دار إحياء التراث العربي .
- ٣٢- الدر المصنون في علوم الكتاب المكنون ، لشهاب الدين أحمد بن يوسف الشهير بالسجين الحلبـي ، ملوك دار الفلكم .
- ٣٣- روح الماتي في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، لشهاب الدين السيد محمود الألوسي ، ملوك دار الكتب العلمية ، الأولى ١٤١٥ هـ .
- ٣٤- زاد المسير في علم التفسير ، لجمال الدين عبد الرحمن الجوزي ، ملوك دار الكتاب العربي ، الأولى ١٤٢٢ هـ .
- ٣٥- معن أبي داود ، للإمام الحافظ أبي يداود المسجستانى الأزدي ، ملوك المكتبة العصرية - صيدا .
- ٣٦- سنن الترمذى ، لأبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة ، ملوك مكتبة البيان الحلبـي ، الثانية ١٣٩٥ هـ .
- ٣٧- شرح صحيح مسلم المسمن إكمال العلم بفوائد مسلم ، للإمام الحافظ أبي الفضل عياض بن موسى ابن عياض البحصـي ، تحقيق أ. د / يحيى إسماعيل ، ملوك دار الوفاء .
- ٣٨- شعب الإيمان ، لأحمد بن الحسين ، أبو بكر البيهقي ، ملوك مكتبة الرشد بالرياض ، الأولى ١٤٢٢ هـ .
- ٣٩- صحيح الإمام البخاري ، لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري ، ملوك دار طوق التجارة ، الأولى ١٤٢٢ هـ .
- ٤٠- صحيح الإمام مسلم بشرح النووي ، ملوك دار إحياء التراث .
- ٤١- فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، للإمام أحمد بن علي بن حجر المستقلـي ، ملوك دار المعرفة ١٣٧٩ هـ .

- ٤٢- هضائل القرآن ، لأبي عبيد القاسم بن سلام ، مل / دار ابن كثير ، دمشق - بيروت ، الأولى ١٤١٥ هـ
- ٤٣- في ظلال القرآن ، للأستاذ / سعيد قطب ، مل / دار الشروق ، السابعة عشر ١٤١٢ هـ
- ٤٤- القاموس المحيط ، للإمام التبّرزي آيادي ، مل / مؤسسة الرسالة - بيروت ، الثالثية ١٤٢٦ هـ
- ٤٥- الكشف من حقائق فوامض التنزيل وعيون الأقوال يلا وجهه التأويل ، للإمام محمود بن عمر الزمخشري ، مل / دار الكتاب العربي ، الثالثة ١٤٠٧ هـ
- ٤٦- كفر العمال يلا سنن الأقوال والأعمال ، للمتنبي الهمدي ، مل / مؤسسة الرسالة ، الخامسة ١٤٠١ هـ
- ٤٧- الكتاب في علوم الكتاب ، لابن عادل الحنبلي ، مل / دار الكتب العلمية ، الأولى ١٤١٩ هـ
- ٤٨- لسان العرب ، للعلامة ابن مطر ، مل / دار صادر - بيروت ، الثالثة ١٤١٤ هـ
- ٤٩- مجمع البيان في تفسير القرآن ، لأبي علي الفضل بن الحسن الطبراني ، مل / دار المجمع العلمي
- ٥٠- المستدرك على الصحيحين ، لأبي عبد الله محمد بن عبد الله الحكم ، مل / دار الكتب العلمية ، الأولى ١٤١١ هـ
- ٥١- مشاهد القيامة في القرآن الكريم ، للأستاذ / سعيد قطب ، مل / دار الشروق ، السادسة عشر ١٤١٢ هـ
- ٥٢- مساعد النظر للإشراف على مقاصد المؤمن الإبراهيم بن عمر البغدادي ، مل / دار مكتبة المغارف ، الأولى ١٤٠٨ هـ
- ٥٣- المصباح المنير في تفسير القرآن الكبير للرازقي ، لأحمد بن محمد الشيبوني ، مل / المكتبة العلمية .
- ٥٤- معالم التنزيل في تفسير القرآن ، لأبي محمد البغوي ، مل / دار إحياء التراث العربي ، الأولى ١٤١٦ هـ
- ٥٥- المعجم المغير للفتاوا في تفسير القرآن الكريم ، لمحمد هؤاد عبد الباتي ، مل / دار الربانى .
- ٥٦- معجم مطاييس اللغة ، للإمام أبي الحسن أحمد بن قارس ، مل / دار الفكر - بيروت ، ستة ١٢٩٩ هـ
- ٥٧- مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير ، للإمام نعيم الدين الرزاقي ، مل / دار إحياء التراث العربي ، الثالثة ١٤٢٠ هـ
- ٥٨- المفردات في غريب القرآن ، للإمام الراغب الأصفهاني ، مل / دار القلم ، الدار الشامية ، الأولى ١٤١٢ هـ
- ٥٩- الموسوعة القرآنية ، لجعفر شرف الدين ، مل / دار التقرير بين المذاهب الإسلامية ، الأولى ١٤٢٠ هـ
- ٦٠- نظم الدرر في ثنايا الآيات وال سور ، لأبي الحسن إبراهيم بن عمر البغدادي ، مل / دار الكتاب الإسلامي .
- ٦١- الوسيط في تفسير القرآن المجيد ، لأبي الحسن الواحدى النهايونى ، مل / دار الكتب العلمية ، الأولى ١٤١٥ هـ



جامعة المتنابع

أطعمة غير المسلمين من غير أهل الكتاب (المجوس ، الوثنيون ، الصابئة ، الدروز و النصيرية ، المرتد)

د. إلهام عبد الله باجتبيه
الأستاذ المساعد بقسم الدراسات الإسلامية
كلية الآداب جامعة الملك عبد العزيز

الملخص

نحر من الشريعة الإسلامية على طهارة ظاهر المسلم في جسده وثيابه وطعامه كحرصها على طهارة باطنها من الآفات والأمراض النفسية من الحقد والحسد والغلى وإضمار الأذى لغيره . و من هذا المنطلق كان حرصها على وضع ضوابط لما يدخل جوف المسلم من الأطعمة تقيه انتoxيات ما يضره من الطعام .

و عندما يكون الطرح لأطعمة غير المسلمين، عندها يصبح القرب أو البعد عن تلك الضوابط هو محور نظر الفقهاء .

و كانت الباحثة قد قامت بدراسة سابقة حول أطعمة غير المسلمين من أهل الكتب السماوية، و رأت من المناسب إتباعها بدراسة حول أطعمة غير المسلمين من غير أصحاب الكتب السماوية إكمالاً لصورة التشريع في هذا الجانب، وإنتماماً للفائدة .

و غاية ما ترمي إليه الدراسة هو جمع مادة علمية متكاملة مؤسسة منهجياً لأبعاد الموضوع المنشطة من نواحيه المختلفة، مما يؤهلها لتكون مرجحاً قريباً لن يحتاج تلك الأحكام خاصة من يسافر إلى بلاد غير المسلمين.

المقدمة

إن الحمد لله نحمدك ونستعينك ونستقرئك ونستهديك، وننحو بالله من شرور أنفسنا وسعيثات أعمالنا، من يهدى الله هلا هادى له، ومن يضل هلا هادى له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله، وبعد...

فإن للإطعام في الخطاب العربي دلالة رمزية في الإشعار بالقرب والمودة، فيكون بذلك حينها دافعاً إلى رابطة إنسانية تشكل دعامة أساسية، في العلاقة بين الطعام والمطعم، يقول الحطيئة في قصيدة الشهيرة:

فباتوا كراماً قد قضوا حق ضيفهم
لضيوفهم، والأم من بشرها أمأ
قامضيف غداً أم، وزوجه أمأ للضيوف حين بذلكه غایة ما طلبيه قد رتهم المادية من الطعام،
وأحياناً ما يفوق تلك القدرة، مما يصب في المنهى في محب تماسك المجتمع وانسجامه وتآلفه،
ولا أدل على ما ترمي إليه ثقافة الإطعام من الانجداب والتقارب بين الناس من تصرير
الشريعة الإسلامية اعتبار المرأة المرضعة أمأ للرضيع، وزوجها - صاحب الدين - أمأ له، وأبنائهما
إخوة، وأهلها أهلاً له حين كانت بذلك الإطعام والإرضاع سبباً في بقائه.

غير أن الشريعة الإسلامية حرصت أيضاً على وضع ضوابط لما يدخل جوف المسلم تقية اقتنيات التجسسات.

وعندما يكون الطرح لأطعمة غير المسلمين، عندها يصبح القرب أو البعد عن تلك الضوابط هو محور نظر الفقهاء.

وربما كان هو ما يبرر ترخيص الشريعة الإسلامية لأطعمة من لهم كتاب منزل.
فكأنما هذا الترخيص يحيل إلى المستند والعلة الضابطة لطعامهم وهو كتاب السماء الذي
أحكام ضبط ما يحل وما يحرم في الأصل عدا ما حرمه أصحاب ذلك الكتاب على أنفسهم، أو
حرّم عليهم على وجه الخصوص.

ويؤكده اختلاف العلماء حول طعام من له كتاب غير اليهود والنصارى من أتباع صحف شيث وإبراهيم، وزيور داود عليهم السلام.

ومنزع الاختلاف ترددتهم في تلك الكتب هل كانت أحكاماً وتشريعات، أم وصايا ومواعظ.

فمن رأى فيها أحكاماً وتشريعات قضى بحل طعامهم؛ إذ الأحكام ضابطه.

ومن رأى فيها مواعظ ووصايا قضى بالحرمة لمدم تأتي الضبط من الوصية والمواعظ.

ولعل السبب في التفات الباحثة إلى هذه الدراسة سؤال طرحت عليهما حول بعض أحكام أطعمة غير المسلمين، فرأى من المقيد وضع دراسة متكاملة حولها، وكان نتاج ذلك بحثاً في أطعمة الكتابيين غير المسلمين تتبعه الباحثة هنا بدراسة أخرى حول أطعمة غير المسلمين من غير أهل الكتاب.

وغاية ما ترمي إليه الدراسة هو جمع مادة علمية متكاملة مؤسسة منهجياً لأبعاد الموضوع المتشظية من نواحيه المختلفة، مما يؤديها لتكون مرجعاً قريباً لمن يحتاج تلك الأحكام خاصة من يسافر إلى بلاد غير المسلمين.

هذا وقد قامت الباحثة بتقسيم الدراسة إلى مبحثين، وهي كالتالي:

المبحث الأول:

أطعمة من له شبهة كتاب (المجووس)، ويلحق به عدة فروع:

الفرع الأول: قتل الصيد بكلبي المسلم والمجوسي أو سهيمهما معاً.

الفرع الثاني: إرسال المسلم والمجوسي كلباً واحداً.

الفرع الثالث: إن أرسل المسلم كلبه والمجوسي كلبه هرداً المجوسي الصيد إلى كلب المسلم فقتله.

الفرع الرابع: صيد المسلم بكلب المجوسي.

المبحث الثاني:

أطعمة من لا كتاب له ولا شبهة كتاب، والمترقب، وتحته أربعة مطالب:

المطلب الأول: حمام الوشق.

المطلب الثاني: حمام الصابة.

المطلب الثالث: أطعمة الدروز والنصيرية وغيرهم من أصحاب العقائد الباطنية.

المطلب الرابع: حمام المرتد.

هذا وأسائل الله عز وجل أن تكون قد وفقت أو قاربت.

المبحث الأول

أطعمة من له شبهة كتاب

(المجووس)^(١)

يروى عن المجووس أنه كان لهم كتاب ثم رفع، حيث يروي عبد الرزاق صاحب المصنف، أن

المستورد بن غفلة^(٢) كان في مجلس فقال رجل: ليس على المجووس جزية^(٣).

فقال المستورد: أنت تقول هذا وقد أخذ رسول الله ﷺ من مجوسي هجر الجزية^(١)، والله لما أخفيت أخبيت مما أظهرت.

فذهب به حتى دخلا على علي رضي الله عنه وهو في قصره جالس في قبة، فقال يا أمير المؤمنين، زعم هذا أنه ليس على المjosوس جزية، وقد علمت أن رسول الله ﷺ أخذها من مجوسي هجر، فقال علي: اجلس، فوالله ما على الأرض اليوم أحد أعلم بذلك مني، كان المjosوس أهل كتاب يقرؤونه، وعلم يدرسوته، فشرب أميرهم الخمر، فوقع على أخيه، فرأه نفر من المسلمين، ظلمًا أصبح ثالث أخيه: إنك قد فعلت بها كذا وكذا، وقد رأك نفر لا يسترون عليك.

ندعا أهل العلم فأعطاهم، ثم قال لهم: قد علمتم أن آدم أنجح بنيه بناته.

فجاء أولئك الذين رأوه، فقالوا: وبلاً للأبد، إن في ظهرك حداً.

قتلهم هم والذين كانوا عنده.

ثم جاءت امرأة فقالت: بل قد رأيتك فقال لها: ويحا لبني^(٢) بني فلان.

قالت: أجل والله لقد كنت بنياً ثم تبت، فقتلتها.

ثم أسرى على ما في قلوبهم، وعلى كتابهم فلم يصبح عندهم شيء منه^(٣).

من أجل هذا الأثر المروي عن علي بن أبي طالب رض اعتبر بعض الفقهاء للمجوسي شبيهة كتاب، كان منهم الإمام الشافعي الذي أورده في كتابه الأم لقصد اعتباره في مساواة المjosوس بأهل الكتاب فيأخذ الجزية منهم^(٤).

غير أن نقدة الحديث والأثار اختلوا في حكمهم عليه تصحيحاً وتضعيفاً، فحين يذهب ابن عبد البر^(٥) رحمة الله إلى تضعيفه بقوله: (ربما ذهب - يقصد الإمام الشافعي - في ذلك إلى شيء روي عن علي بن أبي طالب من وجه ضعيف)^(٦).

يحكم بحسبه كل من الإمام ابن حجر^(٧)، وصاحب تحفة الأحوذ^(٨) وبنيل الأوطار^(٩).

وربما كان لتحسين الحديث أو تضعيفه أثر ظاهر في فرض الجزية على المjosوس من عدمه،

غير أن أثره ضعيف أو يكاد لا يظهر في حكم أطمعتهم ونسائهم.

إذ إن الفقهاء متقوون على حرمة صيد المjosوس وذبحه^(١٠)، حتى ادعى فيه بعض الفقهاء الإجماع^(١١).

وخالف فيه أبو ثور^(١٢) هاباج صيده وذبحته^(١٣).

وهو قول بالغ العلماء في زرده وإنكاره وعدوه خلافاً شاداً^(١٤)، حتى قال الإمام أحمد رحمة الله:

(هاهنا قوم لا يرون بذبائح المjosوس بأساً، ما أعجب هذا يعرض بأبي ثور)^(١٥).

وقال: (لا أعلم أحداً قال بخلافه إلا أن يكون صاحب بدعة)^(٢٣).
 ويظهر شدة نكيره عندما قال: (أبوثور كاسمه، يعني في هذه المسألة)^(٢٤).
 وقال ابن قدامة^(٢٥): (هذا قول يخالف الإجماع، فلا عبرة به)^(٢٦).
 وقال إبراهيم الحربي^(٢٧): (خرق أبوثور الإجماع)^(٢٨).
 وقيل: إن له قوله آخر وافق فيه الجمهور^(٢٩).

أدلة الإمام أبي ذور:

- ١- استدل بقوله ﷺ: (سنوا بهم سنة أهل الكتاب)^(٣٠).
- ٢- ولأنهم يقرّون على الجزية، فليباح صيدهم وذبحهم كاليهود والنصارى^(٣١).

أدلة جماهير الفقهاء:

- ١- قوله تعالى: ﴿ وَطَلَامُ الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَّكُمْ ﴾^(٣٢).
 فمفهومه: تحريم ملعام غيرهم من غير المسلمين.
- ٢- رُوِيَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: (إِنَّكُمْ نَزَّلْتُمْ بِقَارِسٍ مِّنَ النَّبِيِّ^(٣٣)، إِذَا اشْتَرَيْتُمْ لَحْمًا، فَإِنْ كَانَ كَانَ مِنْ يَهُودٍ أَوْ نَصَارَى، فَتَكْلُوا، وَإِنْ كَانَتْ ذِبْحَةً مَجُوسِيًّا فَلَا تَأْكُلُوا)^(٣٤).
- ٣- ولأنه إجماع من لا مخالف لهم في عصرهم ولا فمن بعدهم^(٣٥).

مناقشة الأدلة:

رد جماهير الفقهاء مذهب أبي ذور في جواز ذبائح المجوس وصيدهم ، واستناده إلى وجود شبهة كتاب لهم ينفي تلك الدعوى! مستندين إلى قوله ﷺ: (سنوا بهم سنة أهل الكتاب) .
 إذ أنه يفهم منه أنهم لم يسموا أصحاب كتاب، بل يعاملون معاملة أهل الكتاب في الجزية خاصة؛ لأن الكلام في الحديث خرج مخرج العموم الذي أريد به الخصوص^(٣٦).
 يؤكده قوله تعالى: ﴿ أَنْ تَنْثُرُوا إِنَّمَا أَنْزَلَ الْكِتَابَ عَلَى مُلَائِكَتِنَا مِنْ قَبْلِنَا ﴾^(٣٧).
 فهو يثبت أن الكتاب إنما أنزل على طالقين فقط هما اليهود والنصارى^(٣٨).
 ومما يرشحه توقف عمر بن الخطاب رض فيأخذ الجزية منهم^(٣٩)، ولو كان لهم كتاب لما توقف؛ لدخولهم في الذين أوتوا الكتاب المأمور بأخذ الجزية منهم^(٤٠).
 ويدعمه أيضاً أن الله تعالى ذكر أهل الكتاب في القرآن في غير موضع، وذكر الأنبياء الذين أنزل عليهم الكتب والشرائع العظام ولم يذكر للمجوس كتاباً ولا نبياً رغم أنهم أمّة عظيمة من أعظم الأمم شوكاً وعدداً وباساً، ولا وأشار إلى ذلك، بل القرآن يدل على خلافه^(٤١).
 واستندوا أيضاً إلى ما رواه الحسن بن علي عن رسول الله ﷺ: (أنه كتب إلى

فَجَرَ يعرض عليهم الإسلام، فمن أسلم قُبْلَ، ومن أُبْيِن ضربت عليه الجزية على أن لا تؤكل لهم ذبيحة، ولا تنكح لهم امرأة^(١٩).

بل يذهب الشوكاني^(٢٠) إلىبعد من ذلك فيرةً حديث (سنوا بهم سنة أهل الكتاب) بأنه لم يثبت بهذا اللفظ وليس له أصل، بل فيه زيادة وهي قوله: (غير آكلي ذبائحهم، ولا ناكحي نسائهم).

هلم يثبت الأصل ولا الزيادة، بل الذي ثبت في الصحيح أن النبي ﷺ أخذ الجزية من مجوس هجر^(٢١)، هذا من حيث الأصل.

أما الرواية مع الزيادة فالمحققون من نقدة الحديث يحكمون بإرسالها مع إدراج الاستثناء فيها (غير آكلي ذبائحهم، ولا ناكحي نسائهم).

إضافة إلى أن في إسنادها فيض بن الربيع، وهو ضعيف^(٢٢).

ولا يؤكد الزيادة إلا إجماع المسلمين على معناها^(٢٣).

وهكذا تدور الشبهات حول ثبوط حديث (سنوا بهم سنة أهل الكتاب)، وهو ما دفع بعض الفقهاء إلى العمل به في حقن دمائهم وأخذ الجزية منهم دون حل ذبائحهم ونكاح نسائهم.

جاء في كشف النقاب:

(إنما قيل لهم شبهة كتاب؛ لأنه روي أنه كان لهم كتاب هرُّف، فصار لهم بذلك شبهة أوجبت حقن دمائهم وأخذ الجزية منهم، ولا تنهض في إباحة نسائهم وحل ذبائحهم)^(٢٤).

ويقول ابن تيمية: (٢) (ولا تحل القرروج والذبائح بالشبهات)^(٢٥).

وفيما هذا صيد المجوسي البري وذبيحته وما لا يتشرط له ذكارة:

فهو حلال في قول جماهير علماء المسلمين^(٢٦).

كالسمك، والجراد، والخنز، والعسل، والزبيب، إن تيقن طهارته، لا إن شك في طهارته، وسائل أطعمتهم.

لما روي أن امرأة سالت عائشة[ؓ] قائلة: (إن لنا أطياراً من المجوس، وإنه يكون لهم العيد فيهدون لنا، فقالت: أما ما ذبح لذلك اليوم فلا تأكلوا، ولكن كلوا أشجارهم)^(٢٧).

حتى قال أحمد بن حنبل رحمة الله: وطعم المجوسي ليس به بأس أن يأكل، وإذا أهدي إليه أن يقبل، إنما تكره ذبائحهم، أو شيء فيه دسم^(٢٨).

والمراد بالكرابة في كلامه: التحرير.

وسئل الإمام أحمد رحمة الله عما يصنع المجوس لأموائهم وزرMZMون^(٢٩) عليهم أيام عشرأ يقسمون ذلك في الجيران، قال: لا بأمن بذلك.

وروى عن الشعبي^(١): كُلَّ مِنْ الْمَجْوُسِيِّ وَانْذَرْ مَرْمَزْ^(٢).
 وحكي عن الحسن البصري^(٣) أنه قال: (رأيت مبعين من الصحابة يأكلون صيد المجوسي
 من الحيتان لا يختجل في صدورهم شيء من ذلك)^(٤).
 وروى عن إبراهيم النخعي^(٥) أنه قال: (كُلُّ طَلَامَ الْمَجْوُسِ كُلُّهُ مَا خَلَّا الْذِبَابَيْخَ)^(٦) والجراد
 كالحيتان في ذلك؛ لأنَّه لا ذكارة له؛ ولأنَّه تباع ميتهه فلم يحرم بصيد المجوسي^(٧).
 ويقول النبي ﷺ: (أحلَّ لَنَا مِيتَانَ السُّمْكِ وَالْجَرَادِ)^(٨).
 وقال في البحر: (هُوَ الطَّهُورُ مَاءُهُ، الْحَلُّ مَيْتَتُهِ)^(٩).
 وبالغ الإمامان مالك والثوري بن سعد^(١٠) وشدا عن الجمعة وأهربطا^(١١) عندما ذهبوا إلى
 حرمة أكل جراد يصيده المجوسي مع اتفاقهما مع الجمهور في إباحة السمك من صيده^(١٢).
 وتُروي رواية عن الإمام أحمد رحمة الله بصيغة التضعيف بتحريم ما صاده المجوسي من
 السمك والجراد ونحوه^(١٣).
 وجماعهير العلماء على خلاف ما ذهبوا إليه، حتى حكى ابن قدامة في إباحته الإجماع^(١٤).
 وللفقهاء تفريعات على هذه المسألة، أذكر بعضًا منها بإيجاز:

الفرع الأول:

قتل الصيد بكلبي المسلم والمجوسي أو سهمهما معاً
 إن أرسل المسلم كلبه، فأرسل الم Mojosi كلبه فقتلها صيداً لم يحل في قول جمهور العلماء.
 لأن صيد الم Mojosi حرام، فإذا اجتمع الحظر والإباحة غالب الحظر؛ قياساً على المتولد بين
 ما يؤكل وما لا يؤكل.

ولأن الأصل الحظر، والحل موقوف على شرط وهو تذكرة من هو من أهل الذكارة أو صيده
 الذي حصلت التذكرة به، ولم يتحقق ذلك.
 إلا إذا تيقن إنفاذ سهم المسلم مقاتله دون سهم الم Mojosi عندها يحل^(١٥).
 وحكي ابن المنذر عن الأوزاعي أنهما إذا اشتراكا في قتله، وكان كلب الم Mojosi معلمًا حل^(١٦).

الفرع الثاني:

إرسال المسلم والم Mojosi كلباً واحداً
 إن أرسل المسلم والم Mojosi كلباً واحداً فقتل صيداً لم يبح عند فقهاء المذاهب الأربعية ،
 الحنفية^(١٧)، والمالكية^(١٨)، والشافعية^(١٩)، والحنابلة^(٢٠).

الفرع الثالث:

إن أرسل المسلم كلبه، والمجوسى كلبه، فرد كلب المجوسى الصيد إلى كلب المسلم فقتله.
 حلّ أكل الصيد عند جمهور العلماء لأن الذي قتله وأجهز عليه هو كلب المسلم^(١٧).
 وخالف في ذلك الإمام أبوحنيفه، فقال بحرمة لاشراكهما، وعند الاشتراك يتغلب الموجب للحرمة.^(١٨)
 وقد رد عليه بأن نفس القتل لا شركة فيه، بل هو مضارف إلى كلب المسلم، فأشباه ما إذا أمسك المجوسى حيواناً فذبحه مسلم، وبما إذا رمى المسلم بهما ورمي المجوسى بهما فلم يصبه بهم المجوسى وأصابه بهم المسلم فقتله، فإنه يحل بالاتفاق^(١٩).

الفرع الرابع :

صيد المسلم بكلب المجوسى

لأن صيد المسلم بكلب المجوسى المعلم وبازيه في قولهم جميعاً، كما لا يأس أن يتبع بسكنته، لأن المعتبر في الآلة أن تكون جارحة، فلا يختلف ذلك بكون مالكها مجوسياً أو مسلماً.
 والشرط يقترب بالفعل والفاعل في الذبح والاصطلياد، والمسلم هو من أهل إيجاد هذا الشرط، مفهومه أنه إذا صاد المجوسى بكلب المسلم لم يبح صيده^(٢٠).

المبحث الثاني

أطعمه من لا كتاب له، ولا شبيهة كتاب، والمرتد

المطلب الأول :

طعام الوثني^(٢١)

يتفق الفقهاء على تحريم ذبائح الوثنى، وصيده البرى^(٢٢).

لخصوص قوله تعالى: ﴿وَطَعَامُ الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ حَلٌّ لَّهُ﴾ بأهل الكتاب من اليهود والنصارى، والاصطلياد يقوم مقام الذكارة فيأخذ حكمه^(٢٣).
 ويتفقون أيضاً على حل صيده البرى، وحل جميع طعامه فيما عدا الذبائح؛ لإجماع المفسرين للطعام في قوله تعالى: ﴿وَطَعَامُ الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ حَلٌّ لَّهُ﴾، بأنه الذبائح، فيختص التحرير بها^(٢٤).

ويصن الملاكية على تحريم ذبائح الوثنى ما لم يأمره المسلم بذكر الله عليها، فإن فعل حلّت ذبيحته: تقليباً لجانب ذكره تعالى^(٢٥).

المطلب الثاني :

طعام الصابحة^(٢٦)

يعرف اللغويون الصابحة بأنه من خرج من دين إلى دين، من قولهم: صياماً ناب البعير؛ إذا طلع.

وصبات النجوم؛ إذا خرجمت من مطالمها.

بدليل أن قريشاً كانت تصنف النبي ﷺ بالصابرين.

كما يرى اللغويون: أن الصابرين هم قوم زعموا أنهم على دين نوح عليه السلام.

وقال بعضهم: قوم يشبه دينهم دين النصارى، إلا أن قبليتهم نحو مذهب الجنوب، يزعمون أنهم على دين نوح عليه السلام وهم كاذبون^(١).

أما علماء الشريعة فقد اختلفوا في هويتهم اختلافاً كبيراً، وأشكل أمرهم عليهم إشكالاً اتبني عليه نقاش عريض حول أحکامهم؛ لعدم الإحاطة بحقيقة دينهم ومنذهبهم.

فالشافعي رحمة الله جزم حيناً بأنهم صنف من النصارى، وتوقف في حين آخر فقال: ينظر في أمرهم، فإن كانوا يواهقون النصارى في أصل دينهم ولكنهم يخالفونهم في الفروع نكحت نساؤهم وأحلت ذبائحهم، وإن كانوا يخالفونهم في أصل الدين لم تؤكل ذبائحهم ولم تنحر نساؤهم^(٢).

ومن أصحابه من قال: ليسوا من النصارى، ولا يجوز إقرارهم على دينهم؛ لأنهم يقولون: إن الفلك حي ناطق، وإن الكواكب السبعة آلهة، فهم في حكم عبدة الأوثان^(٣).

وقال بعض السلف: هم قوم بين اليهود والمجوس ليس لهم دين^(٤).
وقال آخر: هم قوم يعبدون الملائكة^(٥).

وقال ثالث: هم قوم ليسوا يهوداً ولا نصارى ولا دين لهم^(٦).

وقال آخر: هم قوم يزعمون أنهم ليسوا مجوساً، ولا يهوداً ولا نصارى^(٧).

وقال آخر: هم أهل دين من الأديان كانوا بجزيرة الموصل، يقولون: لا إله إلا الله ولئن لهم عمل، ولا كتاب، ولا نبي إلا أقول لا إله إلا الله، ولم يؤمنوا برسول الله، فمن أجل ذلك كان المشركون يقولون للنبي ﷺ وأصحابه: هؤلاء الصابرين، يشبهونهم بهم^(٨).

وقال غيره: هم يعبدون الملائكة، ويصلون إلى القبلة، ويقرأن الزبور^(٩).

وقال آخر: هم طائفة من أهل الكتاب^(١٠).

ووافق آخر قول أهل اللغة فقال: الصابرين هو المستحدث سوى دينه ديناً كالمرتد من أهل الإسلام، وكل خارج من دين إلى غيره تسميه العرب صابراً^(١١).

وللاشتباه في حقيقة دينهم ومنذهبهم اختلف العلماء في حكم ذبائحهم، وكان الاختلاف منزعه الاشتباه فيه هل هم أصحاب كتاب أم لا^(١٢)، حتى أنه اختلف فيهم أقوال أصحاب المذهب الواحد، لاختلافهم في حقيقتهم.

فقال الإمام أبو حنيفة رحمة الله بحل ذبائحهم، وقال أصحابه: لا يجوز.

ويلفت المدونون للمذهب إلى أن هذا الاختلاف ليس حقيقياً وإنما هو لاشتباه مذهبهم؛ إذ الإمام أبوحنيفه رحمة الله يبرأهم قوماً يؤمّنون بكتاب، ويقرّون الزبور ولا يعبدون الكواكب وإنما يعظامونها كتعظيم المسلمين للكعبة في الاستقبال إليها، إلا أنهم يخالفون غيرهم من أهل الكتاب في بعض دياناتهم، وهذا لا يمنع حلّ ذبائحهم، فهم كاليهود والنصارى.

أما أصحابه أبو يوسف ومحمد فيريان أنهم قوم يعبدون الكواكب، وعابدو الكواكب كعابد وثن، وعابدو الوثن تحريم ذبيحته^(٣٧).

ويذهب المالكية إلى أن الصابئين أصحاب نصارى لكن رغم هذا لا تحلّ ذبائحهم لعظم مخالفتهم لهم فالحقوقهم بالمحو^(٣٨).

واختلفت تصوّص الإمام الشافعى رحمة الله ففيهم تردد في حقيقتهم، هل هم مبتدعة، أم كفرة؟

وانتهى المذهب إلى أنهم إن وافقوا اليهود والنصارى في أصول الدين من تصديق الرسل والإيمان بالكتب كانوا منهم، وإن خالفوهم في أصول الدين لم يكونوا منهم، وكان حكمهم حكم عبادة الأولان^(٣٩). وبه قال الحنابلة^(٤٠).

وبعد التحقيق ذهب الإمام ابن عبد البر إلى أن الصابئين غير اليهود، وغير النصارى، وغير المحوس، واستدل لذلك بقوله تعالى: «إِنَّ الَّذِينَ مَاءَلُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالْمُسْرِفُونَ وَالْمُجْرُمُونَ وَالَّذِينَ أَنْزَلُكُمْ إِنَّكُمْ بِعِيلٍ يَنْهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ»^(٤١).

فتحقق بينهم، وقال: «فَلَمْ يَأْهُلِ الْكِتَابَ لَتَمُّ عَلَىٰ سَقْعَ وَحْنَ قُبْشُوا التُّورَةَ وَالْإِنجِيلَ»^(٤٢). وقال: «أَنْ تَقُولُوا إِنَّا أَنْزَلْنَا الْكِتَابَ عَلَىٰ مُلَّا يَقِنَّا مِنْ قَرَأْنَا»^(٤٣). هم اليهود والنصارى أصحاب التوراة والإنجيل، فدلل هذا أن الصابئين ليسوا منهم^(٤٤).

ويفتقديري أن لقول ابن عبد البر رحمة الله تعالى وجهاً - والله أعلم -

المطلب الثالث،

أطعمة الدروز والنصريرية وغيرهم من أصحاب العقائد الباطنية الدروز من الفرق الباطنية التي كانت تتسبّ في أصل نشأتها إلى الشيعة غير أن الأمر انتهى بها إلى الخروج عن الإسلام.

ورغم أن عقائدهم تتضمن تأليه الحاكم بأمر الله الخليفة الشيعي الإسماعيلي الفاطمي، فإن الدروز يحاولون العودة بأصول مذهبهم إلى المذاهب والفلسفات والأديان السابقة على الإسلام ويتبنونها جميراً، كما أنهم يعتقدون إسقاط التكاليف وتفضي الشريعة الإسلامية^(٤٥).

والتصصيرية كالدروز يُعدون من غلاة الشيعة الباطنية الذين تبنوا آراء منحرفة وعقائد باملة انتهت بهم إلى الخروج من الإسلام رغم ادعائهم الانتهاء إلى الشيعة الإمامية الإمامية الإلئا عشرية. وتدور عقائدهم في جملتها حول القول بالآوهية على وأن الله تعالى حلّ فيه، وقولهم بالتقى من أو التناسخ، وإنكارهم للبعث وما يتبعه من ثواب أو عقاب بعد الحساب.

ويبدو أنه قد حدث تطور في عقائد التنصيرية جراء اتصالهم ببعض المذاهب، وإطلاقهم على بعض الفلسفات القديمة، ومن ثم جاءت آراؤهم في صورتها الأخيرة خليطاً من المعتقدات التنصيرانية، والمجوسية، والسببية، ونظريات الفلسفة اليونانية وبعض معتقدات الشيعة ومذاهبهم. وذهبوا إلى القول بما يشبه عقيدة الشاثيت عند التنصاري، إذ إنهم ألقوا ثالوثاً يتكون من علي، ومحمد، وسلمان الفارسي^(١٠١).

ولما كانت هذه اعتقدات هاتين الفرقتين، فقد حرم علماء الأمة بالاتفاق أكل ذاتهم ونکاح نسائهم^(١٠٢).

يقول الإمام ابن تيمية في الفتوى المصرية:

(هؤلاء القوم المسماون بالتصصيرية والذين ينزلون جبال الدروز من بلاد الشام وغيرها وسائر أصناف القرامطة الباطنية هم أكفر من اليهود والتنصاري، بل وأكفر من كثير من المشركين، وفيهم جنس دين البراهمة والوثنيين والملحدين، وضررهم على أمّة محمد ﷺ أعظم من الكفار المغاربين مثل كفار الترك والفرنج وغيرهم).

هؤلاء يتظاهرون عند جهال المسلمين بانتشاع وموالاة أهل البيت، وهم في الحقيقة لا يؤمنون بالله ولا برسوله ولا بكتابه، ولا بأمر ولا نهي، ولا ثواب ولا عقاب ولا جنة، ولا بأحد من المسلمين، ولا شريعة من الشرائع السماوية، ولا بصلة من الملل، بل يحربون كلام الله وكلام رسوله المعروف عند المسلمين إلى أمور من الإلحاد والكفر ويدعون أنها من علم الباطل وهو الزندقة والشرك ونکذيب الله وكل رسle: إذ مقصودهم الحقيقي هو هدم الإيمان وشرائع الإسلام بكل طريق من جنس قولهم: إن الصلوات الخمس معرفة أسرارهم، والصيام المفروض كتمان أسرارهم، وحج البيت العتيق زيارة شيوخهم، وأن يد أبي لهب أبو بكر وعمر، وأن النبأ العظيم والإمام المبين على بن أبي طالب.

ولهم في معاداة الإسلام وأهله وقائع مشهورة وكتب محسنة، وكلما سُنحت لهم الفرصة سفكوا دماء المسلمين، كما قتلوا الحجاج وأقوهم في زرم، وأخذوا الحجر الأسود فبقي معهم مدة حتى رده خلفاء العباسين، وقتلوا من علماء المسلمين ومشايخهم وأمرائهم وجندتهم من لا يحصي عددهم إلا الله).

إلى أن يقول عن الباطلية:

(ولهم أنتاب معروفة عند المسلمين، هتارة يسمون الملاحدة، وتأرة يسمون القرامطة، وتأرة يسمون الإماماعليية، وتأرة يسمون الخرمية، وتأرة يسمون المحمرة) ^(١٠٧).

ورغم إجازة الإمام أبي حنيفة للجبن المصنوع من إنفحة الحيوان للأكل اللحم سواء ذبجه من تؤكل ذبيحته أو من لا تؤكل له ذبيحة كالمجوس وغيرهم فمن سبق بيان تفصيل أحكامهم في المباحث السابقة، إلا أن الحنفية المتأخرین حکموا بحرمة ذبائح الدروز والنصيرية وحرمة أجبانهم المصنوعة من إنفحة مستخرجة من تلك الذباائح خاصة دون غيرها؛ للاح AQIهم الدروز والنصيرية بمن لا كتاب سماوي لهم.

يقول ابن عابدين رحمة الله ^(١٠٨) في الحاشية:

(لا تحل ذبيحة غير كتابي، وكذا الدروز كما صرّح به الحصيني ^(١٠٩) من الشافعية حتى قال: لا تحل القرىشة ^(١١٠) المملوكة من ذبائحهم، وهو اعذنا توافقه؛ إذ ليس لهم كتاب منزل، ولا يؤمّنون بشري مرسل) ^(١١١).

ثم يقول:

(إذا جيء بالقرىشة أو الجبن من بلادهم لا يحكم بعدم الحل ما لم يعلم أنها معمولة بإنفحة ذبيحة درزي، والأقل تُحمل بغير إنفحة، وقد يذبح الذبيحة النصراني) ^(١١٢).

المطلب الرابع:

طعام المرتد ^(١١٣)

اتفق الفقهاء جميعاً على حرمة ذبيحة المرتد إلى دين غير دين أهل الكتاب. واختلفوا فيما إذا أردت إلى دين أهل الكتاب حيث ذهب الأوزاعي ^(١١٤) وأسحاق بن راهوية ^(١١٥) إلى حلها مستندين إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَنْهَا مَنْ يَكْتُمُ فِي لَمَّا أَتَاهُ اللَّهُ مِنْ فَضْلٍ﴾ ^(١١٦) ومتى يكتوم يكتوم فائدة، وبهيم ^(١١٧)، ويرى هذا القول رواية ضعيفة عن الإمام أحمد رحمة الله ^(١١٨). وخالفهمما جماهير علماء المسلمين جميعاً ^(١١٩)، معتبرين على كون المرتد في منزلة أهل الكتاب، فهو في تقديرهم أقل منزلة، مؤكدين ذلك بجملة من براهين تدور في مجلتها على أن المرتد لا تثبت له أحكام أهل الكتاب ولو تدين بدينه.

فهو لا يقر على دينه، ولا يقبل منه غير الإسلام، ولا يقر على الجزية، ولا يجعل نكاح مرتدة في حين يحل له نكاح نساء أهل الكتاب.

وعليه فقد ردوا احتجاجهم بالآية: ﴿إِنَّمَا يَنْهَا مَنْ يَكْتُمُ فِي لَمَّا أَتَاهُ اللَّهُ مِنْ فَضْلٍ﴾ ^(١٢٠) بأن المستشهد بها هو عبد الله بن عباس رضي الله عنه، استدل بها على دخول نصارى العرب في أهل الكتاب الذين تحل

ذبائحهم باعتبارهم منهم^(١١٥)، والمرتد لا يساوهم بالاستثناءات الشرعية المتقدمة. إضافة إلى أن علباً **ذبائح** مع اعتقاده دخول تنصاري العرب من بنى تقلب في دين النصارى من أهل الكتاب في إقرار الجزية، غير أنه لم يكن يرى حلّ ذبائحهم، ولا نسائهم، فيكون ذلك في حق المرتدين من باب أولى^(١١٦).

ومما يجدر الإشارة إليه أن الحنفية مع مخالفتهم في قتل المرتدة، وذهبوا إلى التفرقة بين المرتدة والمرتد، وبأنه يقتل دونها لتهي النبي ﷺ عن قتل النساء (٢)؛ ولأن الأصل تأخير العقوبة إلى دار الآخرة؛ إذ تعجبوا من وجهة نظرهم يخلّ بمعنى الابتلاء، وإنما عدل عنه دفماً لشري ناجز وهو المحاربة، ولا يتوجه ذلك من النساء لعدم صلاحية بنية المرأة لذلك بخلاف الرجل، مع ذلك فقد اتفقوا مع الجمود على حرمة ذبيحتها للأسباب المتقدمة^(١١٧).

والصيده حكم ذبيحته، وما عداها على الإباحة كطعام المحوسي والتوني.

الخامسة

خلصت الباحثة من خلال بحثها إلى النتائج التالية :

- ١- من لهم شبهة كتاب وهم المحوسي، ذهب جمهور علماء المسلمين إلى حرمة صيدهم وذبيحتهم على المسلم، حتى من أخذ من العلماء بحديث: (سنوا بهم سنة أهل الكتاب) وهو الإمام الشافعي رحمة الله إنما أجراء على فرض الجزية عليهم أسوة بفرضها على أهل الكتاب دون حلّ أطعمةهم ونسائهم، ومخالفة أبي ثور رحمة الله وقوله بالإباحة لصيده المحوسي وذبيحتهم عند العلماء شنعوا وبالغوا في رده وانكاره، وقيل: إن له قولاً آخر وافق فيه الجمهور.
- ٢- فيما عدا صيد المحوسي البري وذبيحته وما لا يشترط له ذكاة حلال في قول جماهير علماء المسلمين.

وخالف الإمام مالك والليث بن سعد حين ذهبا إلى تحريم أكل الجراد الذي يصيده المحوسي رغم اتفاقهما مع الجمهور في إباحة السمك من صيده. وتروى عن الإمام أحمد رحمة الله رواية بحقيقة التضعيف تحرّم ما صاده المحوسي من السمك والجراد ونحوه.

- ٣- وجمهور علماء المسلمين على خلاف ما ذهبا إليه حتى حكى ابن قدامة في إباحته الإجماع.
- ٤- يتفق العلماء على حرمة صيد الوتني وذبيحته، وعلى حلّ صيد البحري وجميع طعامه فيما عدا الذباب.

٤- اشتبه العلماء في حقيقة دين الصابئة ومتعبهم، وترتب عليه اختلافهم في حكم ذيائهم.
وكان منزع الاشتباة: هل الصابئة أصحاب كتاب أم لا؟

حيث اختلفت فيهم أقوال أصحاب المذهب الواحد لاختلافهم في حقيقتهم.
وخلاله الاختلاف أن من عدهم من أصحاب أحد الكتب السماوية نحا منحى الحل، ومن رأى أن لا كتاب لهم وأنهم أقرب إلى عبد الأوثانأخذ منحى التحرير.

وذهب المحقق ابن عبد البر رحمة الله إلى كونهم غير اليهود والنصارى وغير المجوس؛
متکاً إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ مَاتُوا إِلَيْنَا هُدُوا وَالظَّاهِرُونَ هُدُوا وَالْجَاهِلُونَ وَالَّذِينَ أَذْرَكْنَا إِلَيْهِمْ
اللَّهُ يَعْلَمُ بِمَا يَعْمَلُونَ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ بَشِيدٌ﴾ برهن ذلك على أن الصابئين ليسوا منهم.

٥- اتفق العلماء على تحرير صيد وذبائح وأجبان الدروز والنصرية وغيرهم من أصحاب العقائد الباطنية.

ورغم إجازة الإمام أبي حنيفة لجين غير المسلمين إلا أن الحنفية حكموا بحرمة أجبان الدروز والنصرية وغيرهم من الباطنية عملاً يقول صاحبيه لإلحافهم إياهم بمن ليس له كتاب سماوي.

٦- اتفق العلماء على حرمة صيد وذبيحة المرتد إلى دين غير دين أهل الكتاب،
واختلفوا فيما إذا كانت ردة إلى دينهم، إذ قال بالإباحة الأوزاعي وإسحاق بن راهوية
مخالفين جماهير علماء المسلمين.

هذا وأخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

الهوامش:

- (١) المجرمون هي ديانة الظينية: إذ أثبت المجرمون أصلين الدين، مدبرين، قديرين، يقتسمان الخبر والشر، والتفع والضرر، والصلاح والفساد، يسمون أحدهما النور، والأخر الظلمة. (انظر: الملل والتخل، الشهري، من ٢٢٣).
- (٢) لم أجده.
- (٣) هي ما ينخدث من أهل الذمة: سميت جزية لأنها ضاء علىهم؛ أخذوا من قوتهم جزى يجزي؛ إذا قضى (انظر: آئيس الفقهاء، القزويني، من ١٨٧؛ المطلع على أبواب المفزع، البعلبي، من ١٤٠).
- (٤) هجر: يفتح أوله وثانه - بلغة حمير والعرب المغاربة - القرية، وهي جزء من قاعدة البحرين (انظر: معجم البلدان، ياقوت الحموي، ٢٩٢/٥؛ معجم ما استجم، البكري، ١٤٦/٤).
- (٥) البلي: اللعبي، وكل مجازة وإفراط، والبلي: الماجرة، والجمع بقابها، ومنه بنت: إذا زفت. (انظر: آئيس الفقهاء، القزويني، من ١٨٧؛ التعاريف، المناوي، من ١٢٨؛ الزاهري في غريب ألفاظ الشافعى، الأزهري، من ٣١٨).
- (٦) آخر جه عبد الرزاق في المصنف، ٧٠/٦ (١٠٢٩)، ٢٢٨/١٠ (١٩٣٦)؛ وذكره الإمام الشافعى في الآم، انظر أيضاً: أمثلى الطالب، زكريا الأنصاري، ٤/٢١٢.
- (٧) انظر: ٢٤٠/٤ .
- (٨) يوسف بن عمر بن عبد البر بن عبد الله بن محمد بن عبد البر التميمي الحافظ، شيخ علماء الأندلس وكبير محدثيها في وقته، وأخذته من كان فيها السنة المأثورة، من أهل قرطبة، بها طلب العلم وتقنه، توفي سنة (٢٨٠هـ). (انظر: الدرباج المذهبى، ابن فرجون، من ٣٥٦).
- (٩) التمهيد، ٢/١١٩، وقال أبو عبيد: لا أحسبه محفوظاً (انظر: شرح الزركلي، ٢/١٧١).
- (١٠) انظر: فتح الباري، ١/٢٦١، وابن حجر هو: أبو الفضل، أحمد بن محمد بن علي بن أحمد المستلاني، التصري المؤود والمتضايق والدار والوهاد، الفقيه الشافعى، والمحذث، والملازخ، والأدب، والشاعر، توفي سنة (٢٨٥٢هـ)، (انظر: الضوء الالامع، السخاوى، ٢/٣٦؛ معجم المطبوعات العربية، سركيس، من ٧٧).
- (١١) المباركفوري، ١٧٥/٥ .
- (١٢) الشوكانى، ٢١٢/٨ .
- (١٣) انظر: تحفة الفقهاء، السمرقندى، ٢/٧١؛ كتاب الآثار، يعقوب بن إبراهيم (أبو يوسف)، من ٢٢٩؛ أحكام القرآن، ابن العربي، ٢/١١٢ حاشية عمير، ٤/٢٤١؛ المقطنى، ابن هشام، ١٩٩/٩ .
- (١٤) انظر: أحكام القرآن، ابن العربي، ٢/١٧٧؛ المقطنى، ابن قدامة، ٢٠٠، ١٩٩/٩ .
- (١٥) إبراهيم بن خالد الكلبي البغدادى، أحد أئمة الدنيا شهراً وعلمها بورها، كان ينفقه أولاً بالرأى حتى قدم الشافعى يقدار ما خاطفته إليه ورجع عن مذهبه، توفي سنة (٢٨١هـ). (انظر: مروج الذهب، المسعودى، ٤/٢٨؛ الانقام، ابن عبد البر، من ١٠٧؛ حلقات الشافعية، ابن قاضى شهبة، ١/٥٥) .

- (١٦) انظر: المجموع، التوسي، ٩٧/٤.
- (١٧) انظر: شرح الزركشي، ٢٦١/٢.
- (١٨) انظر: المقني، ابن قدامة، ٢٠٠/٤.
- (١٩) انظر: المصدر نفسه.
- (٢٠) انظر: تفسير ابن كثير، ٩٢/٢؛ فتح القدر، الشواكاني، ١٥/٢؛ أحكام أهل الذمة، ابن القيم، ٨١٧/٢؛ تشريح تحقيق أحاديث التعليق، ابن عبد الهادي الحنبلي، ٤٦١/٢.
- (٢١) أبو محمد، موقر الدين، عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة، كان إماماً في التعمير والمحدث والفقه وعلم الخلاف، أوحد في الشرائع، إماماً في الأصول والنحو والحساب، توفي سنة (١٦٠هـ) (انظر: البداية والنهاية، ابن كثير، ١٢/١٠٠ - ١٢/١١٠؛ ذيل طبقات الحنابلة، زين الدين البقدادي، ٢/١٣٣).
- (٢٢) انظر المقني، ٢٠٠/٤.
- (٢٣) إبراهيم بن إسحاق بن إبراهيم بن بدر، أبو إسحاق العربي، ولد سنة (١٩٨هـ)، كان إماماً في العلم، رأسأية الزهد، عارفاً بالفقه، بصيراً بالأحكام، حافظاً للحديث، توفي سنة (٢٨٥هـ). (انظر: طبقات الحنابلة، أبو يعلى، ١/٨٦ - ٨٧).
- (٢٤) انظر: المطبي، ابن قدامة، ٢٠٠/٤. (١) انظر: المجموع، التوسي، ٩٧/٤.
- (٢٥) آخرجه مالك في الموطأ، ١/٢٧٨ - ٢٧٩ (٦١٦هـ)؛ والشافعية المستند (ص ٢٠٩) بهذا النطء.
- وقد حكم ابن عبد البر بصحبته عن الإمام مالك، وبالانقطاع عن غيره (انظر، الاستذكار، ٢/٤٤٢).
- أما رواية الإمام الشافعي فتقول عنها ابن الملقن في خلاصة البدر المزير: (روايه الشافعى من رواية عبد الرحمن بن عوف ياستاذ منقطع) (نظير، ١٩٥/٢).
- وروى ابن أبي شيبة رواية بمعناه بزيادة: (غير ناكحي نسانهم، ولا آكلي ذاتهم)، ولذلك ابن أبي شيبة، (أن الشيء صالح لله عليه وسلم كتب إلى مجوس أهل هجر يعرض عليهم الإسلام، فمن أسلم قبل منه، ومن لم يسلم ضرب عليه الجزية، غير ناكحي نسانهم، ولا آكلي ذاتهم)، (انظر، المصتف، ٤٨٨/٢).
- قال ابن حجر في الدرية، وهو مرسلاً جيد الإسناد (٤٠٥/٢)، كما رواه البيهقي في المسان الكبوري (١٩٢/٩)؛ (١٨٤٤٣)؛ وعبد الرزاق في المصتف (٣٣٦/١٠)، وأبن أبي شيبة في المصتف أيضاً (٤٢٩/٦) (٢٢٦٤٥) يلطفه، كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى مجوس هجر يعرض عليهم الإسلام، فمن أسلم قبل منه ومن أمن مثربت عليه الجزية على أن لا تؤكل لهم ذيحة، ولا تلتحم لهم امرأة).
- يتقول ابن الملقن في خلاصة البدر المزير: (قال عبد الحق وهذا مرسلاً).
- فكتب وعلل بقيس بن البرير، لكن البيهقي قال: إجماع أكثر المسلمين عليه يؤكله - يعني المرسل (انظر، ١٩٥/٢).
- وقال منه ابن حجر في التلخيصين (١٢٢/٢).
- وقال التزيمي في تنصيب البرير: (قال ابن القطن في كتابه: هذا مرسلاً ومع إرساله فإنه قيس بن سلم، وهو ابن البرير، وقد اختلف فيه، وهو من سام حفظه بالقطناء كشريكه، ابن أبي ليلى، (انظر، ٢/١٧٠).

- (٣٦) انظر: المجموع، التبوبي، ٩٧/٩.
- (٣٧) (الماكرة، ٥).
- (٣٨) النبطي يقتبس، هم قوم من العرب دخلوا في العجم والروم واختلفت آنساتهم، وضفت ألسنتهم، وكان الذين اختلفوا بالمعجم منهم ينزلون البطلان بين المراقين، والذين اختلفوا بالروم ينزلون في بادي الشام؛ سمو بذلك لغتهم باستباط الماء، أي استهرا به لكثره مما جئهم الفلاحة. (انظر: فتح الباري، ابن حجر، ٤: ٢٣١، مقدمة القاري، العوفي، ٦٦/١٢).
- (٣٩) أخرجه عبد الرزاق في المستفت، ٦/ ١١٧ (١٠١٧).
- (٤٠) انظر: المغني، ابن قدامة، ٩/ ٢١٢، ٢١٣/٦.
- (٤١) انظر: أحكام القرآن، الجصاص، ٣٢٧/٢، الجامع لأحكام القرآن، الفطبي، ٨، الاستدكان، ابن عبد البر، ٢٦٤/٢، الأم، ١٧٩/١؛ مسائل أحمد بن حنبل رواية ابنه عبد الله، من ٢٦٤: كشف القناع، البيهقي، ٦، ٢١/٦.
- (٤٢) الأثمام، ١٥٦.
- (٤٣) انظر: شرح الزركشي، ١٢١/٣.
- (٤٤) أخرجه البيهقي في السنن الكبير، ١٨٩/٩ (١٨٤٢)، وفي معرفة السنن والأثار، ٧/ ١١٤ (٥٥١٢)؛ وعبد الرزاق في المستفت، ٦/ ١٠٠٢٥ (٦٨/٦)؛ وابن أبي شيبة في المستفت، ٦/ ٤٣٠ (١٠٧٦)، وأبي عيسى القاسم بن سلام في الأموال، ص ٤ (٧٨).
- يتلو ابن حجر: هذا منقطع مع ثقة رجاله (فتح الباري، ٦، ٢٣١)،
ومثله قال الشوكاني في ذيل الأوطان: (انظر: ٢١٢/٨).
- يقول الإمام الشافعى في الرسالة بعد إيراده حدث عمر رضى الله عنه: (وكل حدث كثيته متقطعاً فقد سمعته متصلةً، أو مشهوراً من روى عنه بعقل عامة أهل العلم يعرفونه عن عامة، ولكن كرهت وضيع حدث لا أتقنه حقطاً، وغاب عنى بعض كتبى، وتحقق بما يمرره أهل العلم مما حفظت، فاختصرت خوف طول الكتاب، فأثبتت ببعض ما فيه الكتابة دون تفصي العلم في كل أمره) (انظر: ص ٤٣).
- كما استدل به الرازى في المحسن على عمل الصحابة وفق خير الواحد، وإنما علموا به لا بنيرة (انظر: ١، ٥٢٨/١).
- (انظر أيضاً: المعتمد، أبو الحسن البصري، ٢/ ١٥٧).
- (٤٥) انظر: شرح الزركشي، ١٢١/٣.
- (٤٦) انظر: أحكام أهل الذمة، ابن القيم، ١/ ٤٠.
- (٤٧) سبق تلخيصه، انظر: ص ٧.
- (٤٨) محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني، ثقته مجتهدة من كبار علماء اليمن، ولد بهجرة شوكان، ونشأ بصناعة، وتولى قضاها، وملأ حاكماً بها سنة (١٢٥٠هـ)، وكان يرى تحريم التقليد. (انظر: ضهرس الفهارس، عبد الحفيظ الكتلاني، ٢: ١٠٨٢/٢؛ إيضاح المكتون، البقدادى، ٢/ ١١؛ الرسالة المستطرفة، محمد الكتلاني، ص ١١٤).

- (٢٩) آخرجه البخاري في الصحيح، ٢/ ١١٥١ (٢٩٨٧) انظر: فتح القدير، الشوكاني، ٢/ ١٥.
- (٣٠) انظر: تفصيل كلام نقدة الحديث فيه، من: ٧
- (٣١) قاله البيهقي في السنن الكبرى، ١٩٢/ ٩ (١٤٤٣).
- (٣٢) البهوي، ٢/ ١١٨ (١١٨) انظر أيضاً: شرح متنها الإرادات، ٤، ٦٥٩.
- (٣٣) أبو العباس، ثني الدين، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام المحراني الديمشقي، شيخ الإسلام، كان كثير البحث في فنون الحكم وفي التفسير والأصول، تأثر العلماء وأفني درس و هو دون العشرين، وتوفي سنة (٦٧٢هـ).
- (٣٤) انظر: المتفق عليه في مناقب شيخ الإسلام ابن تيمية، ابن عبد الهادي: الشهادة الزكية في قيام الأئمة على ابن تيمية، مرجعى بن يوسف الجنبي: البدر المطاع، الشوكاني، ص ٦٢).
- (٣٥) الثناوى الكبير، ١/ ٩٥.
- (٣٦) انظر: كتاب الآثار، يعقوب بن إبراهيم (أبو يوسف)، من: ٢٢٩؛ الفواكه النباتية، القراءى، ١/ ٣٩٠؛ الجموع، التبوي، ٩٧/ ٩؛ المقتني، ابن قدامة، ٣١٤/ ٩.
- (٣٧) آخرجه ابن أبي شيبة في المصنف، ٥/ ١٣٦ (٢٤٣٧١).
- (٣٨) انظر: المقتني، ابن قدامة، ٣١٤/ ٩.
- (٣٩) الزمزمه: هي كلام المجنون عند أكلهم بصوت خفي لا يكاد يفهم. (انظر: لسان العرب، ابن منظور، ١٢/ ٣٧٤).
- (٤٠) أبو عمرو، عامر بن شراحيل الهمذاني الكوفي، من شعب همدان، راوية من التابعين، يحضر المثل بحفظه، وهو من رجال الحديث الثقات، كما كان قهيباً شاعراً، استضاءه عمر بن عبد العزيز، ومات بالكوفة سنة (١٠٣هـ).
- (٤١) انظر: تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي، ١٢/ ٣٣٧ (٢٤٩)؛ مختصر تاريخ دمشق، ابن منظور، ١١/ ٢٤٩ (٢٤٩)؛ ذكرى الحفاظ، الذهبي، ١/ ٧٩.
- (٤٢) انظر: المقتني، ابن قدامة، ٣١٤/ ٩.
- (٤٣) هو: أبو سعيد، الحسن بن أبي الحسن سمار البصري، ثابعى، ولد لستين بقينا من خلاة عمر، إمام أهل البصرة، وأحد الفقهاء الفصحاء الشجعان النساك، رأى علياً، وطلحة، وعائشة، توفى سنة (١١٠هـ)، له كلمات ساخرة، وكتاب في فضائل مكة. (انظر: حلية الأولياء، الأسمبهانى، ٢/ ١٣١؛ وحيات الأعيان، ابن خلkan، ٢/ ٦٩ (١٥٦)؛ ذكرة الحفاظ، الذهبي، ١/ ٦٦).
- (٤٤) انظر: شرح الزرقاني، ٢/ ١١٨ (١١٨)؛ المقتني، ابن قدامة، ٣١٤/ ٩.
- (٤٥) أبو همران، إبراهيم بن يزيد بن قيس التخفي، ثابعى، كان شيخاً لحمد بن أبي سليمان الذي كان أستاداً لأبي حقيقة، أحد كبار الفقهاء، يعتمد في فنه الرأى إلا أنه يرى أن الرأى لا يستقيم إلا برواية، ولا رواية إلا برأى، كانت وفاته سنة (٦٦هـ)، وكان إماماً مرجحه له مذهب. (انظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي، ٤/ ٥٢؛ البداية والنهاية، ابن كثير، ٩/ ١٦٠؛ تاريخ التراث العربي، سركين، المجلد الأول، ١٨/ ٣).
- (٤٦) انظر: كتاب الآثار، يعقوب بن إبراهيم (أبو يوسف)، من: ٢٢٩.

- (٥٥) انظر: المتفى، ابن قدامة، ٢١٤/٩؛ شرح الزركشي، ٢٥٠/٣.
- (٥٦) آخرجه الشافعى يلا المستد، من ٣٤٠ وأحمد يلا المستد، ٩٧/٢ (٥٧٢٣)؛ والوهقى يلا السنن الكبرى، ٢٥٧/٩.
- (٥٧) رواه مالك يلا المؤصل، ٢٢/١ (٤١)؛ وأحمد يلا المستد، ٣٦١/٢ (٨٧٢)؛ والشافعى يلا الكبرى، ٢٥/٥٨؛ وأبو داود، ٣٦ السنن، ٢١/١ (٨٢)؛ والترمذى يلا السنن، ١٠/١ (٦٩)؛ وابن ماجه يلا السنن، ١٣٦/١ (٣٨٧، ٣٨٦).
- قال الترمذى: هذا حديث حسن صحيح.
- (٥٨) أبو الحارث، الثيث بن سعد بن عبد الرحمن، إمام أهل مصر في عصره حدثنا وعلّمنا، قال الشافعى، الثيث ألقه من مالك إلا أن أصحابه لم يقوموا بحثه، توبية بالقاهرة سنة ١٦٧٥هـ، من كتابه (التاريخ، رسائل في الفقه).
- (انظر: حلية الأولياء، الأصبهاني، ٢١٨/٧؛ تاريخ بغداد، الخطيب البغدادى، ١٢/٣؛ وعيات الأعيان، ابن حلكان، ٤/١٢٧، ٥٤٩).
- (٥٩) انظر: المتفى، ابن قدامة، ٢١٣/٩؛ مختصر الإنصاف والشرح الكبير، محمد بن عبد الوهاب، من ٢٧٧.
- (٦٠) لقوله صلى الله عليه وسلم يلا البحر: (هو الظهور عليه الحال مولته). (انظر: شرح الزرقانى، ٢/١١٨).
- (٦١) لم يصححها إلا ابن عثيل (النظر، الميدع، ابن مقلح، ٢١٦/٨).
- (٦٢) انظر: المتفى، ٢١٣/٩، ٢١٤، ٢١٥، ٢١٦، ٢١٧. وإنظر أيضاً: القواكه الدولى، المنغراوى، ١/٢٩٠.
- (٦٣) انظر: مجمع الأئم، شيخى زاده، ٤/٢٥٩؛ الذخيرة، القراءة، ٤/٢١٧٠؛ المجموع، النورى، ٩٧/٩؛ المتفى، ابن قدامة، ٢٩٩/٩.
- (٦٤) انظر: المتفى، ابن قدامة، ٢٩٩/٩.
- (٦٥) انظر: ملتقى الأبحاث، شيخى زاده، ١/٢٥٨.
- (٦٦) انظر: الدولة الكبرى، ٢/٥١.
- (٦٧) انظر: الأأم، ٢٢٧/٢؛ الإقطاع، الخطيب الشربى، ٢/٥٨٠.
- (٦٨) انظر: المتفى، ابن قدامة، ٢٩٩/٩.
- (٦٩) انظر: الذخيرة، القراءة، ٤/٢٢٢؛ حلية العلماء، الشاشى، ٢/٣٧٠؛ المتفى، ابن قدامة، ٢٩٩/٩.
- (٧٠) انظر: المجموع، النورى، ٩٧/٩؛ المتفى، ابن قدامة، ٢٩٩/٩.
- (٧١) انظر: الميسوط، السرطسى، ٢٤٥/١١؛ التشير، القراءة، ٤/٢٦٧؛ مختصر المزفى، من ٢٨٢؛ نهاية المحتاج، الرمان، ١١٢/٨؛ الميدع، ابن مقلح، ٢٢٦/٩.
- (٧٢) هو عبد الأوثان، والوثن: هو الصنم، وقد طرق ابن الأثير بينهما بأن الوثن كل ما له جملة معمولة من جواهر الأرض، أو من الخشب، أو الحجارة، كصورة الأ Kami تعلم وتتحسب للتعيد. أما الصنم: فهو الصورة بلا جثة. ومن اللغويين من لم يفرق بينهما، وأطلقهما على المعنى. (انظر: لسان العرب، ابن منظور، ١٢/٤١٢).
- (٧٣) نصفة الملوك، يلا فقه مذهب الإمام أبي حنيفة التعمان، من ٢٠٩؛ التشر الدانى يلا شرح رسالة القبرواتى،

- من ٥٠١: حاشية المدوبي، ١/٧٣٩؛ الوسيط، الفزالي، ٧/١٠١؛ غاية البيان، محمد الرملي، من ٢١٢؛ الروض المربع، البوذقي، ٣/٢٦٠.
- (٧٥) انظر: المصادر السابقة.
- (٧٦) انظر: كتاب الآثار، أبو يوسف، من ٢٢٨؛ المسوط، السريخني، ٤٢/٢٧؛ الخلاصة الفقهية على منصب السادة المالكية، محمد العربي القروري، من ٢٨١؛ الأم، ٢/٢٤٢؛ شرح الزركشي، المقني، ابن قدامه، ٩/٣٩٢.
- (٧٧) انظر: حاشية المدوبي، ١/٧٣٩.
- (٧٨) اختلف منهج الباحثة في التعريف ب أصحاب العلامة في هذه المسألة حيث لم تورد تعريفاً موجزاً لهم في الياعش؛ وذلك لأن أحكام الفقهاء هي علمائهم مبنية على تحديد مفهومهم، وكان المقام يقتضي بسط كلام الفقهاء حول هويتهم.
- (٧٩) انظر: لسان العرب، ابن منظور، ١/٨٠٢؛ التاسعون الحميد، الفيروزآبادي، من ١٥؛ الفائق، الزمخشري، ٢/٢.
- (٨٠) انظر: الأم، ٤/١٦٢.
- (٨١) قاله: أبو سعيد الأصلخيري. انظر: أحكام أهل الذمة، ابن القيم، ١/٢٢٢.
- (٨٢) قاله: مجاهد. انظر: أحكام أهل الذمة، ابن القيم، ١/٢٢٢.
- (٨٣) قاله: هنادة. انظر: المصدر السابق، ١/٢٢٢.
- (٨٤) قاله: مجاهد. النظر المصدر نفسه.
- (٨٥) قاله: ابن جرير، النظر: المصدر نفسه، ١/٢٢٤.
- (٨٦) قاله: ابن زيد. انظر: المصدر نفسه، ١/٢٢٥.
- (٨٧) قاله: هنادة. النظر: المصدر نفسه.
- (٨٨) قاله: السدي. انظر: المصدر نفسه.
- (٨٩) قاله: ابن جرير الطبراني، النظر: المصدر نفسه، ١/٢٢٦.
- (٩٠) انظر: بداية المجتهد، ابن دشت، ١/٢٢١.
- (٩١) انظر: المسوط، السريخني، ١١/٢٤٧؛ بدائع الصنائع، الكاساني، ٢/٢٧١؛ النتف في الفتوى، أبو الحسن السندي، من ٢٢٨.
- (٩٢) انظر: بلقة السالك، الصاوي، ٢/٩٩.
- (٩٣) انظر: المهدى، الشيرازي، ٢/٤٤؛ الوسيط، الفزالي، ٧/٩١؛ فتح الوهاب: ذكرها الإنصاري، ٢/٧٧.
- (٩٤) انظر: الفروع، ابن ملجم، ٦/٢٨٠؛ الاتصاف، الترمذاوي، ٤/٢١٨.
- (٩٥) الحجج، ١٧.
- (٩٦) لائحة، ٦/٢٤١.
- (٩٧) انظر: الاستدلال، ٥/٢٨٢.
- (٩٨) انظر: دراسة عن الفرق في تاريخ المسلمين (الخوارج والشيعة)، أحمد محمد جلي، من ٢٣٥.

- (١٩٩) المصدر نفسه، ص ٣١١.
- (٢٠٠) انظر: حاشية ابن عابدين، ٦/٢٩٨؛ منح الجليل، محمد علیش، ٩/٢١٠؛ كتابة الآثار، الحصانی، ص ٥٦٢؛ مطالب أولي النهى، محيط الفتاوى الرحبياتي، ٦/٢٨٥.
- (٢٠١) انظر: مختصر الفتاوى المصرية، البعلبكي، ص ٤٧٣، ٤٧٤.
- (٢٠٢) محمد أمين عمر بن عبد العزيز بن عابدين الدمشقي الحنفي، قديه أصولي، ولد بم دمشق وتوفي بها سنة (١٢٥٢هـ). (انظر: فهرس الفهارس، الكتاب، ٢/٨٢٩؛ إيضاح المكون، البغدادي، ١/١٧؛ معجم المطبوعات العربية، سركيس، ص ١٥٠).
- (٢٠٣) أبو يكرب بن محمد بن عبد الله المؤمن بن حريز الحسيني الحصانی، فقهاء الشافعیة، نسبة إلى الحصن من قری حوران، تولى دمشق سنة (٨٢٤هـ). (انظر: الضوء الامامي، السخاوي، ١١/٨١؛ شذرات الذهب، ابن العماد الحنبلی، ٧/١٨٨؛ حلقات الشافعیة، ابن قاضی شعبة، ٢/٤٠٢).
- (٢٠٤) هوشی، بن الجن والبن الجامد، يسمى بلاد مصر فريشة (انظر: حواشی الشرواتی، ١٠/١).
- (٢٠٥) ٦/٢٩٨.
- (٢٠٦) المصدر نفسه.
- (٢٠٧) الارتكادي في اللقنة: الرجوع والردة، ٢٨ الشرعية، هو الراجح عن دین الإسلام إلى الكفر (انظر: مختار الصحاح، الرازی، ص ١٢١؛ ثواب الفقهاء، القونوی، ص ١٨٧؛ المطلع على آیات المقلع، ح ٢٧).
- (٢٠٨) أبو عمر، عبد الرحمن بن عمرو بن محمد الدمشقي، من الأوزاعی، إمام الديار الشامية في الفقه والزهد، عرض عليه القضاء فلما تمعن وتولا سنة (١٤٥هـ)، من آثاره: (السنن) ٢٨ الفقة، (المسائل). (انظر: الفهرست، ابن التديم، المقالة السادسة، ص ٤٢٧؛ تذكرة الحفاظة، الذهبهی، ١٧٧٨).
- (٢٠٩) أبو يعقوب، إسحاق بن إبراهيم بن مخلد بن راهويه، اجتمع له الحديث والفقہ والمحقق والصدق والورع، تولى بنهاياور سنة (١٢٢٨هـ). (انظر: حلية الأولياء، الأصبهانی، ٢٢٤/٩؛ المنهج لأحمد، الطیبی، ١٧٢).
- (٢١٠) المثلثة/٥١. (انظر: مختصر اختلاف العلماء، الطحاوی، ٢/٢١١؛ للجمع، التووی، ٩/٧٦؛ المفتی، ابن قدامة، ٩/٢٢).
- (٢١١) انظر: الإنصاف، المرداوی، ١٠/٣٩٠؛ شرح الزركشي، ٣/٢٧٤.
- (٢١٢) انظر: السیر، محمد بن الحسن الشیعیانی، ص ٢٠٦؛ لسان الحكم في معرفة الأحكام، إبراهیم بن أبي الیمن الحنفی، ص ١٧٨؛ مواهب الجليل، الحسّاب، ٢/٢١٤؛ التجمع، التووی، ٩/٧٦؛ دلائل الطالب، مرتضی بن یوسف الحنبلی، ص ٢٢١؛ الإنصاف، المرداوی، ١٠/٣٩٠.
- (٢١٣) أخرجه الإمام مالک في الموطأ، ٢/١٨٨؛ والبیهقی في السنن الكبرى، ٩/٢١٧ (١٨٥٨).
- (٢١٤) انظر: الرد على سیر الأوزاعی، أبو يوسف الحنفی، ص ١١٥؛ أحكام القرآن، الجصاص، ١/١٠٠؛ مختصر اختلاف العلماء، الطحاوی، ٢/٢٢١؛ المفتی، ابن قدامة، ٩/٢٢.
- (٢١٥) أخرجه مسلم في الصحيح، ٢/١٣٦٤ (١٧٤٤).
- (٢١٦) انظر: الهدایة شرح البدایة، المرضیانی، ٢/١٦٥.

٤

اللغة العربية وأدابها



جامعة الطائف

جماليات المكان في سورة النمل

د. هايزه أحمد مصلح الهربي

أستاذ مساعد بجامعة الملك عبد العزيز

كلية الآداب والعلوم الإنسانية

قسم اللغة العربية - أدب ونقد

الملخص

انصبّت هذه الدراسة على توضيغ جانب المكان الفني المتجلّر في عمارة القصّة القراءية وبنائها السردي للأحداث، إذ تعد تقنية المكان ذات دور هام في بناء القصّة الفنية وتركيبها، وقد تم اختيار «جماليات المكان في سورة النمل» موضوعاً لهذه الدراسة، وذلك لتنوع الأمكنة ضمن التصصص القرائي في سورة النمل الذي جاء متتابعاً وفق تعدد الأحداث وتداخليها فيما بينها، وكذلك التميّزها بالبناء الفني التصصي، مما يتطلّب تعدد المشاهد فيها كقصّة سليمان مع الهدد وملكة سبا. كما أن المكان دوره في بروز السمات الشخصية وعرض انفعالاتها النفسية في مختلف مشاهد القصّة وموافقها. وقد جاء ربط الأحداث بذكر المكان في سورة النمل، ليسهم في صياغة الأحداث وتصوير الموضوع المراد منه، للعبرة والتذكرة في سنن الله. وتحقيقاً لتلك الرؤية استهلّت الدراسة بمعقدمة وتمهيد عن (المكان: المفهوم والدلالة) ثم قسمت الدراسة إلى مبحثين: المبحث الأول عن: (تنوع المكان ودلالياته في سورة النمل) وفيه تم التوقف عند دلالات الأماكن التالية: النار - وادي النمل - مدينة سبا - الخبر - البرش - الصرخ. أما المبحث الثاني فكان عن: (العلاقات المكانية في سورة النمل) وقد تشكّل البناء السردي للعلاقات المكانية في سورة النمل من تفاعلاته مع مكونات السرد من حيث رئيس، وشخصية تقوم بفعل يدل على زمان، وقد تعمّدت الدراسة اتخاذ نماذج قصصية تحقق تلك الرؤيا. واختتمت بأهم النتائج التي توصلت إليها.

المقدمة :

أهم ما يميز الأسلوب القرآني وأبرز مظاهر إعجازه البصري اعتماده في خطابه على التصوير الفني؛ الذي يجسم معاناته المتعددة بعدة أساليب مستحضرة أمام المتخيل، وكأنها واقع يتحرك أمام العين. فالتصوير الفني في القرآن يرتقي بالصورة التي يرسمها؛ ويعندها الحياة الشائكة والحركة المتتجدة من خلال الانتقال بالقارئ إلى مكان الحديث وزمانه.

وقد اتجهت الدراسات الأدبية الحديثة إلى البحث في التصوير الفني في القصص القرآني كبناء هندسي؛ يتحقق فيه للدارس استخدام التقنيات الحديثة في دراسة القصة القرآنية، وهذا مما يؤكّد على وجود أساليب هندسية في القصص القرآني بحاجة إلى التأمل العميق، والتي لم تكتشف بعد، بل ويمكن توظيفها في كتابة القصة الحديثة ودراساتها عامة. ذلك لأنّ قراءة القصص القرآني بسرديته عن سائر الخطابات السردية الأخرى، فالمصدرية المعالجة عليها هذا القصص هو الله جل جلاله، والمعطى السردي القرآني يفارق جذرياً المعيّن الوضعي ويسمو عنه من حيث مصدرية الحديث السردي، وتحقيق غايته الأسمى التي تهدف إلى القابلية لدى الملتقي ألا وهي معانقة عقيدة التوحيد.

ونعد تقنية المكان ذات دور هام في بناء القصة وتركيبيها، إذ يتجاوز كونه الإطار الذي يحوي الأحداث، وتتحرك فيه الشخصيات، ليصبح له فاعلية مهمة في تحريك هذه الأحداث، وتوجيه شخصيات القصص، فهو بتأثيره يستقطب جماع العناصر الداخلية في تركيب السرد يقول في ذلك جاستون باشلان: «إن المكان الذي يتجلّب نحوه الخيال؛ لا يمكن أن يبقى مكاناً لا ميالاً ذا أبعاد هندسية وحسب، فهو مكان قد عاش فيه يشر ليس بشكل موضوعي فقط، بل بكل ما في الخيال من تحيز، إنما ننجذب نحوه، لأنّه يكتف الوجود في حدود تسم بالجمالية»^(١). والمكان في القصص القرآنية يأخذ قيمته التعبيرية ضمن الميادين التوجيهي للقصص، وضمن أحداثها الكلية.

وستتسبّب هذه الدراسة على توضيح جانب المكان الفني المتتجذر في عمارة القصص القرآنية وبنائها السردي للأحداث. لذا فقد تم اختيار سورة النمل نموذجاً لهذه الدراسة، والسير فيه نحو النهج السيميائي التحليلي لدلالة المكان فيها، وذلك للأسباب التالية:

- ١- تعدد الأمكنة ضمن القصص القرآني في سورة النمل جاء متتابعاً وفق تعدد الأحداث فيها وبحسب ما تملّيه هذه الأحداث، حيث انتقل بها على الصعيد السردي من مستوى إلى مستوى آخر، فقد ابتدأ بقصة موسى التي تلت مقدمة السورة عند روّيته للنار ومن ثمّ ذهابه إليها، ثمّ قصة سليمان مع النملة ومع الهدهد ومع ملكة سبأ، وتليها قصة صالح مع قومه ثمّود،

التي يبرر فيها تامر المفسدين منهم عليه وعلى أهله وتبين لهم قتله... وتحتم سورة النمل بقصة قوم نوط مع قومه، وفهمهم ياخراجه هو والمؤمنون معه من قريتهم بحجج أنهن أناس يتعلمون. وهذا التعدد دل على التلاحم المكاني في وحدة الموضوع ووحدة الانطباع، ومن ثم إقامة الروابط بين العلاقات المختلفة.

٢- تميز البناء الفني للقصة القرآنية في سورة النمل بداخل الأحداث فيما بينها، مما سمح بالتحولات السريعة حول أماكنها، وتطلب تعدد المشاهد فيها كقصة سليمان مع الهدى ولملكة سبأ، حيث قطعت إلى ستة مشاهد، تحمل التوجيه الوج다كي المقصود من عرضها في السورة، وبذلك تتحقق العبرة التي من أجلها يساق القصص القرآني.

٣- للمكان دوره في بروز السمات الشخصية وعرض انفعالاتها النفسية في شتى مشاهد القصة وموافقتها ومعالم الميزة لها، والتي تعددت في السورة منها: شخصية سليمان، وشخصية الملائكة، وشخصية الهدى، وشخصية حاشية الملك. كما برزت شخصيات اخترقت المكان، وأدت دورها الفاعل في مسار أحداث القصص، من الجن والنمل والطير.

٤- جاء ربط الأحداث بذكر المكان في سورة النمل، ليسهم في صياغة الأحداث وتصوير الموضوع المراد منه، وإبراز الموازنة بين موقف المشرعين في مكة وموافق الفابرين قبلهم من شئون الأمم للعبرة والتدبر في سنن الله.

وتحقيقاً لتلك الرؤية تمت الدراسة على النحو التالي:

- المقدمة

- التمهيد: (المكان: المفهوم والدلالة)

- البحث الأول: تنوع المكان ودلائله في سورة النمل:

يعد المكان أحد الموضوعات الأساسية التي ارتكز عليها الخطاب القرآني في السورة الكريمة وقد ورد ذكر المكان ضمن الحديث القرآني في اتجاهين: المكان الصريح، المكان الإشاري، وقد تناولت الدراسة دلالات الأماكن التالية: النار - وادي النمل من حيث: دلالة المكان على الحقيقة، وفاعلية المكان وحركته في النص القرآني في: (مدينة سبأ- الخبر- العرش- الصرح).

البحث الثاني : العلاقات المكانية في سورة النمل:

- تشكل البناء السردي للعلاقات المكانية في سورة النمل من تفاعلها مع مكونات السرد من حدث رئيس، وشخصية تقوم بفعل يدل على زمن، «المكان» هو الجامع لحضور مكونات السرد بصورة متكاملة، لهذا جاء البحث ليعمل على دراسة النص دراسة سردية، تتعمق كل مكوناته كجزء مكمل للحدث، وقد تعمدت الدراسة اتخاذ نماذج فضائية تحقق تلك الروابط وكانت

كالتالي:

- تشكل البناء السردي للعلاقات المكانية في قصة الوادي المقدس. وقد تكونت من ثلاثة مشاهد.
- تشكل البناء السردي للعلاقات المكانية في قصة وادي التمل.
- تشكل البناء السردي للعلاقات المكانية في قصة مدينة سباً. وقد تكونت من خمسة مشاهد.
- وانتهت الدراسة بالنتائج، وفهرس المصادر والمراجع.

التمهيد:

(المكان: المفهوم والدلالة)

للمكان مفاهيمه المتعددة. فقد ارتبط منذ القديم بالجانب الحسي وذلك منذ عهد أهلامون وأرسسطو، اللذين تحدثا عن المكان - في إطار فلسفـي - بأنه الحاوي للشيء والمحيط به، كما ارتبطت نظرية الفلاسفة للمكان بعلم الفلسفة والتقيزيات، فعقدوا الصلة الوثيقة بين الزمان والمكان والحركة.^(٩)

أما المكان عند أهل اللغة فهو: الموضع والجمع أمكنة، وأماكن، كما ورد معناه عند ابن منظور تحت الجذر (م ك ن) قال: «والمكان الموضع والجمع ، أمكنة، كفذال وأقدلة، وأماكن جمع الجمع، قال شلب: يبطل أن يكون المكان فعلا لأن العرب تقول: كن مكانك، وقم مكانك، واقعد مقعدك، فقد دل هذا على أنه مصدر من كان أو موضع منه»^(١٠)

وقد تعددت أسماء المكان ومصادره في اللغة: المكان - الكائن - المكون - الأمكن، وجميعها تلتقي ضمن إطار جذر لغوي واحد وهو (ك و ن)، مما يدل على ارتباط المكان بالزمان، وواقعته الحديثة في إطار زمني محدد له. حتى أصبح المكان واحداً من القضايا التي يخترقها الإنسان بالبحث، بغية التعمق في هذا المحسوس و تمام إدراكه^(١١). أصبح تطور مفهوم المكان أكثر دلالة لغوية، إذ يعني: الحيز أو الموضع أو الخلاء، وقد تحول مشروعه يستهدف تحليل أوضاع النوات والأحداث ضمن الفضاء، ومعرفة مقاصدها الدلالية. فالمكان يبحث عن كل ما يتعلق بالإنسان كهيئة الإقليم - الهندسة المعمارية - تنظيم المدن - تموير المخاطبين وجهأً وجهاً، متى ومتى، حيثما لجأ إلى حد كبير^(١٢). ذلك العالم الكوني بكل محسوساته وطبعاته المادية، هو أكثر التصاقاً بالإنسان، ولا سيما أن ذلك يدل على أن العلاقة بين الإنسان والمكان هي علاقة نفسية تحمل خبرات، تستدعىها دائمًا الذاكرة الإنسانية وقت حدوثها.

ويعد كتاب (جماليات المكان) لجاستون باشلار أول كتاب يتحدث في هذا المجال. ويتبرز أهميته في التحريض على حب المكان وقراءة أسراره؛ إنه يبحث في القيمة الإنسانية لأنواع المكان

الأدبي الذي يمكننا الإمساك به، كما يرى أن المكان يتصل بجوهر العمل الفني ، «**فالمكانية في الأدب هي الصورة الفنية التي تذكرنا أو تبعث فيها ذكريات بيت الطفولة، ومكانية الأدب المظليم تدور حول هذا المحور**»^(١) هذا وقد تعددت الدراسات النقدية التي توقفت عند مصطلح المكان، لتقسره بأنه (اللحظة السردية) التي تحدث وقت الكتابة، وفي هذه اللحظة تقدم الواقع والواقع بأماكنها وأزمانها، وفيه مكان القصة / العمل الفني.» هذا ولو أنه من الممكن أن يتم المرد بدون الإشارة إلى مكان القصة، ومكان اللحظة السردية أو العلاقة بينهم ... إلا أن المكان يمكن أن يلعب دوراً مهماً في السرد، وأن السمات أو الوصلات بين الأماكن المذكورة أعلاه، يمكن أن تكون مهمة، وتؤدي وظيفة موضوعية وبنوية كوسيلة للتشخيص». ^(٢)

ويعد التشكيل المكانى نوعاً من التنظيم يفتح في المرد ، ويتعلق بالظروف الزمكانية التي تحدث فيه الواقع ومكان المشهد وذمانه؛ مع تباين في طراحته السردية، وذلك حسب التقنية التي يستخدمها المؤلف والأحداث المتالية. فقد يكون بارزاً تصيّاً أو مهملاً ثابتاً أو غير ثابت وتحصيلات المكان من الداخل والخارج ، والشاهد في الأمكانة يمكن أن يكون وظيفياً كل جزء له وظيفة في الحديث. ^(٣)

وتعدد الأمكانة في النص الأدبي وهناك المكان المثالي، و الحقيقى، و النفسى، والتاريخى، ولكنه يقع دائماً تحت أساس: (الخيال الحالة النفسية، الوضع الاجتماعي). وفي هذا الإطار تقدم الدكتورة حنان موسى تعريفاً للمكان بقولها: «(المكان الذي يتشكل بفعل الخيال لغوريا) أي إن المكان هو المكان الملموس ، والخيال هو: خيال الأديب الذي تكون لديه عبر تاريخ طويل؛ تحت وقع الظروف الاجتماعية والنفسية، والسياسية ، والدينية». ^(٤)

أما المكان في النص القرآني فإنه يعدّ وثيقة لحقيقة الأحداث المقصوصة فيه، إذ إنه يسير بشكل منطقي متافقاً مع عنصر الزمن في تشكيل الحدث والشخصية الساردة أو المروي لها أو الواقع عليها أو منها الحديث؛ ذلك أن الخطاب القرآني موجه للإنسان ولعمارة الأرض، وهو ملتصق بالطبيعة وبالكون من حوله. حتى إن الكائنات من حوله ملتصقة به، ولذلك تعددت الأمكانة الشخصية القرآنية، التي تقوم على التسامي بالإنسان، كما سترى في دراستنا عن (جماليات المكان في سورة النمل).

فقد سارت الأحداث في أمكنة تاريخية محددة بأسمائها، وفق منطق القول الحقيقى بين الشخصيات المستدعاة، في زمن محدد بيته ، مصور في عالم لا يقبل الجدل فيه. فالمكان في القرآن الكريم حقيقة تاريخية، خاصة أن النصوص القرآنية تحوى كثيراً من الآيات التي تتحدث عن الأماكن، أو ما يسمى بالحير الجغرافية في العمل المردي، الذي يمتنع المكان حدوداً

جغرافية بعينها، ولا أدل على ذلك من تسمية سور في القرآن بأسماء أمكناه تاريخية بعينها، مثل: الكهف - الطور - الأحقاف - الحجرات - سباً، أو غير المحدود / الحيز المفتوح، والذي يتم عرضه من خلال اللغة ومفرداتها كالحدث في السماء والأرض والجبال والجنة والنار.^(١٠)

أما جماليات المكان في القرآن الكريم فإنها أقيمت على أساسه طبيعة الشعور بالجمال والمناصر المكونة له الكامنة في العمل الفني^(١١) وذلك بالكشف عن أسراره وأساليبه الجمالية في القول من خلال الموضوعات القرآنية المتعددة، والتي تشمل: الألفاظ والتركيب الجزلة، والصورة الفنية البارعة، والحكمة البليغة، وطرائق القص وال الحوار الفني، علماً بأن القرآن الكريم كتاب هداية وتشريع قبل كل شيء؛ ولكن اللغة الجمالية التي تحيط بالمضمون في النص القرآني تؤيد فكرة مفادها: إن الموضوع الجمالي غائي، ولكن الطابع الجمالي الطاغي الذي يفلط مفردات وتعبيرات المضمون التشعري لا يقل أهمية عن ذلك المضمون، لمن ينظر للنص نظرة جمالية فاحصة، لاسيما أن الشكل الجمالي للتعبير القرآني يخدم المضمون الديني، فهما يتماهيان معاً سعيًا وراء خلود النص وأياته.^(١٢)

المبحث الأول

تنوع المكان ودلالته في سورة النمل:

يعد المكان أحد الموضوعات الأساسية التي ارتكز عليها الخطاب القرآني في السورة الكريمة، وقد ورد ذكر المكان ضمن الحديث القرآني في اتجاهين: إما صريحاً مباشراً: وادي النمل، سباً، بيروت، مساكن، القرية، الخبر، الصرح. أو ضمنياً/إشارياً: مثل الأرض المقدسة/طوى، بيت المقدس، الجبال، الشمس، مطر المندرين. وسيتم تتبع دلالاتها وفق الأحداث التي سارت فيها وبحسب ترتيب السورة الكريمة.

(النار)

﴿لَا قَالَ مُوسَى لِأَهْلِيهِ إِنِّي مَكَثْتُ كَذَّا شَاءْتُ كَذَّا إِنْهِي أَوْ مَكِّيْكُمْ بِشَهْبٍ قَبْرِيْنْ لَكُلُّكُمْ صَلَوَتْ بِكَذَّا جَاءَهَا نُورِيْ أَنْ يُورِيْكَهُ مَنْ فِي الْأَكَارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَمَنْ بَحْنَنَ الْأَقْرَبَ الْأَقْرَبَ ﴾٨﴾ **نُورِيْ إِنْهِيْ أَنَّ اللَّهَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ** ﴾٩﴾

من جماليات النarrative الآية الكريمة أنها ذكرت في الخطاب القرآني مرتين: الأولى على الإظهار في قوله تعالى **«كَذَّا كَذَّا»** مخاطباً سيدنا موسى عليه السلام أهله ، وفي الثانية جاءت على الإضمار بقوله **«هَلْمَا جَاءَهَا»**. ولم تكن على الحقيقة، وهنا تكمن الدلالة المقصدية، وذكرت النار على الحقيقة بدلالة قوله **«كَذَّا»**، والإبهام دال على الإحساس والشعور بأمر خفي، يكون في المرئيات وفي الأصوات. وهذا هو المكان الأول / **«كَذَّا»** تمت رؤيتها ثم الذهاب إليها دالاً على زمن السير، وهو الليل، والخطاب لأهله. سأليكم منها بخبر من (موقع النار). والخبر ما يسمى به

لأهلة من هذا الموضع / المكان والمقصود به هداية الطريق.^(١٤)

والمراد بـ(الخبر) خبر المكان الذي تلوح فيه النار ويسعدون به أهلة، ظننا منه أن هنالك يبتأ
يرجو منه استضافته وأهلة في تلك الليلة، وإن لم يكن الواقع كذلك، فعله يأتي من أهل ذلك
المكان بجمرة نار، يوهد بها لأهلة ناراً من خطب الطريق للاستدقاء والاستئارة، ويبدو أن تلك
النار المتأرجحة والمضطربة، لم تظهر على حقائقها إلا لموسى عليه السلام دون غيره من أهلة؛
لأنها لم تكن ناراً معتادة، وإنما هي قبس من أنوار عالم الملائكة، خص الله بها موسى دون غيره،
ويؤيد هذا تأكيده الخبر.^(١٥)

والنار الأولى التي بدت على الحقيقة بأنها النار المعروفة، والتي لم تحدد بعد هويتها؛ جاءت
نكرة «كذا»؛ لظهور دلالتها على الحقيقة، بأنها تمثل شكلاً من أشكال الحياة الاجتماعية في
ذلك الزمن ومن ثم تحولها إلى نار أخرى (فَلَمْ يَجِدْهَا ثُرِيقٌ أَنْ يُورِكَ مَنْ فِي الْأَثَارِ وَمَنْ حَوْلَهَا) إذ إنه
عندما آتاهها رأى منظراً هائلاً عظيماً، فلم تزد النار إلا توهدأ، وبدا نورها يتصل بأعنان السماء
فلم تكن ناراً بل نوراً يتوهج.^(١٦)

في هذا المكان والموضع تم النداء على موسى (بُورِكَ) للبناء للمجهول - وهو معلوم - ولكنه
التوفير والإجلال والتقطيم للمنادي العظيم وقد يعلق النداء بالبركة في هذا المكان الذي بنيت
أفعاله للمجهول؛ لتأتي على تقدير المعنى (بُورِكَ مَنْ فِي الْأَثَارِ وَمَنْ حَوْلَهَا). ومعنى (بُورِكَ) قدس
وطهر وزيد خيره؛ ليهم على مكان النار وهو نداء موجه لموسى عليه السلام؛ ليكون معنى البركة
عاماً على المكان (بورك من في المكان) والجهة التي لاحت فيها النار، هذا المكان الذي يمثل
القدسية بكل العالم التي حوله، من الملائكة الموكلين والشجر والنار والنور. وقد قيل في موضعها
شجرة تقدّ فيها النار، بدلالة من حولها وهم الملائكة، وموسى عليه السلام، وقد قيل إنها تكون
لما لا يعقل، وهسر ذلك بالأمكانية التي حول النار، وجدير بأن يباركها الله بمن فيها، ومن حولها إذ
حدث أمر عظيم؛ وهو تكليم الله جل جلاله موسى عليه الصلاة والسلام، والابتداء بهذا النداء
فيه تنبية وتنبيه وتبشير لموسى عليه الصلاة والسلام بالنبوة.^(١٧)

وتتضاءل دلالة التبريك بالمكان والنار؛ ليشكل دلالة واحدة في معنى جماليات الآية على
البركة، وتأتي دلالة «من» الموصولة بعد الفعل المبني للمجهول (بُورِكَ) على النداء إذ إن
هذا «التبريك» تبريك ذات لاتبريك مكان، بدليل ذكره من الموصولة في الموصعين، وهو تبريك
الامتحناء الإلهي بالكرامة. وقد إن قوله أن بورك من في النار، إنما هي تحية من الله تعالى على
موسى عليه السلام لما كانت تحية الملائكة لإبراهيم.^(١٨)

ويلاحظ أن دلالة ذكر النار في الآية جاءت محددة بزمن معين وهو (الليل)، والمكان الأكبر

الذي احتواه هو (الصحراء)، والنار-كما يبدو- تأتي في مكان متسم بالاتساع، مع ما يصاحبها من الشعور بالوحشة والخوف، فلنكان هو النار الموضع أو الحيز الصغير، الذي مهما كبر يظل ضئيلاً، أمام المكان الأكبر، الذي لم يذكر اسمه صراحة إلا في سورة طه، وهو الوادي المقدس (طوى).⁽¹⁴⁾

وهذا المكان يحمل معنى مكانين وهما: على الإظهار والإضمار، الإظهار/ النار في وسط الصحراء، ظهوراً محسوساً ثراه العيون، أو عين بذاتها وهي عين النبي موسى عليه السلام فقط، بدلالة ذكر النار تذكر عند قيام الشخصية الحاضرة سيدنا موسى عليه السلام إلى المكان المعرفة، في هذا الوسط والجلال، فالحدث الأكبر لم يأت منفرداً، إنما أتى وسط حدث الصوت والنداء إذ إنَّ «الصوت يستطيع أن يكون دلالة على أصنف الواقع... الصوت يتحدى صفة اليقين لواقع يوجد الإنسان مع العالم، ولكن قبل أن يتكلم علينا أن نصفي».⁽¹⁵⁾

إنَّ هذا الاتساع المكاني في بدايات مرحلة تكليف النبي موسى بالتبوية، في جو ليل الصحراء، وهو وحده يبحث عما يصطلي به لأهله، لتبدأ من قم حادثة التكليف، التي لم تأت مصادفة؛ وإنما يحمل هذا الاتساع في طياتها دلالة أخرى للنبي عليه الصلاة والسلام، فهي تصوري كل هذا المحيط بالمكان له علاقة بحجم التكليف والإبتلاءات القادمة، إنَّ هذا الموقف الجبار المرعب، الذي لا تطيق تحمله نفس يبشرية؛ وقد تهلك وقت حدوثه إذا عاشت التجربة ذاتها، وهذا الموقف لا بد أن يحدث؛ ليتمثل بدوره تهيئة نفسية، واستعداداً ذهنياً للنبي القادر، أمام الرعب الأكبر الهائل والمسؤولية الكبيرة، في مواجهة طاغية بحجم هول الصحراء، فهي واقع الأمر «إنَّ كثيراً ما يكون الاتساع الداخلي، هو الذي يمنع معنى حقيقياً لبعض التعبيرات المتعلقة بالعالم المترقب».⁽¹⁶⁾

إنَّ المتأهي في الكبير يستطيع بناء الصورة والحدث، أي الحديث الظاهر؛ ليتسلى إلى ذات الشخصية/ موسى عليه السلام، إنَّ هذا المتأهي في الكبير (الصحراء) الدالة المضمرة والظاهرة بوجود النار، يتحول إلى تجسيد في العمق الفكري والنفسى للمتكلف بالحدث الأكبر من وجوده، يقول باشلار: «إذا استطعنا تحليل انتicipations وصور المتأهي في الكبير، أو ما يسمى به المتأهي في الكبير في بناء الصورة، فإننا بهذا ندخل إلى منطقة أنتي أنواع الظاهرية-أى ظاهرات دون ظاهرة... ظاهرات الكبير لاحتيلنا مباشرة إلى وعيهنا، الذي يتخيل في تحليل صور المتأهي في الكبير علينا أن نكتشف الوجود الخالص للخيال الخالص داخل أنفسنا».⁽¹⁷⁾

(وادي النمل)

«حَتَّى إِذَا أَتَاهُنَّ أَوَادَ النَّمْلِ قَاتَتْ نَمَلَةٌ يَأْتِيهَا النَّمَلُ أَدْخُلُوا مَسْكَنَكُمْ لَا يَعْوَلُوكُمْ شَيْئٌ وَمَوْرُودٌ وَمَرْكَأْ يَسْعُونَ»⁽¹⁸⁾

الوادي كجمالية مكانية يعني به: كل منخفض مستطيل في الأرض مخرج بين المرتفعات كالجبال أو الأكاد أو الركام.^(١٤)

ولقد ذكر النمل في موضع واحد من كتاب الله في سياق الحديث عن قصة سليمان عليه السلام بما أيده الله به من المعجزات، وينبأ السياق من قول الله تعالى: «وَوَرَيْتُ شَيْئَكُمْ فَأَوْدَهُ وَقَالَ يَكِنْهَا أَنَّا شَيْئًا مُبِيقًّا لِلْكَلْبِرِ وَأَوْرَيْكَمِينْ كُلِّ عَيْنٍ إِنْ هَذَا لَكُوْنُ الْكَلْبِلُ الْبَيْنِ»^(١٥) وقد اختلف المفسرون في موضع هذا الوادي، فقد قيل: إنه وادٌ بالشام كثير النمل، أو بالطائف من عليه سليمان في طريقه من الشام إلى اليمن، وقيل هو وادي تسكنه الجن والنمل، وليس في سياق الآية ما يدل صراحة على ذكر المكان على الحقيقة، وأقصى ما يدل عليه أن ذلك المكان يجتمع فيه كثير من النمل.

أما الإثبات على ذكر وادي النمل في سياق الآية الكريمة فلا ينفي وجود قرى وأماكن أخرى محددة بعينها، يتجمع فيها النمل كما هو معروف عنه، وإنما جاء ذكر الوادي في هذا الموضع، كوجه من وجوه الإعجاز على قدرته عز وجل، والأقرب إلى التفسير - كما يبدو - في أنه وادي مخصوص بذاته لجماعة من النمل، بدلالة شخصية النملة الكائنة في هذا السياق المذكرة لقومها من سليمان وجنده.^(١٦)

هذا، ويتجلى جمالية وادي النمل في محورين:

المحور الأول: دلالة المكان/وادي النمل على الحقيقة:

إن جمالية المكان/وادي النمل لا تكتمن في ذاته كواحد معلوم، وإنما في الحياة التي تدب فيه من خلال طبيعة النمل هذه الكائنات الاجتماعية، ومن ثم جند سليمان الذين مرروا بالوادي أو سفوف يمررون به، فهذا المكان في ذاته لم يكن غير أرض يضاء، ولكنه ليس بهذه البساطة عند رؤية جمالياته. فالمعني يكمن في هذه الجمالية فيما يشققه ويحوشه، ومن معنى التجربة فيه وهي تعني ببساطة بأنه سينقل للمتلقى جماليات المكان، الذي هو بشأنه تشكل من عوامل نفسية وفكيرية واجتماعية مختلفة، تمثل بدورها محطة استقبال للمكان، والمكون بفعل ذلك الكائن الضئيل «الكلب» لإثبات معجزة الخالق عز وجل.^(١٧)

ووادي النمل هو المكان الذي يعضده مكان آخر وهو (مساكن) أو (مساكن النمل). وهي أودية أو مستعمرات تحوي بيوت النمل وهي مقسمة إلى حجرات للصغار، وحجرات أخرى تستخدم كمخازن للطعام، وذكر (المساكن) على الخصوص، بما يعني أن لكل نعلة مسكنها الخاص، الذي تؤمن فيه على نفسها من المخاطر. وهذه المساكن منطقياً تعني بجمالياتها أنها تتكون من أسقف وحجرات وارتفاعات محددة، وبناء هندسي خاص بجماعة النمل، ولها قبو وحضر نابضة

بالحياة تخزن فيها مئتها، إنَّ هذا المكان وهذا البيضاء يمثل للنمل نوعاً من الخصوصية،^(٢٨) يقول باشلار: «إننا نفهم بوضوح أكبر أزدواجية هذا الاستقطاب العامودي، إذا عينا بشكل كاف أنَّ وظيفة السكنى هي استجابة خيالية لوظيفة بناء بيته»^(٢٩)

المحور الثاني: فاعلية المكان / وادي النمل وحركيته :

إنَّ المكان بحد ذاته ليس فاعلاً إلا بوجود الشخصية المحركة لهذا المكان والمعطية له قيمته الدلالية الأكبر، ويتجلَّ ذلك حين حذرت (النملة) القائدة قومها في هذا السياق، بما يؤكد أنَّ لهذا الكائن الصغير الحجم، ذكاء وقدرة على التبييز، وذهنية رفيعة تعلُّق، ونفسية معينة تدرك الأخطار من حولها، فكونها تمتلك الحذر والخوف، فمعنى ذلك أنها كائن يعقل ويبني ويستجيب لحاجة ملحة، بدلالة أسلوبها في الخطاب لقومها مخاطبة العقلاء، إذ انتقت دالة (مساككم) على وجه الخصوص، لأنَّهم في حالة حركة عمل دائمة، والحركة ضدها المسكون، فانتقت المساكين من السكون حتى يلودوا إليها ويسكتوا فيها، وقد بلغت بقة بلاغة النملة هنا أنها وجهت خطابها بشكل مباشر لقومها محددة وجهة الهروب بصيغة الجمع «مساككم» ولم تقل المساكين والجحور على وجه العموم ، أي إنَّ لكل نملة مسكنها الخاص، الذي تعلم وجهته، ثم أكملت بحرف النداء الدال على البعد على أهمية الفعل «أدخلوا» «يَا إِيَّاهَا النَّمْلَةِ ادْخُلُوا مَسَكَنَكُمْ» حتى يسمعوا ندائها، ثم أعقبت النداء بالأمر معللة بقولها «لَا يَعْلَمُكُمْ شَيْءٌ وَمَا تَرَوُونَ»، عاذنة الجنود على سليمان، حتى ترفع المدر عن سليمان وباده غير عالم بهم وبوجودهم وجاءت باسم سليمان مجردًا من لقب النبوة والملك كالنبي سليمان للدلالة على شهرته بدون أن يوصف، ثم حثَّها لهم على الإسراع في التنفيذ قبل أن تناهم المصيبة.^(٣٠)

فجمالية المكان/ وادي النمل، تكمن بالراعية له النملة التي جاء حضورها في بيئتها شاهدة على حقيقة تتعلق بشخصية سليمان عليه السلام، وشاهدة على ملكه العادل، ومراعاته لأمور دولته وفق الشريعة التي يرتضيها خالقه وذلك بشهادته هذه النملة، فجاج الخطاب الذي أجراه الله على قول نملة شاهدًا على سمات النبي وجنده بالصلاح والرأفة، فكان عدله مثارًا بين الأشياء، تاركًا آثاره في الكائنات، حتى كأنه معلوم عند ما لا إدراك له.

ولم تأت جمالية المكان عبثًا، وإنما لضرب المثل بالنبي سليمان لمن يأتي بعده من خلال قول نملة، مما استوجب الشكر بينه وبين ربه هجاعت ردة فعله بقوله: «أُوْزَعْتُ»، هذا، وبقولها غير المتوقع وحادثة النملة التي تأتي في السياق القرآني، عبر رحلة سليمان مع جنده لأي غرض كان؛ ما هو إلا تمهد للحدث الأكبر الذي سيشغل حيزاً كبيراً مع ملوك سباً.

(مدينة سبا)

«وَنَقْدَ الظَّرِيرِ فَلَمْ يَأْتِ لَأَنَّ الْهَدْدَدَ أَمْ حَكَانَ مِنَ النَّالِيَّاتِ ⑯ لَا هُنَّ إِذَا شَكَرُوا إِذَا
أُتُوا ذَهَنَةً أَوْ لِيَرِيَّتِي بِسُلْطَنِي مُبَرِّزٍ ⑰ فَكَثُرَتْ هَذِهِ بِهِبَرْ فَقَالَ أَحَاطَتْ وَمَا لَمْ تُجْعَلْ يَوْمَ
مِنْ سَكَنٍ وَلَمْ يَقِنْ ⑱ إِذَا وَصَدَتْ أَرْأَةً تَرَاهُكُمْ وَأَرْقَتْ مِنْ سَكَنٍ شَغَوْ وَطَا عَرِقٌ عَظِيمٌ ⑲ وَجَدَهَا
وَفَرَّهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّيْءِ مِنْ دُونِ الْأَوْرَزِينَ لَهُمُ الْأَشْيَاءُ كُلُّنَّ أَعْنَالَهُمْ فَسَدَهُمْ عَنِ التَّبَيِّلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ 〉

ورد ذكر مدينة سباً مرتين في القرآن الكريم في هذا الموضوع مرة، ومرة في سورة سمعيت باسم المدينة ذاتها في قوله تعالى: «لَقَدْ كَانَ لِسَبَا فِي مَسْكِنِهِمْ عَائِدٌ جَنَّاتٍ عَنْ يَمِينِ وَشَمَائِلٍ كُلُّوا مِنْ رَزْقِ
رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرِبْعٌ عَظِيمٌ»^(١) وقد أتى اسم المدينة/ سبا في الآية الكريمة من سورة التعل، بما يدل على الإخبار بالمكان، الذي جاء منه الهددد صاحب الشيا، ولكن كما يبدو أن الخبر بالمكان/المدينة جاء في السياق على الإيهام، ليتواءم مع ما يحمله الإخبار فقط بالمكان الذي جاء منه، وأنه على علم بخبر مستيقن له، وحتى يعطي (الهددد) أهمية بالخبر للمكان، والحدث هنا يعتمد على صياغة القول وتزيين اللفظ بالبيديع في قوله: (سبا/ ثبا). وفي البحر المحيط ورد في تحليل هذه الدلالة: «وقوله من سبا بنياً من جنس الكلام الذي سماه المحدثون البيديع، وهو من محاسن الكلام، الذي يتعلق باللفظ بشرط أن يجيء مطبوعاً أو بصيغة عالم بجواهر الكلام يحفظ من صحة المعنى وسواء، ولقد جاء هنا زائداً على الصحة، فحسن ويدع لفظاً ومعنى، إلا ترى لوضع مكان بنياً بخبر لكان المعنى صحيحاً وهو كما جاء أصح، لما في النها من الزيارة التي يطابقها وصف الحال»^(٢)

وورد ذكر اسم المكان مبهمأً في الآية الكريمة! حتى يعطي جمالية أبعد عملاً يحيط بالمدينة؛ ليترك الخيال للمتألق في تفاصيلها الدقيقة ومظاهرها الأساسية المعنية بجمالياتها. فالقرآن الكريم غير معني بذكر تفاصيل جماليات المدن. بل إن إيراد اسم المدينة/سبا بعد ذاته، جاء ليجعل المخيلة الذهنية ترى مدينة حظيت بأسباب الحضارة والمتعة والقوة؛ مالم تحظى به مدن كثيرة في ذلك الزمن.

وتأتي دلالة الجملة الفعلية «لَمْ تُجْعَلْ» موجهة إلى النبي سليمان عليه السلام، لتمتنع العمق لذلك البعد الجمالي، إذ إن الله مكن سباً/المدينة، من القوة والتتطور والحضارة مالم يتوقعه النبي سليمان، ومع هذا فإنه لم يلتقط إليها، ربما لعدم علمه بها، فذلك مادلت عليه الآية أو بمعنى (لم تحظ به علماً وعلمك لم يبلغ به أقصاه) وفي لسان العرب: «وأحاديث بالأمر إذا أحدق به من جوانبه كلها، وقوله تعالى: «وَالَّذِينَ وَلَزَمُونَ تُجْعَلِي»، أي لا يعجزه أحد قدرته مشتملة عليه...»، وقوله تعالى: «أَحَاطَتْ يَمَّا لَمْ تُجْعَلْ يَوْمَ»، أي علمته من جميع جهاته... وأحاديث به: علمه وأحاديث

به علماً. وفي الحديث أحيطت به علماً أي: أحدق علمي من جميع جهاته وعرفه^(٢٤) فالسابق دلّ على أنَّ للهدى هدى علماء خاصاً، كان غالباً عن سليمان، بدلالة الإخبار عن هذا المكان، بأنه ينطلق بالكفر لعبادة أهل هذه المدينة الشماس من دون الله، وهي تحكمهم امرأة ذات عرش عظيم . فجاءت دالة المكان/المدينة سبأ، لتكون حافزاً بين الإيمان والكفر، والذي يبدأ من الحاكمة التي إنْ آمنتْ أمن قومها معها، بما يعني أنَّ القوم يتبعون زعيمهم دائمًا.

في هذه الآيات الكريمة تكاملت جماليات القول مع المكان، بما يكون عليه الأدب في حضرة الملوك، وبما يليق من ألفاظ منتقاة، هلم يقل إنك تجهل أو لاتعلم، بل استخدم طير الهدى السجع أسلوباً لكلامه، في الجملة الفعلية «**لَمْ يُحِيطْ**» لأنَّ الهدى يعلم حقيقة أنَّ النبي سليمان له علم بالمكان /المدينة، ولكنه التأدب مع الملوك.

(الخبء)

﴿الْأَسْجَدُوا ۖ وَهُوَ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي الْأَرْضِ وَالْأَرْضُ تَبَلَّرُ مَاخْفَىٰ وَمَا شَاهَدَ﴾^(٢٥) **﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا**
هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾^(٢٦)

ورد اسم هذا المكان **«الْخَبْءَ»** الحيز البسيط من الأرض لـالتنين، أو لـهما: على معناها الحقيقي لكل مخبئه من باطن الأرض، والمخبئ ببطن الوادي، ومعنى **«الْخَبْءَ»** - كما ورد في البحر العجيب - مصدر أطلق على المغيب، وهو المطر والتربات وغيرهما، بما خباء الله من غيبوه.^(٢٧) وقيل في استعمال لفظه في القرآن الكريم أنه جاء لوصف شيء يخفى ويستتر ويدخر من ثمين ونقيس.^(٢٨)

ومن جماليات ما تملكه هذه الكلمة الدالة/ الخباء هو (الخداع والخبث والغش) لتأتي متوافقة مع سياق الآية. إذ ما يحمله المعنى الحقيقي لقوم سبأ، الذين يعبدون الشماس من دون الله، يعبدون مخلوقاً يظهر ويأفل، ولم يقدم ما يثبت عجائبية **«الْخَبْءَ»**، والمخبئ إجمالاً... هو كنایة عن كل مخبئ وراء ستار الغيب في الكون العريض. **«وَتَبَلَّرُ مَاخْفَىٰ وَمَا شَاهَدَ﴾** وهي مقابلة للخبء في السماء والأرض بالخبء في أطوار النفس ما ظهر منه وما بطن^(٢٩)

ثانية: في السياق القرآني السابق ألمع الهدى من خلال بلاغة القول وقوله (سبأ بنيا/ لم تحيط) بعدم علم سليمان بالمدينة واحتله بها، فأراد أن يبرر منطقه قوله قولاً بأنَّ علم النبي سليمان عليه السلام محدود، وأنَّ الله هو من لديه العلم بما يحيط به ...، كما يشير أنَّ للهدى خاصية معينة للإدراك بما يحيط، كذلك لـسليمان عليه السلام خاصية معينة للإدراك بما يحيط، وهو في ذلك متأنِّ معه كنوع من أدب المنطق والقول مع الملك متمثلاً بدور الناصح الأمين ذكر دالة **«الْخَبْءَ»**.

ثالثاً : ذكر دالة المكان الخبيء/يمنطق الهدده، الذي تحدث بدور الناصح الأمين بعلمه، الذي علمه الله إياه وبخاصية ومزية لا وهي معرفة مكان الماء المخبأ تحت الأرض. فهو ينطلق بالعجزة الربانية بحسب معرفته وصنعته هو، وإدراكه لهذا المعجز، وهذا نحن أمام هدهد مؤمن متخصص بمكان واحد مكان الخبراء، فهو جندي من جنود سليمان ملتزم بدوره وأدائه الوظيفي المسخر له، والمزية والخاصة التي منحه إياها في كشف المخبأ من الماء تحت الأرض.

(العرش)

﴿إِلَّا وَجَدَتْ أُمَّرَاءَ تَلِكُوكُمْ وَأَوْقَتْ مِنْ كُلِّ خَيْرٍ وَلَا عَرْشَ عَظِيمَ ﴿٤﴾ وَجَدَتْهَا وَقَرْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلَّذِينَ مِنْ دُونِهِ وَرَبِّنَ لَهُمُ الْكَيْطَانُ أَعْنَاهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ التَّسْبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٥﴾ الْأَيُّ يُخْرِجُ الْحَبَّةَ فِي الْكَمَرَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تَخْلُونَ وَمَا تُلْهُونَ ﴿٦﴾ اللَّهُ لِأَلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾^(١)

ورد ذكر العرش عدة مرات في سياق سورة النمل متناوياً في الذكر ما بين التصريح والإضمار، والعرش حقيقة متعلق بمكان البارئ سبحانه، وقد يستعار لغيره، قال عرش: البيت - الملك - والمنزل، وعندما يرد ذكر العرش في سورة النمل ملكة سبا، فهو سرير الملكة وقد سماه الله عز وجل عرشاً^(٢)، والقرآن الكريم لا يأتي بذكر دالة إلا ولها عدة معانٍ ودلائل وإشارات كثيرة، فعندما ترد دالة (العرش) في عميق سياق النص القرآني لعدة مرات، فهي إما على الإظهار أو على الإضمار، بما يعني معنى العرش في الإظهار: الاستقرار - الحكم - السيطرة - القوة - الاستبداد - الكيان - الهوية - الأمان - وكل معاني الحكم، وأن معناه على الإضمار أن ذلك المكان الحبيز الصغير بما عظم، كان حدثاً لحد ما حصل بين قضيتي الإيمان والكفر، وخاصة أنه ورد ذكره في سورة مكية.

لقد استطاع الهدده عرش ملكة سبا على ما رأى من ملك سليمان **﴿وَلَا عَرْشَ عَظِيمَ﴾** شخصوصية ذلك العرش من بين ما رأى الهدده في بلاد الملكة، كانت لأندھاشه بيناء ينفع الوصف والخيال، كما ورد عند أبي مسعود إذ قيل إن مساحته تحمل ثلاثة ثلاتين ذراعاً عرضاً وسعكاً، وقيل: ثمانين في ثمانين من ذهب وفضة محلاة بالجواهر، وكانت قوانبه من ياقوت أحمر وأخضر وزمرد، وعليه سبعة أبيات على كل بيت ياب مقلق^(٣) واستطاع الهدده لعرض ملكة سبا يشكل نوعاً من ترفيب النبي عليه السلام الدعوة في أرض سبا، والإسفاء لحديثه، وتوجيهه عزيزته نحو أرضها، لحاربة كفرها وكفر قومها، أي أنه يتوجب عليه غزو مملكة سبا، حيث قال في سياق الخطاب: **﴿وَجَدَتْهَا وَقَرْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلَّذِينَ﴾**.

وقد ورد ذكر المكان على تلك الهيئة بقوله: **﴿عَظِيمَ﴾** للدلالة على الاستطاعات في بداية السياق وذلك لفت انتباه المتلقين المروي له/ النبي سليمان إلى عظلمة ملوكها، وخاصة أنه لا يملك

مثل هذا العرش، مع مالديه من حاشية مسخرة له ولملكه العظيم.

أما حادثة إحضار العرش في مدة قصيرة التي وردت في السورة وكانت مجرفة «أَتَأْتَكُمْ بِهِ فَقُلْ لَنْ يَرَنَا إِلَيْكُمْ طَرُفَكُمْ» هو نوع من الابتلاء، وستة الأنبياء في تعرضهم لصنوف الابتلاءات، حيث يقع النبي سليمان في اختبار الإيمان على وجه الخصوص، هل يشكر أم يكفر؟ أم يتواضع ويزيد من إيمانه؟^٥

وقد جاء الخطاب القرآني بالإشارة من النبي سليمان عندما قال «هَذَا» ولم يقل (العرش) ربما كان نوعاً من الهول والدهشة للسرعة الزمنية في إحضاره، أو استقلال الشيء وتحقيقه، مما كانت عظمته أمام عظمة الله عز وجل «أَيُّ حضور العرش بين يديه في هذه المدة القصيرة، أو التمكن في إحضاره بالواسطة أو بالذات كما قيل «هَذَا مِنْ قَصْبَلِ رَبِّي»، أي تفضله علي من غير استحقاق له من قبله: «يَلْتَرُونَ مُلْكَنِّكُمْ»^(٦) بأن أراد محضر فضله تعالى من غير حول من جهتي ولاقوة وأقوم بحقه «.

أما دلالة العرش فيما يتعلق بالملائكة هيأتي من جهتين: ما قبل الرؤيا والعلم، رؤية الملائكة المباشرة للعرش بعد قدومها للملك وعن قرب، وبعد الرؤيا والعلم والمشاهدة الحقة، فبعد المشاهدة: «قَالَ رَبُّكُمْ لَا يَعْرِفُوكُمْ» وأراد بذلك أن يختبر إدارتها وتصرفيها بتذكر عرشها، ليتظر تعرفه أم لا، وتقيد الجملة الفعلية في السياق بقوله (قبل أن يأتُونَ سُلَيْمَانَ) ولن يكون اجتيازها وإطلاعها على بدائع المعجزات أول مجيتها، وقيل: إذا أسلمت لا يتحقق له الأخذ من مالها بغير رضاها.

وجاء الخطاب في السياق بالأمر لجنوده «قَالَ رَبُّكُمْ لَا يَعْرِفُوكُمْ أَتَيْتُكُمْ مِنَ الْأَنْوَافِ لَا يَعْتَدُونَ» أي القيام بتغيير هيئة العرش بوجه من الوجوه: لتأتي أسباب التكثير، والملة في نفس السياق القرآني «أَتَيْتُكُمْ» تحمل دلالات عدة متعلقة بالعرش، فهو ستر عرشها بعد الرؤية، وهي القادمة من مسافة طويلة في مدة خارقة للوقت، وقد تركته مغلقة عليه الأبواب، موكلة عليه الحراس، لترى المفاجأة التي تتظرها والتي لا تخطر لها على بال، وتنثال الأسئلة من حول المفاجأة في خاطرها، وكيف انتقل عرشها إلى هنا وقد تركت عليه الأقفال والحراس، وكيف جيء به؟ وأين هو من بيت المقدس وقصر سليمان؟ ومن الذي جاء به؟ ولكن الحقيقة الثابتة التي لا تستطيع إنكارها أن العرش عرشها رغم كل هذا التغيير والتغيير.^(٧)

هذا، وقد جاء الخطاب في السياق القرآني «على شروع حكاية التجربة»^(٨) بعد مشاهدة الملكة للعرش في نقلة سريعة للحدث، فلما جاءت بلقيس سليمان عليه السلام، وقد كان العرش بين يديه من جهة سليمان بالذات والواسطة، فـ «قَالَ رَبُّكُمْ لَا يَعْرِفُوكُمْ أَتَيْتُكُمْ مِنَ الْأَنْوَافِ لَا يَعْتَدُونَ» ولم يقل لها: أهذا عرشك؟ أو يشبه عرشك، بل جاء الأمر على التقرير والحقيقة، إذ أراد اختبار

عقلها الذي اشتهر بالسخف، هاتي الجواب «**قَاتَ كَانَهُ هُوَ**» فأنبأ عن كمال ورجاحة عقلها، حيث لم تقل: هو، مع علمها بحقيقة الحال، تلويناً بما اعتراه التفكير من نوع ما يراه في الصفات مع اتحاد الذات، ومراعاة الحسن في الأدب في محاورته عليه الصلاة والسلام، «**فَكَانَ** في ردها دلالة على الثبات والمعرفة والإيمان والتسليم برجاحة عقل وتأدب في حضرة النبوة.

(الصرح)

«**قِيلَ لَمَا أَنْتُلِي الصَّرْجَ قَلَّا رَأْتُهُ حَسِينَةً لِجَهَةٍ وَكَنْتُ عَنْ سَاقِيهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْجٌ مُسَرَّدٌ مِنْ قَوَابِرِ قَالَ**
تَبَتَّ إِلَيْيَّ ظَلَّتْ تَقَىٰ وَأَسْلَمَتْ مَعْ شَلَّيْتَنْ لِلَّوَرِيَّ الْمَلِيْمَيْنَ»⁽¹⁵⁾

الصرح مرادفة للقصر، ودلالة على مظمة المكان، فجاءت الدلالة «الصرح» قبل تفصيل الإعجاز فيه لتبيه السامع، والصرح يقابل العرش، وإن كان بينهما فرق، وهو صرح سليمان وعرشه، الذي ليس له مثيل، فقوله: إنه القصر، وهيل: صحن الدار.

وقد ذكر وصف الصرح كما ورد في كتب التفسير، بأنه بني سليمان على طريق الملكة قصر من زجاج أبيض وأجرى تحته الماء... ووضع سريره في صدره، ليجلس عليه، وعكف على بناء هذا الصرح الطير والجن والإنس.⁽¹⁶⁾

وقد ارتبط الصرح بالعرض ليزيد لدى الملكة استعظامها لملك سليمان والأمراء، وتحقيقها لنبوءته وبياناً على الدين، فظلت من عجائبها، عندما هالتها المفاجأة، ورأت بناء القصر من البلور أنه لجة، وقد أقيمت أرضيته فوق الماء، فحسبت أنها ستغوص هذه اللجة، فكشفت عن ساقيها، وبهذا الكشف انكشف لها سر الصرح، بأنه «**صَرْجٌ مُسَرَّدٌ مِنْ قَوَابِرِ**» وهذا كان الابتلاء للملكة من هول المفاجأة أمام هذه العجائبية، التي تعجز البشر على صنع مثله، ومن ثم إثباتاً لقوة سليمان. هكذا عليها الاختيار إما الإيمان أو الكفر، فاختارت الاستسلام لله وحده، وليس لأحد من خلقه.

و(العرش) و(الصرح) دائمان لأمكنة دالة على القوة والسلطة والسلطان والثراء، هكذا الإعجاز بقدر الابتلاء، وبقدر الجنس الذي تعرف الملكة ماهيته، فصرفت أنه الإسلام والاستسلام لله رب العالمين، وكانت هذه هي النتيجة الحقة التي تذهل البشر جمياً.

(المدينة / القرية)

«**وَكَاتَ فِي الْكَيْنَةِ نِسْمَةٌ تَقْطِعُ يَقْدُورَكَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِمُونَكَ**»⁽¹⁷⁾ فَالْأَرْضَ قَاسَمُوا بِأَنَّهُ لَنْ يَنْتَهِ
وَأَنَّهُمْ لَمْ يَلْقُوْنَ لَوْرِيْكَ مَا تَهِدُنَا مَهِلَّكَ أَهْلِكَ، وَلَأَنَّ لَكَدِيْرَكَ وَمَكْرُوْمَكَ مَكْرُوْمَكَ
وَهُمْ لَا يَتَعْرُوْكَ⁽¹⁸⁾ فَلَفَظَتْ كَيْنَكَ حَكَاتَ عَذْفَةً مَكْرِيْمَهُمْ أَنَا مَرْزَنَهُمْ وَوَهُمْ أَجْبَرُونَ⁽¹⁹⁾ فَبِلَكَ
يُوْنَهُمْ حَاوِيْكَ يَمَا ظَلَمُوا إِنَّكَ لَأَكَبَّ لِقَوْرِيْكَ مَلْمُوكَ⁽²⁰⁾ وَأَنْسَأَ أَلْيَكَ كَائِنُوا وَصَافَرُوا

ستفوت ^(١٧)

وبعد ما تم تناوله من الدلالات السابقة الخاصة بالوحدات التصعيبية بقصة مكان **(يأْلَوَادِيْنَ حُكْمِيْكَ)** و **(وَأَوَّلَتِيلَ)** و **(سَكَلَ)** تنتهي دلالة المكان إلى وحدة تصعيبية متكاملة جرت أحدها مابين بيت المقدس والهمن وسبأ، وهو السياق ينتمي إلى دلالة مكانية أخرى، جاء التعريف بها به **(الْبَرِيْتَوَ)**. ولم يذكر اسمها صراحة. فتالي التصعيب في السورة الكريمة يقودنا إلى جغرافية مكانية جديدة، ويرتبط هنا إلى شمال الجزيرة العربية إلى هذه **(الْبَرِيْتَوَ)** التي تحكي قصة أخرى لقوم النبي صالح، ليست هي أحد أها عن الناقة، بل تروي قصة ثمة رهط وأشخاص مندسين في الأرض، وصفهم السياق بالإفساد والتغريب.^(١٨)

إن هذه المدينة مازالت إلى يومنا هذا صورة حية مشاهدة على مر الأزمان للمعلنة والعبرة، وذكرت قصتها في القرآن الكريم لتتبه كفار مكة الذين يمرون عند رحيلهم للتجارة على طريق الشام، ولا يعتبرون من خواه بيتهما. ففي الآية تذكرة بهذه المدينة/ المكان، وبقوة الله عز وجل، وأنه قادر على إنزال العقاب بالكافر وبكل من يستعمل العذاب، كما فعل مع قوم صالح لکفرهم. تتشكل جمالية المكان لهذه المدينة/ القرية، التي تركت فيها بيوت المفسدين خاوية، المدينة الساكنة ذات الإبداع الفني، الذي يثير في نفوس من يشاهدها العلة والعبرة، إنها المكان الملغى بجمالية الخارجي، الذي لا يلامس، ولكن يرى من خلال هذا التغليف، وهكذا يكون للمكان صورته الأشيء بالحقيقة، فيما لو رأى من رأه، واختبر الحياة فيه، وتتضاع صورته أكثر، وتكون ذات تأثير أعمق من خلال التقلي له في السياق القرائي.^(١٩)

فللمدينة وجهان: الظاهر منها البناء الهندسي الجمالي الفريد **(وَكَلَّا بَيْتَمُونَ إِنْ لَيْلَ بَرِيْوَا مَكِيْرَتَ)**^(٢٠) بينما الوجه الآخر هو الوجه الحقيقي القبيح الذي طمس ذلك الجمال بالكفر والحقد **(فَتَلَكَّ مَيْوَهُمْ خَاوِيْكَ)** خاوية ومصدره الخواه، فإن بعضها في الجبال / لا ساكن لها وذلك هو القبح، وكان الخواه عقابا لهم بسبب ظلمهم وشرفهم وتكديفهم الرسول، فذلك ظلم في جانب الله، واعتداء على حق وحدانيته. فكان ذلك المكان الخواه الخراب بسبب ظلمهم في عدم إقرارهم بوحدانية الله مدعاة لخراب البيوت والبلاد. وهنا يقام التجانس بين المكان المحسوس واللامحسوس في مكونات النفس الإنسانية، والتي قد تغتنم الظلم والخبث، والظلم المعنوي الذي هو مكتون في النفس، لتظهر آثاره على فعل رهط من الناس، تمتلك القوايا الخبيثة في النفوس، مثلما جاءت القصة عن تأمر الرهط من عنة القوم، وكيف تقاسموا بالله على الغدر والخيانة، وقتل النبي، وكان عاقبة فعلهم عقاب الله عليهم وتدمرهم؛ ليكونوا علة وعبرة ،

ويلاحظ أن المكان/ المدينة في هذا الموضع مرتبطة بالإنسان، وتدميره أدى نتيجة لفعل الإنسان، وإن قام بمعمارته الخارجية واهتم بتفاصيل جمالياته إلا أنه بكفره وظلمه حول هذا الجمال إلى خواص وقبح، لأنه صار خالياً من الإيمان والإسلام الكامل لله بل عمره بالكفر، فقد قال ابن عاشور، الحقائق العقلية لما كان قوام ماهياتها حاصلاً في الوجود الذي كان بين كثیر منها انتساب وتقريب، يرد بعضها إلى بعض اختلاف الاعتبار.. روى عن ابن عباس قوله: (أجد في كتاب الله أن الظلم يخرب البيوت) (فَلَمَّا كَيْدُوكُمْ حَلَوْكُمْ بِمَا ظَلَمْتُمْ) وهذا من أسلوب أخذ كل ما يحتمل من معاني الكلام في القرآن^(٤١)

تبين مما سبق ذكره أن المكان ليس هائلاً بحد ذاته، وإنما في الحياة التي دبت فيه، والأشخاص الذين يقومون بتحريك أحدهما... لإعطاءه القيمة الدلالية الأكبر. وقد تحدث المبحث السابق عن تنوع المكان ودلائله في سورة النمل وللتتم الفائدة منه، علينا أن نتحدث عن الارتباط بين المكان والأحداث التي تجري فيه.. لنجمل المكان قيمة فعالة لا يليق مجرد مكان لا حياة فيه وهذا ما سيتم تفصيله في المبحث الثاني.

المبحث الثاني

العلاقات المكانية في سورة النمل :

إذا علمنا أن الحديث هو الفعل، فهذا يعني أن هائلية المكان لا تكون إلا من خلال رصد وقائع الأحداث وترابطها وسلسلتها والتجميد الصوري للعمل الشخصي « فالحدث هو سلسلة من الواقع المتصلة وتنقسم بالوحدة والدلالة، وتتلاحم من خلال بداية ووسط ونهاية، نظام تنتهي من الأفعال، وفي المصطلح الأرسطي فإن الحديث: هو تحول من الحظ السيئ إلى الحظ السعيد أو المحسن»^(٤٢)

وإذ تتواتي الأحداث في قصص القرآن الكريم، فما جاء ذلك لفرض فتي، وإنما هي إحدى طرقه وأساليبه لإبلاغ الدعوة وتسويتها؛ لذا تابعت صور المشاهد التي يرسمها القرآن الكريم عن يوم القيمة من النعيم والعذاب وعن الآباء، والشائعات التي يفصّلها، ويضرب لها الأمثل، يقول سيد قطب «قصة في القرآن ليست عملاً فنياً مستقلًا في موضوعه وطريقة عرضه وإدارة حوادثه، كما هو الشأن في القصة الفنية الحرّة، التي ترمي على أداء غرض فني خليقـ إنما هي وسيلة من وسائل القرآن الكثيرة إلى أغراضه الدينية، والقرآن كتاب دعوة دينية قيل كل شيء »^(٤٣) ولقد حملت القصص القرآنية خصائصها الفنية المشتمة بجمالياتها الأخاذ، المؤثر في النفس والوجدان التي بها يتحقق الفرض التشريعي/العقائدي، ولقد تم للقصص القرآنية هذا التأثير الوجداني الفعال بطرق فنية وجمالية خاصة بها؛ لأنّ وهي طريقتها الفذة في العرض والسرد،

وذلك العرض الشخصي القائم على الانتقاء باختيار الجزء من القصة، الذي يتلامس والبيئة القرآنية في الموضع الذي وردت فيه والفرض الديني العام. وبعد الحدث المسرود هو الممثل لروح القصة، إذ يمنحها الحياة والحيوية والحركة، فالقرآن الكريم يمسك بالأحداث ليجعلها بارزة ومسيطرة ويفعل دور الشخصيات بنقل ما يقولونه مسبوقاً بـ(قال) وبهذا الفعل المهيمن على فن القصص، وهو ما يتوافق مع طبيعة النفس البشرية المفرمة بسماع الحكايات والقصص، فمسلسل الأحداث يخلق التشويق ويأخذ الآباء، وبهذا القصص كان القرآن معجزاً في أنه سبق محاولات البشر جمعياً في الهيمنة على الفن الشخصي.^(٤)

والمكان في القصة القرآنية هادئ في صنع الأحداث، فهو الجامع لمكونات السرد، والمتداخل مع تفنياته لإنتاج لغة سردية وطابع سردي يحركه هذا المكان، فالمكان دور هام في بناء القصة وفي تركيبها، فهو يمثل الإطار الذي يحوي الأحداث، وتتحرك فيه الشخصيات، لتحدث الفاعلية بتأثيره في إبراز الحدث، واستقطاب جماع العناصر الداخلية في تركيب السرد: من استدعاء شخصيات تتفاعل في أحداثها مثلاً وإيجاباً، ويتجوّب أن تقع أحداث القصص القرآنية في موضع معلوم، ومسار زمني، يتبعه اتجاه السرد في توافق مع نسق المكان المحدد.^(٥)

وتفاعل في المكان مكونات السرد من حديث رئيس، وشخصية تقوم بتفعيل الحدث، و فعل يدل على زمن، «المكان هو الجامع لحضور مكونات السرد بصورة متكاملة، لإنتاج لغة سردية تتطور لتتشكل خطاباً سردياً»^(٦) وهذا الخطاب القرآني يتعمّد توجيهه ذهنية القارئ إلى أن المكان الواقع عليه الحدث مجتزأً من الواقع ونموذجه عنه، مما يضفي على الفن طابع التأثير والمصداقية، عند ذكر بعض الأمكنة، ويرمى إلى الفرض الأكبر الذي سيقت لأجله من العلة والعبرة، فهو رد أماكن تاريخية مثبتة تشتمل على أحداث عظيمة، حينها يكون ذكر هذه الأماكن مهما ومساعداً للعقل البشري على تمثيل هذه الأحداث.

تشكل البناء السردي للعلاقات المكانية في سورة النمل:

لقد تميزت العلاقات المكانية في سورة النمل التي تختص بتشكيل الحديث بأنها تنقل للمقارئ عدة أحداث متتابعة كل منها يحوي قصة لها بداية خاصة بها، ومن ثم تهَاية للقصة، ليبدأ بعدها حديث جديد في قصة جديدة أخرى، بما يعني أنَّ السورة الكريمة تتشكل من تسلسل أحداث متباينة عن قصص الأنبياء، تشمل عدة أماكن متقللة، كل مكان يقص حديثاً مختلفاً، تبدأ فيه قصة قرآنية تنتهي تهائياً في ذات المكان، علماً بأنَّ الأمكنة لا تغير إذ لها خصوصية الزمان والمكان ذاته، يمعنى أنَّ التقللات للأحداث تتم في ذات المكان الحيز، وكل حدث لقصة قرآنية يمثل بنية سردية مستقلة ينفتح ثم ينغل على ذات الحديث، لتبدأ المسيرة الشخصية القرآنية متقللة إلى حدث مستقل آخر،

ولكنها في النهاية تنتهي إلى غرض موحد هو الإيمان بالله وحده، ثم للتسرية عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما يواجه من مسميات وظلم وعذاب بين أهله في مكة، وقد تشكل الحدث في سورة النمل من :

١- حدث توحد فيه المكان والزمان والشخصية)، يعني أنه حدث موحد ينتمي لحيز واحد تمحورت القصة فيه حول بطل رئيس وقائل للحدث في ذات الزمان، النموذج: قصة المكان / الوادي المقدس ووادي النمل

٢- حدث تتعدد فيه الأزمنة - الأمكنة - الشخصيات، إذ تنتهي القصة مع فيما يحدث في ذات المكان لذات الحدث من تقللات سريعة يتخللها فجوات، ومن ثم ينتهي الحدث إلى ذات المكان، النموذج: مدينة سبا



- تشكل البناء السردي للعلاقات المكانية في قصة الوادي المقدس:

(إِذْ قَالَ مُوسَى لِأَهْلِبِلَّهِ مَا كُنْتَ تَكُونُ كَمَا يَخِرُّجُ أَوْ مَا يُكْمَلُ كَمَا يَخْرُجُ فَبَيْنَ أَنْ تَكُونَ لَكُمْ حَلَاقَةً مَعَاهَا تُؤْمِنُ أَنْ بُورِيقَةَ مَنْ فِي الظَّاهِرِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسَبَخَنَ لِلْوَرِيقَةِ الْعَلَيْهِنَّ ۝ يَشْوَمِي إِنَّمَا اللَّهُ عَزِيزُ الْمُكَبِّرِ ۝ وَالَّذِي عَصَمَ اللَّهَ أَنَّمَا يَهْزَأُ كَانَتْ جَانَّ وَلَيْلَةَ الْمَرْأَةِ يَعْلَمُ يَشْوَمِي لَا يَخْفَى لِلْأَيْمَانِ لَذَّي الْمَرْسَلُونَ ۝ إِلَّا مَنْ ظَلَّ رَبِيلٌ حَتَّى أَهْدَى شَوَّرَ فَلَمَّا عَلَّمَهُمْ ۝ وَأَذْيَلَ بِذَكْرِهِ حَوْلَهُ الْمَرْجَعَ يَسْأَلُهُ مِنْ عَيْنِ سُوْرَتِي فَيَقُولُ كَمَنِي إِلَى وَعْنَتِي وَقَوْمِي إِنَّمَا كَانُوا فَيَنْتَرِفُونَ ۝ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِكَلِّهَا تَبَوَّءَهُمْ ۝ فَأَلَّا هَذَا يَسْرُرُ ثُرِيَّتْ ۝ وَعَمَدُوا بِهَا وَاسْتَقْنَتْهَا الْمُسْبِمْ طَلَّمَا وَطَلَّرَا فَانْظَرْ كَيْفَ كَانَ عَيْنَةُ الْمَقْبِرِينَ ۝^(٢٣)

تعد قصة موسى صلى الله عليه وسلم نموذجاً لقصص القراءية المفتوحة، إذ إن موضوعها ورد تقريرياً في ثلاثة موضع من القرآن الكريم، وفي كل مرة يحدث فيه التجديد من حيث الشكل الخطابي الذي ترد فيه، أو من حيث الإفادات الإخبارية التي يضيفها على محتوى التخاريقات السابقة. وقد تميّز هذا التنوع بعدة الأسلوبية الشكلية، والنحوية الإخبارية المتداخلة مع شيء من الإضافة والتوضّع في حدث القصة، وإذا كانت القصة المفتوحة يرد سياقاتها في أكثر من موطن قرآن، فهذا يستدعي مقارنة في سياقات القصة الواحدة، وقد جاء فضاء قصة موسى أشدّ القصص تكراراً مع اختلاف مواطنها من موضع لآخر.^(٢٤)

المشهد الأول:

تعلق الحديث بمكان السرد (النار) في هذه القصة القرآنية القائمة على الحقيقة، التي تستقطب جمالية مكانية واحدة هي النار، فالنار هي المكان الفاعل في تحريك السرد وتقعيل الأحداث فيه منذ بداية القصة حتى متهاها. علماً بأن المكان في القصة القرآنية يختلف عنه في القصة الروائية الخيالية (المتخيلة): لأنه مكان قائم على الحقيقة، وما حدث فيه من مواقف لا تقبل الشك أو المراء فيه.

وهذا المكان/ النار يكتينونه الواقعية هو جانب حيوي يخص الشخصية الساردة، أو الشخصية الواقع عليها الحديث، فالشخصية/النبي موسى واجه بالفعل مكاناً واقعياً على الحقيقة، وبالتالي فالمكان دافع ومؤثر للاستجابة في نفس المتلقى، وتصوره في ذهنه: لاستحضار الحقيقة وكأنه يعيشها بالفعل.

إن المكان/ النار هو الذي لعب دور المنجز لتحريك فاعلية الحديث، والدور المحوري الرئيس للتبعاته وأحداثه السردية، ويدخلون المكان في نسيج النص من خلال حركة السارد في المكان، وتجاوزه وعبرته الأمكنة المختلفة، ولكنها دائرة حول المكان، مما يغير من إيقاع توالي القصص، وخاصة بداخل الأصوات السردية، مع صوت الراوي الشخصية موسى.^(٤٤)

هذا ويأتي ترتيب الحديث متواياً بعضه يلحق ببعضًا، ممتدًا الحديث بالخطاب القولي والمحواري من لدن النبي موسى صلى الله عليه وسلم مخاطباً أهله على الإضمار، إشارة إليهم دون ذكرهم صراحة، ولكن يأتي سياق الخطاب حيث التهاب إلى موقد النار، وهنا تتماضد الأشياء الأخرى مع المكان لتفسير حركية الحديث بالحوار وأشياء لم تذكر صراحة بالقرائن الدالة عليها، حيث وقع الحديث في زمنية الليل ليأتي بخبر، والنار هنا هي الفائدة المرجوة لأمررين: إما الإنذار بخبر أو بشهاد، والمراد بالخبر خبر المكان الذي تلوح منه النار، والأمر واقع علىطن بأنه سيجد أهل بيته يستضيفونه، ليوقد لأهله ناراً من حطب الطريق للتدهش منه، أو أتىكم بشهاب ثيبن» أي بشعلة نار مقبوسة أي مأخوذة من أصلها.^(٤٥)

المشهد الثاني:

تضافر الأمكنة حول بقعة مكانية واحدة وهي النار من جانب الطور، حيث ذكر صراحة اسم المكان بسورة طه في قوله تعالى: «إِنَّ رَبَّكَ فَالْأَكْلُعْ تَعْلِيكَ إِنَّكَ بِالْأَوَادِ الْمَقْدُسِ مُطْوَى»^(٤٦) ولهذا المكان المستقطب بعينه قيمة الدلالية الجمالية في السورة الكريمة، فالتحولات السردية من خلال زمنية الحديث: توقف عند حقبة تاريخية مكانية له أهمية في إثراه الحديث بالكثير من الفعاليات، فالأمكنة المتعددة في زمن واحد حول دائرة مكانية واحدة لها قيمة دلالية عظيمة في السرد القرآني؛ لأن القصة قائمة على الحقيقة والموعظة، فالانتقال عبر الزمن من خلال

محطات تاريخية مكانية بدوره يكون قادرًا على مد السرد بالكثير من القيمة الدلالية التي تطلق من مجرد الاختيار أحياناً^(١٩)

وهكذا يحدث الانتقال المفاجئ في ثابيا السرد الشخصي القرآني بأن تظهر نار غير النار المعرفة، والتي جاءت في السياق نكرة، ليظهر مكان النار في قوله تعالى: «لَمَّا جَاءَهَا» بدلالة الضمير المتصل العائد على النار. وهي في ذهنية البطل نار نفيّة؛ ثمًّا يحدث التحول المفاجئ، فتبين بأنَّ هذه النار ما هي إلا نور عظيم، يسمع من محبيتها صوت منادٍ؛ لتحدث مقاجأة أشدَّ تأثيراً، تفوق التصور، إنه صوت مقدم، صوت مبعوث وآتٍ من السماء، فالصوت دلالته على أشدَّ الواقع والأحداث عنفاً، إذ يمتلك صفة اليقين والحقيقة والتصديق مما يعبر المتقى على الاستماع، بل الصوت يحد ذاته يدل على الواقع وأحداث استباقية.^(٢٠)

وهنا تتعاضد العناصر السردية لإثبات حقيقة الواقعية التاريخية، وارتباطها بالمكان وجمالياته الروحية التشريعية بتردد الأصوات الحوارية الواضحة الجليلة من خلال حدث الصوت اليقيني. وهذا الصوت بدوره يعطي لهذا المكان قدسيّة وذلك عند تحديده بقوله «بُرُوكَةٌ مَّنْ فِي الْأَنْوَارِ». وهذا يحمل في طياته دلالات التشريع والتکلیف والمسؤولية القادمة على نبی الله موسى والتي سیتحمل أعباءها على عاتقه، وقد تقدم ذات الحديث «بُرُوكَةٌ» في سورة طه إشارة صراحة في قوله تعالى: «فَلَا خُلُجَّ نَعْلِيكَ»، فالبركة أصبحت ناراً، ومن ثمًّ استحالـت إلى نور أحاطـت بذلك المكان المقدـم وكل من حوله، يقول ابن عاشور: «من في النار مراد به موسى، فإنه لما حل في موضع النور صار محبيـطاً بهـ هناك الإـحاطـة تـشـبهـ إـحـاطـةـ الـظـرفـ بـالـظـلـوفـ، فـغـيـرـ عـنـهـ بـعـنـ فيـ النـارـ وـهـوـ نـفـسـهـ. وـالـعـدـوـلـ عـنـ ذـكـرـ بـضـمـيرـ الـخـطـابـ كـمـاـ هوـ مـقـضـيـ الـظـاهـرـ، أوـ باـسـمـهـ الـعـلـمـ إـنـ أـرـيدـ الـعـدـوـلـ عـنـ ذـكـرـ مـقـضـيـ الـظـاهـرـ، لأنـ فيـ مـعـنـيـ صـلـةـ الـمـوـصـلـ إـيـنـاسـاـ وـتـلـطـفـاـ... وـهـذـاـ الـكـلـامـ خـبـرـ هوـ بـشـارـةـ مـوـسـىـ عـلـيـهـ السـلـامـ بـبـرـكـةـ النـبـوـةـ»^(٢١)

وتصدير الخطاب بالبركة في ذلك المكان، يحمل في طياته أنه قد قضى لموسى عليه السلام أمر عظيم ديني ودنيوي في آن واحد، وذلك بانشمار بركتاته في أقطار الشام، أما تكريمه له، واظهار المجزات على يديه عليه السلام، فهو دليل بشارـةـ قضـاهـ اللـهـ بـاـنـشـارـ دـيـنـهـ.

وتأتي الجملة الاستثنافية ابتدائية حيث إنها تبدأ بالنداء مع هذا التركيب المعجز البلاغي في الآية القرآنية (يَسْأَلُكُمُ الْأَنْوَارُ) وفي تحويل الحديث وتغيير ساره لتعضيد دور المكان/ النار، ليكون المكان شاهداً على هذا الحديث التاريخي غير المسبوق، وابتدأ النداء لموسى على وجه الخصوص، وذلك لبعث الطمأنينة في نفس النبي، وتربيـهـ منـ الذـاتـ الإـلهـيـةـ. وهذه الجملة الاستثنافية الخبرية في مطلع السرد؛ تقطع كل المسار السريدي؛ لتحولـهـ إلىـ دائـرةـ حدـثـ آخرـ،

ووحدة سردية أخرى في حدث مرتان، سيعقبه حدث موجز آخر، كما أن لهذه الجملة دلالتها في طيات المفرد.

وتأتي الدلالات اللقطية في سياق الحدث لتعضي دور المكان بقوة معاوية جباره من لدن **(اللهُ أكْبَرُ لِلْكَبِيرِ)** هذا المكان يقدم واقعته التاريخية، إذ فيه حدث لبداية التكليف بالتبوة وببداية رواية المعجزات، التي أجريت على يد موسى عليه السلام وحده، وأصبحت من خصوصيات بيته في توجيهه ودعوة بنى إسرائيل.

هذا والمكان/ الوادي المقدس يستمد واقعته من كونه يقدم تجربة سيواجهها الملتقي، إن لم يكن قد مر بها بالفعل، حيث يتغass مع الواقع الذي يمكن معايشته، وتعد توالي هذه الأماكن والتي تبدأ عند نقلة معينة في الظهور، وتمتد خيوطها عرضياً وطولياً في نسيج النص القرآني، حيث تتتابع الجمل السردية لتشكل أحد آثار متالية متعاقبة ضمن إطار الحديث الأكبر في المكان المقدس و**(وَأَنِّي عَصَمٌ)** و**(لَا تَخْفِي)** و**(وَأَذْفَلُ يَدَكِ فِي جَيْبِكِ)**.

المشهد الثالث:

لقد أصبح هذا المكان/ الوادي المقدس بعد ذاته يحمل عدة إشارات تشير عن أحداث حتمية ستم في المستقبل، وسيحمل النبي موسى مسؤولياتها على عاتقه، ويبداً هذا الحدث في هذه الواقعية بـ**(وَأَنِّي عَصَمٌ)** الجملة السردية الفعلية، إذ يأتي القص والحكى في هذا الموضوع لتضافر العناصر لفعل السرد بمشاهدات بصرية، أمام البطل/النبي الكريم موسى ذي العزم، هذه الأفعال جاءت بصيغة الأمر على سبيل التكليف، وب يأتي هذا المكان كشاهد ودليل على أهميته وقيمة التاريخية .

ويفي هذا المكان يتم الحديث الإعجازي العظيم وهو إلقاء المصا، التي تتحول من جماد غير متحرك إلى حياة تدب فيها الحركة السريعة بفعالية الامتناز والاضطراب، حتى يجعل العصا كأنها من الحيات (الجان)؛ لتحدث مقاجأة الخوف والرعب على شخصية النبي، الذي لم تخطر بباله هذه المقاجأة، فهجري بعيداً عن الحياة دون أن يفكر في الرجوع، إنها حركة يبدو فيها أثر دهشة المقاجأة العنيفة على تلك الطبيعة الشديدة الانتقال. ثم يأتي الأمر بنداء علوى مطمئن إنه نداء المؤمن له باسمه **(يَسْوَى لَا تَخْفِي)**، وللخوف دلالته العظيم على النفسية لهذا يتطلب منه الثبات عند الأمر وعند تلقي التكليف.^(١٤)

أنيق عن هذا المكان (النار) وهو الكائن الأرضي نور من العالم العلوى أمدّ حتى جبل وادي ملوى ومنه انطلقت عدة أشياء أو عدة عناصر تضافت لإبراز الإعجاز والقدرة الإلهية لأجل التكليف القائم. فيبعد إلقاء العصا جات معجزة مكان آخر وهي (الجيب) / فيفتحة الثوب، في موضع جسد الإنسان، ليكتمل دور المكان الأعلى الرئيس (النار) بهذا الجيب، ففيه إعجاز آخر

وسر الكون الإلهي، لتخرج يده بيهضاء مشرفة، لا عن مرض، ولكنها معجزة، فقد وعده ربها أن يؤديه بتنفس آيات إلى فرعون، لم يذكر ماهية هذه الآيات بالتفصيل وإنما ذكرت في موضع آخر يقول سيد قطب «لأن التركيز هنا على قوة الآيات لا على ماهيتها وعلى خصوصيتها وجمود

ال القوم لها»^(١٣)

- تشكل البناء السردي للعلاقات المكانية في قصة واد النمل:

﴿وَجَعَلَ لِلشَّبَابِنَ شُحْوَهُمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسَانِ وَالظُّبَّارِ فَهُمْ يُوَزَّعُونَ ﴾١٧﴿ حَتَّىٰ إِذَا لَمَّا عَلَىٰ وَادَّ الْمَلَأِ فَلَكَ تَمَلَّهُ بِكَائِنِهَا الْمَلَأُ أَخْلُوا مَسَكَنَكُمْ لَا يَعْطُلُكُمْ شَيْءٌ وَحْشَوْهُمْ وَهُنَّ لَا يَسْتَعْرُونَ ﴾١٨﴿ فَتَبَرَّأَ صَاحِبُكُمْ فَوْلَاهَا وَقَالَ رَبِّي أَنْزَعْنِي أَنْ أَشْكُرَ يُشَكِّلُكَ الَّذِي أَنْتَ عَلَىٰ وَعَلَىٰ وَلَدَكَ وَلَنَّ الْمَلَأَ كَلِيلًا حَارِقَةً وَأَذْنَابِي بِرَحْمَتِكَ فِي يَمَادِكَ الْفَتَكِيلِينَ ﴾١٩﴾

الحدث المكان وادي النمل، وقد جاء عنوان السورة الكريمة باسم الشخصية الكائنة بهذا المكان، وهي إشارة مباشرة إلى المكان بعينه، ليوجه تركيز ذهنية المتلقى إلى الاحتفاظ بهذه الإشارة، التي ستبقى عليها أحداث جسام، وهي أحداث عظيمة متتابعة فيها الوعظ والتسربية عن الحبيب المصطفى ﷺ، فيما لاقاه من ظلم وعدوان في مكة المكرمة.

وعادةً ما يشير عنوان النص إلى المكان المستدعي إما صراحةً أو ضمناً، لأنه جزء من النص المتخيل المسرود، ولا سيما أن مكونات العنوان خمس، وهي: (الفضائي - الفاعل- الزمني- الحدث- الشيء) تعين على هذا التخيل للمكان الظاهر الصريح أو الخفي المتضمن. بما يعني أن العنوان يمثل نصاً موازياً، يفضي إلى النص المتن في تنسيق النص المسرود، وهو نقطلة البداية ونقطلة الالتقاء.^(١٤)

والمكان في النص القرآني بمكوناته الفاعلة من: الحدث والزمن والشخصية الفاعلة للمكان الفضائي، تعين على تكوين الحدث، ولكن ينبعق من بينها مرتكز أساس لتكون الحدث، وهي الشخصية التي بدورها قد تحدد مكاناً جغرافياً ديناً كان واقعاً أو متخيلاً أو ظاهراً لحدث جلل، وتأخذ قصبة المكان/وادي النمل، عدة مكونات لتشكيل الحدث، إذ إن العنوان يحمل اسم الشخصية الرئيس/النمل في إشارة لصفاته، كما أنها العنصر الفاعل المكون للحدث في هذا السياق، إذ تسيطر على عنوان النص مستوياً المكونات الأخرى، بل إن هذا الحدث/واد النمل يسيطر بطبيعته على جميع أحداث المكون الزمني في السورة الكريمة، إذ إنها تحمل زمنية نص تاريجي إلى عهد قديم.

ومثل هذه المكونات في النص السردي للقصص القرآني تعتبر مكونات فاعلة وحقيقة: لتشكيل الحدث الذي يتسبّب بعلوته سيدنا سليمان عليه السلام، والتي تأخذ قصته في هذا المتن على مساراً

سردياً طولياً متصاعدةً في تسلسل من الأحداث المتوازية المتباينة المترابطة، كل حدث يبين صورة من صور الإعجاز الإلهي، الذي منحه الله لنبيه وخصه بتقنية فنية عالية، من حيث ترتيب الحديث بمقيدة ووسط وختمة، أي قبل المرور بالوادي/ المكان. فقبل أن تأتي جمالية المكان استبق الحديث القرآني وصف وتفصيل هيئة موكب سليمان في حلية انتظامه، وضم صفوفه المتعددة بشكل متلازم ومنسجم، فهم يوزعون حتى لا يتفرقوا وتشيع فيهم الفوضى في حشد عسكري من جنود سليمان، إلى ثلاثة أصناف: الجن والإنس والطير، وهؤلاء الجنود مسخرون بأمر الله لخدمته عليه السلام، يأتُّرون بأمره، ويظهرون جميعهم في موكبه المهيّب إخوانًا حتى إذا أتوا **«وكوأَتَّل»**.

وهنا يبدأ السرد للحدث الذي تكونه جميع تلك العناصر والشخصيات الظاهرة والباطنة **«حقَّ إِذَا أَتَّا عَلَى وَادِ الْأَتَّل»**: ليأتي الحديث في السرد القصصي الحقيقي مبتدئاً بحدث جديد متصل، إنه حديث السير الذي لم يكتمل بعد، بدلالة **«حقَّ»** والتي بدأ بها الكلام ومع ذلك فهي غاية لما مثلها، ودلالة أتوا في مستهل الحديث التالي تدل على الجيش القوي وهبة الله لنبي سليمان عليه السلام وهي قوة من قوى النبوة تدرك أهوال الأرواح وال مجردات، كما تدرك منطق الطير ودلالة النمل ونحوها، وكان للإتيان دلالته الزمنية، فحتى ابتدائية، ومعنى الغاية لا يفارقها، ولكنها مع الابتدائية غاية غير نهائية، و **«حقَّ»** ظرف زمان يمعنى حين، وهو يقتضي فعلين بعده يشبهان فعل الشرط وجوابه، لأن إذا مضمنة معنى الشرط، وإذا معمول لفعل جوابه، وأما فعل الشرط فهو جملة مضاف إليها إذا والتقدير **«حقَّ إِذَا أَتَّا عَلَى وَادِ الْأَتَّل»**^(١٩)

ويدخل المكان/ وادي التمل في نسج النص السردي، وذلك للعلاقة التي تربط المكان/ الحيز بالراوي للحدث، والراوي هنا النملة، إذ يعد المكان جزءاً من كينونتها متعلقاً بوجودها، فقبل عن وادي التمل إنه شقوق ومسالك هي بالنسبة للنمل كالأدوية للساكنين من الناس، وربما يكون مكاناً يحمل هذا الاسم، لأنَّه اشتهر بالتمل فغلب عليه الإضافة. ودور المكان لا يتوقف عند الهدف منه للنمل في أدائهم الوظيفي لذات الحيز، ولكن يتمتع وجوده بين ثنايا النص السردي القرآني من خلال حركة الساردة/ النملة في المكان، إذ إنها تتجاوز أمكنة مختلفة تعبّر عن إيقاع الشخص من حلو أصوات سردية جديدة للحدث الواحد في نسج الفص القرآني.^(٢٠)

ويحكي المسار السردي الواقع بأنه كان أمام سليمان رحلة حرية برفقة جنوده لا يعلم عن سرها، وفي هذه الرحلة من يوادي تسكته التمل، فظهرت فجأة على مسرح الأحداث النملة المحركة الساردة والشخصية البارزة في هذا الحدث، لتكون سيدة الحديث وبطلته؛ فتتصدر القول وتتحكم في الحوار، ممثلة للصوت السردي الصارخ العالي بعد حركة هدوء الجنود في ترتيب وانتظام،

وهي المتعاملة بمكان السرد، ولكنها نملة مختلفة، فهي قادرة على تحمل عبء ومسؤولية مراقبة مملكة النمل، مع دورها المهم في تنظيم وحماية المكان من أي أخطار محدقة به. فالجملة الفعلية في قوله تعالى: «فَأَتَتْ نَمَّةً» تدل على أنها نملة مميزة من بين النمل الصارخ في الوادي إذ لها صفة الإشراف والتنظيم على مملكة النمل المتميزة بالذمة والتنظيم الذي تتبع فيها الوظائف، وتؤدي جماعة النمل دورها فيها بنظام عجيب، يعجز البشر على أداء مثله، على ما أنوا من عقل راقٍ وإدراك عالٍ، قالت هذه النملة مثيلاتها بالوسيلة التي تقاوم بها أمم النمل، وباللغة المتعارفة بينها. «أَتَخْلُوا مَسْكَنَكُمْ لَا يَعْطِلُنَّكُمْ شَيْئاً مَّا يَحْتَوْهُ وَهُنَّ لَا يَشْعُرُونَ». ^(٢١)

هاتين الشخصيات الفاعلة هنا هي النملة، التي تستخدم العقل وتحكمه في الفعل في مسار الحدث السردي بقولها «أَتَخْلُوا مَسْكَنَكُمْ» وهذه النملة تصدر الأمر من كائن يملك الإرادة في حرية التصرف المرتبطة بوادي النمل، والمسكن دلالة على الأمان والملجأ والملاذ، ثم تعقب قولها بالعقل «لَا يَعْطِلُنَّكُمْ» إشارة إلى النبي سليمان، أي «لَا يَعْطِلُنَّكُمْ» دون شعور منه؛ فهي تعلم بمروره وقدومه، وتصنف بهذه الجملة العذر لسليمان، فهي الجرم الصغير الذي قد لا يرى، فلن يشعر بها سليمان وجندوه.

ففي هذا الموضع تأتي النملة لتشهد بعدله، هناك/وادي النمل دلالة على عدل النبي سليمان، بفعل قولها القائم على الحق والحقيقة.... يقول أبو مسعود في قوله تعالى: «وَهُنَّ لَا يَشْعُرُونَ» حال من ظاهر يحطمكم مقيدة لقييد الحطم بحال عدم شعورهم بمكانهم، حتى لو شعروا بذلك لم يحطمها وأرادت بذكرة الإيذان بأنها عارفة بشؤون سليمان وسائر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام من عصمتهم عن الظلم والإيذاء وقيل هو استئناف أي فهم سليمان ما قالته والقوم لا يشعرون بذلك. ^(٢٢)

وبعد فعل إدراك النمل بواقع الحدث، يأتي إدراك النبي سليمان لقولها تبسمـاً «فَتَسَرَّ حَسَاجِكَمْ قَوْلَاهَا» هذا التبسم هو دلالة الانشراح لقولها، دلالة نفسية وموقف شخصي للنبي بالتبسم، وهي حركة بصرية بعيدة عن الصوت، إذ بعد متابعة حدث قولها يأتي الموقف البصري ليقابل الموقف السمعي في مخاطبتها للنمل، هذا الموقف يقابل حدث النداء المباشر للأفق، يشكر فيه النملة على وراثة العلم والدخول في رحمة الله.

ويلاحظ أن الفعل السردي الآخر المتعقب له «لَا يَعْطِلُنَّكُمْ» المضارع الزمني الماضي، «فَتَسَرَّ حَسَاجِكَ» وهو إشارة لحالة توقف السرد أو الحدث السردي، وحركة مسير الجند عند تبسمه ضاحكاً من قولها، وهذا التبسم يعكس حالاً من الصوت في الازlan والهدوء التوقف التأمل التفكير أمام الحركة المتقطعة من وادي النمل بفعل القول من رئيسة الوادي، وهذا التبسم جاء تعجبـاً من

حضرها واهتدانها إلى تدبیر مصالحها ومصالح بني قومها، وهو سرور في باب التقوى والشفقة بهم من بين أصناف المخلوقات، فهي أبعدها عن إدراك أمثال هذه الأمور وقول: إنها فقط أحست بحضور الجنود، هجاء قولها لثلا يذعنن فيدخلن مساكنهن.

إن هذا المكان وادي النمل الذي فيه تتمدد الأصوات، ينتهي عنده الحديث بحضور القيس لمظهر أدوار الشخصيات، فقد توقف حديث النمل أمام شخصيتين: سليمان / الملك النبي والنملة / القائدة ، كل منهما له دوره الفاعل في مجاله، وكل منهما وهب الله دوره في الحياة، ولها دلالات عديدة. يقول سيد قطب « وتفت هنا أمام خارقين لا خارقة واحدة . خارقة إدراك سلمان لتحذير النملة لقومها . وخارقة إدراك النملة أنَّ هذا سليمان وجنوده . فاما الأولى فهي مما علمه الله لسليمان... فالامر بالقياس إليه أقرب من الخارقة الأخرى البادية في مقابلة النملة . فقد تدرك النملة أنَّ هؤلاء خلق أكبر... أما أن تدرك النملة أنَّ هذه الشخصوص هي سليمان وجنوده ، فذلك هي الخارقة التي تخرج عن المألوف . وتحسب في عدد الخوارق في مثل هذه الحال »^(٧١)

- تشكل البناء السردي للعلاقات المكانية في قصة مدينة سبا.

﴿ وَنَقْدَلَ اللَّهُمَّ فَقَالَ مَا لِي لَا رَأَى الْمُهَاجِدُ أَمْ كَانَ مِنَ الْكَايِنِ ﴾ ① لِأَنَّهُمْ عَذَابًا شَكِيدًا أَوْ لَا ذَهَنَهُ أَوْ لَا يَعْلَمُهُ مُسْلِمُنَ شَيْءٍ ② فَتَكَثَّفَ فِي رَبِيعِ الْمُهَاجَرَةِ فَقَالَ أَخْطَبُتُ يَمَامَتْ يُحْطِيْهِ وَجَنَاحَكَنْ مِنْ سَكَلَ بَكَرَ بَوْبَنْ ③ إِلَيْهِ وَجَدَتْ امْرَأَةَ تَلْكِيْمُهُ وَأَوْقَتَتْ يَنْ حَكْلَ شَفَوْ وَلَمَّا عَرَضَ عَظِيمَةَ ④ وَجَدَهَا وَقَرَمَهَا يَتَجَدَّدُهَا لِلشَّيْنِ مِنْ دُوَوَّ أَكَوْ وَزَيْنَ لَهُمْ أَكْيَنَلَّ أَعْنَاثَهُمْ صَنَعُهُمْ عَنْ الْكَيْلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ⑤ الْأَيْمَجُدُوا يَلُو الْدَّى يَمْجِعُ الْحَكَبَةَ فِي الْكَسَوَرَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا يَغْفُرُونَ وَمَا يَأْفِلُونَ ⑥ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْضِ الْعَظِيمِ ⑦ فَلَمْ يَنْفَذْ أَسْدَتْ أَمْ كَتَ مِنَ الْكَلَبِيَنِ ⑧ لَأَكْبَرْ يَكْبِيْكَيْ مَكَدَا فَالْيَةَ إِلَيْهِمْ لَمْ يَقُلْ عَنْهُمْ فَأَنْظَرَ مَا يَرْجِعُنَ ⑨ فَكَانَ يَأْتِيَ الْمَلَوَّا إِلَيْهِ إِنَّكَ إِنْ كَيْمَ كَيْمَ ⑩ إِنَّكَ مِنْ سَيِّئَنَ وَلَهُ وَسِرَّ اللَّهِ الْأَرْحَمِيَ الْجَيْرِ ⑪ الْأَمْلَوَاعَلَى وَأَتْوَقَ مَلِيَّيَنِ ⑫ فَكَانَ يَأْتِيَ الْمَلَوَّا أَنْقُوفَ فِي أَمْرِي مَا حَكَتْ قَلْبَلَعَهُ أَكْحَنَ تَهَدِيَهُ ⑬ فَلَمَّا أَخْنَ أَلْوَأَ قَوْ وَأَلْوَأَ بَلَى شَيْبَرَ وَالْأَمْرَ يَتَبَوَّ فَأَنْظَرَيَ مَا يَأْمُرُنَ ⑭ فَكَانَ إِنَّ الْمَلَوَّا إِنَّا نَكَلَلَأَقْرِيَ أَقْدَوْعَا وَجَمَلَأَعْرَةَ أَهْلَهَا أَوْلَهَا وَكَذَلِكَ يَقْسِلُوكَ ⑮ وَلَمَّا مَرَّتْ مِنْ رَسَلَةِ إِلَيْهِمْ يَهْدِيَوْهُ فَكَانَ إِلَيْهِ يَمْرُجُ الْمَرْسَلَةَ ⑯ فَكَانَ جَاهَ سَيِّئَنَ قَالَ أَنْجَدُونَ يَمَالَ حَسَّا مَاقِنَ: اللَّهُ خَيْرٌ مِنْكُمْ بَلْ أَشَرْ جَهِيْنَكَ لَنْرُونَ ⑰ أَنْجَعَ إِلَيْهِمْ فَلَمَّا يَأْتِهِمْ يَحْتَرُ لَأَقْلَمَ كَمْ بَهَا وَلَكَفِحَهُمْ بِهَا إِلَهٌ وَهُمْ سَيِّرُونَ ⑱ فَلَمَّا يَأْتِيَ الْمَلَوَّا لِكَمْ يَأْرِيَهَا قَيلَ أَنَّ يَأْتُونَ مَلِيَّيَنِ ⑲ فَلَمَّا عَقِيرَتْ مِنَ الْمَيْنَ لَأَنْجَدَهُمْ بَهَرَهُ فَلَمَّا رَأَهُ مَسْقِرَهُ عَنْهُ عَيْوَأَقْرِيَ أَيْنَ ⑳ فَلَمَّا أَلَى يَعْنَدَهُ عَلَى مِنَ الْكَيْبَ لَأَنْجَدَهُمْ بَهَرَهُ فَلَمَّا يَرَدَ إِلَيْكَ طَرْفَكَ فَلَمَّا رَأَهُ مَسْقِرَهُ عَنْهُ قَالَ مَهْدَانِ قَضَلَ رَقَيَ يَلْتَوَيَ مَأْكَلَهُمْ أَكْفَرُهُمْ بَهَرَهُ فَلَمَّا يَأْتِكَ طَرْفَكَ فَلَمَّا رَأَهُ مَسْقِرَهُ عَنْهُ قَالَ يَكْرُوا لَمَّا عَرَقَهَا يَنْتَزَرُ أَهْنَيَهُ أَنَّ تَكُونُهُمْ أَلَيْنَ لَا يَهْتَدُونَ ⑳ فَلَمَّا يَأْتِكَ طَرْفَكَ قَالَ أَهْنَكَلَأَمْشِلَهُ فَلَمَّا كَلَهُ

ولوينا العذر من قبلها لا نأسفون^(١) وصَلَّا ما كان تَعْذِيْبُهُمْ دُونَ الْكُوْتَاهَا كَانَ بَنْ قَوْرَىْكَبِيرِينَ^(٢) قَبْلَ هَا اَنْتُمْ أَصْرَحُ^(٣) هَنَّا رَأَتُهُ سَبَيْتُهُ لَجَّةً وَكَفَتَ عَنْ سَاقِيْهَا فَالْإِلهُ صَرَحَ شَرَدَ^(٤) بَنْ قَوْرَىْرُ^(٥) قَالَتْ رَبِّيْ^(٦) إِنِّيْ طَلَّتْ قَبِيرِيْ^(٧) وَأَسْلَمْتَ مَعَ شَبَيْكَنَ^(٨) هَلْكَرَىْ^(٩) الْكَلَّابِينَ^(١٠)

إن الأمكانية التي وردت متعددة في سورة النمل جاءت متراقبة ومتصلة بينائها القصصي، فالنظام المكاني لكل قصه يحكمه قانون الحركة القصصية، الذي يسير باتجاه تحقيق الغاية السردية من السورة الكريمة *ولم يذكر السرد القرآني كل أمكنة القصة، وإنما ذكر بعضها* وغفل عن أخرى، وهذا وفقاً لما يقتضيه الفرض الديهي، وما ينتهيجه من تفاعل غائي لجينات السرد، هدفه تحقيق الغاية الدينية، إن هذا المكان/ مدينة سباً جعل للسرد مرتكزاً للحدث والقصة، فالتصريح بذكر المكان على الصعيد السردي القرآني، يمهد لمرحلة سردية منفردة بينائها التفصي في البيئة المكانية المستدعاة، ففي قصة مدينة سباً سوف تتبع التنقلات المكانية، والتي تطلق أصلاً من بيت المقدس إلى فضاءات أخرى، إنها الهجرة المكانية، وقد صيغت معجزة رؤية شخصية **«الْهَدْهُدُ»** لمدينة سباً بتنقلات متعددة وفجوات مكانية متباينة على نحو مasisياتي لاحقاً.^(١١)

المشهد الأول:

إن توارد الأمكانة في قصة النمل والمتعلقة بقصة سليمان مع مملكة سبا في قالب قصصي يتدخل مع حدث آخر ليس بمنفصل عن السابق، وإنما هي تقللات ومشاهدات للقططيم العسكري المسخر لأجل الدعوة، إذ يبدأ الحدث عن المكان في سياق هذه الآيات الكريمة، ببداية استهلاالية؛ يتمثل فيها التشويق لعنصر المكان، ولم يأت هذا الحدث مفاجأة، وإنما في مرحلة فقد النبي سليمان لجندي من جنوده، وهو ليس بكل الجنود؛ فالسياق يوحى بذلك، فهو هذا الجندي يتهدده الملك/ القائد بدلاله قوله **«لَأَعْذِنَّهُ»** أو **«لَتَبَيَّنَهُ»** و**«وَتَنْقَذَ الظَّيْرَ»** أي تعرف أحوال الطير فلم ير الهدهد من ينفها «لأخذته عذاباً شديداً أو لاذبحه» لأن تقبيه دون إذن عصياب منه لنبيه، مما يقتضي عقابه عليه.

وهنا يأتي المكان/ مدينة سبا إشاري رمزي من خلال الفعل (مكت) عندما فقد الطير/ الهدهد، وذلك ليحدث عنصر المفاجأة في النص **«فَسَكَّ**» والمكت: البقاء في المكان وملازمه زماناً ما، وفعله من باب كرم ونصر، وأطلق (المكت) هنا على البطة؛ لأن الهدهد لم يكن ماكلاً بمكان واحد، ولكنه كان يطير وينتقل، فأطلق المكت على البطاطه مجازاً مرسلاً، لأن المكت يستلزم زمناً **«فَسَكَّ غَيْرَ بَيْلِرْ»**، قريباً قريباً يوصي بضد البعد، أي مكت زمناً غير بعيد في مكان غير بعيد، وكل المعنيين يقتضي أنه رجع إلى سليمان بعد زمن قليل، كذلك **«غَيْرَ**

بَعْدَ) بمعنى يوشك أن يكون بعيداً، وهذا وجه إهانة التعبير، بدالة «*غير*»؛ لأنها تقييد دفع توهّم أن يكون بعيداً، وإنما يتوهّم ذلك إذا كان القرب يشبه البعد، والبعد والقرب حقيقتهما من أوصاف المكان.^(٢٣)

وتفاعل الأمكنة مع الشخصية الفاعلة في إبراز أهمية المكان، فالسياق- قبل أن يحضر المكان في دائرة الحدث- يبرز دور الشخصية، والتي هي من جند سليمان، وراوي الأحداث المكانية القادمة برمتها. إذ إنّ القول، عن المكان المستند إلى الهدى المحمول على حقيقته، فالراوي لحدث المكان، يخبر به الروي له/ الملك سليمان، هو الراوي المتكلّم للمعرفة، والذي لا يتحدث بمنطلق الطير، وإنما يعقل إنسان جندي له وعيٌ مدرك بحقائق الكون، والإيمان والكفر، فهو هدف مجند في كل الأحوال، مسخر سليمان وفعل الهدایة.

المشهد الثاني:

لاحظ في التقديم السابق لسرد الحدث المكاني، أنه مدار لأحداث سوف تروى عن مكان متحضر له ثقافته وأبياته، والمخبر بهذا المكان هو الراوي/ الهدى، الذي مازال متوارياً عن الحدث، وهو حقيقة متوازٍ رؤية عن الملك سليمان، ثم يحضر المكان خبراً على لسان الهدى، لأنّه متذور حوله أحداث متيرة لأحداث أخرى، فالأفعال المتعددة (فهكـت- أحـطـت- جـثـلـكـ) لازمة متباعدة، تشير على حركة وأفعال وأحداث وقصة، ستاتي لمكان يذكر اسمـاً موصوفـاً على لسان جندي من جنود سليمان، إذ هو يروي مرتباته عن مملكة لامرأة تملّكتهم لها عرش عظيم، وقوتها لا يسجدون لها، فالوصف كما يبدو ليس لجماليات المكان من حيث السمعة والضيق، وإنما للإيمان والعقيدة والفكـرـ. إنـاـ هذاـ المـكـانـ فـيـ مـعـلـكـةـ وـفـيـ عـرـشـ مـحـصـنـ، لاـحدـ يـسـطـعـ الدـخـولـ إـلـيـهـ، يـتـمـيزـ بـالـعـلـمـةـ، مـتـعـاـسـكـ قـوـيـ غـيرـ قـاـبـلـ لـالـدـكـ أوـ الـاخـتـرـاقـ أوـ الـاقـتـحـامـ.

فالمكان الخبر/ سيا، يمثل هنا بؤرة تطلق منه الحكايات والأحداث المتوازية، فهو يمثل مركزية الحدث والمكان الإطار، الذي يمثل مفتاحاً وانفتاحاً على تواني الأمكنة في السرد القرآني في هذه السورة، وتتابع الأحداث التي لا بد أن تنتهي بنهائية واحدة فقط إما بالإيمان أو الكفر.

أضف إلى أنه في مرحلة إنتاج الدلالة القرآنية في سورة النمل، تمتد إلى إرساء حدود جغرافية معروفة الأمكنة، قد يهتمي إليها المتنقى عن طريق الخيال، وكذلك يمكنه الاهتداء إلى المكان المحسوس لتكوينها وأدراكيها رؤية، ولكن بلاغة التصوير القرآني قادرة على أن تجعله مدركاً عن طريق التخيل والتصور؛ لذا ظهر العناصر الجغرافية في سياق رسم المكان القصصي القرآني خاصةً عندما تتردد بأسمائها عبر النص لتعمل على إيقاظ حس المتنقى، إذ إن «المتنقى» يبدأ في صنع مكان تخيل، سواء قدم النص إشارات مكانية أو لم يقدم، وظهور عنصر جغرافية باسمه

تكون له هناعية ما يشبه الالتفات في البلاغة العربية^(٢٧)

وقد وجدنا أن الهدى وهو كائن مكاني، والمكان جزء لا يتجزأ من كيانه؛ بدلالة علمه بأسرار (الخبة) ، قد قدم إشارات مكانية عبر ترتيب الفعل، وكل مكان يحمل عنصراً جغرافياً باسمه، الذي يدل على حقيقة المكان المذكور باسمه (الخباء - سباً - العرش)؛ ليعمل على إيقاظ حس المتنقي / النبي لأهميته، بل إن الهدى هنا سيد الموقف، إذ استطاع أن يجعل سيده يسمع وينصت لخبر هذا المكان الذي لم يره بعد، ليصبح للمكان الخبر هناعية ما يشبه الالتفات في أمور أخرى، لتعقبها أحداث متالية مرتبطة بالمكان الخبر. وقد حدث الالتفات في مضمون كلمة سباً / الخبر المهم، بل كان له تأثير أكبر، جاء من خلال وضع اسم المدينة في قلب الجناس « وَجِئْنَاهُ مِنْ سَكَنَتِيْرِيْنَ » سباً / سباً، إذ بينهما جناس مزدوج.

وتتضاهر سياق الآيات لإبراز الحديث في ظلال المكان؛ لتشويق المتنقي لما يهمه، لاسيما في محاربة الكفر وخاصة فيما وجده الهدى « إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَلْبَسُهُمْ وَأَوْتَيْتُ مِنْ حَكْلَتِيْرِيْنَ وَقَأْنَعَرْشَ عَظِيمَّ » وبما اكتشفه في هذه البقعة من الأرض / البلد الجغرافي، لذا استخدم بذكاء الدلالات الملفتة للتبيه السامع، وال المتعلقة بالمكان المحدد، دلالة أنه لم يكن معهوداً في ذلك الزمان أن تحكم امرأة؛ وادخل إن في صدر هذه الجملة لأهمية الخبر... وتقدير امرأة وهو مفعول أول لـ (وَجِئْتُ) لأن حكم التعجب من جنسها... لأن المرأة حكاية أمر عجيب عندهم، أن تكون امرأة ملكة على قوم ولذلك لم يقل: وجدتهم تملّكتهم امرأة^(٢٨) بل ويعلم الهدى على توظيف كل عناصر التشويق، من خلال الأفعال الدالة على الروية الخاصة له، ليأتي بالفاعل اليوني للمجهول (وَأَوْتَيْتُ مِنْ حَكْلَتِيْرِيْنَ) بمعنى ثالت من كل شيء حسن من شؤون الملك، ومن أخلاق الملك من ذخائرهم، ومن عدة وعتاد وجيش وثراء و ZX فخرة وفخامة مملكتها

وبتز العلائق المكانية على لسان الشخصية الهدى، فيخص من بين النفائس التي أوتيت ملكة سباً (العرش)، ووصفه له بـ (العظيم) يدل على أن الملك سليمان لم يكن لديه مثله، ف يأتي هذا الوصف الجمالي للعرش لتحفيز المتنقي وإثارة رغبته لتملك ما ليس لديه شبيه ومثيل له، بل إن العرش فيه من الظلمة والقدرة والتفسة والضخامة ليأتي مرتبطاً بحدث عظيم، فيه اختبار للإيمان (وَقَأْنَعَرْشَ عَظِيمَّ) ، ومع هذا الاستعظام للمكان وجماليته تقع الضدية، إذ إن الهدى يضع صورة من التضاد أمام المتنقي لهذه المقلية التي تبني حضارة، ولكنها تعيش في كفر وانحطاط كثير من الأمم، تجذب عقولها أمام اختبار الإيمان. بل إن الهدى يظهر موقفه العجائبي من هذا الكفر، أمام التوقف عند معجزة من معجزات الخالق، ونعممة من نعمه، وهو متعلق بحيز صغير / (الخبة) . ومشاهد أمام الناس، وهي أن الله ينزل المطر ويخرج

النبات ويعطي الأرزاق مما هو مخبأ من داخل الأرض، بل إن دالة (خبيء) تأتي كشاهد على عقلية بعض الناس، وتمسكهم بالكفر، وغفلتهم عن عبادة رب العالمين. هذه الفتنة تبعد (الشمس) الكائن الكوني، الذي يظهر ساعات، ويأفل ساعات، فالتكون مليء بالشوادر الدالة على وحدانيته سبحانه وتعالى.

المشهد الثالث:

ينتهي الخطاب في سردية النص بمقابلة بين مكانين كل منهما موصوف بالعظم {إِنْ وَيَدْ أَمْرَأَةٍ تَلْهُكُهُمْ وَأَرْبَعَةَ إِنْ كَثُرْ شَقْوَ وَلَكَ عَرْشٌ عَظِيمٌ}. قوله تعالى: {اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ}، ولكن بينهما بون شاسع. فالعظيم الأول يجتب عليه أن يكون تحت طوع العظيم الثاني، ومهما عظم المكان فهو ضئيل، ولا يقاس أمام عظمة الله وعشره وأفلاكه. فجمالية المكان/العرش، {رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ} أي مالك الفلك الأعظم المحيط بالعوالم العليا كان يستدعي على تقديره مهما عظم عرشه ومز شأنها ما كان حقيقةً بالآية يدعوها بالإعراض عن عبادة الله تعالى، لأن الله هو رب الملك الأعظم، فتعريف العرش للدلالة على معنى الكمال، ووصفه بـ(العظيم) للدلالة على كمال العظم في تجسيم النقاوة، لا في الحجم والسعة فهو عظيم في قدره وبالتالي عظيم في خطره.^(١٢)

ويلاحظ في سياق الحديث مرحلة الصمت الزمني، وكان القبيسي سليمان عليه السلام قد اخترى عن محور الحديث أيام حديث الهدى، ولكنه صمت الأنبياء الذي يحمل في طياته الأدب والعقل والحكمة، والاستيعاب لما يحاط حوله وذلك لأنه أراد أن يتحقق من النبأ العظيم، فلا هو يصدق أو يكذب {سَنُنْظُرُ أَسَدَتَ أَمْ كَتَ وَنَالَ الْكَنْزَيْنِ}، وستنطر هنا من الرواية بمعنى استعمال العقل والتدبر، بما يقدم الهدى من الدليل والتجربة والبرهان على صدق الخبر أم كذبه.

هذا المقطع الحواري الذي أتي بعد برهة من الزمن والاستماع بعمق لحدث مكتمل، أحدث تغيراً في مسار الحديث السردي، والاتجاه نحو صفتة الأخرى، لتأتي الجملة السردية الموجزة في قوله {إِذْهَبْ يَكْتَنِي هَذِهَا فَأَتَيْهَا إِلَيْهِمْ ثُمَّ قَوْلَ عَنْهُمْ فَأَنْظُرْ مَا يَرِيْشُونَ} فالكتاب في حد ذاته قصة منخفضة ترتبل بالمكان، وقد حدد اتجاه رميه والقاتله في معلم الملكة/العرش، ونلاحظ الجمل السردية تتعاقب في حركة متناهية في السرعة لمعرفة الحقيقة (إذهب - الق - ثم تول هانظر)، كلها أوامر صدرت عن معرفة ووعي وثقة بالعقل المخبر عن عرش مملكة سبا، وهذا الإلقاء مرتبط بذات المكان، والكتاب بعد ذاته سيكتشف عن ردة فعل الملكة التي تمثل الدولة الحاكمة، يقول سيد قطب: «ولا يعلن في هذا الموقف هجوبي الكتاب، فيظل ما فيه مقلقاً كالكتاب نفسه، حتى يفتح ويعلن هناك وتعرض المفاجأة الفنية في موعدها المناسب»^(١٣)

أما معنى الإلقاء فهو الرمي إلى الأرض، وقد ونقدم في قوله تعالى «وَأَلْقُوهُ فِي عَرَبَتِ الْجِنِّ» دلالة اللفظ تحتمل إما حقيقة، إن كان شأن الهدى أن يصل إلى المكان فغيري الكتاب من منقاره، وإما مجازاً، وهنا يسدل المستار على هذا الحديث، ويختلي المشهد وبينهما أحداث كثيرة لا يعلم عنها، فقد تم اللقاء وقراءة الملكة ودراستها فحوى الرسالة بعد ما جمعت أمرها، وأن الخطاب على لسانها ليظهر لنا مشهد آخر مرتبطة بعرش الملكة وبلاطها.

المشهد الرابع:

يبرز صوت آخر لمكان إشاري توضح فيه الأفكار والرؤيا - يرتبط بالمكان الأعظم العرش - وهو المكان الجزيئي / الكتاب، والمحرك لفاعلية الحديث في إبراز حدث آخر متبع من مجلس الملكة، فالكتاب بعد ذاته سبب للاجتماع؛ لأنه يحمل أمراً خطيراً، هذا الاجتماع جاء بعد فحص عن خبر سابق، إذ يحضر المشهد لحدث جديد مسناً متعلق بقصة إلقاء الكتاب، والذي يثير حولها سؤالاً، «فَأَلْتَ يَكْتُبُهَا السَّمَاوَاتِيَّ أَلْقَى إِلَى كِتَبٍ كَيْمٍ» فهي تخبرهم بصيغة المجهول (أنتي) أنه أنتي إليها كتاب، ومن هذا نرجع أنها لم تعلم من أنتي إليها الكتاب ولا كيف ألقاه ولو كانت تعرف مصدره، وهي تصف الكتاب بأنه كريم، وربما هذا الوصف عائد لختمه وشكله وهبته، وبعد الوصف يأتي نفس حدث الكتاب ومحتواء، فهي من جهة تشير إلى المرسل من «إِلَّهٌ مِنْ شَيْءٍ» فهنا الخطاب للملكة، تخبر به قومها وأهل مشورتها لإيقافه، أفهمهم إلى التدبر في مفراه، لأن اللاقى سليمان أن لا يقدم في كتابه شيئاً مثل اسم الله تعالى، وأن معرفة اسم سليمان توخذ من ختمه، وهو خارج الكتاب كما يبيدو، هذا الكتاب استهل فحواه بالبسملة التي أصبحت شبه الافتتاح لأغلب الأمور، وهي الصيغة التي يكتب بها سليمان، أما لغة الخطاب في الرسالة فقد كانت تبدو موجزة وواضحة المقصد، كما يحكى القرآن فيه استعماله، وحرز وجزم والبساطة والقوة، مما قد يوحى إليها بهذا الوصف الذي أعلنه، فهو مبدوء باسم الله . ومطلوب فيه أمر واحد لا يستكريوا على مرسله، وأن يأتوا مستسلمين لله الذي يخاطبهم باسمه .^(٤)

وبية مرحلة التفاوض على رسالة سليمان يبرز لنا الكتاب / المكان الإشاري الملقي في بلاط الملكة، ليكون سبباً في تعيل المشهد الحواري، الذي تتصدره ملكة سبا بقولها «فَأَلْتَ يَكْتُبُهَا السَّمَاوَاتِيَّ فِي أَمْرِي مَا حَكَيْتُ قَاتِلَةً أَمْ حَقَّ تَهَدُّدُونَ». فهي ملكة حكيمة عاقلة مستيرة لاتخاطر بالاستبداد بمصالح قومها أو ملوكها، ولا تقضي في الأمور الصعبة إلا بعد استشارتهم، بدلاله الفعل «تَهَدُّدُونَ» كنایة عن المشاور، وعن معنى: هل توافقوني فيما أقطعه من أمر؟ وهنا يدخل المشهد في حوارات، المحرك له العرش، والخوف على فقدم، هناك جوابهم جواب من دخلوا في طاعة الملكة استعداداً للدفاع عن عرশها، ولكنهم مع هذا الأمر هوضوا الأمر إليها لتقديم

بأصالة رأيها للنظر فيما تأمرهم به، ومن ثم تأتي مشورتها بالبرهان والدليل والحججة والقناعة، و تستحضر دليلاً لمكان مجهول، وهو (القرية) «فَأَكْتُبْ إِنَّ الْمُلْكَ إِذَا تَحْكُمُ فِرْقَةً أَفْسُدُوهَا وَجَعَلْهَا أَعْزَمَةً أَهْلَهَا إِذْلَلَهُ وَكَذَّلَكَ يَفْعَلُونَ». فهذا استشهاد من حوادث التاريخ على تقلب الدول، فالقرية تعني للملكة السلطة الأمان الحضارة والتوريث، وسيترتب على إشعال الحرب فقدانها الوطن وإقصاؤها عنه، وتبدل لكل القوانين والنظم السارية في دولتها، لتحول دولتها إلى مستمرة، فتصبح غنية بيد المنتصر عندئذ. وفي هذه اللحظة الحاسمة تقترب الهدية كوسيلة لإعلان الود، ورفع راية السلام. يقول سيد قطب: «وهنا تظهر «المرأة» من خلف «الملكة»، المرأة التي تكره الحرب والدمار، والتي تتفضي سلاح الحيلة والمaliابة قبل سلاح القوة والخاشنة، والتي تهيا في صعيدها لواجهة «الرجل» بغير العداء والخصام»^(٢٧)

المشهد الخامس:

ينكشف الستار عن مشهد منفصل عن الأول في بقعة جغرافية مختلفة، يستهل فيه الملك سليمان الخطاب الاستهامي الاستنكاري «فَلَمَّا جَاءَ شَيْخَنِي قَالَ أَتَيْدُونَنِي بِمَا نَعْنَى، أَنَّهُ خَيْرٌ مِّنَّا، أَنَّكُمْ بِأَنْ أَشْرِبَنَّكُمْ تَفَرُّونَ»^(٢٨) أَتَيْهُ الْيَمَنُ فَلَمَّا نَهَمُوا لَأَقْبَلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنْتَهُمْ بِهَا أَوْلَهُ وَهُمْ مُكْبَرُونَ» وجاء هذا الجواب على الهدية، وهو رد فعل على مضمون ما أصرمه الملك تجاهها، وتجاهله لها «وَأَنْتُمْ مُشْرِبُونَ» هذلا لا بد أن يكون في إطار الاستهزاء والاستنكار، لأنهم قدموه الرخيص والدنو أمام ما خصه الله عز وجل به ملك وقوة وثروات.

ويبدل الستار على هذا المشهد الهدية من رسول الملكة. وهذا الاستنكار من الملك، ليعقبه تهديد وانتظار للمصير المحتمم، ليأتي من ثم حدث جديد يطوي لنا عدة مشاهد، حيث مقاوضات عدة بين الملك والملكة، وانتهت بطوعها لملك سليمان، وعدم طلاقها للحرب، وأن الملكة لاتريد العداوة، وإنما الدخول في طاعة الملك، لذا عزمت على الحضور والاستسلام للفعل «وَأَنْتُمْ مُشْرِبُونَ» وبه طيات هذا الاستسلام يتواصل السرد القصصي عن حدث مجيئها، ليتركز على عرش الملكة العظيم في مشاهد القصة، إذ يأتي المكان/ العرش في هذا المشهد كمحرك لل فعل السريدي، من خلال الحوار وتفاقب الأحداث وحضور الشخصيات، الخطاب لسليمان عليه السلام «فَلَمَّا كَانَتِ الْمَوْلَى إِلَيْكُمْ يَأْتِيُنِي بِهِمْ قَبْلَ أَنْ يَأْتُوكُمْ مُشْرِبُونَ»، والهدف الأساسي المحرك له هذا المكان الذي ربما لا يتثبت على حال بل هو متحرك، لتجه القصة حول من سيأتي بعرشها أو يحضرها، وبـ سبيل ذلك تتحرك كل المعاصر «فَأَلَّا عَفَّيْتَ مِنْ أُلْيَنِ لَمَّا كَانَكَ يَوْمَ يَقُولُ أَنْ تَقْرُئُونَ مِنْ مَقَابِلِكَ وَلَمَّا عَلَيْهِ لَقِيَ أَمْيَنَ»^(٢٩) «فَأَلَّا لَوْيَ حِنْدَهُ، حِنْرُّ وَنَّ أَلْكَتِبَ أَلَّا يَأْتِكَ يَوْمَ يَقُولُ أَنْ يَرْتَدِيَكَ طَرْنَكَ فَلَمَّا كَانَ أَلْمَشْتِرَ يَعْنَمَ قَالَ هَذَا مِنْ قَسْلِ رَفِيلْيَلْتُونَ بِإِنْكَرَامِ أَكْرَرْ وَمِنْ شَكْرَ فَلَكَسِيَنْكَرْ يَقْرِيَّهُ، وَقَنْ كَفَرْ فَلَكَنْ رَفِيفِ كَرِيمَ»^(٣٠) (هموقع جواب المحاورة فضل على

أسلوب المحاورات، فالعرش مصدره قوة، لذا تبدأ القوى المتعددة من جند سليمان لتعتمس لنظهر مقدرتها الخارقة في إحضار هذا العرش المكعب الكبير، هفي إحضاره سقوط دولة الكفر، والكل يريد أن يباها ويكون له دور بهذا النصر الإيماني.

العفريت من عناة الجن لديه همة خارقة، ولكن إحضار العرش قد يأخذ وقتاً (فَلَمْ يَقُولْ مِنْ مَقْبِلِكَ) من الصعب إلى الظاهر، هنا يظهر صوت محاور آخر في إجابة للحوار موضوع بأن عنده علم من الكتاب، يعرض النبي الله بأنه سيأتيه بالعرش في طرفة عين، وقبيل أن يرتد إلى سليمان طرفة، علماً بأنه لم تظهر هوية الرجل المحاور، ولا الكتاب الذي عنده علم منه، إنما يفهم من السياق بأنه رجل صالح مؤمن على اتصال بالله، الذي وهبه سراً خاصاً يستمد منه القوة الكبرى، التي لا تتفق أمامها الحواجز، فلديه من الأسرار ما يبعد من الخوارق وأشباه بالأساطير، وغير المألوف عند البشر في حياتهم العادية، كما لديه علم الكتاب، الذي قيل إنه التوراة أو اسم الله الأعظم.

وهذه المنازلة تبرز تصارع القوى التي هي من تخيخ الله، لتنتصر قوة العلم، بدلاً منه قبل أن يرتد إليك طرفك، وهي مثل للسرعة الموصولة بين قوة العلم والإيمان، وهذا العرش محرك لكل القوى، ولكن يبقى العلم المنحص بالله عزّ وجل أقوى قوة .

وفي هذا المشهد يلعب الزمن دوره مع المكان في تحريك هابطية السرد من خلال الحوار، الذي يشكل الهدف الأساس من وراء هذه الفرائية والمعجائبية، وذلك من خلال هذا الموقف بالنسبة للإنسان ذي العقل المحدود، وهذا الدور ناتج عن تعدد أوجه الزمن همرة العفريت عندما يعد النبي سليمان بالعرش وقوله (فَلَمْ يَقُولْ مِنْ مَقْبِلِكَ) أي قبل انتقامه جلسة الملك سليمان، ثم تأتي المفاجأة بوعد الرجل المؤمن، وقوله (أَتَأْتَيْكَ يَوْمَ فَلَمْ يَرِدْ إِلَيْكَ طَرْفَكَ)، ولكن بعد حضور العرش تتلاعث المفاجآت من خلال سرد الحديث الذي يصوره الحوار من شخصية هائلة لأخرى وتتكرر في كل بداية جملة سردية دالة (فَلَمْ) «فَلَمَّا هَمَّ مُسْتَقْرِئُ عَنْهُمْ فَلَمْ هَذِلْمَ فَقْبَلَ رَبِّ يَسْلُوْنِي مَا شَكَرَمْ أَكْفَرُ وَمَنْ شَكَرَ فَلَمَّا يَشَكَرُ لِتَسْبِيْهِ وَمَنْ كَفَرْ فَلَمَّا رَبِّ طَهِيْنِ كَرِيمِ» أي لما رأى سليمان العرش أمامه حقيقة وقبل ارتداد المطرف إليه، وتحوله عنها من جهة نظره لبرهة، بل بالارتداد كانت المفاجأة ورأه مستتراً، والاستقرار أي أصبح متمنكاً من العرش، مستقرًا في عرش ملك سليمان، وصار عنده في لحظة عين وانتباها، ولما جاءت الملكة (فَلَمْ أَعْلَمْ كَمْ أَعْشَلَيْتُهُ قَالَتْ كَلَّهُ هُوَ وَأَوْتَنَا أَلْمَ بِنْ قَلَّهَا وَكَمْ سَبَيْنَ (٤٧))

ومما سبق يتضح تعاضد الدلالات الزمانية كلها، لتشير للمكان صراحة، وتحدد المفاجأة لأهمية هذا المكان في قصتها ليتم التحول من الكفر إلى الإيمان. وكان للشخصية الفاعلة

الهدهد، والتي لها علم بما حولها بدلالة الإحاطة من المحيط، وله علم لم يحيط به سليمان، علم عن ممالك وأماكن تفوقه في بعض أحوال مملكته حضارة، سبباً هو المكان الجغرافي، بمعنى هو المكان الأصل، ومسقط الرأس، فهو المكان الذي يعني الموضع الأساس، مكان له تاريخه وأسمه، يضم ويحوي مجتمعاً متحضرأً بأكمله، فيه من الحماية والإحاطة والتألُّف الذي سيكون خروجاً من المدينة بل خروجاً عليها.

الخاتمة :

اتضح مما سبق أن الأماكن التي جاء ذكرها في القرآن الكريم يحمل كل منها معنى لاماكنين وهما: الإظهار والإضمار، الإظهار: ظهوراً ثراه العيون، كالنار في وسط الصحراء، أو عين يداها مثل عين النبي موسى، فقد ظهرت ظهوراً محسوساً، ليأتي الحدث الأكبر الذي لم يأت عيناً ، إنما أتي وسط الصوت والنداء، لتبدأ من ثم حادثة التكليف، إذ إن الأماكن في القرآن الكريم تجسد الحقيقة الواقعة لتلقي التكليف بالنبيوة، ولكنها قبل ذلك تكون مسبوقة بتضاهر كل الفناصر المحسدة لها في التهيئة النفسية والاستعداد الذهني.

مما يعني أن جماليات المكان تتشكل من عوامل نفسية وهكراوية واجتماعية مختلفة، تمثل بدورها محطة استقبال بالمكان لإثبات المعجزة الإلهية في تدبير هذا الكون الرباني، فذكر المكان في القرآن الكريم يأتي على حقيقته، ليصور الفاعلية مع سماته من مخلوقات الله، التي لا تتوقف على البشر، بل تتعاون معه لعمارة الكون وفي إثبات الإعجاز الرباني كـ(النملة) في واديها، حيث جعلت للمكان قاعديته وحركته بوجودها، ومنحته قيمة الدلالية الكبرى من خلال أقوالها الدالة في قدرتها على القيادة كما رأينا سلفاً.

كذلك وجدنا أن هذه الكائنات المذكورة في القرآن الكريم كـ(النملة) وـ(الهدهد) لها ذكاء وقدرة ذهنية رفيعة، كونها تعلم وتدرك، ولها نفسية عالية تجعلها تستشعر بما يحيط حولها، فتعمل على انتقاء الدلالات المتواقة مع الحدث المكاني، كأنملة عندما خاحت قومها بقولها **«فَاتَّسْلَةٌ يَأْتِيهَا أَشْتَلٌ أَذْخُلُوا مَسْكِنَكُمْ لَا يَعْلَمُوكُمْ شَيْئاً كُنْ وَرَجُونَهُ وَهُنَّ لَا يَشْرَعُونَ»** والهدهد عندما خاطب قائد النبي سليمان عليه السلام بقوله: **«أَحْطَثْ بِمَا لَمْ تُحْطِبْ يَوْهُ وَجِئْتَكَ بِنَ سَلْكِ بَلْزَرِيَنْ»**

كما أن دالة الأمكنة تأتي لتكون فاصلة بين الإيمان والكفر. وفي هذا تبين أن القرآن الكريم يعتمد إلى ذكر اسم الأماكن مبهمة دون ذكر تفاصيل عنها، ليعطي جمالية أبعد عمقاً تحيط بالمدينة، وليترك الخيال للمتلقي في تدبر تفاصيلها الدقيقة ومظاهرها الأساسية المعنية بجمالياتها. ولكن يظل الجمال للمدينة خواءً وخارجي، إذا خلا من الإسلام والإيمان بالله،

فاللُّفْكُر كثيل بـتخيّب الـبيوـت وـتدمـيرـها، ويـظـلـ الجـمـالـ الحـقـيـقـيـ غـلـافـاـ خـارـجـاـ، فـالـفـمـرـ والمـجـمـلـ يـكـمـنـ فيـ الإـيمـانـ الـكـامـلـ وـالـاسـتـسـلامـ الـحـقـ لـهـ عـزـ وجـلـ

وقد عـدـ القرآنـ الـكـريـمـ فيـ آيـاهـ إـلـىـ تـعـيـقـ الرـوـاـيـطـ بـيـنـ الـأـمـكـنـةـ الـمـسـتـدـعـةـ فيـ النـصـ،ـ مثلـ الـرـبـطـ بـيـنـ (ـالـمـرـشـ)ـ وـ(ـالـصـرـحـ)،ـ ليـكـونـ الـابـلـاءـ بـقـدرـ الـجـنـسـ الـمـتـعـارـفـ عـلـيـهـ فيـ عـصـرـهـ،ـ وـالـتـحـقـيقـ شـرـوعـ حـكاـيـةـ التـجـرـيـةـ الـمـشـاهـدـ أـمـامـ أـبـطـالـهـ،ـ خـاصـةـ أـنـهـ فيـ هـذـهـ الـأـمـاـكـنـ تـجـمـعـ جـمـيعـ عـنـاصـرـ الـقـوـىـ،ـ مـثـلـ الـعـفـرـيـتـ وـالـرـجـلـ الـذـيـ لـدـيـهـ عـلـمـ مـنـ الـكـتـابـ وـالـمـلـكـ وـالـجـنـوـدـ،ـ لـيـمـسـدـلـ مـنـ هـذـاـ الـمـشـهـدـ عـلـىـ عـجـائـبـ الـتـحـديـ فيـ عـنـصـرـ الـزـمـنـ،ـ وـكـلـهـ تـأـتـيـ لـإـثـيـاتـ قـوـةـ اللـهـ عـزـ وجـلـ الـتـيـ هـيـ قـوـةـ كـلـ قـوـةــ.

هـذـاـ وـلـقـدـ تـمـيـزـ التـشـكـيلـ الـسـرـدـيـ للـعـلـاقـاتـ الـمـكـانـيـةـ فيـ سـوـرـةـ النـمـلـ بـتـشـكـيلـ الـحـدـثـ الـمـوـحدـ هـيـ إـلـىـ عـدـةـ أـحـدـاثـ مـتـنـقـلـةـ،ـ كـلـ مـنـهـاـ يـحـويـ قـصـةـ لـهـ بـدـاـيـةـ وـنـهـاـيـةـ تـقـلـقـلـ لـيـبـدـأـ مـنـ ثـمـ حـدـثـ جـدـيدـ آخرـ،ـ بـمـاـ يـعـنـيـ أـنـ السـوـرـةـ الـكـرـيمـةـ تـتـشـكـلـ مـنـ قـسـطـلـ أـحـدـاثـ مـتـبـاـيـنـةـ وـمـتـنـوـعـةـ فيـ سـرـدـ الـقـصـصـ عـنـ الـأـنـبـيـاءـ،ـ وـتـشـتمـلـ عـلـىـ عـدـةـ أـمـاـكـنـ مـتـنـقـلـةـ،ـ كـلـ مـكـانـ يـقـصـ حـدـثـ مـخـتـلـفاـ،ـ وـقـدـ عـدـ الـخـطـابـ الـقـرـآنـيـ إـلـىـ تـوجـيهـ ذـهـنـيـةـ الـقـارـئـ إـلـىـ أـنـ الـمـكـانـ الـوـاقـعـ عـلـيـهـ الـحـدـثـ مـجـزـأـ مـنـ الـوـاقـعـ وـضـمـوـجـ مـنـهـ،ـ مـمـاـ يـضـقـيـ عـلـىـ النـصـ طـبـاعـ الصـدـقـ وـالـأـصـالـةـ،ـ وـعـنـ ذـكـرـ بـعـضـ الـأـمـكـنـةـ،ـ فـانـهـ يـرـمىـ إـلـىـ الـفـرـضـ الـأـكـبـرـ الـذـيـ سـيـقـتـ لـأـجـلـهـ مـنـ الـعـلـةـ وـالـعـيـرـةـ،ـ فـيـعـرـضـ لـأـمـاـكـنـ تـارـيـخـيـةـ مـثـبـتـةـ،ـ تـشـتمـلـ عـلـىـ أـحـدـاثـ عـظـيـمةـ،ـ حـينـهـاـ يـكـونـ ذـكـرـ هـذـهـ الـأـمـاـكـنـ مـهـماـ وـمـسـاعـداـ الـمـقـلـ الـبـشـرـيـ عـلـىـ التـمـثـيلـ.

وـلـمـكـانـ فيـ سـوـرـةـ النـمـلـ فـاعـلـيـةـ فيـ صـنـعـ الـأـحـدـاثـ،ـ وـجـمـعـ لـكـونـاتـ السـرـدـ،ـ حـيثـ تـتـدـاخـلـ مـعـ تـقـنيـاتـهـ لـإـنـتـاجـ لـغـةـ سـرـدـيـةـ قـصـصـيـةـ يـحـركـهاـ هـذـاـ الـمـكـانـ،ـ كـمـ جـاءـ حـضـورـ الشـخـصـيـاتـ لـتـحـدـثـ الـفـاعـلـيـةـ بـتـأـثـيرـاتـهـ الـحـرـكـيـةـ فيـ صـنـعـ الـأـحـدـاثـ إـمـاـ مـلـيـاـ أوـ إـيجـابـاـ،ـ فيـ مـسـارـ زـمـنـيـ يـتـبعـهـ اـتـجـاهـ السـرـدـ فيـ تـوـافـقـ مـعـ نـسـقـ الـمـكـانـ الـمـعـدـدـ.

الهوامش :

- (١) باشلار، جاستون: «جماليات المكان» ترجمة : غالي هنسا، ط٢، الناشر: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٠م، ص٢١.
- (٢) حمودة، حنان محمد موسى: «الزمكانية وبنية الشعر المعاصر»، أحمد عبد المعطي حجازي نموذجاً، الناشر: إربد عالم الكتب الحديث، ٢٠٠٦م، ص١٩ - ٢٠.
- (٣) ابن منظور: أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم «السان العربي» مع ١٢، الناشر: دار صادر، بيروت، ١٤٢١، مادة (كون).
- (٤) الضبع، مصطفى: «إستراتيجية المكان دراسة في جماليات المكان في السرد العربي»، كتابات نقدية الهيئة العامة لقصور الثقافة، أكتوبر ١٩٩٦م، القاهرة، ص٨.
- (٥) د. وظيفي، يوسف: «شكلية المصطلح في الخطاب الت כדי العربي الحديث»، منشورات الاختلاف الدار العربية للعلوم ناشرون ، الجزء الثاني ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م، ص٢٦ - ٢٦١.
- (٦) باشلار: «جماليات المكان»، ص٦.
- (٧) بريش، جيرالد: «المصطلح السردي» ترجمة: عايد خزندار ، مراجعة وتتميم محمد بربيري، الناشر: المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠٢م، ص٢١.
- (٨) (السابق نفسه) ص٢١.
- (٩) «الزمكانية وبنية الشعر المعاصر»، ص٢٤ - ٢٥.
- (١٠) عبد الجواب، محمد أحمد: «جماليات المكان في القرآن الكريم»، الناشر: مجلة الوعي الإسلامي ، مجلة كوبية شهرية جامعة، الناشر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، عدد ٦٦ - فبراير - مارس ٢٠١١م - www.alwaei.com
- (١١) وهبة، مجدي: «معجم المصطلحات الأدب إنكليزي - فرنسي - عربي»، الناشر: مكتبة لبنان ، بيروت، ص٧.
- (١٢) انظر: زيد، كرزنك صالح: «جماليات التشخصيص في التعبير القرآني»، الناشر: عالم الكتب الحديث ، إربد الأردن ٢٠١٠م، ص٤٣ - ٤٤.
- (١٣) سورة (النمل) آية: ٦-٧.
- (١٤) انظر: ابن عاشور، محمد الطاهر: «التحرير والتقوير في تفسير القرآن الكريم» منتدى الكتاب الإلكتروني الإسلامي (مواقف للمطبوع) ج ١٩، ص١٦، www.adel-ebooksmanag.com وانظر: أبو جهان الأندلسبي، محمد بن يوسف تفسير البحر المحيط، ج ٧، ط٢، الناشر: دار الفكر، ١٤١٢هـ - ١٩٩٣م، ص٥٥.
- (١٥) انظر: ابن عاشور (السابق) ص١٤١.
- (١٦) ابن كثير، القرشي الدمشقي الحافظ عماد الدين أبو القداء: «تفسير القرآن العظيم» ج ٢، الناشر: دار المعرفة

- بيروت-لبنان -١٤٢٥-١٩٨٣ م، ص ٢٥٦.
- (١٧) انظر: أبو حيyan الأشليسي: «البحر المحيط» ج ٧، ص ٥٦.
- (١٨) ابن عاشور: (السابق) ج ١٩، ص ١١٣-١٢٠.
- (١٩) انظر قوله تعالى: (إِنَّمَا تَرَىٰ فَلَمْ يَأْتِكُ الْكِتَابَ إِذَا قَاتَكَ الْمُؤْمِنُونَ إِنَّمَا تَرَىٰ يَقِينًا أَوْ لَيْلَةً عَلَى الْأَرْضِ هُنَّ هُنَّ أَنْهَا نُورٌ يَسْعُونَ) (إنَّمَا تَرَىٰ فَلَمْ يَأْتِكُ الْكِتَابَ إِذَا قَاتَكَ الْمُؤْمِنُونَ إِنَّمَا تَرَىٰ يَقِينًا أَوْ لَيْلَةً عَلَى الْأَرْضِ هُنَّ هُنَّ أَنْهَا نُورٌ يَسْعُونَ) سورة طه ، آية (١٢-١٩).
- (٢٠) باشلان: «جماليات المكان»، ص ١٧٨.
- (٢١) (السابق نفسه) من ١٧١.
- (٢٢) (نفسه)
- (٢٣) سورة (النمل) آية: ١٨.
- (٢٤) ابن منظور: «لسان العرب»، مع ١٥ مادة (ودي).
- (٢٥) سورة (النمل) آية: ١٦.
- (٢٦) أبو السعدود: محمد العمادي الحنفي، «تمهيد أبي السعدود أو إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم»، تحقيق عبد القادر أحمد مطاج، مكتبة الرياض الحديثة، ١٤٠٢-١٩٨٢ م، ص ٢٥١، وانظر ابن عاشور: (السابق) ج ١٩، ص ٤-٣٠.
- (٢٧) انظر: النابليسي، شاكر: «جماليات المكان في الرواية العربية»، الناشر: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٩٤، ص ١١.
- (٢٨) انظر: الصعيدي، عادل، «الإعجاز في قوله تعالى: (سَمِعَ لِلَّهِ أَنْوَاعُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِذَا أَتَكُلُّ فَإِنَّمَا تَسْمَعُ بِمَا يَكُلِّمُكُمْ لَا يَحْوِلُنَّكُمْ سَرَاسِنَ وَجُنُودُهُ وَهُنَّ لَا يَتَمَرَّدُونَ)» نقلًا من موقع جامعة الإمام - اليمن <http://www.jameat aleman.org/agas/big/b/gg>
- (٢٩) «جماليات المكان»، ص ١٦.
- (٣٠) انظر: الصعيدي: (السابق)
- (٣١) سورة (النمل) آية: ٢١-٢٠.
- (٣٢) سورة (سبأ) آية: ١٥.
- (٣٣) أبو حيyan التوحيدى: «البحر المحيط»، ج ٧، ص ٢٥.
- (٣٤) ابن منظور: «لسان العرب»، مع ٧، مادة (حوض).
- (٣٥) سورة (النمل) آية: ٢٦-٢٠.
- (٣٦) انظر: التوحيدى: (السابق) مع ٧، ص ٦٩.
- (٣٧) د. داود محمد ، محمد: «مفهوم القراءات الدلالية في القرآن الكريم لبيان الملامح الفارقة بين الأفلاطونية مقاربة المعنى والصيغة والأساليب المتشابهة»، الناشر: دار غرب، القاهرة، ٢٠٠٨، ص ٢١٨-٢١٩.

- (٤٨) قطب سيد، ميل ظلال القرآن، ج ١٩، ط ١٧، الناشر دار الشروق، القاهرة: ١٤١٢-١٤٢٢ م، ص ٣٦٦.
- (٤٩) سورة (النمل) آية: ٢٢-٢٦.
- (٥٠) قطب، ميل ظلال القرآن، مع ٥، ص ٣٦٣.
- (٥١) «تفسير أبي السعود»، ص ٢٥٧-٢٥٨.
- (٥٢) قطب، (السابق) ص ٢٥٢.
- (٥٣) «تفسير أبي السعود»، ص ٢٥٦.
- (٥٤) (السابق نفسه) ص ٢٦٢.
- (٥٥) سورة (النمل) آية: ٤٤.
- (٥٦) انظر: تفسير أبي السعود، ص ٢٦٦، وانظر الطبرى: أبو جعفر محمد بن جرير: جامع البيان بـ تفسير القرآن، مع ج ١٨، دار الفكر بيروت، ١٤٣٨هـ / ١٩٣٨م، ص ١٠.
- (٥٧) سورة (النمل) آية: ٤٣-٤٨.
- (٥٨) الرهط: الجماعة من الرجال لا يتجاوز عددهم العشرة من أقرب الأقرباء ومعنى اتهم في سورة النمل بعثثون الآذى ملة النبي صالح، انظر في دلالة (الرهط) د. داود: معجم المروق الدلالية في القرآن الكريم، ص ٢٦١-٢٦٣.
- (٥٩) انظر: النابس، شاكر: «جماليات المكان في الرواية العربية»، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٩٤م، ص ٢٨-٣٦.
- (٦٠) القرآن الكريم، سورة (العنبر) آية: ٨٢.
- (٦١) «التحرير والتنوير في تفسير القرآن الكريم»، ج ١٩، ص ٢٤٢.
- (٦٢) برنس: المصطلح المسردي، ص ١١.
- (٦٣) «التصوير الفني في القرآن»، الناشر: دار الشروق، ج ١٦، القاهرة، ١٤٢٢-١٤٢٠هـ، ص ١٤٢.
- (٦٤) انظر: عبد العال، محمد قطب: «من جماليات التصوير في القرآن الكريم»، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مذكورة.
- (٦٥) انظر: عشّاب، أمينة: «الحبك المكانى في السياق الشخصي القرآنى: سورة يوسف، فموجأ»، رسالة ماجستير: جامعة حسيبة بوعلي، الثالث، ص ٦١.
- (٦٦) (السابق نفسه) ص ٦٨.
- (٦٧) سورة (النمل) آية: ٧٤-٧٦.
- (٦٨) انظر عشّاب: (السابق) ص ٨٢-٨٧.
- (٦٩) الضبع، إستراتيجية المكان، ص ٧٦.
- (٧٠) انظر: أبو حيان التوحيدى: «البحر المحيط»، ج ٧، ص ٥٦-٥٥.
- (٧١) القرآن الكريم: سورة (مله) آية: ١٢.

- (٦٢) الضبع (السابق) ص ٧٢.
- (٦٣) انظر: باشلار، جماليات المكان، ص ١٦٨.
- (٦٤) « التحرير والتقوير في تفسير القرآن الكريم»، ج ١٩، ص ١٩٢.
- (٦٥) انظر: عطية، في طلال القرآن، مجل ٥، ص ٢٦٢.
- (٦٦) (السابق نفسه) ص ٢٦٣.
- (٦٧) سورة (النمل) آية: ١٩-١٧.
- (٦٨) انظر: الضبع، (السابق) ص ١٥٦.
- (٦٩) ابن عاشور، التحرير والتقوير، ج ١٩، ص ٢٠.
- (٧٠) انظر: الضبع، (السابق) ص ٧١.
- (٧١) انظر: عطية، في طلال القرآن، مجل ٥، ص ٢٦٦.
- (٧٢) « تفسير أبي السعود»، ص ٢٥٢.
- (٧٣) انظر: عطية، في طلال القرآن، مجل ٥، ص ٢٦٢.
- (٧٤) سورة (النمل) آية: ٤٤-٤٣.
- (٧٥) انظر عثัย، الحبك الكافي...، من ٧.
- (٧٦) النظر (إنسان العرب) مجل ٢، مادة (مكت) ابن عاشور، (السابق) ج ١٩، ص ٢٤٤.
- (٧٧) الضبع، (السابق) ص ٣٧.
- (٧٨) ابن عاشور، (السابق) ج ١٩، ص ٢٤٥.
- (٧٩) انظر: الطبراني، جامع البهان في تفسير القرآن، ج ١٨، ص ٨٧.
- (٨٠) انظر: عطية، في طلال القرآن، مجل ٥، ص ٢٦٣.
- (٨١) (نفسه).
- (٨٢) « التصوير الفني في القرآن الكريم»، ص ٢١٢.
- (٨٣) سورة (النمل) آية: ٤٠-٣٩.

المصادر والمراجع :

- القرآن الكريم
- ابن عاشور، محمد المظاہر: «التحریر والتّویر في تفسیر القرآن الکریم»، منتدى الكتاب الالكتروني الإسلامي (مواضیع للطبع)، ١٩.
- ابن منظور: أبوالفضل جمال الدين محمد بن مكرم: «لسان العرب»، معجم، الناشر: دار صادر، بيروت، ١٤٢١هـ - ١٩٠٣م.
- ابن كلبر، القرشى الدمشقى الحافظ عماد الدين أبوالله: «تفسیر القرآن العظيم»، ج ٢، الناشر: دار المعرفة، بيروت - لبنان - ١٤٨٦هـ - ١٩٧٣م.
- أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى: «جامع البيان في تفسير القرآن»، معجم، ج ٨، دار الفكر، بيروت، ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م.
- أبوحنان الأندلسى: محمد بن يوسف: «تفسير البحر المحيط»، ج ٧، ط ٢، الناشر: دار الفكر، ١٤١٢هـ - ١٩٩٣م.
- أبوالسعود: محمد المصادى الحنفى: «تفسير أبي السعود أو إرشاد العقل الصالح إلى مزايا الكتاب الكريم»، تحقيق: عبد القادر أحمد عطاج، مكتبة الرياض الحديثة، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٢م.
- باشلار، جاستون: «جماليات المكان»، ترجمة: غالب هلسا، ط ٦، الناشر: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان - ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٠م.
- برشى، جرار: «المصطلح السرى»، ترجمة: عابد خزندار، مراجعة وتقديم: محمد يربى، الناشر: المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة - ٢٠٠٣م.
- حمودة، حنان محمد مومن: «الزمكانية وبنية الشعر المعاصر»، أحمد عبد المعطي حجازى نموذجاً، الناشر: إربد، عالم الكتب الحديث، ٢٠٠٦م.
- داود، محمد، محمد: «معجم الفروق الدلالية في القرآن الكريم ليبيان الملامح الفارقة بين الأنماط متقاربة المعنى والصيغ والأسماء»، الناشر: دار غريب، القاهرة، ٢٠٠٨م.
- رشيد، كزنك صالح: «جماليات التشخصين في تفسير القرآن»، الناشر: هالام الكتب الحديث، إربد الأردن - ٢٠١٠م.
- الضبع، مصطفى إبراستراتيجية المكان، دراسة في جماليات المكان في السرد العربي، كتابات نقدية الهيئة العامة لقصور الثقافة، أكتوبر ١٩٩٨م، القاهرة.
- عبد العال، محمد قطب: «عن جماليات التصوير في القرآن الكريم»، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط ٢، ٢٠٠٦م.
- قطب، سعيد: «في حلال القرآن»، الناشر: دار الشروق، ط ٢، القاهرة - ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.
- قطب، سعيد: «التصوير الفني في القرآن»، الناشر: دار الشروق، ط ١٧، القاهرة - ١٤٢٢هـ - ١٩٩٤م.
- النابض، شاكر: «جماليات المكان في الرواية العربية»، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٩٤م.
- وغليسى، يوسف: «إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الحديث»، منشورات الاختلاف، الدار العربية للعلوم ناشرون، الجزائر - ١٤٣٩هـ - ٢٠١٨م.

١٩- وهبة، مجدي: «معجم المصطلحات الأدب إنكليزي - فرنسي - عربي» الناشر: مكتبة لبنان ، بيروت.

الرسائل الجامعية

٢٠- عثمان، آمنة: الحب المكاني في السياق التصعسي القرآني: سورة يوسف نموذجاً، رسالة ماجستير: جامعة حسيبة بوعلی ، الشلف، ٢٠٠٧/٢٠٠٦م.

موقع الكترونية :

٢١- منتدى الكتاب الإلكتروني الإسلامي. www.adel-ebooksmanag.com

٢٢- الصعيري، عادل «الإعجاز في قوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰ إِذَا لَرَأُوا كَيْوَنَاتِنَّ فَلَمْ يَكُنْ لَّهُمَا أَكْثَرٌ أَكْلَانُ مَكَكَنُكُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ نقلًا من موقع جامعة الإيمان - الين (org) www.jameat aleman.org/agas/big/b/gg.htm

٢٣- عبد الجود، محمد أحمد، «جماليات المكان في القرآن الكريم»، الناشر: مجلة الوعي الإسلامي ، مجلة كويتية شهرية، جامعة، الناشر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، عدد ٥٦٠- فبراير - مارس ٢٠١١، www.alwaei.com.



جامعة المللطف

**بنية الخطاب الشعري عند
محمد عبد القادر فقيه
(دواسة في بلاغة النص)**

د / آمال يوسف سيد يوسف

د / أسماء مساعد العمري

باحث مشارك

د / ماجدة زين العابدين حسن

باحث مشارك

هناك خلاف حول البنية (هل البنية في الهيكل المادي الذي نراه ؟ أم هو التصور الذهني الذي نخلقه بعقولنا ، ويدرك العقل به طبيعة هذا الهيكل المادي الخارجي ، وانتصر مفهوم البنية باعتباره تصوراً ذهنياً ، أكثر مما هو علاقات محسوسة مادية)^(١) ، ومن ثم فإن القصيدة (لا تصبح مجرد مجموعة من الأبيات ، تعاملها في الظاهر على أنها محصلة لهذه الأبيات ، يعني ذلك أن القصيدة لا تبني من الأبيات ، كما توحى النظرية المسطحية المتجللة ، بل تبني من مستويات - وهي التي يمكن تقسيم العمل الأدبي إليها - تختلف هذه الأجزاء وتتغلل فيها ، وتشترك معها ، ويمكن أن ندرك من ذلك أن البنية الدلالية للقصيدة الشعرية مثلاً هي محصلة مجموعة من البني الممتدة في البنية الإيقاعية ، والبنية التركيبية ، والتعبيرية والبنية التخيالية التي تحصل إلى ذروتها في المستوى الرمزي الكلي)^(٢)

إذا كنا نريد الوقوف على تعريف شامل للبنية هنتأمل تعريف « جان بياجيه » حيث يرى (أن البنية - نسق من التحولات ، له قوانينه الخاصة باعتباره نسقاً لـ مقابل الخصائص المميزة للمترافق ، علماً بأن من شأن هذا النسق أن يظل قائماً ، ويزداد ثراءً بفضل الدور الذي تقوم به تلك التحولات نفسها ، دون أن يكون من شأن هذه التحولات أن تخرج عن حدود ذلك النسق ، أو تهرب بأي عناصر تكون خارجة عنه)^(٣)

الفصل الأول

(البنية الصوتية)

تمثل البنية في المستوى الصوتي نسقاً مميزاً في تشكيل البناء الشعري : ذلك لأن البنية الصوتية هي أكثر البنية وضوحاً في لبنة النص ، ويرجع ذلك إلى أن مادة الشعر الأولية هي اللغة ، واللغة تتكون من مجموعة من الأصوات التي تتألف مع بعضها البعض ، بحيث تخضع عند انسجامها لتنظيم صوتي على نحو خاص ، يؤثر تأثيراً جمالياً في بناء النصوص الأدبية ، شعراً كان أو نثراً ، غير أن البنية الشعرية تكون أكثر وضوحاً وبروزاً : لأن الشعر يخضع لنظام ثابت ، يتغلل في البناء الشعري ، بناءً صوتيًّا إيقاعياً .

فاللغة الشعرية تتتألف من (تكرار منتظم لأنساق صوتية (أصوات) ، مقاطع نيرات صبغ وزينة ، نحوية ، تراكيب لغوية ... الخ) مع إدخال تنوعات على هذا الانتظام تحول دون رتابته ، فوجود الإيقاع مميز مهم للغة الشعرية)^(٤)

إن البنية الصوتية هي التي تمنح الشعر خصوصيته ، التي تميزه عن غيره من الفنون الأدبية الأخرى ، من خلال العلاقات القائمة بين البشّي بعضها البعض ، حيث تنصب في قوالب منتظمة الإيقاع ، تتكون بها القصيدة الشعرية ، ذلك من خلال العلاقات التفاعلية والصوتية بين الكلمات

ولذلك يجب النظر إلى البنية في المستوى السطحي ، على أنها تشكل أحد أهم الدوال اللغوية التي يعتمد عليها النص في بناء ذاتيته وخصوصيته ، وتشكل بها دلالته الشعرية والبنائية والجزئية والكلية .

إن الصوت المفرد في الخطاب الشعري يمثل بنية مهمة داخل نسيج النص ، تسهم في بيان الدلالة المنطقية وراء الصوت المفرد للفظ ، وهناك علاقة تربط بين الصوت والصورة التي يخلقها في ذهاننا هذا الصوت ، والعامل الصوتي المتمثل في حروف الكلمة هو الذي يكشف لنا عن أبعاد الصورة التي تتراءى للذهن ، وما تحمله من دلالات نفسية ومعنى وحركية ، تساعم في بيان الدلالة الكائنة في نسيج النص .

فالكلمات التي هي عبارة عن مجموعات صوتية ، تقوم على بناء مزدوج إنما هي أصوات (تعتبر رمزاً للمعاني) ، وهي أيضاً تعتبر أصواتاً ، وأنت لا تستطيع أن تستعمل الجرس دون المعنى ، ولا تستطيع كذلك أن تغير الصوت تقديرأً مادياً دون أن تغير المعنى وبالآخر تفقدة) (٤) .

وهكذا نجد أن للصوت دلالة رمزية ، تدخل في نسيج البناء الشعري ، وتحكم فيه إلى حد بعيد ، فالصوت لا بد له من دلالة يدل عليها ، وهذه الدلالة الناتجة عن الصوت هي التي تمثل الفاعلية الأكيدة لهذا الصوت ، ومن ثم تعيل دوره داخل البناء الشعري .

أولاً، الصوت المفرد المعزول عن ذاته

يسهم الصوت اللغو المفرد في تشكيل بنية الإيقاع في شعر محمد عبد القادر فقيه فالشاعر يحاول الاستفادة من الخصائص الفيزيائية (الطبيعية والسمعية) للصوت اللغو فيتوافر داخل نفسه الشعري صوت أو مجموعة من الأصوات ذات طبيعة هنولوجية واحدة أو مختلفة ، وتتردد بكثرة واضحة ، فيكتسب النص تفهماً خاصاً مميزاً ، يسهم - في ظل سياق ما - في خلق الإيقاع ، وتشكيل التجربة .

والشاعر يسعه نحو توظيف الإمكانيات الصوتية - إنما يقصد إلى تمايز صوتي ، يقوم بدوره في تشكيل الرسالة الشعرية : فالنص الشعري يتشكل ، وينتفي في إطار سلسلة من التمايزات والتشابهات بعكس النثر : الذي يحاول تجنب التمايز والتشابه ، فالشاعر يتجاوز وظيفة الفونيم التمييزية بين الكلمات ، تلك الوظيفة القائمة على التعارض الصوتي / الاختلاف بين صوتين أو فونيين ، ويتعامل مع الأصوات والفونيمات تماماً يستفيد من خصائصها السمعية في تشكيل تنظيمات صوتية متناغمة ، وإنتاج دلالة خاصة ، ولا يستقيم هذا (.. إلا إذا عضدت تلك الأصوات بالتراكم وبالسياق العام والخاص) (٥) .

وقد استخدم الشاعر محمد عبد القادر فقيه الأصوات ما بين مهمون ومجهور ووظف صفاتهما في توجيه الدلالة العامة التي يؤكدها وضوح العلاقة بين الصوت والمعنى .

فمن الأصوات المهموسة قوله :

بكت القراءب والأيام صدر حسرة
١٧٣

هلعت له كل القلوب .. وأختت
لقد .. واسترجعـت تترجم

فالشاعر يرثي فتاة ماتت في حادث حريق ، وهي في عمر الزهور ، ولذا فهو يشعر بالحزن والأسى ، وظهور وضرة في عدد من الأصوات المهموسة ، ولكن نجد تقوفاً لصوت الفتاة المهموسة ، الذي تكرر في البيتين عشر مرات (بكت - تود - تبكي - هلعت - أختت - استرجعـت - تترجم) ، وقد جاء هذا الصوت يدعم - من خلال تكراره حالة المشاركة لهذا الحزن على الفتاة ، ويمثل تلك المعاناة ، وكذلك صوت الهاء الانفعالي : الذي يناسب حالة الألم المسيطر على الشاعر نتيجة حزنه ، وصوت الحاء ذو الحفيظ والرخاؤ ، وصوت السين المهموس ذو الصفير ، والأصوات المهموسة أصوات مجدهـة للنفس ، تلائم حالة الموت والحزن ؛ التي رأى الشاعر الناس عليها من حوله ، حتى النجوم أرادت أن تبكي عليهـا ،

ومن الأصوات المجهورة قول الشاعر :

يا غصنـها الريان من
١٧٤

يختـر .. فتنـبه الدـروب

وطـلـ حـائـمة عـلـيـه

يتكرر في الأبيات السابقة صوت المرأة بصورة لافتة ؛ حيث يكرره الشاعر عشر مرات ، ويوظف الشاعر صوت المرأة التكراري المجهور ، ويدل وضوـحـه السمعـي وترـددـه العـالـيـ على تقـنيـ الشـاعـرـ بـمحـبـوـيـتهـ ، وجـمالـهاـ المتـجـدـدـ ، وـغـصنـهاـ الـذـيـ يـجـعـلـ الدـرـوبـ تـتـبـهـ ، وـالـمـرـوـرـ يـرـتـبـكـ ، كـماـ يـكـرـرـ صـوتـ الـلـامـ ثـمـانـيـ مـرـاتـ ، وـالـيمـ أـرـبعـ مـرـاتـ ، وـهـذـهـ الأـصـوـاتـ التـلـاثـةـ تـعـدـ قـمـاـ لـلـوـضـوـحـ السـمعـيـ لـلـتـعـبـيرـ عـنـ إـعـجـابـهـ بـجـمـالـ الـمـرـأـةـ ، كـماـ يـوـظـفـ الشـاعـرـ - معـ هـذـهـ الأـصـوـاتـ الصـامـةـ ذاتـ الـوـضـوـحـ السـمعـيـ منـ الـصـوـاتـ الطـوـلـةـ الـأـلـفـ ثـمـانـيـ مـرـاتـ ، وـهـوـ مـعـ وـضـوـحـهـ السـمعـيـ ، وـتـرـددـهـ العـالـيـ يـنـاسـبـ جـوـ التـقـنيـ بـجـمـالـ المـحـبـوـيـةـ .

ثانياً، الأصوات المخصوصة في دوالها

لقد وظف الشاعر الإمكـانـاتـ الصـوتـيـةـ للأـصـوـاتـ المـفـرـدةـ فيـ بنـاءـ منـظـومةـ إـيقـاعـيةـ ، بدـتـ معـالـمـهاـ فيـ تـلـكـ التـنـوـيـعـاتـ الصـوتـيـةـ الـتـيـ اـهـتـنـ الشـاعـرـ فيـ توـظـيفـهاـ اـهـتـنـاـنـاـ تـوزـعـ بـيـنـ ثـيـاتـ المـوـقـعـ وـحـرـكـيـتـهـ ، وـلـمـ تـقـفـ مـنـظـومـتـهـ الإـيقـاعـيـةـ عـنـ حدـودـ الصـوتـ المـفـرـدـ ، بلـ تـعـدـتـهـ إـلـىـ توـظـيفـ الـقيـمـ الإـيـحـائـيـةـ لأـصـوـاتـ الـكـلـمـاتـ مجـتمـعـةـ ، حينـماـ كـانـ يـعـدـ إـلـىـ تـكـرارـهاـ فيـ مـوـاقـعـ ثـابـتـةـ أوـ غـيرـ ثـابـتـةـ .

١- السجع

تعد بنية السجع من البنى الأسلوبية المهمة؛ التي تعمل في النص كأحد الدوال التي تسهم في بناء الخطاب الشعري ، فالسجع له وظيفة إيقاعية ، وأخرى دلالية ، وهما وظيفتان متلازمان ، يتضامنان معاً في تكوين الخطاب الشعري ، وإن كانت الوظيفة الإيقاعية هي أشد تواجداً ، وأكثر إلحاحاً في بنية السجع ، والسجع لا يأتي في الخطاب الشعري مجرد زينة ، أو زخرفة لفظية؛ حيث إن (الزينة المتبعثرة زينة ذاتية ، يقتضيها المقام ، وليس زينة عرضية شككية ، تأتي بعد رعاية المطابقة للحال ووضوح الدلالة)^(١) .

والسجع هو (وصف لإيقاع متعدد في كلمتين مفردتين ، غير داخلتين في تركيب جملة وقد تحتوي الجملة في سياقها على كالمتين ، متفقتين في آخر حرف فيها ، ولكنهما لا يؤذنان بالنتهاء معنى ، ولا ينفصلان بين شطرين في الكلام ، ولا يحسن الوقوف عندها)^(٢) ، ومن ثم لابد من شرط يجب أن يتواه في الجملة التي يأتي فيها السجع ، وهو أن يحسن الوقوف عندها ، وهذا الوقوف هو ما يحقق الجرس الموسيقي المنوط بهذه البنية ، وهو السبب في حدوث الارتياح الناجم عن سماع قرع الموسيقى؛ التي تبيّث من الكلمات المسجوعتين .

وقد أشار النقاد القدامى إلى بنية السجع ، ومنهم من قال بأن هذه البنية تختص بالنشر دون الشعر ، غير أن هناك من وقف معارضًا لهذه المقوله قائلاً بأن السجع غير مختص بالنشر فقط وأنه يقع - أيضاً - في الشعر ، كما يقع في النثر)^(٣) ، وتعامل الشعراء المعاصرؤن مع بنية السجع كأحد البنى التي تعمل على إحداث نوع من القوالية الداخلية داخل الأسطر وربما يكون ذلك تعويضاً عن غياب القافية الخارجية ، وبصفة خاصة في السطور التي يدخلها التدوير ، ومحمد عبد القادر فقيه كان واحداً من الشعراء المعاصرؤن الذين يستعينون ببنية السجع كأحد البنيات التي تسهم في بناء الخطاب الشعري لديه ، وقد تحقق السجع عنده في قوله :

ماذا تقول له^(٤)

وقد ضيعتها

وردمتها ... وتركها

يد البغاة^(٥)

إن بنية السجع في المثال السابق تحرّك من المستوى الأفقى؛ حيث نجد الكلمتين المسجوعتين في السطر الشعري الواحد متجلّتين جنباً إلى جنب ، لا يحصل بينهما سوى حرف الواو ، كما نجد السجع على المستوى الرأسى - أيضاً - (.. وقد ضيعتها وردمتها ... وتركها) ، وتلاحظ العلاقة الدلالية الكامنة وراء بنية السجع؛ حيث يعلن الشاعر من خلال البنية عن شحنة الغضب لضياع الجهود التي بذلت في حفر الفناة؛ وذلك بعد نكبة حزيران التي يرفض أن يطلق عليها

نكسة ، وإلى جانب هذه الدلالة فإن بنية السجع – على هذه الشاكلة أكثر موسيقية ، وأكبر تأثيراً في المتلقي من حيث قرب الفوائل الموسيقية من بعضها

٢- بنية الجناس

تعد بنية الجناس – أيضاً من البنيات المهمة التي تؤثر في تحريك النص نحو الوظيفة الصوتية والوظيفة الدلالية ، والجانب الصوتي هو أهم ركيزة من الركائز التي يعتمد عليها الجناس ؛ والجناس هو (الإitan بمتناهين في الحروف ، أو في بعضها ، وفي الصورة أوبية زيادة في أحدهما ، أو في مختلفين في التركيب ، أو الحركات ، أو بمماهيل يرادف معناه معاً آخر تماماً)^(١٩) ، فالجناس – إذن – ظاهرة تكرارية ، هاللقط قد يتكرر تماماً كما في الجناس التام ، أو يتكرر بعض الحروف دون الأخرى ، كما في الجناس التناقض ، وتكرار الملامح الصوتية في الجناس يهدف إلى (تأثير رمزي عن طريق الربط السيمي بين المعنى والتعبير حيث يصبح الصوت مثيراً للدلالة)^(٢٠) .

وتكون الصورة الصوتية المتحققة من خلال بنية الجناس ناجحة إذا جاء الجناس صفوياً ، دون عمد من الشاعر ، وكان الجامع بين اللفظين المتتجانسين قريباً ، ويتحقق النقاد والبلاغيون القدامى على أن الجناس لا يكون أوقع في النفس إلا إذا تحقق فيه نصرة المعنى على اللقط ، أي أن المحور الدلالي للجناس لابد أن يكون هو غاية الميدع المستخدم لبنية الجناس ، ومن ثم لابد أن تضيّف اللقطة الثانية معنى جديداً للقطة الأولى ، وإلا كان الجناس في موضعه أقرب إلى الزخرفة ، وأبعد من الدلالة .

إن بنية الجناس تتماثل – إذن – على المستوى السطحي ، ولكن هذا التماثل يفضي إلى التناقض على المستوى العميق لهذه البنية ، ولقد تعامل الشعراء المعاصرون مع هذه البنية تعاملاً خاصاً يوصفها إحدى البنيات التي تؤثر في المتلقي إيقاعياً ودلائياً ؛ ومن نماذج الجناس في شعر محمد عبد القادر هقيه قوله :

الفادرين بهد الحب لا أسف
منهم عليه ولا خوف ولا جزع^(٢١)

كانتي لم أكن أرضأ لهم وسما
ولسما للمعالى عندما طلعوا

حيث يأتي التجانس بين سما / ولسما : ليعلن عن شحنة الغضب الكامنة في نفس الشاعر إزاء غدر الذين عهد لهم بالحب ، وأعطى لهم كل شيء ، وكان لهم الأرض والسماء والسلم الذي ارتفوا به إلى المعالي ، ولكن لم يردوا له ذلك إلا بالقبر والخيانة ، وقد أعلن الشاعر عن ذلك من خلال دلالة بنية الجناس المتمثلة في الكلمتين / سما – سما ، وهكذا فقد تعامل محمد عبد القادر هقيه مع هذه البنية تعاملاً أثري به الدلالة الشعرية في خطابه الشعري .

٣- بنية رد العجز على الصدر

تعد هذه البنية من البيئي التكراري المهمة التي تساهم إسهاماً بارزاً في بناء النص موسيقياً ودلائياً ، وهذه البنية (تمثل في نظميتها حلقة مغلقة ، يرتحل فيها أول الكلام بأخره حيث يرد اللفظ في الكلام ، ثم يتم بعده المعنى وصولاً إلى خاتمة ، يتكرر فيها اللفظ سواء اتحد اللفظان أو اختلاقاً فيه) كقوله تعالى (وتخش الناس والله أحق أن تخشاه)^(١٦) وحركية الدالة في هذه البنية تتولد من خلال ارتداد اللفظ الثاني إلى الأولى مرة ثانية ، بعدما حصر بين اللفظين من معانٍ ، تدهو المتنبي إلى الارتداد ثانية لرؤية المعنى ، والوقوف على المفارقات والإضاءات التي قد تنتج من خلال اختتام البيت أو السطر الشعري بهذا اللفظ المكرر .

وكما كانت الموسيقية أشد وقعاً وتأثيراً كلما كان اللفظان المتكرران أكثر اقتراباً ، إلا أن البعد بينهما والتحقق في هذه البنية لا ينفي الواقع الموسيقي ، بل إن جمال الموسيقية يتحقق من بده السطير باللفظ ، وبنهایته بنفس اللفظ ، مما يعطي السطر الشعري نفماً أسرآً ، له أثره البالغ في نفس المتنبي ، غير أن الناتج الدلالي من هذه البنية يكون في أكثر الأحيان ناتجاً ضعيفاً ، ولا يعني هذا انعدام الناتج الدلالي بصفة عامة ، ولكن هناك استثناءات قد تحدث في النصوص الشعرية التي ترد فيها هذه البنية ، وهناك من النصوص في الشعر الحديث ما يدل على وجود أنماط لها ، تأخذ طابعاً تكرارياً في ناتجها الدلالي ، غير أن ذلك قليل ، وليس بكثير .

وباستقراء شعر محمد عبد القادر فقيه تبين أن بنية رد العجز على الصدر لم تكون من البنيات التي اعتمد عليها الشاعر في بناء نصه الشعري كثيراً ، وإنما تأتي هذه البنية في ثنايا النصوص عفويًا ، لا يرمي إليها الشاعر ، وإنما اقتضاها المعنى ، وطبيعة التجربة الشعرية ومن أمثلة هذه البنية في شعر محمد عبد القادر فقيه قوله :

وَقَرِيبًا سُوفَ أَقْفَاهُمْ عَلَى الرَّغْمِ قَرِيبًا^(١٧)

تظهر بنية رد العجز على الصدر في البيت : حيث يتصدر البيت الشعري كلمة (قريراً) ، ثم ينتهي البيت بالكلمة نفسها ، ولاشك أن بداية البيت بكلمة ما ، ثم انتهاءه بالكلمة نفسها يجعل على إثراء موسيقية الجملة ، هذا إلى جانب إثراء الدلالة وإثارة ذهن المتنبي إلى أهمية ما يكرره الشاعر من ألفاظ ، والحركة في هذا البيت حركة دائيرية ، فالمتنبي ينتقل من اللفظ الأول إلى اللفظ الثاني ، ثم يرتد من الثاني إلى الأول ، وأخيراً يرتد مرة أخرى من الأول إلى الثاني كل ذلك في حركة دائيرية ، تزيد من تشادم ذهن المتنبي ، باحثاً عن دلالة تكرار هذا اللفظ .

وقد يورد الشاعر هذه البنية تأكيداً على شيء ما ، هيأت المعنى / الدلالة في شكل نهايتي

حاسم ، أي أن الأمر حقيقة واقعة ، لا مرأء فيها ، ولا تحتاج إلى جدال ، وهذا يزيد من تعميق الدلالة ، (ولعل تصدير العبارة وتقويتها بنفس اللفظ - أي كونها محاصرة ومحكمة من اللفظين - يعمل على تقيد الدلالة ، والدفع بها نحو شكل لا يقبل نقاشاً أو جدلاً) ^(١٤)؛ ومن ذلك قوله:

أنا قد نسيتك يا حبيب القلب لو تدري نسيت ^(١٥)

يؤكد الشاعر على حقيقة لا شك فيها : وهي أنه نسي الحبيب الذي تذكر له ، ولذلك صدر البيت بجملة (نسيتك) ، وأنهاء الجملة نفسها (نسيت) ، مما لا يجعل مجالاً للشك في أن الشاعر قد نسي هذا الشخص ، ومن ثم فإن الدلالة تتجه نحو التأكيد : الذي لا مجال فيه للشك . ويزداد الناتج الدالي البنية (رد العجز على الصدر) عند حدوث مقارقة بين اللفظين المكررين ، وظهور هذه المقارقة من خلال علاقة السلب والإيجاب ، أو التقي والإثبات ، كأن يأتي الشاعر باللفظ الأول منفياً / ماباً ، ويأتي اللفظ الثاني المكرر مثبتاً / موجباً : كما في قوله :

تجمعت وانتفتح نفسى فما جزعت غدر الصديق تبدى عنده الجزع ^(١٦)

تأتي بنية رد العجز على الصدر ، وقد دخلت بينهما المقارقة (بالإثبات والتقي) : حيث جاء التفظ الأول (فما جزعت) منفياً ، ومن ثم كان الناتج الدالي - هنا - أعمق أثراً وتأثيراً في نفس المتلقى : لما خلفته بنية رد العجز على الصدر من هذين متعارضين ، كما أنها خلقت نوعاً من التوتر والإثارة في العبارة ، وعمقت دلالة النص الذي يتحرك في إطار هذه المقارقة الناتجة من علاقة (التقي - الإثبات) أو (المضمر والفياب) .

ومن نماذج بنية رد العجز على الصدر أن يأتي اللقطان المكرران على امتداد بيتين أو أكثر :

ومن ذلك قول محمد عبد القادر هقي :

يا شعب قانعتها ^(١٧)

انكسار

وهزيمة جلا

قد سودت وجه (اليسار)

قد أظهرت زيف

الشعار

يا شعب قانعها انكسار

إن التكرار - هنا - يقع بين اللفظين (انكسار) في السطرين الثاني والثامن ، ولكن تباعد اللفظين المكررين باستخدام بنية (رد العجز) عبر أكثر من سطر - كما في النموذج السابق - من شأنه تقليل الأثر الصوتي لها : فالتأثير الصوتي يكون أبلغ أثراً وتأثيراً ، كلما كان اللقطان

المكرران متقاربين ، من حيث المسافة المكانية بينهما .

٤- التردد

تعد بنية التردد من الظواهر الأسلوبية والتعبيرية المهمة والمؤثرة في بناء النص الشعري في الشعر المعاصر بصفة خاصة ، والتردد هو تكرار اللفظ في السطر الشعري مررتين ولكن يحمل في تكراره دلالة إضافية ، وهذه الإضافة تعمل على توسيع دلالة اللفظ وتعزيز أثرها ، وهذا إلى جانب الأثر الصوتي الناتج من هذا التكرار .

هالتردد - إذن - يعد من البنى الأسلوبية (التي تأخذ طابعاً متميزاً في قدرته على ترتيب الدلالة ، والتمويها تدريجياً في نسق أسلوبي)، يعتمد على التكرار النظفي ، وهو كما عرفه ابن أبي الأصبع أن يملأ المتكلم لحظة من الكلام بمعنى ، ثم يردها بعینها ، ويملأها بمعنى آخر)^(٢٢) ، من هنا فإن اللفظ الثاني يعطي إضافة في الدلالة للمعنى أو اللفظ الأول ومن ثم تكون المقارقة بين وضعين ، وحيثما يكون للمتنقي دوره البارز في اكتشاف هائلية النص وجماليات التعبير ، وهذا ما يجعل ثنوات الإبلاغ أقوى ما تكون في هذا الأسلوب : لأن المتنقي لا بد وأن يبعد قراءة البيت / السطر الشعري مرة أخرى ليقف على أثر التوزيع والاختيار اللذين يهدان من سمات الكلام الأدبي وملامحه .

يقول الشاعر :

لهفي على أمّةٍ تبكي الطفلاً وقدَّ
صارت مصارعهم درساً لمعتبرٍ^(٢٣)

لهفي عليها وقد نامت مصالحها
على الهوان ولم تشبع من الوسر

لهفي عليها وقد باتت منومة
في كف طاغيةٍ تهوي المنحدر

في الأبيات السابقة تردد اللفظة (لهفي) ثلاث مرات ، حيث تأخذ في كل مرة تردد فيها دلالة جديدة : هفي المرة الأولى (على أمّةٍ تبكي الطفلاً) ، وفي المرة الثانية (.. وقد نامت مصالحها) ، وفي المرة الثالثة (وقد باتت منومة) ، ونجد في تكرارها تناهياً دلاليًّاً : فالآمة قد رضيت بالذلة ، وأصبحت منومة ، راضية بواقعها .

٥- التجاور أو المجاورة

وتحتفظ هذه البنية عن سماتها في أن اللقطتين المكرريتين يكونان متباينين ، دون أن يحصل بينهما فاصل ما . هـ (طبيعة هذه البنية تقوم على التجاور بين الألفاظ ، أي أن النطق فيها يتلازم مع حركة الفكر في أهدافه التوكيدية أو التقريرية)^(٢٤) ، وظاهر هذه البنية في شعر محمد عبد القادر هنفي على فمطرين : الأولى أن يكون اللقطان المكرران متلازمان على امتداد البيت أو

المسيطر الشعري الواحد ، والثاني أن تتبع هذه البنية على امتداد سطرين متتابعين أو ثلاثة سطور ، أو أكثر من ذلك ، وقد تحقق التمطان في قول الشاعر :

لَمْ يَرِدْنَا الْعُنْتُ إِلَّا عَنْفَوَانًا
نَحْنُ .. مِنْ نَحْنُ .. لَهِبْ وَسْنَا

وَسِيُوفُ مَا أَرْتَضَتْ يَوْمًا هَوَانَا
نَحْنُ مِنْ نَحْنُ .. إِيَاهُ شَامِنَخ

وقد حرص الشاعر على (إيجاد سكتات بين دوال بقية التجاور ، تسمح بالتقاط النفس فحسب وعندها قد يتهيأ المثلقي لتقبل امتداد جديد للدلالة ، لكنه يفاجأ بإعادة الدال الأول مرة أخرى وهكذا تتواتي المفاجآت ، ويتوالي معها ردود الفعل التي توجد بين المبدع والمثلقي على صعيد النفس الشعري)^(٢٣) . ويحمل التكرار بالمجاورة – هنا – إصرار على تأكيد مضمنون الكلمة المكررة كما أنه يحمل دلالة التأكيد على القوة والشجاعة والصمود والإباء ، الذي أراد أن يصف بها العرب .

وهكذا نجد أن هذا الشكل من أشكال التكرار يحقق تأكيداً للفظ المكرر أو التركيب المكرر ويعمقه ، ويوسع مداه ، فحاصل الجمع بين المكررين يعطي دلالات جديدة معايرة لدلالة اللفظ أو التركيب مفرداً ، ويطلب ليست مترافقه ، ولكنها دلالة تبدو جديدة ، مضافة للدلالة الأولى وذلك بتوسيعها ، وتعويتها ، كما ينتج هذا التكرار إيقاعاً بارزاً في محل التكرار .

هوامش الفصل الأول

- (١) صلاح فضل / مناهج النقد المعاصر / ٢٢ / دار الأفاق العربية / ط١ ١٩٩٧م .
- (٢) المرجع السابق / ٣٢ .
- (٣) ذكري إبراهيم / مشكلة البنية / ٢٢ / مكتبة مصر / ١٩٧٦م .
- (٤) شكري الطوانتي / مستويات البناء الشعري عند محمد إبراهيم أبي ستة / دراسة في بلاغة النص / ١٧ / الهيئة المصرية العامة للكتاب / ١٩٩٨م .
- (٥) أرشيبالد ماكليش / الشعر والتجربة / ترجمة سلمى الخضراء الجبوشي / ٢٨ / دار اليقظة العربية / ١٩٩٣م .
- (٦) محمد منتاح / دينامية النص - تطوير وإنجاز / ٢٢ / المركز الثقافي العربي / بيروت / الدار البيضاء / ط١ ١٩٧٧م .
- (٧) محمد عبد القادر فتحية / المجموعة الشعرية الكاملة / ٦٣٠ / مطباع سحر / ط١١١٤ - ١٩٩٣م .
- (٨) السابق / ٢٢١ .
- (٩) بسموني عبد الفتاح / علم البديع دراسة تاريخية وفتية لأصول وسائل البديع / ٦٠ / ط١ / ١٩٧٧م .
- (١٠) متير سلطان / البديع في شعر شوقي / ٧٧ / منشأة المعارف / الإسكندرية / ط١ .
- (١١) انظر / الخطيب الفرزوضي / الإيضاح في علوم البلاغة / ٢٨٥ / مطبعة علي صبيح وأولاده / القاهرة د-ت .
- (١٢) المجموعة الكاملة / ٥٢ .
- (١٣) صلاح الدين الصندي / جنان الجناس في علم البديع / ١٩ / مطبعة الجوانب الفلسطينية / ١٢٩٩م .
- (١٤) صلاح فضل / بلاغة الخطاب وعلم النص / ٢١ / دار عالم المعرفة / ط١ / ١٩٩٤م .
- (١٥) المجموعة الكاملة / ١٨٠ .
- (١٦) محمد عبد المطلب / البلاغة والأسوبية / ٢٢٢ / الهيئة المصرية العامة للكتاب / ١٩٨٢م .
- (١٧) المجموعة الكاملة / ٦٠٧ .
- (١٨) شكري الطوانتي / السابق / ١٤٣ وما بعدها .
- (١٩) المجموعة الكاملة / ٦٨ .
- (٢٠) السابق / ١٨٢ .
- (٢١) السابق / ٥٥ .
- (٢٢) محمد عبد المطلب / السابق / ٢٢٤ .
- (٢٣) المجموعة الكاملة / ٢١٦ .
- (٢٤) محمد عبد المطلب / بناء الأسلوب في شعر الحداثة / ٤٠٥ / دار المعارف / ط١ / القاهرة / ١٩٩٣م .
- (٢٥) المجموعة الكاملة / ٤٥ .
- (٢٦) محمد عبد المطلب / السابق / المسنحة نفسها .

الفصل الثاني

البنية التركيبية

اللغة هي الأداة التي يتواصل بها المبدع مع المتلقى من خلال إطار العمل الفني أو الخطاب الشعري ، ومن ثم فإن لغة أهمية كبيرة داخل بنية الخطاب الشعري ، والشعر يوصفه هناً من فنون الأدب ، فهو في المقام الأول فن لغوي : لأنه يستمد قوته ورونقه وتميزه من خلال اللغة ، وهذا الشعر يتميز بتشكيله اللغوي الخاص الذي يرقى به عن مستوى الكلام العادي فالشعرية تكمن في شبكة علاقات نامية متواشجة بين مكونات النص : بحيث تطلق متاخماً خاصاً ، يتميز بالقدرة على التأثير : الذي من شأنه زلزلة الذات ، وتحريك الساكن ، وخلق حالة وجودانية ساخنة ، وكان محمد عبد القادر هقيه قد أدرك كل هذه النواحي : إذ أضفى على تراكيمه شفافية ، وإيجاءً خاصاً ، وجدد فيه ذكر القصيدة والأشعار الوجدانية التي تتضمنها هشمره كما يبدو في قصائده مستمد من صميم النفس الإنسانية : إنه حديث المرء عن آلامه وشجونه وغربته ومعاناته ، وشعوره الصادق النابع من سريرته ، وما في سريرته من آلام وأحزان وذلك ما سوق نراه من خلال الحديث عن الخطاب الشعري : عناصره وبنائه وحالته

أولاً: عناصر الخطاب الشعري

إن اللغة الشعرية في معظمها لغة حكاية ، تعبيرية ، أي أن الطابع التخاطبى عنصر مميز للخطاب الشعري ، وهذا يبرز دور الضمائر في توجيه الوظيفة الشعرية والضمائر في العربية لا تخلو من الإبهام والغموض ، ما لم تكن مقتربة بقرائن لغوية إضافية ، سواء أكانت للمتكلم أو المخاطب أو الغائب ، ومن ثم فإنها تستدعي دائماً ما يزيل إبهامها ، ويفسر غموضها ، ولعل حضور المتكلم أو المخاطب في لحظة الكلام ، هو ما يفسر الغموض ، الذي يكتفى وحدة الضمير ، ولكن ضمير الغائب غير معروف إلا إذا عرف العائد ، أي أنه بحاجة إلى مرجع يحيل إليه ، ويزيل إبهامه ، ومن الممكن أن تؤدي الضمائر وظيفة دلالية ، مثلاً يمكن أن تكون للربط ، وتحقيق الانسجام في الخطاب؛ ولذلك فإن مرجعيات الضمير في النص تظل غير خاضعة للتحديد ، إذ إن الطابع التخيالي للخطاب يعمل على حجب مرجعية الضمير في كثير من الأحيان ، مما يكون له الأثر الكبير في افتتاح مرجعية الضمير الواحد ، وانتفاء دلالته الثانية داخل الخطاب الشعري .

١- قصائد المتكلم :**المحور الأول، التعبير عن الذات الفردية**

يلجأ الشاعر إلى التقميس بما يقلبه من أشجان وأحزان عن طريق شعره الذي يعبر عن ذاته الحزينة ، الكثيبة .

يقول محمد عبد القادر فقيه :

أكافح اليأس في روحي وقد بردت
فيها المنى وذوت أحلامها القشب^(١)

حيث الأماني أشلاءً مبعثرة
رهن الهجير عليها عاصف تربُّ

إن الشاعر - هنا - ينفعن في تجربته الذاتية المؤلمة ، التي تأخذه إلى أغوار اليأس والألم حيث المنى باردة ، والأحلام ذاوية ، والأمانى أشلاءً ممزقة ، فتحن إزاء تبادل تجادل بين قطبي الداخل (ذات الشاعر) ، والخارج (الواقع وقصوته) ، هارتباك الداخل ما هو إلا انعكاس لخل الخارج ، وقصوته على الروح ، هذه الروح التي تمرس إليها اليأس ، ولم يستطع الصبر أن يخرجها مما تعانى ، وأصبحت تتراجع أمام قسوة الواقع ، وتعانى تهميشاً وإهانةً عريماً يمطر كل قواها الانبعاثية ، ويدمر رغبة الحياة فيها ، ويحاصرها بتلك المعنافة الرهيبة فالشاعر - هنا - غارق في صميم الذاتية ، يقف متensusاً على نفسه ، فلا أمنيات تتحقق ، ولا سبيل إلى غد أفضل ، ومن ثم فقد باتت ذات الشاعر غير قادرة على المواجهة ، فأصابها العجز والفشل .

المحور الثاني (التعبير عن الذات الجماعية) :

يبرز على السطح الضمير (نحن) ليحدث - من خلاله - الشاعر نوعاً من توحد الذات في هموم الجماعة ، ومن ثم فإن الضمير (نحن) يختلف اختلافاً كبيراً عن الضمير (أنا) ، هالقضيا المعالجة من خلال الضميرين مختلفة عن الأخرى فالأخرى تعالج الهم الجماعي ، والثانية تعالج الذاتية والهم الفردي لذات الشاعر ، وهناك قصائد يبرز فيها الضمير (نحن) على السطح ليحدث الشاعر من خلالها نوعاً من توحد الذات في هموم الجماعة ، حيث يمتزج فيها الضميران (أنا ونحن) ، وببدأ الشاعر بضمير المتكلم (أنا) ، ثم يعدل عنه إلى ضمير المتكلمين (نحن) .

يقول محمد عبد القادر فقيه :

أيها السائل عنِّي من أنا^(٢)

أنا أصل العرب والعرب أنا

موطنِي الإسلام نهجاً وستني

ويعد أن يقدم الشاعر المترى الذي من أجله يفتخر ، وذلك من خلال ضمير المتكلم الفردي (أنا) : حيث استمد هذا الشعور من انتسابه للإسلام والعروبة ، يقوم الشاعر بالعدول عن الذاتية : ليدخل إلى الفخر الجماعي ، من خلال ضمير المتكلم (نحن) أو (نا) الفاعلين فائلاً :

وانطلقتنا نزجم الدرج طقد شاء الإله^(٢)

وانطلقتنا تستد العرب ومازلتنا سند

هذا الشاعر وإن كان قد عبر عن حالة الفخر الفردي التي تنتابه في بداية القصيدة ، إلا أنه وجد أن هذه المشاعر تسحب على الجماعة ، ومن ثم تنامي الشعور بالفخر ، ليشمل محيط الذات الجماعي .

٢- قصائد المخاطب :

في قصائد التخاطب توجه الذات خطابها إلى مخاطب حقيقي ، تستحضره الذات وتشخصه أمامها ، توجه إليه الخطاب ، وتلقي إليه بالرسالة التي تطرحها من خلال النص ، وفي قصائد التخاطب تعدد الذات الناطقة : هنارة نجدها فردًا أو جماعًا ، أو تزوجًا بين الحالين ، كما أن صور التخاطب - أيضًا تأتي متعددة ، ثارة بين التذكير والتأنيث ، وثارة أخرى بين المفرد والجمع ؛ فمن التصائد التي كان الخطاب فيها للأمنى بضمير المذكر قول الشاعر :

أنا قد نسيتك يا حبيب القلب لو تدربي نسيت^(٤)

فما حفظت لك الوداد كم قد حفظت لك يا حبيب

فقد بدأ الشاعر يشعر باليأس من المحبوبة ، عندما قابلت إخلاصه بالغدر والخيانة ، فبواجهاها بذلك معلنًا أنه قد نسيها ، وقد يتوجه الشاعر بالخطاب إلى مفرد مذكر في صيغة عتاب ، أو لوم أو نصيحة ، في لغة بسيطة ، غير مركبة ، وغالبًا ما يكون خطاباً هادئاً ؛ يقول الشاعر :

يا صاحبًا أخنى فؤاد صديقه بمحباته ، وفيه المتمادي^(٥)

جَرَّبْ سُوَايِّ إِذَا أَطْلَتْ بِسَادِي

حيث يطلب من صديقه أن يجرِّب صداقته غيره ، حتى يعرف قيمة الصداقات التي حافظ عليها الشاعر ، وقد يتوجه الشاعر إلى الأمة (أمة العرب) ، وهنا تقوم الذات بمهمة كشف الحقائق ووضعها بين يدي المجموعة المخاطبة ، على سبيل الإدانة والتعرية ؛ إذ تكشف الذات عن الكسل والتخلف والجهل الذي يعم أبناء الأمة العربية ؛ يقول محمد عبد القادر هقيه :

فِيَكِ الْحَيَاةُ فَلَمْ تَهْضُ لَيْتَكِ^(١)
 شَشِ الْحَوَادِثُ وَالْأَدْكَارُ وَالصُّورُ
 لَنَائِمٌ فِي ظَلَالِ الْأَيْكَ بِالسُّحْرِ
 وَأَنْتِ يَا أُمَّةً لِلْعَرَبِ قَدْ أَسْتَأْتَ
 مِنْ حَوْلِكَ الْكَوْنُ صَخَابٌ تَسُورُ بِهِ
 وَأَنْتِ . . . أَنْتِ سَمَا دِيرَ وَأَخِيلَةَ
 إِنَّهُ يَدِينُ الْعَرَبَ جَمِيعاً بِأَنَّهُمْ يَحْيَوْنَ حَيَاةً أَشْبَهُهَا بِالْمَوْتِ ، وَهَذَا الْمَوْقِفُ مِنَ الْجَمَاعَةِ الْمَخَاطِبَةِ
 (الْمَمْتَلَأَةُ يَا أُمَّةَ الْعَرَبِ) يَدُلُّ عَلَى الْعَجَزِ الَّذِي تَمْلَكُوهُمْ ، فَهُمْ نَيَامٌ وَسُطُّ عَالَمٍ يَمْجُعُ بِالْحَرْكَةِ .

٣- قصائد المتكلّم والقافّي:

في هذا النمط تقف الذات الشاعرة مخبرة عن شخص غائب ، معبرة عنه بضمير الغائب ، سواءً أكان مذكراً أم مؤنثًا ، وفي غالب الأمر فإن القصائد التي تعتمد على هذا النمط يقلب عليها الطابع السردي ، وتشتمل على بعض أركان القصص : كالشخصيات والحوار والصراع ؛ فاستعمال ضمير الغائب (وسيلة صالحة لأن يتوارى وراءها المارد ، فيمرر ما يشاء من أفكار وأيدلوجيات وتعليمات وتوجيهات وأراء دون أن يبدو تدخله صارخاً أو مباشراً)^(٢)؛ يقول محمد عبد القادر فقيه :

لَمْسَ أَنْسَ قَوْلَهَا ذَاتَ مَسَاءَ^(٣)

هَلْ لَنَا رَكْنٌ يَضْمِنُ الْغَرِيَّبَ

وَرَجَّتِنِي هَنْجَاهَلُّ الرِّجَاءَ

لَمْتَ . . . أَحْلَامَهَا . . . وَمَضَتْ كَبِيرَةَ

يروي الشاعر لنا حواراً بينه وبين امرأة ، هالت له ذات مساء : خذني معك إلى بلدك ، ولكنه لم يقل لها الكلمة التي تريدها ، ولم يعدها بشيء ، وحزم حطابه ليلاً ، وهرب منها : لأنه أشقر عليها أن تربط حياتها بحياتها التي لا تعرف جراحها وآسيتها .

٤- قصائد غياب الفاعل النصي :

وفي هذه القصائد تخفي الذات الشاعرة من تسريح النص الشعري ، ومن ثم يظل القول الشعري في صنع نفسه ، أي أن الذات حاضرة غائبة منطقياً : لعدم وجود هول بلا هائل وغائبة تعبيرياً أو نحوياً^(٤) ، وفي ظل غياب الفاعل النصي تقترب هذه القصائد من اللوحات التشكيلية : يقول محمد عبد القادر فقيه :

الله . . . مَعْجَزَةُ الْتَّلَافِزِ كُمْ بِهِرَتْ
 مِنْ كَانَ يَحْسَبُ أَنْ يَأْتِي الزَّمَانُ بِهَا
 كُمْ مَنْظَرٌ يَتَصَبَّبُ الْعَيْنُ مَؤْلَقٌ
 مِنْهَا الْقُلُوبُ وَحَارَتْ عِنْدَهَا الْفَكْرُ
 هُونَأْ هَنْقِبَلُ مِنْ أَقْطَارِهَا الصُّورُ
 يَكَادُ يَنْطَلِقُ فِيهِ الرَّمْلُ وَالْحَجَرُ

فالأبيات السابقة ليس لها فاعل نصي ، فالنحو يتكلم بنفسه ، فيقدم صورة للتلفاز ، وهذه الصورة من شأنها أن تعبّر عن معجزة التلفاز : الذي تنتقل عبره الصور من بلد إلى آخر والذي يُطلق الرمل والحجر .

ثانياً: بناء الخطاب الشعري

يتألف التركيب من ركعين أساسين هما المستند والمستند إليه ، الفعل والفاعل في الجملة الفعلية ، والبند والخبر في الجملة الاسمية ، وهذا الركتان هما أبسط تركيب تتم من خلاله الفائدة في الإفهام والتوصيل ، ومحمد عبد القادر فقيه يراعي في بناء جملته الشعرية إلى حد كبير - هذا المفهوم البسيط للجملة العربية ، غير أن هذا لم يمنعه من التصرف في الجملة الشعرية كيقدما شاء ، فاللغة الشعرية تأبى أن تقف عند حدود الترتيب التقديمي للجملة المعيارية ، فهي لغة شعرية ، ترفض الشيود ، ولا تقف عند حدود العقل والمنطق ، وإنما تتجاوزه إلى مساحات أرحب من خلال الخيال والمجاز والصورة الشعرية .

ويعتبر التكرار والتعدد والشرط والتقدير والتأخير والحدف من الوسائل المهمة داخل الجملة الشعرية عند محمد عبد القادر فقيه .

١- التكرار :

بعد التكرار أحد الوسائل المهمة التي اعتمد عليها الشاعر في بناء الجملة في مجموعته الشعرية ! يقول محمد عبد القادر فقيه :

كم في المقابر من حبـ—
بـ قد ثوى بالرغم منـ (١١)

كم في المقابر من صدـ—
قـ لم يخبـ في الود ظنـي

كم في المقابر من ذهـوـ
رـ عـاـقـبـاتـ بـالـتـمـنـيـ

تأخذ القصيدة من عنوانها (كم في المقابر) مركزاً رئيساً لبناء القصيدة ، وتعتمد القصيدة في بنائها على تكرار جملة (كم + في + اسم مجرور) ، ومع تكرار هذه الجملة تأخذ الدالة الشعرية في التسامي والتطور والعمق . فالشاعر لا يقوم بتكرار هذه الجملة عبثاً أو دون قصد وإنما يمده إلى تكرارها تأكيداً على معناه من فقد الأحية الذين اغتالهم الموت ، حتى صارت بيته وبينهم سور عظيم ، لا يستطيع الوصول إليهم بسببه ، ولذلك يلح الشاعر على ترديده فقد كرد (كم) بإفادتها على الكثرة ، وهذا يوحى بكثره من فقدمهم ، كما أن تكرار هذه الجملة على هذا النحو - كم + في + المقابر أتاح للشاعر - أن يوجد تركيباً إضافياً غير تام بذاته ، بل يحتاج إلى مكملات (من حبيب - من صديق - من زهور) زاد من إطالة الجملة نوعاً ما ، مما أعطى

الشاعر فسحة كبيرة في الاسترسال والتعبير عن أفكاره ومشاعره ، كما نلحظ ما تحققه الوحدة المكررة (كم في المقاير) من إيقاع يشبه قرع الطبلول ، فتمتلك أوائل الأبيات الثلاثة نفمات متوازية ، تتبه السامع وتمتهن .

٢- التعدد :

بعد التعدد وسيلة مهمة من الوسائل الأسلوبية التي اعتمد عليها الشاعر في بناء الجملة الشعرية عنده ، وخصوصاً في غياب التكرار أو العطف : ومن صور التعدد قول الشاعر :-

- | | |
|-------------------------------|----------------------|
| أ- لم تناجر بالمقابر | لم نلاح لم تكابر |
| ب- يا طفلي .. ي أحكم | حكماء يا عقلأ رجوع |
| ج- قبدا اليوم ساهما | شارد الفكر والتظاهر |
| د- حتى انتهيت إلى القفار | إلى إلى باب |
| هـ - أقلي هالفؤاد أسوان لهفان | براه الصدى وجفت لهاء |
| - أقلي هالفؤاد ظمان للحب | مشوق لنهائية من ضياء |

النماذج السابقة تشكل صور التعدد في جسم الجملة الشعرية عند محمد عبد القادر فقيه ، والنظر بعين النقد والتحليل إلى هذه النماذج يلاحظ أن صور التعدد هذه قد أسيئت - بشكل واضح - في إطالة الجملة ، غير أن إطالة الجملة هذه المرة يتم دون اللجوء إلى وسائل تمديد واضحة ، تستخدم فيها صيغ محددة (كما هو الحال مع التكرار والعطف) ، ولكن تظل مشدودة إلى المكون الرئيس في الجملة .

وقد قام التعدد بأنواعه المتنوعة بتمديد الجملة الشعرية وتوصيفها ، على المستوى الرأسى للشخص ، كما ساعد على تضاعف بعض مكونات الجملة الرئيسية والفرعية ظفي نموذج (أ) يعدد الشاعر لم وال فعل المجزوم (لم تناجر - لم نلاح - لم تكابر) ، ولكنه عدل عن العطف ، واستخدم التعدد : ليتحقق بذلك نوعاً من التشابك الدلالي والتدخل بين الفعل المجزوم المتعدد ، وكذلك الحال في نموذج (ب) الذي عدد فيه المندادى ، ونموذج (ج) الذي عدد فيه الخبر ، وقد عمل التعدد في جميع هذه النماذج على إطالة الجملة ، وتوسيع الدلالة فيها ، ومن ثم يمكن القول بأن التعدد وكذلك التكرار وسائل كمية تحقق للجملة اتساعاً على المستوى التركيبى والدلائى غير أنها لا تحقق تلاحمًا تاماً بين المكونات المضافة (يفعل التكرار أو التعدد) ، ولكنها نظر مفتقرة إلى المكون الرئيس في الجملة .

٣- التقديم والتأخير،

كثيراً ما يهدى المبدع إلى تجاوز الإطار النصي للغة؛ فليجأ إلى بعض الوسائل اللغوية التي تعطى تجربته قدرأً كبيراً من التميز والخصوصية، وتفاوت بها عن المستوى المعياري النصي للغة، ومن أبرز الوسائل اللغوية «التقديم والتأخير»؛ حيث يحاول المبدع (أن يمتلك اللغة ويصادفها، ويحرك دوالها كيف شاء، فيقدم ما شاء له فكرة أن يقدم، ويوفر ما شاء له فكرة أن يؤخر، حرصاً منه على تحقيق الهدف التأثيري والإيصالـي في وقت معاً) ^(١٧)

ولا يكون لأسلوب التقديم والتأخير قيمة إلا (إذا وظفه الشاعر أو الأديب في تجسيد أغراض هنية خاصة، لا تتأتى بغير ذلك الأسلوب) ^(١٨)، والتقديم والتأخير من أكثر الطواهر التركيبية وروداً في شعر محمد عبد القادر فقيه، وقد تعددت صوره في شعره، والقصد منها بصورة عامة هو التخصيص والاهتمام بالمتقدم، إلى جانب أنه يحقق أغراضـاً صوتية وتركيبية؛ ومن صور التقديم والتأخير في شعر محمد عبد القادر فقيه قوله:

وـسـلاـج وـمـسـنـد	نـحـن لـلـعـرب سـنـد
فـالـقـصـنـ يـخـرـجـ مـنـ أـكـمـامـهـ الشـمـراـ	مـنـاـ الـوـفـاءـ وـمـنـكـمـ مـاـ يـلـيقـ بـكـمـ
كـثـرـتـ عـلـىـ دـرـبـيـ السـدـودـ	يـاـ رـبـ خـذـ يـسـدـيـ هـنـدـ
ثـدـ وـالـفـرـادـ وـالـعـقـودـ	عـقـدـاـ بـهـ تـزـهـوـ وـالـفـلاـ
بـاطـلـ لـوـ أـقـطـعـ الـعـمـرـ شـجـيـاـ	بـاطـلـ صـبـريـ ،ـ وـهـزـلـ كـلـهـ

النماذج السابقة تبين أن الشاعر معنيًّا بتقديم الجار والمجرور، إما على عناصر أساسية في الجملة؛ كالمبتدأ والخبر - نحن للعرب سند - ، والفعل والفاعل كما في قوله - كثرت على دربي السدود - ، أو على المفعول به كما في قوله - يخرج من أكمامه الشمرا ، أو يتقدم المستند إليه المبتدأ كما في قوله - مـنـاـ الـوـفـاءـ وـمـنـكـمـ مـاـ يـلـيقـ بـكـمـ ، أو يتقدم الفعل كما في قوله - عـقـدـاـ بـهـ تـزـهـوـ وـالـفـلاـ ، ويتقدم الخبر على المبتدأ كما في قوله - بـاطـلـ صـبـريـ ، ومثل هذا التقديم من شأنه أن يلفت نظر الملقى إلى ما تقدم في الجملة وما تأخر ليبحث عن سر هذا التقدم، وهذا التأخير ليجد أن المضمون الشعري دائمًا ما يتعلق بهذا الجار والمجرور المتقدم، فهو البؤرة التي تجتمع حولها دلالة التركيب الشعرية، ولا نرى في التقديم في الأمثلة السابقة عيباً وخصوصاً إذا أمن الملقى اللبس والغموض، فالفاعل والمفعول في النماذج السابقة قد احتفظا بوظيفتيهما التحوية، ورغم تأخيرهما عمـاـ هوـ هـضـلةـ ، وكذلك الفعل لم يفقد وظيفته التحوية بفضل تقديم الجار والمجرور عليهما ، ومن هنا فإن التقديم في الأمثلة السابقة لم ينشأ عنه خلل أو غموض في التركيب ، بل

عمل هذا التغيير على إحكام التركيب وترابطه .

٤- الحذف :

الحذف من الطواهر الإيحائية البارزة التي يعمد إليها المبدع لتكثيف الإيحاء المسائد في ثنايا قصائده وإثارة المذاق وجذب انتباذه ومحاوله إشراكه في صنع النص بإكمال الناقص منه ولعل أهمية الحذف يستمدّها من كونه (لا يورد المنتظر من الألفاظ) ، ومن ثم يتجزئ في ذهن المتلقى شحنة فكرية توقف ذهنه ، وتجعله يتخيل ما هو مقصود ، وعملية التخييل هذه - التي يقوم بها المتلقي - تؤدي إلى حدوث تفاعل من نوع ما بين المرسل والمتلقي قائم على الإرسال الناقص من قبل المرسل ، وتكمّله هذا الناقص من جانب المتلقي)^(١)

وقد توسل الشاعر بهذه الوسيلة في بناء جمله ، وانتاج دلالاتها وإيحاءاتها ، وهذا من شأنه أن يسهم في بناء النص وإنماج دلالاته وإيحاءاته ، وقد تعددت ألوان الحذف في شعر محمد عبد القادر فقيه: فقد يحذف المبتدأ : كما في قوله:

شجي .. ومحزون ولا يتكلم له الله من ياتك على الصمت يرغم^(٢)

خربـ تجافته الأحبة واحتـوى على نفسه ليل من اليأس مظلـم

يحذف الشاعر المبتدأ ثلاثة مرات في البيتين ، والقارئ للنص لن يعرف المبتدأ المذوق على حقيقته إلا مع انتهاء القصيدة ، أو مع قراءة النص كاملاً ، فالشاعر يجعل القصيدة كاللغز الذي يسأل عنه ، ولكنه يسأل ، ويجيب عنـه بنفسـه ، فكلـ ما يحتاجـه من الذي يـسألـهـ أنـ يـعملـهـ ويجتـهدـ منـ أجلـ حلـ اللـغـزـ ، ولكـنهـ لاـ يـترـكـهـ دونـ إـجـاـبةـ ، بلـ يـمـدـهـ بـالـإـجـاـبةـ بـقـوـلـهـ :

ومـاـ يـقـولـ الـراـحـمـونـ لـبـائـسـ إـذـاـ مـاتـ مـنـهـ السـاقـ وـالـزـنـدـ وـالـقـمـ

هـنـعـ نـهـاـيـةـ الـقـصـيـدـةـ يـدرـكـ الـمـتـلـقـيـ أـنـ الـمـبـتـأـ الـمـذـوقـ هـوـ الـمـشـلـوـنـ الـذـيـ لـمـ يـفـصـحـ عـنـهـ إـلـاـ فيـ نـهـاـيـةـ النـصـ ؛ ليـفـكـ الشـاعـرـ شـفـرـةـ الـمـبـتـأـ الـمـذـوقـ ، بـعـدـ أـنـ يـكـوـنـ قدـ شـارـكـ الـمـتـلـقـيـ مـعـهـ ، هـذـاـرـ خـيـالـهـ ، وـحـرـكـ هـكـرـهـ .

وقد يحذف الشاعر الفعل والفاعل : كما في قوله:

أـهـلـاـ بـمـنـ زـارـنـيـ وـالـشـوـقـ يـدـنـيـ والـذـكـرـيـاتـ مـنـ الـماـضـيـ تـنـادـيـهـ^(٣)

يحذف الشاعر الفعل والفاعل من الجملة ، ويستدل به المفعول (أـهـلـاـ) ؛ الذي جاء ليحل محل (الفعل والفاعل) ، والتقدير حلتـ أـهـلـاـ ، ولاـشكـ أنـ حـذـفـ الفـعـلـ وـالـفـاعـلـ ، وـالـاـكـتـاءـ بالـمـفـعـولـ يـعـلـمـ عـلـىـ تـكـثـيفـ الدـلـالـةـ ، وـتـسـلـيـطـ الضـوءـ عـلـيـهـ ، فـتـسـدـيرـ التـرـكـيبـ بـالـمـفـعـولـ يـعـكـسـ مـدـىـ اـهـتمـامـ الشـاعـرـ بـهـ ، وـبـمـاـ يـطـرـحـهـ مـعـانـيـ تـنـيـ دـلـالـةـ الـجـمـلـةـ ؛ فـالـشـاعـرـ يـعـلـمـ عـنـ تـرـحـيبـهـ

بالمخاطب وحفاوته ، كما يعلن - في الوقت نفسه - شعوره بالأسف لقدوم الزائر إليه ، وعدم وجوده لاستقباله ، والترحيب به ، فقدم هذه التصعيدة وكأنها رسالة اعتذار عن عدم وجوده عندما جاءه وجاءت التصعيدة بعنوان (أهلاً) ليثبت اعتذاره له ، وفرحة لقادمه .

ثالثاً حالة الخطاب الشعري :

عندما يطرح الشاعر رؤيته للواقع الذي يقدمه في صياغته الشعرية ، لا يعمد إلى ذلك في شكل إخباري تقريري فقط ، بل يعمد إلى استغلال طاقات أخرى للغة : وذلك من خلال اعتماده على تنويعات الأسلوب الإنشائي (استفهام - أمر - نهي - نداء) ، وتميز بنية الإنشاء الظاهري بالإمكانات التوليدية ؛ حيث خروج البنى الإنسانية عن دلالاتها الأصلية إلى دلالات أخرى سياقية جديدة ، ولعل أهم ما يميز الأساليب الإنسانية الظاهري هو هذا النمط التوليدي الذي تتميز به ؛ حيث إن الانحراف عن الدلالة الأصلية للإنشاء يتجمّع عن حركة النص الإبداعي وحيويته هنا بالإضافة إلى كسر الرتابة التي تحتوي الصياغة الخبرية ، فالأساليب الإنسانية تعد أبرز مظاهر اللغة ، التي تعرب عن حيويتها .

أنواع الإنشاء الظاهري :

١- بنية النداء :

تعد بنية النداء من البنيات الأسلوبية التي تؤدي دوراً مهماً في بناء الخطاب الشعري عند محمد عبد القادر هقيه : فالنداء (وسيلة من وسائل إحياء البيت الشعري لدى المتنبي) حيث يمثل النداء تقاطع تتبّيه وتشييده : لأنّه يتم برفع الصوت ومهده)^(٢٧) والواقف على قراءة مجموعة الشاعر الكاملة يجد أنه لم يستخدم إلا أدلة النداء (يا) في معظم قصائده ، باستثناء الأداة (أيها) : التي استخدمها قليلاً ، ولم يحذف أدلة النداء .

وقد يأتي النداء انعكاساً لقلق الشاعر وتوتره ، وبحثه الداوم عن الحب من ناحية ومؤكداً للطابع التخاطبى للغة ، وإيثاره لتكثيف صياغة ما ، وتكرارها على مدار الأبيات الشعرية ؛ يقول محمد عبد القادر هقيه:

يا حب ما أنت وبح الناس قد جهلوها
معناك واختلفوا ما بينهم شيئاً^(٢٨)
يا حب هل أنت في قلب المحب أنسٌ
أم هرحة وأمساني بينها رتعًا
يا حب هيئات بعد اليوم يخدعني
منذ السراب وتعلّم مهجتي طلعاً
فالشاعر - هنا يخاطب (الحب) - يا حب - ، ومن ثم لا يمكن تصوّر أن الشاعر يريد

من هذا الخطاب أن يقبل عليه الحب ، وإنما أراد من هذه الصياغة الفنية أن تعكس الحيرة والقلق وحالة الحزن التي يعيشها ، فالشاعر شخص الحب لا يدعوه ، وإنما ليعلن ضيقه وتبرمه من هذا الحب الذي لا يترك في قلب المحب سوى الحسمرة والألم ، ومن ثم يعلن في النهاية عدم خضوعه له ، فما هو إلا سراب .

وقد يأتى النداء دالاً على التضرع والدعاة لله - سبحانه وتعالى - يقول الشاعر :

كثُرت على دربِي السَّدُود ^(٢٤) سارب خذ بيدي هقد

عملت بنية النداء - إذن - على توفير قدر كبير من استثارة المتنبي نحو النص الشعري وجعله مشاركاً الشاعر مشاعره وأحساسه التي يود طرحها -

٢- دنبة الأمر :

تعد بنية الأمر من البنيات الأسلوبية المهمة التي تؤدي دورها البالغ في بناء الخطاب الشعري، وتتبع أهمية بنية الأمر إلى كونه - في الأسان - موجهاً إلى المتلقى بالدرجة الأولى فتجعله يقتظاً، منتهياً لما يبيه إليه ، ومتشاركاً للميدع في الاحسان بضمون التجربة الشعرية.

وانتاج الدلالة في بنية الأمر يحتاج إلى حضور طرفي الاتصال في الخطاب الشعري (المبدع والمتنقى) ، بكل مكوناتها الداخلية والخارجية ، إلى جانب الصياغة الشعرية ، ومن ثم فإن بنية الأمر تعتمد في استخراج دلالتها على السياق ، ولذلك لا يمكن التنظر إلى بنية الأمر على أنها بنية انشائية مطلية فقط ، وإنما هي بنية توليدية ، كغيرها من البنى الاشتائية .

وعندما يخلص الأمر من الدلالة الوضعية التي أنسقتها به البلاغيون؛ وهي دلالة الاستعلاء، تتولد دلالات أخرى سياقية جديدة، وتتعدد هذه الدلالات من سياق الخطاب الذي وضعت فيه يقول الشاعر:

^(٧١) يا قلب كف عن الشكوى فما يرحت

عنوان ضعف وليس الضعف من شأنى

فقد خرجم بنية الأمر من دلالة (الاستعلاء) إلى دلالة جديدة : هي دلالة (الالتماس) : الشكوى دلالة الضعف ، وهو ينافي بنفسه أن يكون ضعيفاً .

وقد تخرج بنية الأمر إلى دلالة التمني؛ يقول الشاعر:

اسمي قسم الحياة ليعنى ويزدان لقرهبا بالورود (٤١)

فالشاعر لا يتخذ موقف المتعالي الذي يقوم بإصدار الأوامر أو التعليمات الإرشادية ، وإنما هي صيغات عالية يطلقها من إنسان يؤمن أن يحيا حياة سعيدة .

وقد تخرج بنية الأمر إلى دلالة الاستهانة : يقول الشاعر :

غوري .. فقد غار الحفين إلى جدوak .. واستغلت بسائيني^(٢٣)

غوري .. فما مثل يباع وما تشرى الإساءة بالملائين

إنه يستهين بالمرأة التي جاءته نادمة ، تطلب منه الصدق على ما قامت به من أعمال آلمته ولكنه رفض قبول هذا المذير ، بل فقد كل شعور بالرغبة نحوها .

وقد تخرج بنية الأمر إلى دلالة التوسل والرجاء : كما في قوله :

يا رب خذ بيدي فقد كثرت على دربي السود^(٢٤)

نَّة إِنْكَ الْبَرُ الْوَدُود

بنية الأمر إذن - هي بنية توليدية ، تعمل على إنتاج دلالات جديدة ، مع كل ميادن توضع فيه ، وهي بنية مركزية ، حينما تأتي في النص تكون كالبؤرة التي تجمع خلالها كل الخيوط الدلالية : لتسهم في النهاية في إثراء النص دلائلاً .

٣- بنية الاستفهام :

إن بنية الاستفهام بمثابة المحطات التي يتوقف عندها المتنقي ؛ ليلتقط أنفاسه ؛ متزوداً من خلالها بالمنشطات الفنية التي تجعله يستمر في مواصلة القصيدة دون ملل أو ضجر والاستفهام هو أكثر التراكيب اللغوية التي تمارس ضغطاً على المتنقي ؛ (فهو يمارس إثارة الدهشة التاجمة عن قطع رتابة المتنقي المستكن ، ورضوخ المتنقي لخمول وطأة (استقبال) التراكيب الجاهزة ، ويمارس فعل المفاجأة التي تنتهي جمود التوقع ؛ لتشكل جدلية حيوية حرافية بين المبدع والمتنقي عبر تركيب السؤال)^(٢٥) .

يقول محمد عبد القادر فقيه :

من ذا يرد السبيل إن حمل الجنادل وانحدر^(٢٦)

من ذا يرد النور في عين الضرير إذا اشتكر

من ذا يرد قضا الملوك على العياد إذا أمر

إن الجمل الاستهامية - هنا - تراكم بشكل متتابع ، دون تباعد بينها ، مستخدمة (من) أداة للاستفهام ، والشاعر لا يهدف من وراء هذا التراكم الاستهامي إلى طلب التصديق ، أو الاستفهام

عن تحقق الفعل من عدمه ، كما هي له في الاستخدام اللغوبي ، وإنما يهدف من وراء هذا التتابع للجمل الاستفهامية بـ (من) أن يخلق إيقاعاً هادئاً ، وجواً جناثياً ، يمكن الحالة الشعورية التي تعيش حسرة وألمًا على الماضي الغابر الذي ذهب ، ولن يعود ، ومن هنا فإن دلالة الاستفهام بـ (من) تحمل دلالتين : المسطحة : وهي دلالة الاستفهام ، والدلالة العميقـة وهي التحسر على الماضي الذي يستحيل عودته ، والانتهاء إلى الاستسلام لقضاء الله وقدره الذي نفذ ، ولا راد له .

٤- بنيـة التمنـي :

تعد بنيـة التمنـي إحدى الأساليـب الإنشائية التي تسيطر على الصياغـة الشـعورـية؛ لأنـ (الـتـعبـير عنـ عـاطـفةـ الـمـتكلـمـ تـحـتلـ مـرـكـزـ الـثـقلـ ، وـإـنـ اـفـتـرنـ بـطـلـبـ يـدرـكـ مـقـدـمـهـ نـفـسـهـ صـعـوبـيـهـ أوـ اـسـتـحـالـةـ تـقـيـيـدـهـ) ^(٣٧) ، وـالتـمنـيـ قدـ يـكونـ الـمـطلـوبـ فـيـ مـحـالـ غـيرـ مـمـكـنـ ، أوـ يـكـونـ مـمـكـنـاـ وـلـكـنـ شـدـيدـ الـبعـدـ ، وـمـنـ النـوـعـ الـأـوـلـ الـمحـالـ قـوـلـ الشـاعـرـ :

لو مشـيـةـ بـيـضـهـ بـيـضـ الـحـيـاةـ
أـوـ لـوـ يـرـجـعـ أـمـسـيـ كـلـهـ
لـوـ يـعـودـ الـعـمـرـ غـصـاـ يـادـ مـنـهـاـ
أـوـ لـوـ يـرـجـعـ بـدـءـ مـنـهـاـ
حيـثـ يـعـنـيـ أـنـ يـعـودـ الـعـمـرـ ، وـهـذـاـ شـيـءـ مـسـتـحـيلـ ، وـمـنـ النـوـعـ الثـانـيـ قـوـلـهـ :
أـوـ لـوـ تـسـعـ أـيـامـيـ بـيـومـ مـنـ لـقـائـكـ ^(٣٨)
حيـثـ يـعـنـيـ أـنـ يـاتـيـ الـمـحـبـوبـ الـذـيـ صـارـ بـعـدـ ، وـالـقـرـبـ مـنـهـ أـصـبـحـ بـعـدـ الـمـقـالـ .

٥- بـنيـةـ التـهـيـ :

تـعدـ بـنيـةـ التـهـيـ أـحـدـ الـبـنـىـ الإـنـشـائـيـةـ الـمـهـمـةـ الـتـيـ تـتـغـلـلـ فـيـ بـنيـةـ النـصـ عـنـدـ مـحـمـدـ عـبـدـ الـقـادـرـ هـقـيـهـ : تـتحققـ أـغـرـاصـاـ دـلـالـيـةـ مـهـمـةـ عـلـىـ الـمـسـتـوـ الرـأـسـيـ وـالـأـفـقيـ لـلـنـصـ ، وـإـنـ كـانـتـ أـقـلـ الـأـسـالـيـبـ الإـنـشـائـيـةـ وـرـوـدـاـ فـيـ شـمـرـهـ ، وـتـتـعـدـ صـورـ الـتـهـيـ دـاخـلـ فـصـائـدـ الشـاعـرـ؛ فـهـوـ يـسـتـخـدمـهـ فـرـداـ أوـ مـجـمـوعـاـ ، وـإـنـ كـانـتـ الـصـورـةـ الـأـوـلـيـ هـيـ الـفـالـيـةـ ، وـيـسـتـخـدمـ الشـاعـرـ الـتـهـيـ لـلـطـلـبـ الـكـفـ عـنـ فـعـلـ الشـيـءـ ، وـإـنـماـ لـأـغـرـاضـ أـخـرىـ عـنـهـ الـاتـمامـ فـيـ قـوـلـهـ :

لاـ تـلـقـواـ بـابـ الـحـبـيـبـ
وـاقـتـحـمـوهـ كـلـ حـيـنـ ^(٣٩)
ـ وـالـقـاؤـلـ فـيـ قـوـلـهـ :
ـ لـاـ تـبـالـيـ مـنـيـةـ دـهـلتـ
ـ فـيـ هـيـاـيـةـ الـمـوتـ وـالـمـدـمـ ^(٤٠)
ـ وـالـنـسـحـ فـيـ قـوـلـهـ :
ـ لـاـ تـبـالـيـ مـنـطـقـ الـحـاسـدـ
ـ ذـيـ الـحـقـدـ الـوـقـيرـ ^(٤١)

هواش الفصل الثاني

- (١) المجموعة الكاملة / ٩٦-٩٧ •
- (٢) السابق/ ٣٣٢ •
- (٣) السابق/ ٣٣٤ - ٣٣٣ •
- (٤) السابق/ ٦٨ •
- (٥) السابق/ ٧١٨ - ٨١٦ •
- (٦) السابق/ ٢٠١ - ٢٠٠ •
- (٧) عبد الملك مررتضي / نظرية الرواية - بحث في تقنيات السرد / ١٨٢ / ط المجلس الأعلى للثقافة والفنون / الكويت / مسلسلة عالم المعرفة / ١٩٩٤ م •
- (٨) المجموعة الكاملة / ٣١٠ - ٣٠٩ •
- (٩) شكري الطوانسي / مستويات البناء الشعري / ٢٢١ / يتصرف •
- (١٠) المجموعة الكاملة / ٧٠١ •
- (١١) سلاح فضل - بلاغة الخطاب وعلم التصريح / سابق •
- (١٢) المجموعة الكاملة / ٤٣٨ •
- (١٣) السابق/ ١٢١ - ١١٩ •
- (١٤) السابق/ ٤١ •
- (١٥) السابق/ ١١٤ •
- (١٦) السابق/ ٣٦٤ •
- (١٧) (١٧) رمضان صادق / شعر عمر بن القارض دراسة أسلوبية / ١١١ - ١١٢ / الهيئة العامة للكتاب ، القاهرة/ ١٩٩٨ م •
- (١٨) حسن طبل / دراسات في علم البيان / ١٦ / مكتبة الزهراء •
- (١٩) المجموعة الكاملة / ٢٩ •
- (٢٠) السابق/ ٨١ •
- (٢١) السابق/ ١٠٠ •
- (٢٢) السابق/ ١٧٠ •
- (٢٣) السابق/ ١٥٤ •

- (٢١) هشام الله سليمان / الأسلوبية مدخل نظري ودراسة تطبيقية / ١٢٩ / الدار الفنية للقاهرة والتوزيع / القاهرة ٢٠١٥م.
- (٢٢) السابق/ ٤٢٦-٤٢٧ .
- (٢٣) السابق/ ١٦٥ .
- (٢٤) ديمون طحان / الأسئلة العربية - المدد الثاني - ٨٨ - ٨٧ / دار الكتاب اللبناني / بيروت / ط٢٠١٩٨١ م .
- (٢٥) المجموعة الكاملة / ٢٧٨-٢٨١ .
- (٢٦) السابق/ ١٠١-١٠٠ .
- (٢٧) السابق/ ٣٩٢ .
- (٢٨) (٢٩) السابق/ ٣٣٧-٣٣٨ .
- (٣٠) السابق/ ٢٨٤-٢٨٥ .
- (٣١) السابق/ ١٠١-١٠٠ .
- (٣٢) عبد بلبع / أسلوبية السؤال / ٧٧ / ط دار الوفاء / الإسكندرية / ١٩٩٩ م .
- (٣٣) المجموعة الكاملة / ٨٤٦-٨٤٧ .
- (٣٤) صلاح هلال / علم الأسلوب وصلته بعلم اللغة / ٥٥ / مجلة فصول / عد ١ / ١٩٩١ م .
- (٣٥) المجموعة الكاملة / ١٧٢ .
- (٣٦) السابق/ ٢٩٨ .
- (٣٧) السابق/ ٦٤٧ .
- (٣٨) السابق/ ٧٦٢ .
- (٣٩) السابق/ ٤٢٠ .

الفصل الثالث

البنية التصويرية

الصورة مكون أساس من مكونات النص الشعري؛ فهي ليست حلية ولا زينة تضاف إليه من الخارج، ب بحيث يمكن الاستغناء عنها، بل هي (جوهر فن الشعر، وهي المطافقة الشعرية الكامنة في العالم، والتي يحتفظ بها النثر أثيرة لديه) ^(١)، ومن المسلم به في فقد الأدبي الحديث أن الصورة تتخطى المأثور والشائع، وتبعد عن الشرح والتفسير والتقرير، وتعتمد بدلاً من ذلك على التكليف والجدية والكشف والإيكار، إنها تتخطى الواقع المعيش؛ لتحقق بدلاً منه واقعاً هنيئاً جمالياً موازياً، يقوض العالم القديم، ويقوم مقامه، ويجعلنا ندرك الأشياء إدراكاً شعرياً أفضل، كما أن الصورة تعد مناطق التميز والتفرد بين الشعراء؛ فهي (مقاييس تقام به موهبة الشاعر، وموضع الاعتبار في الحكم عليه) ^(٢).

وقد عد بعض النقاد الصورة معاذلاً للشعر، تحدده، ويتحدد بها، (وكان على النقد أن يواكبها في طبيعتها الجديدة هذه، وأن يتخلص عن التجزئة في دراسة النص الشعري، وهو يسعن إلى تقويمها، بل عليه أيضاً لا يعزلها عن الموقف المفكري والرؤى الشعرية للقصيدة وهي تحمل الفكرة وتتصورها، أي أن لها قيمتين؛ تعبيرية موضوعية من حيث التجربة والموقف، وشكلية من حيث الفن، لا يمكن فصلهما مطلقاً) ^(٣)، وكثيراً ما يغلب على الصورة الشعرية عند محمد عبد القادر فقيه مطابع تجريدي واضح، يقترب بها أحياناً من مشارف الرمز، والصورة عند الشاعر من ناحية أخرى تفتقر كثيراً إلى عنصر التكليف، وتعتمد على الشرح والتفسير والتقرير الذي يحد من إيحائاتها، ويقلل من درجة الملمعة التي يحسها المتلقى إزاءها.

المبحث الأول

الصورة بين التشبيه والاستعارة

أولاً: التشبيه والصورة

بعد التشبيه أحد أهم المظاهر الأسلوبية والتعبيرية التي تؤثر في تكوين الخطاب الشعري إذ يعد من طرق التعبير غير المباشر، بل يعد من أبرز أنواع التصوير، وأكثرها توافراً في كلام البشر عامة، وتنشأ بلاغة التشبيه من أنه ينتقل بالمتلقى من الشيء نفسه، إلى شيء طريف يشبهه، وكلما كان هذا الانتقال بعيداً، قليل الخطور بالبال، أم ممتهناً بقليل أو كثير من الخيال كان التشبيه أروع للنفس وأدعى إلى إعجابها، والتشبيه عقد مقارنة بين طرفين - المشبه

والتشبه به - وذلك لأنهما اتحدا في صفة من الصفات، أو هيئات من الهيئات، وهذه العلاقة (قد تستند إلى مشابهة حسية ، وقد تستند إلى مشابهة في الحكم أو المقتضى الذهني الذي يربط بين الطرفين المقارنين)^(١)

١- التشبيه وأداة التشبيه :

تقوم أداة التشبيه بالربط المادي بين طرفي التشبيه / المشبه والمشبه به ، وقد عد بعض البالغينن القدماء أداة التشبيه بمتابة الحال الذي يعوق دون تفاعل المشبه والمشبه به وداخلهما مما : هالتشبيه لا يفيد البنية ، وإنما يفيد القوالية ، ويؤلف بين المخلفات من الأشياء ولا يوقع الاتحاد بينهما ، وهذا أهم ما يميز التشبيه عن الاستعارة : التي تتغنى الحدود والقواعد بين الأشياء ، ومن ثم فإن وجود أداة التشبيه في بناء الجملة يدل دلالة قطعية على التشبيه ، أما حين يخلو الأسلوب من أداة التشبيه ، فإن المجال يتسع اتساعاً كبيراً لتنوع أساليب التشبيه ، و (يتفاوت أمرها بين الوضوح والخفاء)^(٢)

وتعتبر أدوات التشبيه ظاهرة أسلوبية تؤثر في تلوين الصورة التشبيهية تأثيراً إيجابياً حينما تأتي أداة التشبيه متناثرة مع البيت تلاؤماً دلائلاً ، يساعد على ثراء الصورة في بنية الخطاب الشعري ، أو تأثيراً سلبياً حينما تأتي غير متناثرة في البيت ، فلقة في موضعها ، خالية من التلاؤم الدلالي ، والمتأنل في شعر محمد عبد القادر فقيه يدرك تفوق الحروف على الأسماء والأفعال في استخدام الشاعر كأدلة للتشبيه : فقد كانت الأداة الأخيرة التي استخدمها (الكاف) ثم تأتي الأداة (كان) في مرتبة تالية ، ثم (مثل) في المرتبة الثالثة : ومثال استخدام الشاعر للكاف قوله الشاعر :

ذكريات ترف دوماً عليا لم تزل عرضة لنذهب اليالي وطوطتها الهموم والدهر طبا وبيدت كالغريق تضرب كفاه	وثثير الحنين والشجوه عيابا طفني .. ومواجا عتيما
---	--

يشبه الشاعر الذكريات بالغريق الذي تضرب كفاه عياباً مصطنعاً ، ويلاحظ أن الكاف قامت بالربط بين المشبه والمشبه به ، وفي الوقت نفسه أعادت الغيرية : حيث عملت على التأكيد على أن المشبه ليس هو عينه المشبه به ، بل هما مختلفان ، إلا أنهما يشتراكان في صفة أو بعض الصفات ، حيث يشبه الذكريات بالغريق : هنا تعرف الأولى الذكريات تطويها الهموم والدهر والطرف الثاني الفريق الذي يضرب بكفيه الموج المتلاطم ، وهنا يدخل طرفاً التشبيه في مجال استبطان المشاعر الإنسانية : فالحقيقة المشتركة بين طرفي التشبيه ليست يمسيرة على كل متنفق

وإنما لا يصل إليها إلا متلقٍ واعٍ للأبعاد النفسية للتجربة الشعرية ، فالمذكرات ترف دوماً على الشاعر ، وتثير الحنين فيه ، إلا أنها تقاوم الهموم وحوادث الدهر بشدة ، وهي كالغريق يحاول أن يقاوم الأمواج العاتية ، التي تصاحب حوله ، حتى يفقد نفسه من الفرق .

ومن أمثلة التشبيه بالأداة (كان) قول الشاعر :

أمسيت لا منهجه عندي ولا هدف
كأني كرة في كف إعصار^(٧)

يكان يفتقد فيها نفسها الساري
في ليلة من ليالي اليأس حائلة

في هذا النموذج يشبه الشاعر نفسه بعد ذهاب الشباب وهراق أحبابه بالكرة ، والتشبيه - هنا - يحتاج إلى جهد في استبيان دوره في بناء الصورة ، مما أوجه التشابة بين الشاعر والكرة لا والشاعر لم يترك المسافة بينه وبين القارئ مبهماً ، ولكنها وضع إضفاءات كاذبة ، فالشاعر كالكرة التي تكون في كف إعصار ، وذلك في ليلة حائلة ، فالالتقاء بين طرفي التشبيه ليس قائماً على المستوى السطحي المباشر ، وإنما جاء الالتقاء على مستوى العمق ، ومراعاة البعد النفسي للتجربة ، حيث يتضح من الصورة سيطرة المشاعر النفسية عليها ، فقد تجمعت على الشاعر عوامل كثيرة : ذهاب الشباب والغربة عن الأهل والأحباب ، والبقاء بين من يتثنون ذلته وعوانه ، مما جعل التقى يدرك العلاقة المقترحة / بين الشاعر والكرة ، وبالطبع هي علاقة تخيلية ، كما يدل على ذلك أداة التشبيه (كأني كرة في كف إعصار) ، ومن ثم فقد حافظت الصورة التشبيهية على وجود مسافة فاصلة بين طرفيها ، ولم تصل بهما إلى حد التوحد : الذي لو عمد إليه الشاعر لضاعت إيهامات الصورة النفسية .

ومن نماذج التشبيه بالأداة (مثل) قول الشاعر :

هيئات .. تجمع بين الماء والنار
ويبن طبعين من ملهر ومن عار^(٨)

إما تكون على رعنى الحفاظ قتي
يحمي الذمار كلث الغابة الضاري

أولا .. هشائرك مثل العنز سارية
تلقي الهوان وقد ترمي بأحجار

فالشاعر يشبه الإنسان الذي يحمي الذمار ، ويحافظ على المباديء والقيم بالأسد الضاري ، أما الإنسان الذي يتخلى عن ذلك ، ولا يحمي الذمار ، ولا يحافظ على المباديء والقيم ، بالعنز التي تسير في الصحراء ، وترمى بال أحجار ، والعلاقة القائمة بين طرفي التشبيه علاقة أكبر من كونها مجرد مقارنة : فالإنسان الذي يظل مدافعاً عن حرماته ، محافظاً على مبادئه يكون دائماً في صراع ويقابل بالهجوم ، ولكنه يظل يقاوم وهو في هذه الحال يصبح كالأسد . أما الإنسان المتخاذل فإنه يكون مثل العنز التي تسير في الصحراء هائمة ، وتلقي الهوان والمذلة ، وترمى

بالأحجار، ولذلك يمكن القول - هنا - بأن (مثل) في هذا النموذج استطاعت أن تدخل المتنبي في عمق التجربة الشعرية ، وكشفت عن أبعادها .

وقد استخدم الشاعر التشبيه المضمر الأداة في شعره ، وهو ما أطلق عليه البلاشيون (التشبيه البليغ) ومما لا شك فيه أن حذف أداة التشبيه ووجه الشبه يؤدي إلى أكبر قدر من التلاحم بين هاتي التشبيه ، كما أنه يتبع للمتنبي فرصة الذهاب إلى أبعد الالتفاء بين المطرفين كي فيما شاء له عقله أن يذهب هاتتشبيه البليغ - كما يرى البلاشيون - أقوى مراتب التشبيه ما حذف منه أداته وجهه معاً لأن (ذكر الأداة يدل على ثبوت مزية للمتشبه به على المشبه)^(١)

ومن نماذج التشبيه البليغ في شعر محمد عبد القادر هقيه قوله:

أنا دنيا عن دني الناس بعيدة^(٢)

وحياة في حمى الصمت فريدة

أنا ألم .. في دجن الليل مديدة

أنا وحدي كل حين ههنا

يحذف الشاعر في هذه الصورة التشبيهية الأداة ووجه الشبه ، مما يتبع للمتنبي فرصة الذهاب في تأويل التشبيه مذاهب شتى ، فعلى المستوى السطحي ليست ثمة علاقة بين الشاعر / أنا ، ودنيا وحياة وألم ، ولكن بشيء من التأمل تتأتي لنا العلاقة بينهما ، فالشاعر يعيش وحده وكأنه دنيا بعيدة ، وحياة حسامة ، وألم حزينة ، ولكن لا يمكن أن تدرك هذه العلاقة بعيداً عن تصوير البعد النفسي للتجربة الشعرية ، ومن ثم فقد قرب الشاعر بين واقعين متباينين ، لا تربطهما صلة أو علاقة على المستوى السطحي ، ولكن الشاعر قرب بينهما ، فقد أصبح الشاعر في وحديته وعزلته دنيا بعيدة وحياة في حمى الصمت ، وألم ، وقد ساعد حذف الأداة ووجه الشبه على التقارب بينهما ، وكان لحذفهما الأثر الكبير في خلق التلاحم بينهما ، حتى يظن القارئ - بعد التأمل - أنهما شيء واحد / أنا دنيا .. وحياة .. وألم ..

٢- التشبيه بين الحس والعقل :

تدور الصورة التشبيهية في شعر محمد عبد القادر هقيه حول محوريين أساسيين : هما الصورة الحسية والصورة الذهنية .

الصورة الحسية :

اعتمد محمد عبد القادر هقيه على المدركات الحسية والحياتية في إيجاد العلاقات بين

الأشياء؛ ولذلك فقد طفى عليه الجانب الحسي في التصوير، ويدخل في باب الصورة الحسية صورتان: هما تشبيه الحسي بالحسيني، وتشبيه العقلي بالحسن.

تشبيه الحسي بالحسيني :

المتأمل في شعر محمد عبد القار فقيه يدرك أن تصوير الحسي بالحسيني كان من أكثر آشكال التعامل بالتصور التشبيهية عنده؛ وذلك في مثل قوله:

ما حدثت هامتي الخطوب وما بعد ت على وفرة الشراة ضميري^(١)

عشت كالطود هازتا بالأعاصير رأياً على الخنا والفجور

يشبه الشاعر نفسه بالطود، وليس هناك أدنى تشابه بين الطرفين الحسينين على المستوى السطحي المباشر، فليس ثمة علاقة حسية ظاهرة بين الإنسان والطود، وهنا تتجلى وظيفة الصورة التشبيهية التي تعمل على إيجاد علاقات جديدة بين عناصر الواقع المادي المعوس من الشاعر أيّي، صاحب مبدأ وهدف، ولا يعني هامته، ولا ينساق إلى القاحشة، وسيظل هكذا حتى يموت، مثله في ذلك كالطود، الذي لا تزلزله الأعاصير، ومن ثم فإن الشاعر قد أوجد علاقة تشابه بينه وبين الطود، ولا يمكن تصوّر هذه العلاقة بينهما دون الدخول في عوالم الشاعر النفسية، والتي تمثل تجربته الشعرية داخل الخطاب الشعري.

تشبيه العقلي بالحسيني :

حيث الأماني أشاءء مبعثرة رهن الهجير عليها عاصف قرب^(٢)

هيا لصبر ماض من غير ما هدف كلامه بين رمال القفر يتسرب

وقوام الصورة التشبيهية في هذا المثال يقوم على أساس المقاربة بين طرفيين: أحدهما عقلي والأخر حسي؛ حيث يشبه الشاعر الأماني والصبر؛ وهو طرفة عقليان بالأشاءء الممزقة والماء، وهو طرفة حسيان، فالأماني التي أضاع الشاعر فيها عمره، ساعياً إلى الوصول إليها، وقد أجده نفسه، وأشلتها، وتحمل الآلام، ولكنه لم يستطع أن يتحققها، ولذا يرى الشاعر الأماني ضائع المستحيلة كأنها أشاءء ممزقة، والصبر الذي تحمله في سبيل الوصول إلى تلك الأماني ضائع سدى، فكانه ماء تسرب بين الرمال، ولاشك أن الدخول إلى عالم الشاعر وتجربته النفسية يجعل الصورة التشبيهية ماثلة بتفاصيلها الدقيقة أمام المتألق من جهة ومن جهة أخرى تقوي العلاقة بين طرفي التشبيه، فيتلاحمان، حتى يظن المتألق أن المشبه هو نفسه المشبه به، وتعود أهمية تشبيه العقلي بالحسيني إلى (إيصال الأمر المعنوي الذي يتصف بالكلية وعدم التحديد بالحس الواقع في الذي يتصف بالجزئية المحصور في دائرة الحواس).

الصورة الذهنية :

إن الصورة الذهنية من الصور الأقل انتشاراً في شعر الشعراء بصفة عامة ، وعند محمد عبد القادر فقيه بصفة خاصة ، فهي تقوم على أساس انتقال صفات الأشياء الحسية إلى أشياء مجردة أو عقليّة ، وهذا ما يجعل الشعراء لا يميلون إليها ، بل ينفرون منها ؛ وذلك لأنّها تلبيس الحسن لبأس المجرد ، ومن ثم تدخل الصورة في باب الموضوع والإبهام ، ويدخل في باب الصورة سورتان : هما تشبيه العقلي بالعقلي ، وتشبيه الحسي بالعقلي ، والصورتان لا يشكلان ظاهرة بارزة في شعر محمد عبد القادر فقيه ، ومن أمثلة تشبيه الحسي بالعقلي قوله :

لَيْتَ لِي أَجْعَنَ النَّسُورَ لِأَطْوَى
فِي سَنَاكِ السَّتِينِ وَالْأَعْوَامِ^(١)
فَأَرِيَ الْأَفْقَ كَيْفَ يَبْدُو مُضِيًّا
حَالًا كَالْمَنْ .. نَدِيَا دَوَامًا

فقد أوجد الشاعر علاقة بين الأفق المضي ، والمنس البراءة ، وقد قرب بهنّهما الشاعر عن طريق الضغط على أدوات الطياع والتكون النفسي ؛ فقد تحول الأفق / مادي إلى المنس / معنوي ومن أمثلة تشبيه العقلي بالعقلي القليلة في شعر محمد عبد القادر فقيه قوله :

وَهِيَ الصَّرَاحَةُ مَرَّةٌ
فِي النَّفْسِ كَالصَّبْرِ الْمَذَابِ^(٢)

حيث شبه الصراحة / عقلي بالصبر / عقلي ، وذلك في القدرة على تحملها ، لأنّه لا يستطيع حملها إلا نفوس تعودت حب الحقيقة والصراحة .

ثانياً، الاستعارة والصورة

للاستعارة في الشعر قيمة بالغة ؛ وذلك لما لها من قدرة هائلة على إغفال الفوارق والحدود الفاصلة بين الأشياء ، وخلق روابط وصلات خفية بين أشياء لا علاقة بينها في منطق العقل وعرف اللغة ، وقيمة الاستعارة الحقيقية تكمن في قدرتها على التفad إلى الصلات الجوهرية والخفية بين الأشياء ، وخلق علاقات جديدة ، تسعى إلى تقديم رؤية جديدة للواقع (فالاستعارات الجديدة قادرة على إنتاج لهم جديد للأشياء ، وبالتالي على إنتاج أشكال جديدة للواقع)^(٣) وكلما كانت الاستعارة قوية عند الشاعر ، وتتميز بالسلسة مع الجدة كلما كانت استعاراته أعرف وأوسع انتشاراً .

وقد اعتمد محمد عبد القادر فقيه على الاستعارة في بناء الصورة الشعرية ، ودراسة بنية الاستعارة عنده تدور في محورين : الأول الصورة الاستعارية من منظور البؤرة والإطار والثاني الصورة الاستعارية من المنظور النحووي الدلالي

١- الصورة الاستعارية من منظور البقرة والإطار :

لا يمكن تصور أن الاستعارة يمكن أن تقوم بدورها في بناء الخطاب الشعري على أساس الوحدة اللغوية المفردة ، لأن المفردة وحدها لا يمكن أن تصبح استعارة ، ومن ثم فإن (بنية الاستعارة تتجاوز الوحدة اللغوية المفردة ، ولا تتمثل في عملية نقل أو استبدال ، ولكنها تحدث من التفاعل والتواتر بين ما يطلق عليه بؤرة الاستعارة والإطار المحيط بها ، وهذا التفاعل والتواتر بين ما يطلق عليه بؤرة الاستعارة والإطار يعتمد على نوع التداخل بين طرفيها – المستعار منه والاستعار له)^(١٧) : يقول الشاعر :

كان لي يوماً حبيب
رائع الناظرة يسبّي^(١٨)

ثم غار المصعد منا
فاذترقنا بعد قرب

يصور الشاعر السعد / معنوي بإنسان / حسي ، يغير من الشاعر والمحبوب ، ومن ثم تكون بؤرة الاستعارة (السعاد) ، وإطارها (غار) ، وتقوم الصورة الاستعارية – هنا – على أساس من التوتر القائم بين المستعار له والاستعار منه ، هيليس الشاعر الأشياء لباساً غير لباسها هتلظهر في اللوحة صورة السعد الذي يقف كإنسان : هي شخص السعد ، ويجعله إنساناً يحسد الشاعر وحبيبه ، ويتحول سعادتهما إلى تعاسة وحزن وفرقان ، ويكمّن جمال الصورة في التشخيص .

٢- الصورة الاستعارية من المنظور التحوي الدلالي :

إن التحوّل لا ينفصل عن البلاهة بأي حال من الأحوال ، فكلاهما موصى إلى الآخر ، وكلاهما مؤثر في طبيعة الآخر ، ومن ثم كانت الجهد البناء التي قام بها عبد القاهر الجرجاني في التوفيق بينهما في إطار نظرية النظم ، ومن هذا المنطلق سنقوم بدراسة الصورة الاستعارية الفعلية والصورة الاستعارية الاسمية ، والصورة الاستعارية الإضافية .

الصورة الاستعارية الفعلية :

ويقصد بالاستعارة الفعلية – هنا – أن تقع بؤرة الاستعارة في الفاعل أو المفعول به ، وقد حققت الصور الاستعارية الفعلية نقوقاً ملحوظاً في شعره ، ومن نماذج ذلك في شعره قوله :

(١) ومشي الشباب بنا معاً تحت الهجير لناؤثـ وـوب^(١٩)

(٢) آـلـوـمـ الــدـهـرـ أـمـ قـومـيـ وـجـ دـيـ^(٢٠)

(٣) مـنـ ذـاـ يـوـمـ هـوـادـاـ إـنـ بـكـ شـجـناـ أمـ طـافـرـاـ منـ حـضـينـ جـارـفـ صـدـحاـ^(٢١)

في المثال الأول وقعت بؤرة الاستعارة في الفاعل (الشباب) : فالشاعر يصور الشباب بإنسان

يُعشي ، فالمثنى من خصائص الكائن الحي ، فعندما يقول القائل مشى الإنسان يكون بذلك قد أُسند الفاعل (الإنسان) إلى ما له (مشى) ، أما حين يخرج الشاعر عن هذا الناموس المعياري التمثيلي للغة ، فيقول (ومشى الشباب) ، فليس الفاعل إلى ما ليس له ، فالشباب ليس له قدم يمشي عليها ، هذا على مستوى الإدراك السطحي والمباشر للناس بصفة عامة أما عند الشعراء فإن اللغة تتأثر على لغة الواقع ، وترفض قيوده ، وخصوصاً عندما تدخل اللغة إلى منحلة التصوير الشعري ، ولعل التوتر القائم في مثل هذه الصورة أن الشاعر - غالباً - ما يجعل بؤرة الاستعارة شيئاً مجرداً ، لا تدركه الحواس ، وهنا يمكن الإدهاش الذي من شأنه أن يثير المتنقي حول ماهية المستند والمستند إليه .

ويفت المثال الثاني يجعل الشاعر من المعمول به بؤرة للصورة الاستعارية : حيث يصور الدهر بـإنسان يلام ، بإطار الصورة ألوم ، وحدث اللوم - هنا - وقع على ما لا يلام : لأن الدهر شيء مجرد ، وقد شخص المجرد وأليس صورة الكائن ، فاللوم لا يقع إلا على كائن حي ، أما حين ينحرف الشاعر عن هذا الناموس ، ويحمل حدث اللوم واقعاً على أشياء مجردة ، غير ملموسة فإن ذلك من طبائع اللغة الشعرية وخواصها التي لا تخضع لمعطيات الواقع ، وقد يأتي الشاعر في التحس بصور استعارية متقاربة ، تنتقل فيها البؤرة الاستعارية ما بين الفاعل والمفعول ، كما في المثال الثالث : حيث يبدأ الشاعر بالصورة (يلوم هزاداً) ، فيجعل الفواد (المفعول) إنساناً يلام ، فيؤرة الاستعارة المفعول (هزاداً) ، وإطارها (يلوم) ، ثم ينتقل من البؤرة المفعولة إلى البؤرة الفاعلية فيقول (بك) ، ومن ثم يظهر الفواد في صورة الإنسان الذي يلام ويبكي .

ويلاحظ أن الاستعارة الفعلية تقوم على أساس بث الحياة والحركة في المشبه والمشبه به والصورة الاستعارية رغم كونها تتحقق من خلال التناهير الدلالية بين الفعل وما يُسند إليه سواء كان المستند ظاعلاً أو مضمولاً ، فإنه من السهل استيعابها ، وفهمها ، وإعادة الاسترجام الدلالي بين أطرافها ، وحيث أن الاستعارات الفعلية جاءت في شعر محمد عبد القادر فقيه بنسبيّة تقوّق الاستعارات الاسمية ، فإن ذلك يعني أن الاستعارة عنده تتغيّر - بدرجة كبيرة بالقدرة على إيصال الفهم إلى المتنقي - بمعنى أن الاستعارة عند الشاعر تميل إلى الوضوح ، والبعد عن الإبهام والغموض .

الصورة الاستعارية الاسمية :

غلب الطابع الحركي على شعر محمد عبد القادر فقيه ، مما أضفى على شعره نوعاً من الحياة والدينامية ، وهذا بدوره قد عمل على كثرة الصور الاستعارية الفعلية ، على حساب الصور الاستعارية الاسمية ، والتأمل في شعر محمد عبد القادر فقيه يجد أن الشاعر قلماً يستخدم

المركب الاسمي في تكوين صورة الاستعارة ، فقد جاءت قليلة – إلى حد ما – مما يخرجها من نطاق الظواهر الأسلوبية البارزة والمميزة للشاعر ، ومن نماذج الصور الاسمية في شعره قوله :

ن لنا فقد تنسى الصروف ^(٢٢)
يا رومضتي هل تذكرى —————

تكمّن بؤرة الاستعارة الاسمية في المنادى (رومضتي) ، فالجملة الاستعارة عبارة عن مركب اسمي (يا (حرف نداء) + (رومضتي) ، وعندما يتتصدر حرف النداء الجملة فإن المتوقع على الفور أن يبعد المنادى عائقاً أما حين يخرج الشاعر عن هذا التاموس ، بأن ينادي ما لا يعقل فإن ذلك يسبب للمتلقي دهشة ، فالشاعر ينادي الروضة ، ويسألهما . (هل تذكرين ^٦) وبه ذلك تشخيص للروضة في صورة الإنسان : إنه (يندمج في الأشياء ، ويقترب منها وبين الروح الإنسانية فيها ، تكون قادرة على المشاركة والإحساس بما يحمله الشاعر من مشاعر مختلفة) ^(٢٣)

الصورة الاستعارية الإضافية :

تقوم الاستعارة الإضافية على أساس إضافة أحد أعضاء لوازم الكائن الحي إلى الأشياء الجامدة أو الميتة ، أو التصورات الذهنية المجردة ، وتمتاز الصور الإضافية بمقدرتها على التركيز والتكييف ، ولذلك فإنها تحتاج إلى جهد واجتهاد من المتنبي في الكشف عن جمالها وابداعها ، وذلك غموضها .

ومن نماذج الصورة الاستعارية الإضافية قوله :

لم تزل ترحب من دهر صدانا ^(٢٤)
في ضمير الغيب أمجاد لنا

فالشاعر يجعل للغيب ضميراً ، ومن ثم فقد جسد الغيب ، وهو من المجردات ؛ وذلك من خلال إضافة خواص الإنسان له ، وهذه مزية الصورة الإضافية ، حيث تتبع للشاعر أن يضيف الشيء إلى ما لا يمكن أن يضاف إليه حقيقة ، وهذا يوحى ب مدى قدرة الشاعر الخيالية ورؤيته الفنية للأشياء من حوله ، فإذا رأى الشاعر لعناسير الوجود غير إدراك عامّة الناس لها .

المبحث الثاني

الكتابية والصورة

الكتابية بنية محاذية ، تتفق في متعلقة وسطى بين الحقيقة والمجاز ، وتعتمد حدودها المعرفية على (ترك التصريح بذكر الشيء إلى ذكر ما يلزمـه ، لينتقل من المذكور إلى المتروك) ^(٢٥) ، فالشاعر يبدأ في التصور ، ثم يجعل هذا التصور في صورة متعلق لفظي ويحمل هذا المتعلق دلالة مزدوجة ، الدال الأول (المعنى) ، وهو دال حرفي (المستوى السطحي) غير مقصود

بذااته ، أو المعنى المباشر ، وإنما رصد لفظياً ليحول بيوره إلى الدال الثاني (معنى المعنى) ، وهو الهدف المنشود من الصياغة اللفظية على المستوى العميق وعندئذ تتلاشى الدلالة الشعرية ، وتكتشف عن قصدتها ومراميها .

ومن ثم يمكن تقسيم دراسة الصورة الكتابية - هنا - على أساس من (المتنقى) و(معنى المعنى) ، بمعنى مدى قرب وبعد (معنى المعنى) من (المتنقى) : فإذا كان انتقال المتنقى من المعنى إلى معنى المعنى سهلاً ، وبطريقة مباشرة ، عبر وسيط واحد : فإن هذا ما يمكن أن يطلق عليه (الفضاء الدلالي القريب) ، أما إذا كان انتقال المتنقى من المعنى إلى معنى المعنى صعباً ، يحتاج إلى جهد ومشقة ، وبطريقة غير مباشرة ، عبر وسائل متعددة

هان هذا ما يمكن أن يطلق عليه (الفضاء الدلالي البعيد) ، (أما إذا تخفي معنى المعنى تحت عباءة الصياغة اللغوية ، ولكنه يرسل إشارات ضوئية ، دالاً على وجوده في منطلقة عميقه ، يدركها المتنقى ، بالتعامل مع الصياغة ، وما تحويه من إشارات دلالية) ^(١) ، فإن هذا ما يمكن أن تطلق عليه الفضاء الدلالي الإشاري .

١- الفضاء الدلالي القريب :

وهذا النمط ما كان يسمى في البلاغة القديمة بـ (الكتابة القريبة) ، وهي التي لا يحتاج الانتقال فيها من المعنى إلى معنى المعنى إلى إعمال روية وهكراً ، لعدم الواسطة بينها وبين المطلوب ؛ فالمسافات الذهنية بين المعنى ومعنى المعنى تقل إلى حد كبير : يقول الشاعر :

عواصف الحزن في جنبي تذهب	لكن دمعي غزير ليس ينسى بـ ^(٢)
كم ذا أهدده أشجاني وأكتمه	وكم أحس بها تنازي وتأتهب
وأفح الأمل الخابي وقد يئسست	نفسى وران عليها السأم واللغب
وكم ضحكك من الدنيا وكم وقفت	نفسى على قمم الأشجان تتنصب

استخدم الشاعر تكثيف الكتابية في فضائلها الدلالي القريب ؛ فالشاعر لا يذهب بالقارئ إلى منازع شتى في تصوره لمحتوى المعنى المقصود من الصياغة اللغوية ، فصورة الحزن تسسيطر على الأبيات ، وعندما يصدر الشاعر الأبيات بقوله : (عواصف الحزن) ، ثم يختتمها بقوله (وفدت نفسى على قمم الأشجان) ، فإنه بذلك يوجه القارئ إلى أنه حزين ، وحزنه على الماضي ، ولكنه لم يصرح بهذا ، وإنما جاء ببيانات دالة على هذا الحزن ؛ وذلك بأسلوب رشيق ؛ هيدلاً من أن يقول : إنني حزين ، يقول : عواصف الحزن تعصف بي - وفدت نفسى على قمم الأحزان ، ويدلاً من أن يقول إنني يئسست بقول أفح الأمل الخابي - ران على نفسى السأم واللغب ، فالانتقال من

المعنى إلى معنى المعنى يتم من خلال وسيط واحد فقط من خلاله ينتقل المتنقى إلى الهدف من التعبير الكتائي .

٢- الفضاء الدلالي البعيد :

وهذا التمثيل ما كان يسمى في البلاغة القديمة بـ (الكتابية البعيدة) ، ويحتاج الانتقال فيه من المعنى إلى معنى المعنى إلى إعمال رؤية وذكر : لوجود الواسطة بينها وبين المعنى المطلوب : حيث لا يتم الانتقال من المعنى إلى معنى المعنى إلا من خلال التنقل عبر وسائل متعددة ، وهذه الوسائل هي التي تتمثل الدوائر التي يتحرك من خلالها ذهن المتنقى : ليصل في النهاية إلى الهدف من الصياغة اللغوية ، غالباً ما يلجأ الشاعر إلى مثل هذا التمثيل من التعبير الكتائي للستر والاختفاء وراء الألفاظ ، وقد ظهر مثل هذا التمثيل في شعر محمد عبد القادر فقيه ؛ ومن ذلك قوله :

واحسرناه . . . نقض عمر وانحطم
قوى الشباب وما قضيت أوطاري^(١)
غربت عن معشر أهوى لقاءهم
وبيت في عشر يهون إصباري
محطمأً بعد حلول الشدو قيثاري
قد أبى في معرك الأيام منهزاً

تبأ التصيدة بمجموعة من التعبيرات السيسية التي تدخل تحت نطاق الفضاء الدلالي القريب فالشاعر يتحسر على شبابه الذي ولد دون أن يتحقق ما تمناه ، وتحول به الحال ، حيث أصبح بين قوم يضمرون له الشر ، بعد أن كان بين أحبابه والمخلصين له ، وقد عبر الشاعر نفسه في هذه الحالة التي يحياها بـ (القيثاراة المحمضة) : وهذه هي بؤرة الصورة الكتابية فالصورة ليست مباشرة ، تفضي بمكتونها إلى القارئ على نحو سريع ، وإنما لابد من التنقل عبر وسائل عديدة ، لكي يتم الوصول في النهاية إلى الهدف الدلالي من وراء هذه الصياغة اللغوية فالقيثاراة المحمضة لا شأنة منها ، ولذا ستحدث نعمة غير مستقيمة ، تؤدي إلى عدم غناء صاحبها ، وهذا ما يجسده هزيمة الشاعر ، حيث لا يستطيع التعبير عن ذاته ، ويبقى في حيرة وغربة .

واللافظ في هذه التحولات أنها تأخذ طبيعة داخلية في شكل دوائر للمعنى ؛ فالمتنقى لابد أن يتحرك حركة تراجعت ، محركاً ذهنه أماماً وخلفاً عبر مجموعة من التحولات ، يصنعها هو ، ولا تتجه الصياغة اللغوية على المستوى القريب المباشر ، ليصل في النهاية إلى الناتج الدلالي المقصود من الصورة الكتابية ؛ وهو بؤرة الاستعارة (حيرة الشاعر وانهزامه) .

٣- الفضاء الدلالي الإشاري :

يكسب هذا الفضاء أهمية كبيرة في تحليل الخطاب الشعري عند محمد عبد القادر فقيه

ذلك لأنه يعتمد بشكل كبير على استنطاق النص : هالملقى لكي يصل إلى معنى المعنى في هذا التمبل لابد أن يتحرك في الصياغة اللغوية على المستوى الرأسي للنص بأكمله ، هالصياغة بذاتها لا تتجزء بعد الكثائي ، وإنما ينتقل الملتقى من خلال الصياغة المفهولية عبر إشارات يلقى بها الخطاب الشعري في طريق الملتقى ، وعبر هذه الإشارات يتحرك ذهن الملتقى في النص حركة رأسية ، محاولاً الوصول إلى الفضاء الدلالي الكثائي المقصود : ومن نماذج ذلك في شعر محمد عبد القادر فقيه قوله :

يا تراباً كان في بدر زماناً^(١)

وتسامي يوم حطين وبانا

ارتضى الموت ولم يرض الهوانا

يا تراباً لم تزل منه بقية

في (دكا) قد صمدت للوثنية

أنفس قشرى وقباع المنية

وجباء حرقة تائب الدينية

إن الباحث عن الدلالة الكثائية في هذا النص لابد أن يتحرك في النص حركة رأسية حيث لا يمكن أن تفك شفرة الدلالة الكثائية إلا بالرجوع إلى بداية النص ، وصولاً إلى نهايته والتأمل في النص على المستوى الرأسي يجد أن هناك دالاً قد تكرر في النص مررتين وهو دال (تراباً) ، وقد تكرر في بداية النص ووسط النص ، دال (تراباً) مع تكراره في كل مرة يلقي بإشارات دلالية ، يمهد لمعنى المعنى ، إلى أن يصل الملتقى إلى آخر إشارة ، وبذلك يكون قد وقف على معنى المعنى من خلال هاتين الإشارتين المكثتين خلال الدال المكرر مررتين فالدال (يا تراباً) في بداية التصييد هو البطولات التي كانت في بدر ويوم حطين ، وفي المرة الثانية لم ينزل من بقية في (دكا) : التي صمدت ضد الوثنية ، والتحقض في هذه الصيغة وما وراءها بشيء من التدبر والروية يصل إلىحقيقة هذا التراب ، هالتراب ما هو إلا البطولات والأمجاد الإسلامية : تلك الأمجاد التي بدأت قوية في بدر وحطين ، ثم أخذ منحني هذه البطولات في الرجوع إلى الخلف ؛ وذلك بعد أن أصاب الخور والضعف المسلمين ، ولم يبق من هذه البطولات سوى بقية في (دكا) في باكستان ، التي حاربت الكفر والوثنية وقدم أهلها أرواحهم في سبيل إعلاء كلمة الإسلام ، وأصبح كفاح (دكا) محركاً للجماعة والجهاد ، ومثيراً للحمية في القلوب .

المبحث الثالث

الصورة وبناء القصيدة

البناء المركزي

يعتمد الشاعر في هذا البناء على صورة أولى ، تمثل الصورة الأم أو الصورة المركزية التي تجمع حولها كل الصور لتوضحها ، وتشرحها ، وتؤكدتها ، وتأخذ الصور الشعرية في هذا البناء نوعاً من الامتداد والاتساع ، دون أن تبدي عن الصورة الشعرية الأولى (المركزية) ومثل هذا البناء لا تشهد فيه التجربة تطوراً أو نمواً ، وإنما يسعى الشاعر من خلال هذا البناء إلى تأكيد وتعزيز الإحساس ب موقف معين ، تأكيد الصورة الشعرية الأولى (الصورة الأم) ويتم ذلك من خلال تكرار الموقف (دلائلاً لافظياً) داخل النسج الشعري للقصيدة ، ومن نماذج ذلك في شعر محمد عبد القادر فقيه قصيدة (ماذا تقول)^(٢١)؛ وفي هذه القصيدة يكشف الشاعر من حدة المأساة الواضحة ، فقد نظم الشاعر هذه القصيدة على إثر هزيمة الجيوش العربية ، واحتلال دولـة العـدوـان لـسـاحـات شـاسـعة مـنـ بلـادـ العـربـ .

يقول محمد عبد القادر فقيه :

ماذا تقول لأمي؟

ماذا تقول؟

هي نكسة بالأسبرين

سنقوم منها ناصحين

سنقوم منها كالحديد

يؤكد الشاعر على قضية واحدة ، وهي استكماره لتسمية نكبة حزيران بالنكسة ، ومن ثم فإن دخول الشاعر إلى القصيدة دخولاً سريعاً ومباغتاً إلى هذه الصورة المركزية التي تدور حولها محمل فقرات القصيدة بصورة وعبارات مختلفة ، ولكنها تجمع في النهاية لتأكيد الصورة الأولى (المركزية) ، ثم ينتقل النص إلى اللهجة الميسطة ، وعبر جمل قصيرة ومرتبطة بعبارة التي يبدأ بها كل مشهد :

ماذا تقول؟

ماذا تقول لجحفل

حضر القناه

دعيت معاوله

وما كات بداء

وقد خضعت هذه الجمل إلى حوارية الرواية المتأني؛ حيث يوضح الشاعر ضياع الجهود التي بذلت في حضر القناة بعد هذه النكبة، ثم ينتقل الشاعر إلى مشهد آخر قائلاً:

ماذا تقول ليوم حطين المجيد؟

ولعين جالوت .. ويرموك العنيد؟

ولديمة مرت على قصر الرشيد؟

ولراية تزهو بها قم النجود؟

حيث ييرز الشاعر المقارنة بين أمجاد الماضي وهزيمة الحاضر في عبارات تتلاحم في سرعة خاطفة، ثم يختتم الشاعر القصيدة برفضه إللاقنون الكتبة على نكبة حزيران، ووصفها وصفاً مناسباً وممجداً لفداحتها قائلاً:

يا شعب فاتحها

انكسار

وهزيمة جلا

وعار

وهكذا كانت الصورة الشعرية (ماذا تقول ..) منطلقاً أو مركزاً، دارت حوله باقي صور القصيدة وسعت هذه الصور لشرح وتحصيل الصورة الأم أو المركزية، ولا ينفي هذا أن القصيدة قد خضعت في بنائها للتكرار، تكرار للصورة المركزية (هي نكبة بالأسيرين)، وكان التضاد أو التقابل أيضاً يحكم الكثير من عبارات القصيدة أو صورها، والذي يعكس ذلك الموقف الحزين لهذه الهزيمة؛ الذي حول أمجاد الماضي إلى انكسار وخسارة، وقد ساعدت سرعة الإيقاع وقصر العبارات على تجسيد ذلك الموقف المتوتر الحزين، الذي لا يخلو من الحيرة والتعجب.

البناء الداخلي:

يعتمد الشاعر في هذا البناء على صورة يبدأ بها قصيده؛ وهذه الصورة تحمل تكليفاً لموقف معين أو تجربة معينة، ومن ثم تأخذ دلالته الصورة الأولى في الإبارة عن نفسها تدريجياً ونكتشف عن غموضها للمرتقي من خلال الصور المتلاحقة، ومن ثم تتبع الصور إلى أن يصل المترقي إلى نهاية القصيدة، ليجد أنه انتهى من حيث بدأ؛ إذ ينهي الشاعر هذه القصيدة

بنفس الصورة التي بدأ بها القصيدة؛ وبذلك تكمل القصيدة دورة كاملة، ويترابط أولها بأخرها، مما يجعل منها وحدة بنائية متسجمة، ومن لم كانت التسمية البناء الدايري^(٢١)، ومن نماذج ذلك في شعر محمد عبد القادر هقيه قصيدة (من بلادي سطع النور)^(٢٢). يقول الشاعر:

أيها السائل عندي من أنا
أنا أصل العرب والعرب أنا
موطنني الإسلام نهجاً وستا

وبالناظر إلى عنوان القصيدة، ثم الرجوع إلى هذه الصورة التي تكشف حالة الفخر التي يتحدث بها الشاعر؛ حيث يصور موطنه بأنه أصل العرب والإسلام، منه يشع الضوء إلى جميع أنحاء العالم الإسلامي، ثم راح يؤكد ذلك بصورة أخرى، ثم يختتم الشاعر القصيدة بنفس الصورة التي بدأ بها القصيدة، ومن لم يمكن القول بأن البناء الدايري هو أن ينتهي الشاعر بقصيدته من حيث بدأ، وجميع الصور الموجودة في القصيدة تتآزر مع بعضها البعض؛ لتأكيد الصورة الأولى وتوضيحها، وإنتهاء القصيدة على هذا النحو يعد أمراً طبيعياً؛ إذ إن تكرار الصورة الأولى في نهاية القصيدة فيه تأكيد على عدم تغيير الموقف الشعوري لدى الشاعر، رغم نمو القصيدة مكانياً، كما أنها تعان عن توقيف مد الصور المتراوحة وإنتهاء القصيدة، فبدون تكرار الشاعر للصورة عند النهاية ستأخذ الصور في تتبعها شكلاً معمداً لا نهاية.

البناء السردي أو القصصي:

في البناء السردي أو القصصي يكتفى الشاعر على قصة أو حكاية أو مشهدٍ ما، ومن ثم فإن الشاعر يلجأ إلى الامتناعية بالصور الشعرية، وبخاصة حين يعمد إلى وصف وتصوير ملامح الشخصية وسبر نفسيتها، وفي هذا البناء السردي كثيراً ما يلجأ الشاعر إلى بعض التعبيرات الحرافية لدفع الحكاية / القصيدة نحو التطور والتعمّل، ومن ثم يقوم بتحريك الأحداث والزمن داخل البناء السردي للقصيدة، ولم يكن محمد عبد القادر هقيه بعيداً عن الشعر / القصة، أو الشعر / الحكاية، فقد نلمس ظللاً باهتة أو زاهية لهذا الفن أو ذاك في كثير من قصائده، ومن ذلك قصيدة (قالت، وداعاً)^(٢٣)؛ يقول الشاعر:

قالت .. ونظرتها كما	عهدي بها نبع الحنان
سيطول بعدي .. لن أراك	وإن جهدت ولن تراني
هافت وداعاً .. هارت بكتُ	ولم أقل .. عقدت لسانى

فالشاعر / الرواقي يروي ما قالته المحبوبة : التي جاءته تودعه ، وتؤكد أنها لن تراه بعد ذلك
ثم يصور موقفه ؛ حيث التزم الصمت ، ولم يستطع الرد .

ثم يدخل الشاعر في صلب التجربة ، وموضحاً السبب في ارتباكه وعم قدرته على الرد :

لم يبق لي شيء أقدمه	فقد نضبت ذئاني
لم يبق لي شيء أقدمه	ولا عيش التحمس أبي
لم يبق لي غير الدموع	وحسرة ملأت إهسايني
دفعت أحلام الصبا	ووأدتها بين التراب

حيث يوضح الشاعر أن المحبوبة قد جاءته بعد فوات الأوان ، وبعد أن تجاوز مرحلة الصبا وأصبح عاجزاً عن التواصل معها ، ومشاركتها الإحساس الذي ترجيه ، ولذا ختم الشاعر بهذه
الصورة (دفعت أحلام الصبا ووأدتها بين التراب)

هوامش الفصل الثالث:

- (١) صالح فضل / نظرية البنائية في التقد الأدبي / مكتبة الأنجلو المصرية، د- ت.
- (٢) محمد حسن عبد الله / المصورة والبناء الشعري / ١٧ / دار المعارف / مصر / ١٩٨١م.
- (٣) بشرى مصطفى صالح / من فحصا الشعر ونقده / ٢٢٢ / دار الثقافة العربية القاهرة .
- (٤) جابر عصفور / المصورة الفنية في التراث البلاغي والتقي / ٢٠٨ / دار المعارف / القاهرة د- ت.
- (٥) شفيق السيد / التعبير البياني رؤية بلاغية تقديرية / ٢٨ / دار الفكر العربي / ط٢/١٩٨٨م.
- (٦) التجمومة الكاملة / ٩١٠-٩٠٧ .
- (٧) السابق / ٨٣١ .
- (٨) السابق / ٦٩٩ .
- (٩) رمضان سادق / شعر عمر بن القارض دراسة أسلوبية / ١٢١ / الهيئة المصرية العامة للكتاب / ١٩٩٨م
- (١٠) التجمومة الكاملة / ٤٤٢ .
- (١١) السابق / ١٠٢ .
- (١٢) السابق / ٩٩ .
- (١٣) حقني محمد شرف / إعجاز القرآن البياني بين النظرية والتطبيق / ٢٧٥ / المجلس الأعلى للشئون الإسلامية .
- (١٤) التجمومة الكاملة / ٢٨٩ .
- (١٥) السابق / ١٠٩ .
- (١٦) سعيد الحنساني / الاستعارات والشعر العربي الحديث / ٢٠ / دار توبيقال للنشر / ٢٠٠٥م .
- (١٧) صالح فضل / بلاغة الخطاب وعلم النحو / ١٥ / سلسلة عالم المعرفة / ١١٢ / ١٩٩٢م .
- (١٨) التجمومة الكاملة / ٧٩٥-٧٩٦ .
- (١٩) السابق / ٧٢ .
- (٢٠) السابق / ٨١٣ .
- (٢١) السابق / ٦٨٩ .
- (٢٢) السابق / ١٥٠ .
- (٢٣) محمد أيوب موسى / دلائل التراكيب / ٣٦٦ / مكتبة وهبة / القاهرة / ط١/١٩٧٩م .
- (٢٤) السابق / ٤٦ .

(٢٥) المساكي / مفتاح العلوم / ٤٠٢

(٢٦) محمد عبد للطلب / البلاغة العربية قراءة أخرى / ١٩٤ ، لونجمان ، ط١ ، ١٩٨٢ م

(٢٧) السابق / ٤٠٣-٤٠٤

(٢٨) السابق / ٨٤١-٨٤٠

(٢٩) السابق / ٧٧٠

(٣٠) السابق / ٥٠

(٣١) شكري الطوتسى / السابق / ٤١٦

(٣٢) المجموعة الخامسة / ٤٤٢

(٣٣) السابق / ٢٧٧

الفصل الرابع

المجسم الشعري عند محمد عبد القادر فقيه

إن الشاعر حينما يتعامل مع اللغة ، لا يتعامل معها في إطارها المحدود والمحدد ، وفقاً للقواعد والأنماط المترافق عليها ، وإنما يكون له الحرية في كيفية التعامل مع اللغة فالشاعر يملك حرية الاختيار من بين العديد من المفردات والآلفاظ ، وهذا ما لا يملكه الشاعر عند التعامل مع البناء اللغوی - النحوی / الترکیبی : حيث إن حدوث أي تغير في بناء الجملة يكون متضوراً على بعض الانحرافات / الانزياحات المحدودة والمتحدة له من خلال قواعد اللغة .

أما في حالة انتقاء الشاعر و اختياره لمفردات لغته الشعرية / مجسمه الشعري يكون لديه الحرية الكافية التي تمكّنه من الاختيار والتوزيع : اختيار مفردات من اللغة ، تتوافق مع تجربته الشعرية ، وجوهاً النفسية ، وعاصفتها النفسية ، ومقدرتها اللغوية والفنية ، وعلى من يتصدى لدراسة المعجم الشعري عند شاعر ما أن يقوم برصد وجودة المفردات عن طريق الإحصاء فقط ، وإنما يجب أن يراعي تطور المفردة تبعاً لسياقاتها المختلفة ، وعدم فصلها عن هذه السياقات ؛ حيث إن الكلمة لا يتجسد معناها إلا من خلال السياقات الواردة فيها ، فالكلمة تتعلق بغيرها من المفردات الأخرى دلائلاً / وتركيبياً .

من هنا يقوم هذا الفصل بدراسة المعجم الشعري عند عبد القادر فقيه من خلال دراسته للحقل الدلالي أو الحقل المعجمي؛ والذي هو (مجموعة الكلمات التي ترتبط دلالاتها ، وتوضع عادة تحت حقل لفظ عام يجمعها ، مثل ذلك كلمات الألوان في اللغة العربية ، فهي تقع تحت المصطلح العام (ألوان))^(١) ، ولهذا يعرف معنى الكلمة بأنها محصلة علاقتها بالكلمات الأخرى داخل الحقل المعجمي)^(٢) ، وعلى ذلك يقوم البحث بدراسة الحقول الدلالية للمفردات الأكثر تواتراً في أعمال الشاعر ، والتي تمثل موضوعات أساسية وقضايا ملحة و مهمة لدى الشاعر ، والبحث في اختياره لهذه لم يكن عشوائياً ، وإنما كان اختياراً واعياً منظماً ، يعني - تماماً - أهمية هذه الكلمات ، والتي تمثل هموم الشاعر وهضامه ، وتثير عن الرؤى المتوجلة به ومن ثم فإنها ترسم ملامح الشاعر الأسلوبية والفنية ، وقد رأى البحث في هذه الدراسة أن يتبع أنماط المفردات عند محمد عبد القادر فقيه في خمسة حقول أساسية : هي الزمن والموت والألوان والطبيعة والقرية والمدينة .

أولاً: الآلفاظ الدالة على الزمن

يعتبر الزمن القلق الدائم الذي يعانيه الإنسان بصيغة عامة ، والشاعر بصيغة خاصة : فالزمن

يمثل الخبرة الأساسية التي تمثل معارف الشاعر ورؤاه الخاصة وال العامة ، والزمن يقوم بدور مهم على مستوى (الدرء الفيزيقي) أو (الزمن النفسي) ؛ هائز من الفيزيقي / الوقت يمثل الواقع والحوادث التي يمر بها الإنسان في زمن محدد ؛ إنه (.. مجرد تابع للحوادث)^(١) أما الزمن النفسي فإنه يمثل خبرة الشاعر الذاتية ، وهنا تتسع دائرة الزمن ؛ حيث إنه (أعم وأشمل من المسافة (المكان) ؛ لعلاقته بالعالم الداخلي : الانطباعات والانفعالات والأفكار التي لا يمكن أن تضفي عليها نظاماً مكانياً)^(٢) .

ولكل إنسان زمنه الخاص الذي يعيش فيه دون غيره ، زمن يشكل خيراته وهمومه وانفعالاته الخاصة التي لا يشاركه فيها أحد ، فالزمن الواحد قد يراه أحد الناس زماناً جميلاً ويراها غيره من الناس زماناً تعسراً زائفاً ، وكل إنسان يظهر موقفه من زمنه من خلال ما ينطلق من الفاظ ، وما يتحدث به في حواراته المختلفة ، وبالوقوف أمام مفردات الزمان الواردة في شعر محمد عبد القادر فتحي (زمان - زمن - حاضر - الماضي - السنين - الأمس ..) يتبيّن لنا مدى رؤية الشاعر لعالمه ؛ وهي رؤية تطلق من إحساس محبط ، مثقل بالهم ، مبعثه الإحساس الدائم بوطأة الحاضر ، وقسوته ، وعدم القدرة على مسيرة الأيام وتتابع الزمان بيد أنه يحاول - دائمًا - الهروب من هذا الإحساس المحبط ، والتخلص منه بتذكر الماضي السعيد الذي تمنع فيه يالوصال ، وذاق فيه أقاويب السعادة .

لقد ثبت محمد عبد القادر فتحي زمانه وحاضره بشعره كثيرة ، كلها تدينه ، وتعلن رفضه القاطع لما يحمله من سوءات ، فالزمن الحاضر عنده (ضئيل - خائن - قاسي - لا يرحم ..)

يقول محمد عبد القادر :

لابد من دفع العتاب^(٤)

على الزمان الضئيل

تفتئل الذات الشاعرة واقعها ، وتعبر عنه ؛ حيث يعاتب zaman الذي كان ضئيلنا ؛ فقد ضن عليه بالسعادة التي يستمدّها من ذكريات الهوى والشباب .

ويقول :

لم آخر مهدك بل خان الزمان^(٥)

قدر يرسم مسرانا على أرض الهوان

حيث يعبر الشاعر عن إحساسه تجاه الزمان بطريقة سردية مباشرة ؛ حيث يلقي بالمسؤولية على الزمان الخائن ؛ الذي هرق بيته وبين المحبوبة .

أما الزمن الماضي هيأتي - دائمًا - رغم ندرة الكلمات الدالة عليه - قياساً إلى الزمن الحاضر - جميلاً ، يرتبط بالذكريات والجمال ، محملاً بالحلم ، يلقي بظلاله على الحاضر ، يتثبت به الشاعر ، ويسترجمه ؛ ليتحقق للنفس الإحساس بالسعادة والشعور بالهناء .

يقول الشاعر :

أيها الماضي ألا من مسوودة
أم تراني أرجو ما لا يرام^(١)
آه .. لوعدت لعادت بسماتي
وسمعت الكون صداح النشيد
لتغيرت بروحني وسماتي
وترسمت حياتي من جديد

تكشف الأبيات عن حالة شعورية ومعاناة ، دعت الشاعر بدورها إلى محاولة استرجاع ماضيه الذي مازال يفرض سلطوته على الحاضر ، وما يلقي بظلاله ، وما استرجاع الماضي إلا رغبة عارمة في الهروب من الواقع آني ، رديء ، أملاً في التخلص من شدة وقته ، وإيلامه لها ويتمثل هذا الإيلام في حرمانه من أحب ، وتعلق قلبه به في زمن جميل مضى ، ولكن محاولات الشاعر التثبت بالماضي واسترجاعه بوصفه عوضاً عن حاضره المظلم ، الكثيب لم تفلح ، لذا ينظر إلى مستقبله ، عاقداً عليه الأمل من حين إلى آخر .

والمتأمل في شعر محمد عبد القادر فقيه يجد قلة حضور الكلمات الدالة على المستقبل ، قياساً إلى غيرها من الكلمات الدالة على الحاضر أو الماضي ، وهي كلمات تحمل - دائمًا - معنى التفاؤل بعد أكثر إشراقاً تبدل فيه الظروف إلى ما هو أفضل ؛ يقول الشاعر :

وانطقتنا نزحم الدرب فقد شام الإله^(٢)

أمة تبني لأنفاسها وتبني للحياة

للفد المشرق وضوء على سمر الجيادة

حيث يرى أن الأمة الإسلامية قد امتلكت أساس السعادة في الدارين ، وعلى هذا الأساس تمثل القدرة على صنع الفد المشرق الوضاء .

ثانياً، الانهاك الدالة على الموت والجدب :

يعيش الإنسان - دائمًا - في جدلية بين الحياة والموت ، فهما ضدان ، الموت ضد الحياة لا بالتفاوت أبداً ، الموت يمثل القلق الدائم ، والحقيقة الأبدية التي يعانيها الإنسان بصفة عامة والشعراء بصفة خاصة ، فالشاعر - دائمًا - يسعى إلى الحياة السعيدة ، رغم اعتقاده بحقيقة وحنيمة الموت والفناء ، وهذه الجدلية تمثل التوتر الشعري عند محمد عبد القادر فقيه ، وهذا

التوتر ناتج عن حاجة الذات إلى الحياة ، واصطدامها بالواقع الخارجي ، والحقيقة الكائنة في الموت ، ومن هذا وذاك يتولد التوتر النفسي لدى الشاعر . ليمكن ذلك على أدائه الشعري بالخرج علينا بمعنولمة شعرية ، تحمل فلاسفته الخاصة آراء هنري ، الموت والحياة .

والقارئ لأعمال محمد عبد القادر فقيه يدرك أنه سوداوي للألفاظ ، فقد تواترت لفظة الموت تواترًا كبيراً في أعماله، ولعل هذا التواتر الكبير للألفاظ الموت لم يأت عشوائياً، أو دون وعي أو هدف دلالي، خطأته التعبيرية ، ودسمت حدوده وأبعاده الدلالية أو التفسيرية والفتنة .

دقول الشاعر :

١٠ «مبدأ في ذلك» لـ الله، فـ شرب الموت كالعسل،^(٤)

«إنما المسوّت غاية هلتكن غاية جل»

حيث يتحدث الشاعر عن الداعية الإسلامي الكبير سيد قطب - رحمة الله - الذي قابل حكم الإعدام بابتسامة عريضة ، وكأنه يقول لجلاديه - وهو بيتسم - إنه لا يخاف الموت ، بل يشربه كالعيش : فالموت نهاية كل حي ، ولذا فلا يلزد أن تكون هذه القافية لهدف عظيم .

ويرى الشاعر أن الحب اليائس هو:

كل حب كان لي أهل فدوى كالأخرين الأكشن⁽⁴⁾

مات من يأس ومن ظمآن
لية اذ مات لم يكن

ورغم أن الذات تشთق إلى الحياة ، وتحن إلى الحياة السعيدة إلا أن الواقع بسط وته الجائرة قتل كل رجاء ، هد يكون ثبات في صدر الذات ، وأوقفها على الحقيقة التي تقر إليها الذات ! وهي أن الإنسان قد يجد في الموت لذة ، وذلك عندما تدمن الكراهة .

إذا ديمست الكراهة يوماً إن في الموت واحداً من يصتها^(١)

فما الموت خالياً جداً منها **إذا كان للحياة لذادات**

المثير والنكبات المضحكة :

أحاديث كثيرة
فاستمع يا قبر كم عندي
من شجى يطفئ الدمع
وأخرى بار مثيرة
ونكبات تضحك الروض
وتسعدني عبيره

ثالثاً ، الألطفاظ الدالة على اللون

إن الشاعر لا يتعامل مع مفردات اللغة تعاملاً عشوائياً ، إنما يتعامل معها تعاملاً خاصاً ، منظماً ، يعمد الشاعر إلى توظيفه توظيفاً دلالياً وصوتياً وتركيبياً : إنه يضفي على المفردة من ذاته ومشاعره وحواسه ، ما يجعل هذه المفردة وكأنها قد التصقت به التصاقاً . ومن ثم فإن الشاعر من خلال تجاربها يقوم بتأليل دلالات جديدة لمفردات الألوان : إنه (يصنع من الألوان نظاماً رمزاً خاصاً ، يتشابه أو يتعارض مع رمزية الألوان في موروثه ، معنى هذا أن الألوان في التجارب الشعرية وغير الشعرية أيضاً لا تتمتع بقيم دلالات ثابتة على نحو مطلق)⁽¹³⁾

استخدم محمد عبد القادر فقيه من الألوان (الأسود والأبيض والأحمر والأخضر) وبعد اللون الأسود من الألوان الواردة بكثرة في شعره ، ويأتي معبراً عن عدة دلالات : فقد يأتي معبراً عن دلالات الحزن والكآبة : وذلك في مثل قوله :

يا شعب قاتعتها⁽¹⁴⁾

انكسار

وهزيمة جلا

وعار

قد سودت وجه (اليسار)

وهكذا يتمثل الشاعر الواقع أليماً وكتبياً ، متسلحاً بالسواد والأسى والزيف والانكسار والعار فالشاعر يخلع على وجه اليسار من الحزن والتشاؤم والذلة ، فيكسبها صفة السواد ، الذي يرى عالمه بلونه ، وذلك بسبب الهزيمة .

ولم يكتف الشاعر بلفحة السواد أو الأسود للتعبير عن الكآبة والحزن والتشاؤم ، وإنما تجاوزها إلى تداعيات اللون الأسود ، وما يندرج تحته من حقول دلالية : ومن هذه الحقول (الليل والظلم) : يقول الشاعر :

ذلك ومن حولي الظلام⁽¹⁵⁾ شيمتها والليل محـ

حيث يصور الشاعر حالته عندما شيع مفلته التي ماتت ، وهي مازالت في مهدها ، والليل والظلمة - هنا - يخرجان عن دلالتها ، إلى دلالة أخرى : فقد جاء كل منها ليعكسا حالة الحزن والكآبة التي يعيشها الشاعر بعد موت مفلته .

وقد يأتي اللون الأسود دالاً على الحسن والجمال ؛ وذلك عندما يتحدث عن المحبوبة ويقول :

ممراً إن خطرت فالدرب أخشنية
مخضلة وحنين لا هف وصبا^(١٦)

وأحياناً أخرى يأتي اللون الأسود دالاً على القوة والشباب ؛ كما في قوله :

مع في سوادي كالتحصال^(١٧)
والشعرة البيضاء تـ

هوصف الشعرة البيضاء في مقابل اللون الأسود (سوادي) يدل على الشباب والقدرة .

واللون الأبيض من الألوان الواردة في قائمة الألوان في شعر محمد عبد القادر فقيه ، وقد جاء استخدامه له مرتبطة بالناديات والمعنويات (أحلامنا البيض - الضحكة البيضاء - السيفون البيض - أحبابنا البيض - الأماني البيض - الرمال البيض - المعاني البيض) ، ويرتبط اللون الأبيض في أصل جملته بأصل الموضعية ؛ حيث الصفاء والأمل والتفاؤل والسكنية والرفقة والشفافية والسلامة .

يقول الشاعر :

أهلًا بمن زارتني والشوق يدتيـه
والذكرىـات من الماضي تـادـيه^(١٨)
أحبابـناـ البيـضـ فيـ ظـلـ (ـ الحـفـاظـ)ـ يـهمـ
ضـوءـ عـلـىـ عـلـمـ رـفـتـ حـواـشـيهـ
فـقـدـ جـاءـ وـصـفـ الـأـجـابـ بـالـبـيـاضـ دـالـاـ عـلـىـ الصـفـاءـ وـالـنـقاءـ .

كما جاء اللون الأبيض دالاً على القوة والشجاعة والبطولة في قوله :

الـخـيلـ تـصـهـلـ فيـ سـاحـاتـهاـ مـرـحاـ
وـالـبـيـضـ تـلـمـعـ ،ـ وـالـتـارـيخـ يـرـتـقبـ^(١٩)

حيث جاءت لفظة (البيض) معبرة عن السيفون التي تلمع ؛ وذلك في معرض مدح الملك عبد الله بن عبد العزيز .

كما جاء اللون الأبيض وصفاً رمزاً للأمانى في قول الشاعر :

الأـمـانـيـ الـبـيـضـ خـافـقـةـ
حـولـهـ كـالـأـنـجـمـ الزـهـرـ^(٢٠)

فالبياض لم يعد وصفاً واقعياً للأمانى ، وإنما هو وصف رمزي له ، ينتقل به إلى آفاق رمزية تتجاوز دلالته الوضعية ، فالأمانى البيض أي التي لا رباء فيها ، والتي تبعث في النفس السلام والطمأنينة وراحة البال .

ولم يكتف الشاعر بلفظة الأبيض أو البياض ، وإنما تجاوزها إلى تداعيات اللون الأبيض وما يندرج تحته من حقول دلالية ؛ مثل (الجليد - الثلج - البرد) ؛ فقد جاء اللون الأبيض معبراً عن الطهارة والنقاء في لفظتي الثلج والبرد في قوله :

هذى الفيوم لها غيم يمسا ثلها
بالنفس فاغسلها بالثلج والبرد ^(١)

حيث يدعو الشاعر الله - سبحانه وتعالى - أن يطهر نفسه من الذنوب بالثلج والبرد . واللون الأحمر من الألوان الشائعة في شعر محمد عبد القادر هقيه ، وهو يمثل لواناً من محدودية الرؤية في شعره ، بانتصاره - غالباً - إلى تجربة الحب دون غيرها ، كما ينصرف اللون في الغالب إلى الواقع المادي ، ظلم يرد مرتبطاً بالمعنويات سوياً مترين في قوله (حمر الرغاب) ، و(العاني الحمر) ، والنتائج الدلالية للحالتين هو الحب والجمال والحيوية وتباين دلالات اللون الأحمر لتفسير في اتجاهين متباينين ، يتصل أحدهما بالحزن والألم ، ويبعد الآخر عن دلالة الحزن ليقترب من دائرة الارتباط والبهجة والسعادة : حيث يأتي دالاً على التوفيق والحيوية : وذلك في وصف جمال المرأة وشبابها وحيويتها في قوله :

أي شيء هناك يا حلو الذي أغرى بياني ^(٢)

أخمبل الورد في خديك أم لو الجمان

كما يأتي اللون الأحمر مرتبطاً بالحزن والألم في لون النار والحرق في قول الشاعر :

وتلاقينا وقد هات الأوان ^(٣)

نحن يا أخت رماد ودخان

وبقايا من حريق للزمان

كما يأتي معبراً عن الشجاعة والبطولة في لون الجراح والدماء في قوله :

ماذا تقول لجحفل ^(٤)

حضر القتام

دميت معاوله

وما كلت يداء

واللون الأخضر من الألوان الواردة في قائمة الألوان في شعر محمد عبد القادر هقيه وتوسّع معظم دلالاته في شعره - غالباً - (حول الأمل والتفاؤل والسعادة والخير والنمو والجمال ويفعلي هذا اللون مساحة كبيرة من المفردات المادية والمعنوية : فمن الماديات (المروج - الحقول -

الربيع - الروض - الحقل - الواحة) ، ومن المعنويات (الحنين الأخضر - العمر أخضر) ، ويأتي اللون الأخضر دالاً على الخير والنماء : حيث يعبر الشاعر عن ذكرياته في ليلة مع المحبوبة في قوله :

وَبِلَيْلٍ .. مَا كَانَ أَقْصَرُ لِيَتَهَا
أَمْطُولُهَا .. وَالذَّكْرِيَاتِ تَطْلِيلٌ
سَرِينَا بِهَا وَالسَّيْدِرِ يَسْطَعُ وَالسَّنَا
وَإِنْ هَلْ شِمْتُ الرُّوْضَ أَخْضَرَ يَانِعاً

وقد يضفي الشاعر على الأشياء المعنوية غير المحسوسة صفة الخضراء فيكتسبها البعد الرمزي ، ويلونها باللون الذي يخدم تجربته وحالته المزاجية والت نفسية : وذلك حينما يجعل العمر أخضر : ومن ثم فإننا نجده يدخل الممر - وهو لا مرئي - في حيز المدركات المرئية وفيه ذلك تعميق لدلالة الخضراء : وذلك في قوله :

لَكُمُ الْعَمَرُ أَخْضَرُ الرُّوْضُ رِيَانٌ
وَعُمْرِي مُشَارِفُ لِلذِّيْبَوْلِ

رابعاً ، الألفاظ الدالة على الطبيعة

الطبيعة هي (جملة الكائنات في نظمها المختلفة من أرض وسماء وسموس الكوسموس أو الكون ، وتقابل الإنسان)^(١٧) ، وقد حظيت الطبيعة في شعر محمد عبد القادر فقيه باهتمام كبير وخصص لها مساحة غير قليلة في شعره ، ومن مفردات الطبيعة الواردة في شعره (النجوم - الطلود - النهر - الرياح - الصخر - النيل - الشمس - الشجر - الواحة - الصحاري - الليل - السماء ...)

يمكن محمد عبد القادر فقيه - كشاعر رومانتي - ميلاً واضحاً نحو الطبيعة فكثيراً ما يفر إليها من قسوة الحاضر وألامه ، يفضي إليها بمشاعره ، ويخلع عليها من أحاسيسه ببطيل جلوسه عندها ، يستمع إليها ، وإليها يبوج : وذلك كمادة الشعراء الرومانطيكيين الذين (يرون في الطبيعة أصدقاء ، يشفقون على بلاوهم ، ويجدون في النهر والجبل والبحيرة والشجر شواهد على حبهم ، تعطف على وجدهم ، وتبكي لأساهم)^(١٨) يقول الشاعر :

يَا رُوْضِتِي الْفَنَاءِ كُم
ذَكْرِي لَهَا قَلْبِي يَشْوَقُ
يَا رُوْضِتِي رَحْلُ الصَّبَابَا
وَتَشَاءُرُ الشَّمْلِ الْأَلْوَافِ

وَيَقُولُ :

يَا نَجْوَمُ الْأَسْبَيلِ أَصْنَى
وَاسْمِعِي وَجْدِي وَحْبِي^(١٩)
رَائِعُ النَّظَارَةِ يَسْبِي
كَانَ لِي يَوْمًا حَبَّبَ

على أن الشاعر لا يقف من الطبيعة عند حدود الإضفاء النفسي ، بل يرفعها إلى مرتبة الرمز : فالليل رمز الحزن والأسى ، كما يأتي الليل رمزاً للقوة والشباب والحيوية : وذلك ما رأيناه عند الحديث عن دلالة اللون الأسود ، والملوّج رمز القوة والبطولة :

شعب الملايين الذي خفت راياته كالسموج في البحر^(٢٣)

والريح ترمز - أحياناً - إلى الرقة ، وأحياناً إلى القوة التي تعصف بوجود الإنسان وتمكّن مكابدهاته وألامه :

ترفقت بندى العشب وأزهار^(٢٤) أو كالرياح إذا رقت نسائمها

تلاعيب يعنّي الدوح كالأكر وان يثر ببراح الأرض ثائرها

والشمس ترمز للنور والأمل :

أود لو أبصرت شمس النهار^(٢٥)

إلى حيث المنازل عند الباكور

والطود يرمز للقوة والصمود :

كالطود .. ما حلت المواسف والقواصف قامتي^(٢٦)

خامساً: الألفاظ الدالة على المدينة والقرية

تعد مفردتا «المدينة» و«القرية» من مفردات المكان عند محمد عبد القادر هقيه ولكن لا يحفل حديث الشاعر عن المدينة بكثير من التفاصيل المادية كالهياكل والشوارع والمباني ، كما أن ما يقدمه لها من أوصاف وعلامات نفسية وسلوكية يتضاءل لتصبح المدينة كياناً مجرداً ، أكثر منها مكاناً واقعياً ، رغم هذا تظل رؤية الشاعر للمدينة هي في حقيقتها رؤية لواقع الذي يحيّه ، أو الذي يتمتع به : فقد يرسم الشاعر صورة المدينة التي وقعت تحت طائلة الطالبين :

لم يحرروا القدس .. إلا بعدما احترفت منا .. وفيما .. قداست لهتبع^(٢٧)

فكم مساجد قد أقوت وكم قيم وكم مبادئ فيها التيار تدلع

يتحدث الشاعر عن الحرير الذي شب في القدس ، وبالرغم من أن في حرير القدس ظلماً من المستمر ، لكنه يرجع ذلك إلى العرب أنفسهم : الذين تخلوا عن قضيّتهم ، وتقرّروا .
ويتحدث عن فلسطين فائلاً :

قد من عهد وأرض العرب هاجمة أحلامها وقوتها بين أصفاد^(٢٨)

ولولا فلسطين ما هزت قوادها ولا انتحس من إباء كل رقاد

لتحسين الحرب .. قالوها مكابرة ومن لها غيركم يا أمة الخاد

حيث يستهض الهם ، ويشحذها للوقوف مع القضية الفلسطينية ويتحدث عن مكة قائلاً :

شبت حمامٌ بـ تـارـيـاـضـ وـأـنـسـرـ (١٧) كـيفـ الرـجـوـعـ لـأـرـضـ مـكـةـ بـعـدـمـاـ

فـيـهـاـ الـبـرـاعـمـ وـاسـطـابـ الـمـعـشـرـ وـتـعمـقـتـ فـيـهـاـ الجـذـورـ وـأـيـنـعـتـ

فـمـدـارـجـ الـأـحـبـابـ قـدـ عـصـفـتـ بـهـاـ (ـوـدـرـكـتـرـ)ـ فـمـدـارـجـ الـأـحـبـابـ قـدـ عـصـفـتـ بـهـاـ

نـقـفـاـ يـهـ صـوتـ الـرـيـاحـ يـزـمـجـرـ وـغـدـتـ مـعـابـرـ لـلـمـشـاةـ وـبعـضـهـاـ

يـحـنـ الشـاعـرـ إـلـىـ الصـورـةـ التـيـ كـانـ عـلـيـهـ الـحـيـاـةـ يـفـيـدـ مـكـرـمـةـ قـدـيـمـاـ؛ـ حـيـثـ

الـعـشـرـةـ الطـلـيـةـ بـيـنـ الـأـهـلـ وـالـأـحـبـابـ،ـ وـأـطـاحـ الـمـدـنـيـةـ وـالـتـحـضـرـ بـكـلـ هـذـهـ الـعـلـاقـاتـ الـطـلـيـةـ التـيـ

كـانـتـ تـجـمـعـ أـهـلـهـاـ .ـ

ويـتـحدـثـ عـنـ تـرـابـ يـدـرـ الذـيـ كـانـ مـكـانـاـ لـلـبـطـولـةـ وـالـأـمـجـادـ قـائـلاـ :

يـاـ تـرـابـاـ كـانـ يـقـيـدـ زـمـانـاـ (١٨)

وـتـسـامـسـ يـوـمـ حـطـلـينـ وـبـيـانـاـ

أـرـتـضـنـ الـمـوـتـ وـلـمـ يـرـضـ الـهـوـاـنـاـ

وـبـيـكـيـ عـلـىـ الـرـيـبـ الذـيـ أـقـرـرـ،ـ وـلـمـ يـعـدـ فـيـهـ أـنـيـسـ قـائـلاـ :

يـاـ رـيـبـ أـقـرـتـ مـنـ أـنـسـ وـإـنـشـادـ (١٩)

هـذـيـ الـحـقـوـلـ جـفـاـهـاـ الـحـسـنـ مـقـفـرـةـ

يـكـلـ خـلـبـيـ بـدـيـعـ الـحـسـنـ مـيـادـ

حـيـثـ يـبـكـيـ الشـاعـرـ عـلـىـ رـبـهـ الذـيـ أـقـرـرـ،ـ وـلـمـ يـعـدـ فـيـهـ أـنـيـسـ أوـ مـسـتـمـعـ لـهـ،ـ هـقـدـ خـلـاـ هـذـاـ

الـرـيـبـ مـنـ الـحـسـنـ وـالـجـمـالـ،ـ وـيـعـدـ أـنـ كـانـ حـافـلـاـ بـالـأـهـلـ وـالـأـحـبـابـ،ـ أـصـبـحـ خـاوـيـاـ مـقـفـراـ .ـ

وهـكـذـاـ فـيـنـ صـورـةـ الـقـرـيـةـ وـالـمـدـنـةـ،ـ كـلـاـ مـنـهـمـ يـحـمـلـ دـلـالـتـيـنـ؛ـ الدـلـالـةـ الـأـوـلـىـ هـيـ الدـلـالـةـ الـمـشـرـقـةـ

الـتـيـ تـبـعـتـ عـلـىـ الـأـمـلـ وـالـتـقـاؤـلـ،ـ وـالـدـلـالـةـ الـأـخـرـىـ هـيـ الدـلـالـةـ الـقـاتـمـةـ الـمـظـلـمـةـ؛ـ وـهـيـ (ـالـوـاقـعـ)ـ

الـذـيـ يـبـعـثـ عـلـىـ الـهـيـأـنـ وـالـتـشـاؤـمـ،ـ وـيـلـاحـظـ أـنـ الدـلـالـةـ الـثـانـيـةـ تـؤـدـيـ إـلـىـ الدـلـالـةـ الـأـوـلـىـ؛ـ حـيـثـ إـنـ

الـوـاقـعـ الـكـلـيـ يـسـتـفـرـ الشـاعـرـ نحوـ مـحاـوـلـتـهـ فيـ تـحـقـيقـ الـأـفـضـلـ،ـ وـمـنـ ثـمـ يـدـخـلـ فيـ دـلـالـةـ الـإـشـرـاقـ

مـتـطـلـعاـ إـلـىـ مـسـتـقـبـلـ أـفـضـلـ لـهـذـهـ الـمـدـنـةـ فيـ ظـلـ سـيـادـةـ الـحـرـيـةـ وـالـحـقـ وـالـعـدـلـ وـالـأـمـانـ وـالـمـساـواـهـ وـهـيـ

قـيمـ كـثـيرـاـ مـاـ أـلـجـ عـلـيـهـ الشـاعـرـ فيـ خـطـابـهـ الشـعـريـ .ـ

الخاتمة

من خلال تلك الوقفة الطويلة أمام شعر « محمد عبد القادر فقيه » يتضح لنا ما يأتي :

- ١- تمتد الموسيقى الصوتية في الفحشاد على مساحة البيت كله ، سواء كانت هذه الأصوات معزولة عن دوالها أو محصورة فيها .
- ٢- استخدام الشاعر لينية الحذف يمكن أن يخدم المعنى ، ولا يخصي به إلى الفموض والإبهام فالحذف من أبرز التغيرات التي تصيب بنية الجملة .
- ٣- إن تحريك الألفاظ من أماكنها إلى أماكن أخرى من خلال بنية التقديم والتأخير ليس غاية ينتهي إليها الشاعر وإنما هي وسيلة يستخدمها الشاعر ؛ ليتمكن من طرح الدلالة ، وتوضيح أبعادها
- ٤- والتكرار من الوسائل الكمية التي تحقق للجملة اتساعاً على المستوى التركيبي والدلالي غير أنها لا تتحقق تلاحمًا قاماً بين المكونات المضادة بفعل التكرار ، ولكنها تظل مفتقرة إلى المكون الرئيس في الجملة .
- ٥- يتميز الإنشاء الظاهري (نهي - استفهام - أمر - نداء - تمني) بالإمكانات التوليدية حيث خروج البني الإنشائية عن دلالتها الأصلية إلى دلالات أخرى ميئافية جديدة .
- ٦- إن أدوات التشبيه بوصفها ظاهرة أسلوبية تؤثر في تلوين الصورة التشبيهية تأثيراً إيجابياً حيثما تأتي أداة التشبيه متلائمة مع البيت تلائماً دلائياً يساعد على شراء الصورة في بنية الخطاب الشعري ، أو تأثيراً سلبياً حيثما تأتي غير متلائمة في البيت ، فلقة في موضوعها خالية من التلاؤم الدلالي .
- ٧- الاستعارة كعنصر أساس في تكوين الصورة الشعرية ليست بسيطة وساذجة ، وإنما هي في حقيقتها تركيبة مقدمة : إذ تحمل بين طياتها دلالتين : الدلالة الأولى هي الدلالة السطحية التي بها وعن طريقها نحصل إلى الدلالة العميقية التي هي المراد من هذه الاستعارة والمتلقي لا بد أن يقف على الدلالة الأولى حتى يستطيع من خلالها أن يستكشف الدلالة الثانية العميقية التي تمثل الصورة على حقيقتها .
- ٨- لا ينفصل النحو عن البلاغة بأي حال من الأحوال ، وكلاهما موصى إلى الآخر ، وكلاهما مؤثر في طبيعة الآخر ، ومن ثم كانت الجهود البناءة التي قام بها عبد القاهر الجرجاني في التوفيق بينهما داخل إطار نظرية النظم ، ولكن يتحقق البحث هذا الهدف لا بد أن يقوم بدراسة الاستعارة من المنظور النحوي الدلالي ، من خلال الصورة الاستعارية الفعلية

والاسمية والإضافية .

- ٩- هدفت دراسة الصورة الكثائية إلى (معنى المعنى) ، فالشاعر يبدأ في التصور في صورة منطلق لفظي ، ويحمل هذا المنطلق دلالة مزدوجة : الدال الأول المعنى ، وهو دال حرفي (المستوى السطحي) ، غير مقصود بداية أو المعنى المباشر ، وإنما رصد لفظياً ليحيل بدوره إلى الدال الثاني (معنى المعنى) ، وهو الهدف المنشود من الصياغة اللقطية على المستوى العميق ، ومقدمة تكشف الدلالات الشعرية ، وتكتشف عن قصديتها ومراميها .
- ١٠- هدفت دراسة التعبير الدرامي إلى تطوير الوجود الذاتي ، من خلال الانفتاح المستمر على منظومة التعبير الواسع ، الذي يبعد إنتاج البلاغة ، ويفوزي الوظائف الحوارية في اللغة الشعرية ، بواسطة أدوات التشكيل الشبكي القادر على التعامل مع شبكيّة ومتعددة المسارات الزمنية والوجودانية في القصيدة .
- ١١- توصل البحث من خلاله إلى دراسة العلاقات بين المفردات الأكثر تواتراً في أعمال الشاعر داخل الحقل أو الموضوع الفرعى ، والبحث في اختياره لهذه المفردات لم يكن عشوائياً وإنما هو اختيار واعي منظم يعي تماماً أهمية هذه الكلمات ، والتي تمثل هموم الشاعر وقضاياها ، وتعبر عن الروى المنوط به ، ومن ثم فإنها ترسم ملامع الشاعر الأسلوبية والفنى

هوامش الفصل الرابع :

- (١) أحمد مختار عمر / علم الدلالة / ٨٠-٢٩ / مكتبة دار العروبة / الكويت / مد ١٩٨٢
- (٢) جون جرانت / هكمة الزمان عبر التاريخ / ترجمة هزاد كامل / ٤٦ / سلسلة عالم المعرفة / ع ١٥٩ / المجلان الوطنى للثقافة والفنون والأدب / الكويت / ١٩٩٢ م
- (٣) هانز ميرهوف / الزمن في الأدب / ترجمة أسعد درزوق / ٧ / مؤسسة فراتكالجى للطباعة والتشر / القاهرة / نيويورك / ١٩٧٢ م
- (٤) المجموعة الكاملة / ٥٦٥
- (٥) السابق / ٢١١
- (٦) السابق / ١٥٧-١٥٦
- (٧) السابق / ٢٢٢
- (٨) السابق / ٦٢٢-٦٢١
- (٩) السابق / ٤٤٥
- (١٠) السابق / ٨٧٥
- (١١) السابق / ٦٠٨
- (١٢) السابق / ٦١٠-٦١١
- (١٣) يوسف توفيق / الصورة الشعرية واستيعاب الألوان / ٢٨-٢٤ / دار النهضة العربية / القاهرة / مد ١٩٨٥
- (١٤) المجموعة الكاملة / ٥٥
- (١٥) السابق / ١٢٢
- (١٦) السابق / ٢٢٤
- (١٧) السابق / ١٢٥
- (١٨) السابق / ١٦٥
- (١٩) السابق / ٦٨١
- (٢٠) السابق / ٦١٥
- (٢١) السابق / ٦٤٦
- (٢٢) السابق / ٢٤٣

- (٢٣) السابق / ٢٦٦ - ٢٧٠ .
- (٢٤) السابق / ٥٢ .
- (٢٥) السابق / ٢٦١ - ٢٤١ .
- (٢٦) السابق / ٢٦١ .
- (٢٧) إبراهيم مذكور وأخرين / المجمم الفلسفى / ١١٢ / مجمع اللغة العربية / القاهرة / ١٩٨٢ م .
- (٢٨) سامي الدهان / الوصف / ٩٩ / دار المعارف / مصر / دون تاريخ .
- (٢٩) التجموعة الكاملة / ١٠٥ - ١٠٦ .
- (٣٠) السابق / ٧٩٥ - ٧٩٦ .
- (٣١) السابق / ٤٨ .
- (٣٢) السابق / ١٩٩ .
- (٣٣) السابق / ٥٥٦ .
- (٣٤) السابق / ٨٠٦ .
- (٣٥) السابق / ٢١٩ .
- (٣٦) السابق / ٦٩١ .
- (٣٧) السابق / ٤٩٤ .
- (٣٨) السابق / ٧٧٠ .
- (٣٩) السابق / ٨١٤ .

المصادر والمراجع

- ١- أرشيف إند ماكليلان / التجربة والشعر ترجمة سلمى الخضراء الجبوشى / دار الينطة العربية / بيروت / ١٩٦٣ .
- ٢- بسموني عبد الفتاح / علم البديع دراسة تاريخية وقافية لأصول وسائل البديع / ط١ / ١٩٦٧ م .
- ٣- بشرى مصطفى صالح / من قضايا الشعر وتنتمى / دار الشانطة العربية القاهرة .
- ٤- جون جراتن / حكرة الزمان عبر التاريخ / ترجمة هوارد كامل / سلسلة عالم المعرفة / ع ١٥٩ / المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب / الكويت / ١٩٩٢ م .
- ٥- جون كوبن / بناء لغة الشعر - ت / د - أحمد درويش / دار غريب / القاهرة .
- ٦- حسن طبل / دراسات في علم البيان / مكتبة الزهراء .

- ٧- حفيظ محمد شرف / إيجاز القرآن البهائى بين النظرية والتطبيق / طبعة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية / ١٤٢٧ م.
- ٨- الخطيب القرزاوى / الإيضاح في علوم البلاغة / مطبعة محمد علي صبيح وأولاده - القاهرة .
- ٩- رجاء عبد / القول الشعري / منظورات معاصرة متشاءمة للمعارف / الإسكندرية .
- ١٠- رمضان صادق / شعر عمر بن القارض دراسة أسلوبية / الهيئة العامة للكتاب .
- ١١- رمضان الصياغ / يلتقي الشعر العربي المعاصر (دراسة جمالية) م٦ دار الوفاء - الإسكندرية ١٩٩٦ م .
- ١٢- ديمون طحان / الأساليب العربية - العدد الثاني / دار الكتاب اللبناني / بيروت / م٦ / ١٩٨١ م .
- ١٣- زكريا إبراهيم / مشكلة البنية / مكتبة مصر / ١٩٧٦ م .
- ١٤- سعيد الحصانى / الاستعارات والشعر العربي الحديث / دار توپال للنشر / د- ت .
- ١٥- السكافى - مفتاح العلوم / ضبطه وشرحه / نعيم ترزيز / دار الكتب العلمية / بيروت / م٦ / ١٩٨٣ م .
- ١٦- شفيع السيد / تجارب في تقد الشعر / مكتبة الشباب / القاهرة / م٦ / ١٩٩٠ م .
- ١٧- شكري الطوانى / مستويات البناء الشعري عند محمد إبراهيم أبي سلنة ، دراسة في بلاغة النص ، الهيئة المصرية العامة للكتاب / ١٩٩٨ م .
- ١٨- صلاح الدين الصندي / جنان الجنان في علم البديع / مكتبة الجواب الفاسطينية .
- ١٩- صلاح هفضل / ثيرات الخطاب الشعري / دار قباء - دار الوفاء - القاهرة / ١٩٩٨ م .
- ٢٠- صلاح هفضل / نظرية البنائية في النقد الأدبي / مكتبة الأنجلو المصرية / ١٩٨٠ م .
- ٢١- صلاح هفضل / بلاغة الخطاب وعلم النص / دار عالم المعرفة م٦ / ١٩٩١ م .
- ٢٢- صلاح هفضل / علم الأسلوب وسلكه بعلم اللغة / مجلة فضول / عدد ١ / ١٩٩١ م .
- ٢٣- عبد الحكيم راضى / نظرية اللغة في النقد الأدبي / مكتبة الخانجي / القاهرة .
- ٢٤- عبد الملك مرقاضن / نظرية الرواية - بحث في تقنيات المسر / م٦ المجلس الأعلى للثقافة والفنون / الكويت / سلسلة عالم المعرفة / ١٩٩٨ م .
- ٢٥- عبد بلبع / أسلوبية المسؤال / م٦ دار الوفاء / م٦ دار الوفاء / الإسكندرية / ١٩٩٩ م .
- ٢٦- هنـ الله سليمان / أسلوبية مدخل نظري ودراسة تطبيقية / الدار الفقهية للنشر والتوزيع / ١٩٩٥ م .
- ٢٧- قدامة بن جعفر / نقد الشعر / تحقيق - كمال مصطفى / الخانجي / القاهرة / م٦ / ١٩٨٧ م .
- ٢٨- محمد عبد القادر فقيه / المجموعة الشعرية الكاملة / مطباع سحر / جدة / المطبعة الثالثة .
- ٢٩- محمد عبد المطلب / هكذا تكلم النص ، استنطلاق الخطاب الشعري الرفقت سلام ، الهيئة المصرية العامة للكتاب .

- ٣٠- محمد عبد المطلب / بناء الأسلوب في شعر الحداثة (التكوين البدعي) دار المعرفة / ج١ / القاهرة ٢٠٠٠م.
- ٣١- محمد عبد المطلب / البلاغة والأسلوبية / الهيئة المصرية العامة للكتاب / ١٩٨٤ م.
- ٣٢- محمد عبد المطلب / البلاغة العربية (قراءة أخرى) / لونجمان / ج١ / ١٩٩٤ م.
- ٣٣- محمد عبد المطلب / قضايا الحداثة عند عبد القاهر الجرجاني - لونجمان / ج١ / ١٩٩٥ م.
- ٣٤- محمد عبد المطلب / قراءات أسلوبية في الشعر العربي الحديث / الهيئة العامة للكتاب / ج١ / ١٩٩٥ م.
- ٣٥- محمد هكري البجزار / لسانيات الاختلاف / الهيئة العامة لتصور الثقافة / سبتمبر القاهرة ١٩٩٥ م.
- ٣٦- محمد مفتاح / دينامية النص - تنظير وإنجاز / المركز الثقافي العربي / بيروت / الدار البيضاء / ج١ / ١٩٨٧ م.
- ٣٧- محمد أبو موسى / دلالات التراكيب / مكتبة وهبة / القاهرة / ج١ / ١٩٧٩ م.
- ٣٨- (٣٨) محمد التويقى / قضية الشعر الجديد / مكتبة الخانجي - دار الفكر ج٢ / ١٩٧١ م.
- ٣٩- محمود السعراوى / علم الللة (مقدمة للقارئ العربي) / دار المعرفة / مصر .
- ٤٠- مدحت الجيار / الصورة الشعرية عند أبي القاسم الشافى / الدار العربية للكتاب - المؤسسة الوطنية - ليبيا .
- ٤١- هنري سلطان / البديع في شعر شوقي / منشأة المعرفة / الإسكندرية / ج١ - .
- ٤٢- يوسف نوبل / الصورة الشعرية واستيحاء الألوان / دار النهضة العربية / القاهرة / ج١ / ١٩٨٥ م.
- ٤٣- هائز ميرهوف / الزمن في الأدب / ترجمة أسعد رزوق / مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر / القاهرة / نيويورك / ١٩٧٢ م.



جامعة الطائف

براعة الاستهلال عند أحمد شوقي دراسة في علاقة الاستهلال بفاعلية التلقي

د- علاء الدين فتحي محمد الجابري

كلية التربية - جامعة الموسى

جامعة الطائف(سابقاً)

الملخص

يحاول هذا البحث أن يرصد أشكال العناية بالاستهلال عند «أحمد شوقي»، وأن يبرهن على العلاقة بين الاستهلال واستراتيجية السيطرة على القارئ، والمحادثة على إشراكه المفترض في سد ثغور النص الإبداعي، ومناقشة تراجع القيم التواصلية للنص الكلاسي

يربط البحث بين المقولات القديمة للنقد القديم، ويستخدمها توطئة لفهم مدخل البحث ورهانه، ثم يقارب بعض المقولات الأساسية لنظرية التلقى؛ من مثل القارئ المثالي، وأفق التوقع، ورصيد النص كما ذكر من بعض موروثات قالبه الموزون المقفى ونمثّل من الموسيقى بالتصريح والحدف، ثم بالنداء والأمر، وتحول توظيفها من قيم التراث إلى قيم السيطرة.

إن ارتياح النقد بالتلقى أصيل فيه، وتعریف البلاغة ذاتها؛ بما هي مراعاة لافتراض الحال يظهر فيه بوضوح اعتبار التلقى والتأثير، والنظر للاستجابة، وكلها أجزاء من «افتراض الحال». ويلفت البحث وجوب مراعاة كون البحوث المتعلقة بالتلقى تمتّد الظن والتخيّل؛ نظراً لعدم وجود دراسات ميدانية تعتمد على عينات من القراء، يزداد الأمر مع تعطّل النص الكلاسي عن «المتباين» الكاشفة والمهدّة. يقرّ النص الكلاسي أسماع المتكلّمين وبهاجم استعدادهم للتلقى الفعال ليحصل المقصيدة منذ البداية مستغلاً كون الشاعر يراعي تجويد ابتداء شعره؛ فإنه أول ما يقرع السمع، غيره من اعتبارات البناء مستغلاً كون الشاعر يراعي تجويد ابتداء شعره؛ فإنه أول ما يقرع السمع، ويركز على بعض مقولات نقد القارئ مثل القارئ الفذ، أفق التوقع، القارئ المثالي، المتكلّمي السلبي؛ مبيناً أثر كل منها ومحليقاً على نصوص من شعر شوقي، ومراعياً للظرف التاريخي حولها.

، أحسنوا الابتداعات؛ فإنها دلالات البيان،

أُسَامَةُ بْنُ مَنْدَرٍ^(*)

لدى كل عصر أدبي قامة إبداعية تُشعّ عليه وتحصن ذاته، وتثور حولها كثيرون من المسطور والدراسات التي تجدد الدرس التقديمي من جهة، وتطرح قراءات للنص ذاته من جهة أخرى، إنها إحدى قدرات النص المتميز الحاضر أبداً، وإذا كان البحث المزمع يترسم خطى البلاغة، متخدنا من «براعة الاستهلال» موضوعاً هائلاً تناول دراسة الموضوع على خلفية من مقولات التقليديين النظريين الأدبيين التي تضم عناصرها الثلاثة في رياضت قوي.

بحدس هذا البحث أن العناية بالاستهلال عند شوقي كانت طريقاً للسيطرة على القارئ، وحاتلا دون إشراكه في العملية الإبداعية، التواصيلية بامتياز. إن استثناء القارئ كان هدفها أصلًا عند شوقي، وجسم القصيدة منذ البداية إستراتيجيته الأساسية، هكذا يظن البحث، ويُجاجُ، وللبرهنة على وجهة النظر هذه نقارب بعض المقولات الأساسية لنظرية التقليديين مثل القارئ المثالي، وأفق التوقع، ورسميد النص كما ندرس بعض موروثات قائله الموزون المقصفي ونمثل بالتصريح والمحذف والنداء والأمر، وبين دورها، وتحول توظيفها من قيم التراث إلى قيم المسيطرة، من جهة، كما نطرح محاولة في بيان دور الانفعالية في التواصل مع النص، من جهة أخرى، حتى وجدنا أنفسنا نقول مع حميد لحمداني «على أنه يمكن أن تتحدث أيضاً عن الانفعالية في مقام القراءة، وتفصيلها كل ردود الأفعال الفكرية والعاطفية التي تولدها الأعمال الأدبية لدى القراء باعتبارها نصوصاً متميزة عن غيرها من النصوص اللغوية العاديَّة»^(١).

يبدو لي أن ارتباط البلاغة العربية بالتلقي أصيل فيها، تعريف البلاغة ذاتها: بما هي مراعاة لمقتضى الحال يظهر فيه بوضوح اعتبار التقليدي والتأثير، والنظر للاستجابة، وكلها أجزاء من «مقتضى الحال». ولما كان مبحث «براعة الاستهلال» واحداً من مباحث البلاغة الكثيرة فقد وضع في معالجة أهل البلاغة له اعتبار كبير للمتكلمي، أضرب مثلاً بما قاله ابن رشيق في عمدة من أن للشاعر أن يوجد ابتداء شعره: «إنه أول ما يقرع السمع، وبه يستدل على ما عنده من أول وهلة»^(٢)، ويستطرد مبيناً الشاعر جيد الافتتاح من ردبيه، ويسرد أمثلة من التراث عن الاستهلال الباущ على الاستماع للقصيدة دون غيره الداعي للإعراض عنها حتى يقول «للشاعر مذاهب في افتتاح القصائد بالتسبيب؛ لما فيه من عطف القلوب، واستدعاء القبول بحسب ما في الطياع من حب الفرز، والميل إلى اللهو والنماء، وإن ذلك استدرج لما بعده»^(٣)، وقريباً من المعانٍ ذاتها يدور حازم القرطاجني الذي يتبع ابن رشيق، فيقول: «ومحاشة مطالع الأبيات من كل ما يكره من جهتي المسموعات والمفهومات مستحبة؛ لأنها أول ما يقرع السمع، وهي رائدة ما بعدها إلى

القلب هنالا هيئتها النفس تحركت لقبول ما بعدها^(١). الأمر ذاته يبدو جليا، منذ بدايته عند ابن طباطبأ الذي فتح الباب حين أكد على الوظيفة المسيطرة للابتداء؛ إذ يقوم لديه على ذكر ما يُعلم السامع له إلى أي معنى يساق القول فيه قبل استئمامه، وقبل توسيط العبارة عنه^(٢). وضوح اعتبار السامع في معالجة الاستهلال تبدو ظاهرة للعيان، حتى تصدر الاقتباس السابق، كما يبدو فيه عدم الواقع- تحديداً- على مناطق التأثير حتى يُكي الفعل للمجهول فكان يساق.

وعلى الرغم من الجهود المبذولة في توضيح نظرية القراءة فإن البحث في جمالية التجاوب يبدو قليلاً إذا قيم بالنهاد النظري الذي أفرطت فيه توضيحاته، بما يبدو معه البحث في تطبيق النظرية نوعاً من المقامرة، غير أنه مما يقوى دافعنا لدراسة براعة الاستهلال على خلفية نظرية التلقي ما ألح عليه المنظرون من «القراءة التدرجية» للنص ، أي نص؛ إذ لا تخفي قراءة نص بصورة كلية أو دفعه واحدة بما يبدو درس واحد من مكوناته بديهيها من جهة، وغير بعيد عن تصورات «قراءة» النصوص من جهة أخرى. إن النص لا يقرأ بشكل كلي، حتى قال ستانلي فيش «إن النهج – إذن – يقوم على دراسة التدفق الزمني لخبرة القراءة مفترضاً أن القارئ يستجيب وفقاً لجريان الزمن وليس للقول ذاته»^(٣). وعلى النسق ذاته يقول ميشيل أوتان^(٤)، وهو المفهوم نفسه الذي يطرحه «ياوس» الذي يتكلّم عن التصور «الغضوني»^(٥) للنص، والتكون «الخطي» له. ثم يلح على الارتباط بين التحليل التكويني- جمالية الإنتاج- وجمالية التلقي، ويؤكد أن اللقاء بينهما حتمي، ويقول : «فالتحليل التكويني، حتى حين يختصر بموضوع الكتابة لا بد أن يصادف مسألة التلقي باعتبارها جزءاً لا يتجرأ من عملية إنتاج المعنى»^(٦)، وهو المعنى ذاته الذي يبدو هاجساً أساسياً عند جوناثان كلارك في مقاله «القدرة الأدبية»^(٧).

والبحوث التي تتصدى للتلقي مبتلة من جهات كثيرة؛ إذ يحكمها الظن والحدس ما دمنا لا نملك الإحصاءات المطلوبة للمتكلمين وأرائهم، وكذلك يبتعد عن أيدينا وثائق محددة ترصد ردود فعل المتكلمين تجاه التصائر عموماً، ومطالعها بشكل خاص، بما يجعل الحدس أساساً للبحوث التي تتعامل مع التلقي واعتباراته، عوض أن تُبني - في بعضها - على بحوث ميدانية تتعامل مع عينات متباينة.

إننا لا نملك وثائق محددة ترصد ردود فعل المتكلمين الأولين لأشعار شوقي، ولا يمكننا الاعتماد - كلياً - على كتابات النقاد المعاصرين للأمير؛ لأنهم جزء من المتكلمين، ولا يصلحون عينة. وسواء كان الاهتمام بالطابع يمثل الدائقة الحقيقية للمتكلمين في تلك الفترة أم أنها لمحة عن الدور الذي كان المؤلف يريد للقارئ أن يتخذه في تلقيه البكر، في تلك الفترة، وحتى خلال ما تلاها من هشرات، فإننا مدفوعون لاختبار الفرضية، طالما كان قدر النقد - في أغلبه- أن يُحاط بالظفون

والافتراضات؛ إذ هو محروم من الإحصاءات الدقيقة أو التقريرية. إن القارئ في ذلك الوقت هو أحد عناصر المعملية الإبداعية، ومن البسيط جداً أن يقع في حبائل الميدع، ويستقطب في الشرك المنصوب له، وفيه ظلتى أن المداخل القرائية للنصوص، التي تعتمد نظريات التلقى أصلاً لها يجب أن تعتمد على دراسات ميدانية ونصوص إحصائية تبعاً لاختلاف المشارب والأهواء والثقافات، أما أن تقوم على افتراض من جهة، وتضع «جنس» القارئ من جهة أخرى فهي تسترق القارئ، والنون معها. «إن الناقد الذي يتحدث عن أن النون يستهدف تحرير قارئه لا يليث أن يستبعد هذا القارئ ويسد الطريق أمام حرية بمنكبيه العريضين فلا يستطيع أن يرى بعد ذلك إلا من خلال الناقد»⁽¹¹⁾.

انصرفت – في القديم – كثيرون من الآراء صوب الاهتمام ببدايات القصائد فيما سمي «براعة الاستهلال»، أو «براعة المطلع» أو «حسن الابتداء» أو «حسن الافتتاح»⁽¹²⁾. ويبعد الأمر متصلة بما يحمله بداية العمل من أهمية خاصة في متظاهر الإبداع العربي برمه، فالحفاوة التي اختصت بها «الافتتاحية» منذ الحديث المطلول عن «المقدمة الطلالية» لا يمدو أن يكون مظهراً لاحتشاد الميدع، ورغبتها في استثناء التلقى وتجذبه إلى العمل، وميل التلقى – من جهة أخرى – وإنجذابه لهذا الفتح/المطلع/الاستهلال/المقدمة حتى درج على قسمية العمل بأبياته الأولى أو جزء منها؛ مثل قولهم قصيدة – على سبيل المثال – «بانت سعاد» (ربما أفهم هذا الاستهلال بوصفه تعبيراً عن الدين الجديد برمه، فهو ترى كيف يوجه الاستهلال القصيدة؟). وفي ظلّي أن دور الاستهلال في النص الكلاسيكي أكبر؛ إذ يُسند للاستهلال فيه دور أكبر من جهة التهيئة والاحتشاد. إن نصوصاً أخرى قد تمهد القارئ من خلال تفعيل أكبر لدور العنوان، أو التركيز على عتبة تنصية تلقت انتباه التلقى وتحثده – سريراً –، ومقدمًا، لفعل التلقى، وربما تساعد العتبات نصوصها على إنشاء موقف موجه للقارئ إلى رؤية أشياء يراد له أن ينتبه إليها، ربما بحكم تلقيه النص من وضعية سلبية، أو متبهرة بالذات الكاتبة.

إن نظرية التوصيل في النص الكلاسيكي تحتاج إلى إعادة نظر، والحق أن اعتماده على التصعيد متنا دون حواش أو عتبات يبدو عقبة في التوصيل من جهة كون الهجوم المباغت أساساً واضحاً، ومن ثم لا مجال للتدرج في الهجوم.

يفتقد نص شوقي للعتبات التي قد تقدم ملاحظة، أو تمهيداً وتهيئة ملحوظة على العمل وتلقيه، وتوصيله في ذلك، فتبعد إضافة عنصر موضوعي لم يهتم به النص الكلاسيكي الذي آثر الاتكاء على المكونات الداخلية؛ ومنها الاعتماد على المطلع الذي يشكل جسراً تعبّر عليه القراءة من القضايا المهدى (النناصصة) para texte، وما يضطرب داخله من علامات هجينة،

تأتي مصاحبة للنص، أو مؤخرة لنص آخر ي precede، أو محيلة على نصوص أخرى سابقة عليه على النص الرحم، النص الأم⁽¹²⁾.

الاستهلال باب الولوج للنص، أو هو – بتعبير آخر – جسر للدخول بما يجعل لهفضل أحد يد القارئ من العالم المعيش إلى عالم الكلمات. إنه التوازن الأولى للنص، بما يجعله – في أحياناً كثيرة – طريقاً لتلاؤله، فضلاً عن قوله: «إذ الكلمات الاستهلالية تكلم من العمل كما المؤول الذي يؤولها عبر وضعها في مكان بين العمل وموقه التأويلي الخاص»⁽¹³⁾.

فهمنا للاستهلال ودوره والربط بينه وبين نظرية التلقى نابع – بالأساس – من كون النص لا يبتعد عن تاريخ إبداعه أو تاريخ تلقيه، ولا زيب أن التداخل بين مختلف التواريف أمر بدهي، مع التسليم بكون تاريخ الأدب نوعاً خاصاً من التاريخ.

إذا كان المفتتح متوكلاً للحكم على جودة القصيدة هنها ويعطي الانطباع الأولى، ويعلن عن الموضوع وهو ما يحتمل قيمة كبيرة في أساسيات الإبداع لديه فقد خل «الموضوع» و«القيمة» و«المحتوى» تتعاور أدواراً كبيرة في تقويم العمل ذاته وأساساً ضامناً لنجاح الإبداع، واجتناب القاريء وهو منقاد الدور الذي أراده شوقي للاستهلال

ولد الشهدى فالكلمات ضياء وهم الزمان ترسم وشاء

تبعد المسألة محسومة منذ البداية. بحيث يأخذك الشعر إلى رحاب من الأنس والانفلات عن اللحظة العادلة المطروفة، معتقداً على شيء من المباشرة في اللغة لا تألفها لدى شاعرها؛ إذ يضع الولادة الأمسطورية للرسول، عليه الصلاة والسلام، منذ البداية. إنه لم يبدأ بالهداية تاركاً للولادة وما أحاط بها من معجزات قبل مناجزة الملتقي، فيحييد كل ما يحيط به توهם كونه بشراً عادياً، فضلاً عن ضرورة موضوعية أملاها كون النص مكتوباً لمناسبة الولادة ذاتها. إن حسم القصيدة من البداية ظاهر هنا، حتى تأتي اللغة قائدة للموضوع، وتصدير «الموضوع» على حساب الفن قطعاً لخطوة أولى، ولكنها مهمة في الخروج عن السياق العادي واليومي. إنها تشبه الدقة الأولى من دقات المسرح والتي تسهم في شحد الملتقي لجمع حواسه قبل الاندماج في العمل. وإذا كانت الدقات الثلاث تقليداً كلاميكياً بامتياز فإن الاهتمام بالاستهلال، والتغول على تحميشه دوراً كبيراً في بنية القصيدة يُعد تقليداً أصيلاً فيها، وعبيدياً؛ وليس ثمة مكان أفضل لوضع البيت المبذول فيه جهد أكبر من استهلال القصيدة؛ ذلك الذي يشجع الملتقي على الاستمرار في متابعة النص الذي بدأ بالهجوم الخاطف، بعيداً عن مقدمات لم يعد الكاتب يأرن إليها. إنها نوع من التشجيع على ملاحظة القول نفسه بدلاً من البحث الآلي عن الاهتمام بمحتواه، ليدرك القارئ أنه أمام نص غير عادي.

وقد يكون الاستهلال مدخلاً لنوع من تقليل الفكرة على وجوهها المختلفة؛ فيكون الاستهلال «مركزاً» لوجهة النظر و«مركزاً» لها، انظر إليه في قصيدة، أيها النيل»:

وَبِأَيْ كُفَّٰٰ فِي الْمَدَائِنِ تَشَرِّقُ
عَلَيَا الْجَنَانَ جَدَاؤُّا تَتَرَقَّرُ

مِنْ أَيِّ عَهْدٍ فِي الْقَرَى تَتَدَهَّقُ
مِنَ السَّمَاءِ نَزَّلَتْ أَمْ فَجَرَتْ مِنْ

وهو الاستهلال الذي يحيط النيل بهالة من التقديس المرتبط بأصول فرعونية قديمة^(١)، وليركز على معرفة زمان التدفق الرائع، بعدهما صار فعل التدفق ذاته مفروغاً منه وحکماً مقرراً، ولابد من البحث عن مكان صدور البهاء هاجساً آخر، تختلف على تزوله من علية السماء، أو ارتباطه بالغيب والجنة المبتداة. وكلها تساؤلات تصدرت من البداية.

لتدور القصيدة كلها بعد هذا الاستهلال في إطاره، وتتوزع كلها بين تقدير النيل ومحبته:

لَوْ أَنْ مَخْلُوقًا يُؤْلِهِ لَمْ تَكُنْ
لَسْوَاكَ مَرْتَبَةُ الْأَوْهَةِ تَخْلُقُ
جَعْلُوا الْهَوْيَ لَكَ وَالْوَقَارَ عِبَادَةً
إِنَّ الْعِبَادَةَ خَشِيَّةٌ وَتَعْلُقُ

وقد يرتبط الاستهلال بملمح ذاتي يتصل بالمتلقى الافتراضي لـ«رسالة» القصيدة؛ أقصد بذلك بعض قصائد مكتوبة بوصفها «خطاباً لأشخاص بعينهم، هيدخل في من تلقيتها». هنا تحول القصيدة إلى رسالة تقرأ من عنوانها. وفي قصيدة (أنس الوجود)، والتي يقول عنها إلى المستر روزفلت الرئيس السابق للولايات المتحدة؛ حيث قال: «... وهي في «أنس الوجود» ذلك الآخر المحتضر، الذي جمع العبر، ومحاه الدهر أو كاد.....

أَيْهَا الْمُنْتَهَى (بأسوان) دَارَا كَالثَّرِيَا تَرِيدُ أَنْ تَقْضِي

أَلْحَنَ النَّعْلَ وَأَخْضَنَ الْطَّرْفَ وَأَخْشَعَ
لَا تَحَاوَلْ مِنْ آيَةِ الْدَّهْرِ غَضَا
قَفْ بِتِلْكَ الْفَصُورِ فِي الْيَمِّ غَرَقَ
مَمْسَكَا بِعُضُّهَا مِنَ الدَّعْرِ بَعْضَا

فيُوجب عليه التواضع أمام جلال الحضارة الفرعونية التي يراها أمامه في أسوان، وأن يدفع الظن بكون الحاضر يتسع الماضي من جهة، وبأن العبرة موجودة حتى في الجمامد من جهة أخرى، الاستهلال هنا -يراهن على قوة الفعل الكلامي وتاثيرها في انتزاع العزة من المتلقى.

ومراجعة ما يألفه المتلقى ربما كان أكثر تأثيراً من غيره من اعتبارات البناء؛ ذلك أنه يفي بما يتطلبه المتلقى ويتوقعه ولعل هذا ينطبق على موضوع «الاستهلال»؛ إذ تقرأ «الخطاب» من عنوانه، وكما يصف أبزر العمل الأدبي الذي يرى أن «له قطبان يمكن أن ينطوي على أحدهما القطب الفني والأخر القطب الجمالي والقطب الفني هو نص المؤلف والقطب الجمالي هو عملية الإدراك التي يقوم بها القارئ^(٢). إننا تعتبر الاستهلال مبرزاً لشخصية النص منذ البداية بما يعطي الانطباع للنص بأكمله. إننا لا نقول إن التواصل لا يتحقق إلا من خلال الاستهلال، ولا ترجع إلى

ثافة البيت الواحد التي ترى في بيت واحد⁽¹¹⁾ - الاستهلاک هنا - عوضاً عن النص بأكمله ولكن غایة ما تزيد البرهنة عليه أن تواصل النص مع القارئ يزيد حضوراً مع التناغم الذي يؤسس له الاستهلاک، أو يدعمه على أكثر المفروض توافضاً وذلك إذ يدرك القارئ - منذ البداية - أنه في مواجهة نص مختلف من حيث القوة والبراعة وإن كان وقوعه في الأسر - منذ البداية - يوفر احتشاداً للتواصل ناتجاً عن الانسجام الصادر عن التناغم مع مطلع القصيدة .

القارئ الفذ

تضاؤل قدرات المثقفين، وبعضهم يحمل قدرات مرتفعة للحكم على النص الشعري، تختلف عن غيرهم من المثقفين العاديين الذين تتواضع قدراتهم، وتختلف .

ومفهوم «القارئ الفذ» أجرحه ريفاتير للدلالة على «مجموعة من المعلمين يجتمعون دائماً عند نقاط العقدة في النص، ويشبون بذلك وجود حقيقة أسلوبية من خلال ردود أفعالهم العامة»⁽¹²⁾، التفاوت في طبيعة المثقفين وقدراتهم طبيعي، وإذا استعرضنا ما يقول به أهل علم الميكانيكا من الحديث عن (الوسط الخفيف والوسط الثقيل)، فتراهم يفرقون بين حركة جسم (القصيدة هنا) في وسط مقاوم (القارئ غير العادي، ومنه القارئ الفذ) وبين آخر تعتبر المقاومة فيه صفراء - بشكل مجازي - : إذا لا يوجد وسط تكون المقاومة فيه صفرية الدرجة، أي لا يوجد متنق يأخذ القصيدة من وضعية سالبة تماماً، أو ذهن خال كالصفحة البيضاء، والبحث إذ يضع هذه الأمور في اعتباره فإنه يفهم قول «يوري لوتمان»، قتو سلمنا جدلاً بأن النص يساوي المعطيات الملاحظة في النتاج الفني، فإن من الضروري أن نضع في حسابنا «ساب طرق الأداء»، أو ما لم يتحقق من هذه الطرق «(13) بمفهوم المخالفة» .

ومراعاة التفاوت بين «طبقات» المثقفين ربما كان عنصر اختبار لفرضية البحث؛ إذ استيلاء الاستهلاک على «القارئ الفذ»، وافتاته به ربما يصلح دليلاً على وقوع غيره في الإعجاب به من باب أولى .

تبعاً للمفهوم السابق، فالدكتور «طله حسين» يمثل القارئ الفذ، وتراء يحكى عن إعجابه - في محفل من الناس -⁽¹⁴⁾ بقصيدة شوقي التي مطلعها :

الله أكبر كم في الفتاح من عجب يا خالد الترك جدد خالد العرب

ثم لا يلبث الإعجاب بها أن يهدأ، فيقول :

وما أرى أنك نسيت ما كنا فيه من ضحك وأسى حين قرأنا منذ أعوام قصيدة شوقي التي يصف فيها انتصار الترك على اليونان في آسيا الصغرى، والتي يبدوها بقوله :

الله أكبر كم في الفتاح من عجب يا خالد الترك جدد خالد العرب

نعم ضحكنا، وأسينا حين قرأتنا هذه القصيدة ، وأضحكنا مطلعها قبل كل شيء، فكم عجبنا من ذكر خالد ومقارنة مصطفى كمال به، حين كان العالم الحديث يضطرب بذكر القواد النابهين في الحرب الأخيرة، وحين كانت صور هؤلاء القواد النابهين في الانهزام تملأ النفوس إعجاباً وحين كان الشرق في ذلك الموقف الذي كان ذليلاً يشوبه شعور بالعزّة والطموح إليها والذي كان أثراً من آثار هؤلاء القواد. ضحكنا من قياس مصطفى كمال على خالد بن الوليد. والحق أننا لا نعرف أبداً شوفي مصطفى كمال حين قرئنا إلى الفاتح العربي القديم، أم ذمه؟^(٢١)

وفي الحكاية التي يقصها طه حسين ملجم عن القارئ الثاني الذي يعبره شوفي على الانصياع لسيطرة التلقى الأولي الذي يعاينه المطلع، ولا ريب أن وقوع طه حسين في الشرك الذي نراه على أن الأمير كان يتعمد نسبة المتعاقدين لا يعادله وقوع آخرين ليسوا على ثقافة العميد أو تعامله مع النص الشعري، والحق أن أي نص لا يكتب للخاصة، هيـن وقع الخاصة فوقهم غيرهم أولى، ولعل المعنى الباطل الذي نخرج به من تجربة العميد أن بعض النقاد يتوهمن أن الأدب إنما يؤلف من أجلهم^(٢٢). وليس كل أحد قادر على التحول من التلقى السلبي إلى التلقى الإيجابي من القراءة المحايدة إلى الفهم النقدي. ولا يعني هذا أن شوفي – أو غيره – يكتب لجمهور محدود، جمهور خاص؛ إذ نسبح أمام رؤية تخزل العمل في مناسبته لمجموعة معينة من المستهلكين الذين تتاسب ميزانية ذاتتهم وهذا العمل، وهو ما يدحضه حضور أعمال شوفي واستمرار تقيتها، وأثرها الدائم.

تجربة الدكتور طه حسين توضح تحلي القارئ الفذ - بعد فترة - عن التلقى السلبي والدخول لمجال المؤلف المشارك، أو القارئ البصير الذي يستطيع التوقف أمام النص عوض الانقياد له. والنص يتصور خبرة ما «كما يقول بول زمتر»^(٢٣)، ومنها هنا - هنـة - هنـة التلقى الأولي التي لا تثبت أن تهدأ، يراجـعها القارئـ الخبرـ، وهوـما لا يستطـيعـهـ - فيـ الفـالـبـ - غيرـهـ منـ أـصـنـافـ القرـاءـ. إن استراتيجيات النص لا بد أن تضمن حسن متابعة يمتد إلى مخزون القارئ من التجارب^(٢٤). إن فكرتنا هذه قد يدخل تحتها الحديث عن عامية المتعاقدين، وكون التلقى شفاهياً أو غيره من العوامل، دون وضع الكل في سلة واحدة، فتحعن تدركـ تمامـاـ اختلاف تأثير هذه العوامل، وتناوـلـ حضورـهاـ بينـ شـرـائـقـ المـتـلـقـينـ، فـضـلاـ عـنـ تـقـاوـتـ التـأـثـيرـ المتـوقـعـ بيـنـ هـنـةـ وأـخـرىـ ولكنـناـ لا نملكـ خـريـطةـ للمـتـلـقـينـ، أوـ إحـصـاءـاتـ عـنـهـمـ غـيرـ أنـ منـ الواـضـحـ أنـ السـمـاتـ التـارـيـخـيـةـ التيـ كـانـتـ تـؤـثـرـ عـلـىـ المؤـلـفـ فيـ العـصـرـ الـذـيـ كـتبـ فـيـ النـصـ قـيلـورـ صـورـةـ القـارـئـ المـقصـودـ»^(٢٥)، بـرـغمـ كـوـنـناـ لا نـمـلـكـ سـوـىـ اـفـتـراضـ مـدـعـومـ - فـيـماـ نـرـىـ - بـأـدـلـةـ رـيـماـ تـبـيـتـ أـمـامـ الفـحـصـ الـعـلـميـ .

هل يجوز، على هذا التحוו، أن نراجع نقد العقاد لشعر شوقي من جهات عدة، جاءت أغليها داخل متن القصيدة، دون استهلالها الذي لم يمسسه نقد العقاد بشيء على الإطلاق؟

القارئ المثالي والنقد التكويني :

القارئ المثالي مفهوم افتراضي بأمتهان، إنه يدور حول كون المبدع ذاته هو القارئ المثالي المفترض لعمله: بما هو المثلقي الأول له.

يرتبط نقد القارئ بالحديث عن النقد التكويني - تبعاً لفهمنا - من جهات عديدة، لعل أبرزها كون تاريخ التلقي جزءاً من عملية التلقي ذاتها؛ على معنى كون الجدل حول صاحب النص - في فترة شوقي بصفة عامة - جزءاً من الآليات المحيطة بعملية التلقي ذاتها، ومكوناً في حواشي النص، إن لم يكن في أصوله ومتنه: فالتحليل التكويني، حتى حين يختص بموضوع الكتابة لا بد أن يصادف مسألة التلقي باعتبارها جزءاً لا يتجزأ من عملية إنتاج المعنى^(٢٥).

فكرة القارئ المثالي تدور حول مراجعة الكاتب لأعماله؛ بمعنى أن يكون قارئنا لها، وساعدتها يراعي القوانين الحاكمة للتلقي وقت إبداع العمل نفسه، بصفة أساسية، وكذلك البحث عما يُخَلِّد عمله فيما بعد، من جهة أخرى، إنه يؤدي ساعتها دوراً مزدوجاً (قارئ ومؤلف) وربما تطرقتنا فزدنا كونه ناقداً أيضاً، ببحث في نصه المكتوب بما يألفه القارئ وبيانه في الوقت ذاته بحثاً عن «إشباع النموذج النوعي الذي تتوقع منه» أو «أن يقوم بتوظيف ما هر جديداً لبعض الشرارات المعروفة من قبل»^(٢٦) تبعاً لتعبير الدكتور صلاح فضل^(٢٧).

ولعل شاعرنا كان يعي ضرورة مراجعة نصه والukoof على قراءته، وهو ما يبدو من المعروف عنه من إعادة ترتيب الأبيات، وصولاً إلى النقطة التي تصلح بادئة للنحش؛ تلك التي اهتم بها النقد التكوي니، وتحدث عنها بوصفها «لحظة حاسمة يصل إليها الكاتب يصبح فيها مشروعه قابلاً للحياة وعلى الناقد أن يسعى إلى توضيحها»^(٢٨).

وإذا كان تلقي القصيدة لا يتم دفعها واضحاً وأيّاً في شكل «عضواني» كما سبق من كلام «ياوس»، واستحالة إدراكها دفعة واحدة، فالحديث عن تشكيل القصيدة وكتابتها على نحو تدريجي أولى، الأمر بدريجي بدرجة يئنة، ولعلنا نقول مع مارك بيري «لا يخضع تكون القصيدة أو الرواية تماماً، على العكس مما هو عليه في مجال الكائنات الحية، البرنامنج مسبق، ولا تدريجة إجرائية وحيدة ولا غائبة بسيطة، ولا حتى تطوير منسجم لنموذج ، فالاضماع والانتساب واللامتفق كلها أمور يتواتر احتمالها بصورة أكبر من الرغبة في الإيجاز ومن التطور الخطى ومن المتوقع، فتكون العمل الأدبي ليس تكونوا عضواً بل هو بالأحرى يتصل بالتركيب ويمتد يختلف عن منطق السببية»^(٢٩).

ويفي ظني، وجوب أن تتخلّى عن «تصور» القاريء وأن تبحث في القاريء الحقيقي؛ الإنسان من لحم ودم يعنى أن تبدل مجدهوداً في الدراسات الميدانية من جهة، وأن تقيم اعتباراً للعوامل الاجتماعية من جهة أخرى بعيداً عن التجريد الذي يحتاج الكثير من مقولات التلقي التي تناسلت عبداً تكون النص من جماع نصوص كثيرة، حلت داخل المجتمع وتتأثر به، ثم ازداد التأثر في النصوص اللاحقة.

ولعل حديثنا السابق، والإشارة إلى جوانب خارج النص لا يعني العودة إلى تقديم الواقع الخارجي على حساب القاريء، ولكننا نعني أن من أبعاد تلقي النص ما يحيط به من عناصر خارجية، وعليه تفهم تأثير الأسلوب بشخصية صاحبه دون القول بالتطابق بينهما. وبهذه الطريقة فإن التحليل النصي لا يقارب من العوامل الاجتماعية والثقافية المشتركة وغير المتجانسة بظبيعتها إلا تلك المظاهر التي تقوم بدور بارز في السياقات الإدراكية، سواء كان ذلك بالنسبة لمنتج النص عند إجرائه لعمليات التشفير الدلالي والجمالي، أو بالنسبة للتلقي لهذا النص عند ممارسته لفوك الشفرة واستقبال البيانات المتضمنة، مما يدخل في هذه العمليات الأسلوبية والبلاغية هو القدر الذي يستحصفيه علم النص من السياقات الخارجية ليوجه إليه عناية خاصة.^(٢١)

أفق التوقع

الاستهلال يحمل تاريخاً وتقالييد، تبعاً لمقولات النقد القديم، إنه يشكل واحداً من مواضعات البناء، وإذا سلمنا بذلك بان لنا أن «مثل هذه المواقف هي مكونات مؤسسة للأدب، ومن هذا المنظور يمكن للمرء أن يدرك أنه من المضلل الحديث عن القصائد كونها كلاً متسجماً، وأن تلقي طبيعية مستقلة، وناتمة في ذاتها، وتحوي معنى محابينا ولترا»^(٢٢) وعليه، فليس من قبل المبالغة الجزم (أو الاحتعمال) بكونه يؤثّر في تركيب القصيدة من جهة، وتلقي القاريء لها من جهة أخرى بما لا يخرج عن رهان بعثتنا: حين نظرنا للاستهلال عند شوقي بوصفه موجهاً لوجهة التلقي التي يراد للقارئ التركيز عليها، وللبناء برمهته، ولذا فالاستهلال مظهر للعلاقة بين الميل والقاريء، والتي «تكشف بالفعل عن جانبيين، جمائي وتاريخي، فالاستهلال نفسه الذي يحظى به العمل لدى قرائه»^(٢٣) الأوائل يفترض حكم قيمة جمالها تم إصداره بالإحالة على أعمال أخرى سبقت دراستها».^(٢٤)

لا يتعدّ مفردات نقد التلقي عن القاريء إلا بمقدار، وسرعان ما تعود إليه سريعاً، وما تطرّحه من أمور بعيدة عن القاريء -في ظاهرها- تقترب للغاية منه؛ بما أنه قد جاء «ليقلب المقولات تماماً ويركز على سياقات النص المتعددة التي تقضي إلى إنتاجه واستقباله أو تلقيه»^(٢٥). إن القاريء هو الأساس، غير أن مراعاة تاريخ التلقي والظروف المحيطة بالنص برمته ربما كانت أمراً على الدرجة ذاتها من الحسم والأهمية. وكذلك يبدو ما لم يقل في النص على الدرجة ذاتها

من الأهمية، وهو ما يرتبط بفكرة الفراغات التي تحدث عنها كثير من أدبيات النظرية. ولعل من ضمن مفهومات المثلثي توضيح أو تخيل - «معالم دور القارئ باعتباره بنية نصية لا تطبق كاملاً إلا حين تثير عمليات مركبة في ذهن القارئ». ومرجع ذلك أنه على الرغم من تقديم الرواية النصية نفسها إلا أن تجمها التدريجي ونقطة التقائها لا تتبلور لغويًا وبالتالي فلا بد من تخيلها. وهذه هي النقطة التي تبدأ عندها البنية النصية لدوره في التأثير على القارئ. وتثير التعليمات المقدمة صوراً ذهنية تحفيز ما هو متضمن لغويًا ولو لم ينص عليه. ولا بد لتنابع الصور الذهنية من الظهور في أثناء عملية القراءة مع ضرورة تكيف التعليمات الجديدة بصورة مستمرة وهو ما يؤدي إلى إحلال الصور التي تتكون والتي تغير وضع نقطة التميز التي تميز بين المواقف التي يتم اتخاذها في عملية بناء الصور. لذا فإن نقطلة تميز القارئ ونقطلة التقاء الرواية تبدأ في التداخل في أثناء النشاط التصورى، وبالتالي تجذب القارئ رقماً عنه إلى عالم النص»^(٣٣)

وعلى المقلب الآخر، فإن تاريخ شوقي مع «التجريب»^(٣٤) - مع التجاوز في النفاذ - لم يكن مشجعاً له، بما أفضى بالرجل إلى أن تكون الثورة على أفق التوقع خارج حساباته إلى حد بعيد، ولكنه - في الآن ذاته - مغبون إن قلنا بمجاراة ما اعتناده المثلثي. إن إعادة تشكيل أفق توقع الجمهور الأول - بغية وصف تقني العمل والأثر الذي يحده - كفيلة بتخلص التجربة الأدبية للقارئ من الفزعنة النفسانية التي تهدده، وتقتصد بأفق التوقع نسق الإحالات القابل للتعدد الموضوعي الذي ينتج، وبالنسبة لأي عمل في اللحظات التاريخية التي ظهر فيها^(٣٥). وعلى هذا المعنى لمفهوم «أفق التوقع» يمهدو أن مراعاة ما يأنفه المثلثي ربما كان أكثر تأثيراً من غيره من اعتبارات البناء؛ وربما شططاً هنا و هناك «أفق التوقع» واحداً من مكونات الأدب عموماً، وواحداً من أسس التجربة لدى الجمهور المعاصر واللاحق، وكلّ يحسب أفق توقعه الخاص به؛ ذلك أنه يشي بما يتطلبه المثلثي ويتوافقه ولعل هذا ينطبق على موضوع «الاستهلال»؛ إذ تقرأ «الخطاب» من عتوانه، ومفهوم «أفق التوقع» يهدى يؤشر لوقوع التفاعل بين المعاد والمفاجئ أو بين الصريح والضمني. إن ما هو صريح يدفع القارئ إلى الاستسلام للمبدع، بحكم تعود المثلثي له، وانتظاره له، ولا ريب أن شوقي كان يكتب فيما لم يفهمه يعيتر شدة الموضوعات النسجية أصلًا فيها، ومن ثم يكون تفاوت المستويات بين هذه النسجيات وارداً ليكون - تبعاً لذلك - تصدير الجيد منها نتيجة طبيعية.

أضرب مثلاً بقصيدة (بعد المنفى)، ومطلعها:

أنا ذي الرسم لو سلك الجوابا
وأجزيه بدمعي لو أثابا
وهي التي قالها بعد العودة من المنفى في أسبانيا، فرصف مقدمة طلالية ربما جاءت للتوازي مع

خلمنه عن الأندلس وارتباطه الكبير بها من جهة، وليؤكد على عودته عربياً متمسكاً بموروثه، بصورة أكبر مما رحل. إنه لم «يتلوث» بغيرية تجعله «يرتد» عن مواضعات أدبه التقديم الرائد. إنه يبدو وكأنه يكتب الشعر من جديد، بتاريخه الطويل، الذي يسترجعه منذ مهده الأول .
وتأتي المباشرة قننية أساسية في قصيدة «أيها العمال»، فيقول :

أيها العمال أفتوا إنا عمر كدا واكتسابا

وأحياناً ترتبط القصيدة بمحاجعها؛ فقصيدة مثل «على سفح الأهرام» تستهل أبياتها بالإشارة إلى الأهرام ب رغم كونها جاءت ترحيباً بأمين أفندي الريحاني، الأديب السوري، فيقول شوقي :

قف ناج أهرام الجلال دوناد هل من بناتك مجلس أو نادٍ؟

فجاء استهلال القصيدة بالحديث عن الأهرام مشعاً على القصيدة كلها، فيدور ذكر الأهرام كثيراً على مدار القصيدة، بما لا يفاجئ المتوقع من المتلقى. إن اللجوء إلى «تاريخ التلقى» مشرط لازم لفهم الآداب القديمة».^(٣)

من قيم التراث إلى قيم السيطرة

ورث شوقي فيما كثيرة شخص- بدراجات متقاومة- القصيدة الممودية التي يرع فيها، تتراوح تلك القيم بين الصوتية وتلك التي تقوم على لفت الانتباه في بداية القصيدة، ولعل درس هذه المباحث من جهة التلقى يختلف- إلى حد ما- عن غيرها من الطر宦ات ووجهات النظر.

١- التصرير

واحد من موروثات القصيدة الموزونة المفافة التي كان شوقي يكتب على غرارها، وقد شاع في تصوّر شوقي بدرجة لافتة، واستخدام التصرير بكثرة في استهلالات شوقي يدل على اهتمامه بهذه القيمة الموسيقية وتسييرها لأسر الملاقي وذائقته منذ البداية، بما يجوز معه أن نتساءل هل تحول التصرير إلى عنصر آلي؟ أم أنه عنصر عشوائي (برغم تعمده) يؤدي إلى الإيقاع؟ ليكون في نهاية الأمر واحداً من القيم الموسيقية التي تعد وسيلة للتركيز على المبنى دون المعنى الذي قد يتضم بالاستطراد .

ولا تيفي سطورنا دراسة التصرير من وجهة نظر عروضية؛ إذ وفر علينا أهل العروض ذلك والتبنوا إلى دور التصرير من جهة البناء العروضي .

وقد أدى البلاطيون القدماء بوجهات نظر قريبة من التأثير في التلقى التي تبني سطورنا التركيز عليها، فيقول حازم القرطاجمي: «إن للتصرير في أوائل القصائد طلاوة وموقعاً من النفس لاستدلالها به على قافية القصيدة قبل الانتهاء إليها. ول المناسبة تحصل لها بازدواج

صيفتي المروض والضرب وتماثل مقطعها لا تحصل لها دون ذلك»^(٢٧)
ولا يبتعد رأي القرطاجني عن قول الدكتور محمد الهادي الطرابلسي «من المستحب إن
لم تقل من الشروط في نظم الشعر عند العرب أن يُصرَّ على الطالع حتى يدل آخر المصدر على
العجز، تبيها على القافية التي ستجري وتلتزم، وفي «الشوقيات» نزعة جديدة إلى تطبيق هذا
الشرط إلى جانب بقية الشروط».^(٢٨)

التصرير في جوهره استجلاب للمثقفين وتوظيف للذاتقة الموسيقية التي تسهم في تسليم
المثقفي، في النهاية، وهو ما جعله واحداً من أسس بنية النص من جهة وتنقيه من جهة أخرى.
يبدو أن تعامل «الأمير» مع هذه التقنية الموسيقية على أساس كونها واحدة من عوامل تشكل
قدراً من «الاستعداد الإدراكي» تبعاً لتعبير «هان ديلك» الذي يريد أن نسلم بأن مجموعة كبيرة
من العوامل تلعب في فهم النصوص دوراً هو — من ناحية أولى — عام و دائم تقريرها بالنسبية
للجماعة اللغوية وللفرد، ولكنه — من ناحية ثانية — لا يصلح إلا لهذا المتكلم ولهذا الموقف
المحدد. سوف نسمى مجموعة العوامل المتراقبة هذه «الاستعداد الإدراكي»^(٢٩). أما الانحراف على
هذه التقنية فربما يعني كونها قد تجاوزت مرحلة «التقنية» التي قد يلتجأ إليها حيناً ويتركها
أحياناً لتكون واحدة من ثوابت القصيدة، لتكون واحداً من أساسها وملامح شكلها، وشكل الشعر
حساس بوجه خاص لوضع المستمع. فالشرط الأساسي للتنقيم الفناني هو النقاقة المطلقة في تعاطف
المستمعين، وب مجرد دخول الشكل في الموقف الفناني يتحول أسلوب الشعر فجأة^(٣٠).

ويحصي الدكتور الطرابلسي^(٣١) قصيدة من مجموع (٢٢١) لم يرد فيها الطالع مصرياً.
وإذا تأملنا فيه تبيينا أن أغلب ما لم يُصرَّ على طالعه من القصائد هو إما قصيدة عادي أو دون العادي
فإنما تصل أبياته أو تتجاوز المعدل المضبوط (وهو ٢١ بيتاً)، وإنما أشعار قصيرة المدى متفرقة لم
يُعن الشاعر بجمعها، وجمعت بعد وفاته، في «الجزء الرابع». وهذا يثبت نزعة الشاعر إلى احترام
التصرير في الطالع بعامة^(٣٢). وليس الأمر مطرداً على النحو الذي يراء الدكتور الطرابلسي؛
إذ تجد بعض قصائده التي اهتم بها، وكانت ذاته الصيغة غير مصرعية. انظر إلى قصيدة
المعنونة «يرثي أيامه»، وهي التي قالها في رثاء أخيه فيقول:

سألوني لم لم أرث أبي؟
ورثاء الأب دين أي دين

إنها قصيدة لبث النجوى دون تحكيم شعرى مفترض، يلتزمها شاعرنا في الأغلب، وهذه
الnjouي ذاتية يامتياز، وفي قصيدة رثاء شديدة الخصوصية ربما لا تتوافق والموسيقى الصاحبة.
إن الاستهلال في مجمله مرتبطة بقيم وضروراته: موضوعية وبنائية. فالموضوعية يمكن
اختبارها على الاشتياق للأطلال، والبنائية ربما تعني المعنى داخل القصيدة ثارة، والفرض -

بتعبير القدماء-تارة أخرى؛ وفي نص شوقي تجد قصيدة مثل «جسر اليسفون»:

أمير المؤمنين، رأيت جسرا
أمر على الصراط ولا عليه
له خشب يجوع السوس فيه

ويُفيَّ أغلب الظن أن القصيدة تخلت عن التصريح هنا؛ لكونه لا يتتوافق مع متحاها التصحي
الذي يتراجع فيه دور الاستهلال ، ولا يعدو كونه راسماً للجو الذي تدور فيه. مجرد تمهيد .
وهناك نوع من التصريح يعتمد الجناس، بحيث يقصد المتقين بجناس عميق الدلالة لا يعني
أكثر من القدرة اللغوية المتمكنة :

(١) قم حي هندي النيرات	حي الحسان الخيرات
قف ناد أهرام الجلال وناد	هل من بنائك مجلس أو ناد
ولا نتحدث هنا عن نوع من التكليف وتوجيه بؤرة الاهتمام نحو قوله :	
قام للمعلم وفه التجيلا	
كاد المعلم أن يكون رسولا	

الأمر في المطالع

تبعاً لما نراه من سيطرة الاستهلال بفعل الأمر، يبدو ملهمًا دالاً للحدس بالصيغة الميمونة على استهلالات شوقي. إنه «الأمير» الأمر الناهي، الناصح الذي ترتدي أوامره زيف النصح والإرشاد . وليس بعيد عن هذا المسلك ما كان من اعتبار الشاعر-في القديم- حكيمًا لا يراجع، وبمحض لا يُماري. إنه الناصح الأمين والحكيم الذي ينظر ويرى ما لا يراه الآخرون .

ويرتبط بشيوع الأمر ما نظره من رغبة شوقي في إنتاج نص خال من الفراغات يسد ثقوب المشاركة أمام المتقني بما لا يقل عن استسلام المتقني لسيطرة الأمير، فيُخرج بنية النص ومكوناته المحكمة متازرة مع ثقافة القارئ المحدودة، وانبهاره بالمبتدع. فضلاً عن ميراث ثلثي لا يخرج عن كون «الخواود الرسمية» في الشعر القديم استهلاك طوالها في الفالي بفعل الأمر، قبينا نزعة الشاعر إلى رفع قصائده ذات الأغراض الاجتماعية خاصة إلى مستوى الملاقات الرسمية^(٢١). المطلولات تُفتح بالأمر، وبالطبع تشد عن ذلك بعض القصائد الطويلة ، التي لا تفتتح بالأمر؛ فيقول تحت عنوان «مصحفى كامل باشا» وهي قصيدة في رثاء «مصحفى كامل» جاءت في ٦٤ بيتاً

الشرقان عليك ينتحبان قاصيهمما في مأتم والدانى

وباب «الرثاء»^(٢٢) عموماً لا تُثر فيه لأيات تستهل بفعل الأمر، يبدو أن خفوت الأمر أمام جلال الموت كان منطقياً ومن جهة أخرى، فقصائد الرثاء مقيدة بالقوة عند محبي الشخص المرتلي، ومتهمة عند غيرهم بما يعني أن المتقني منقسم على نفسه في هذه النوعية .

وقد يجد علاقه الاستهلال بالطول بينة في قسم «القصيدة»، كما يسميه صاحب الديوان قصائد التسبيح في أبيات قليلة، وأغلبها يدور في تلك العشرين بيتاً، إن المتلقى من حيث - بطبعه - إلى قصائد الغزل.

والبيد بالأمر والإكثار منه يتبعه اعتماد شاعرنا على «القصد» نحو المعنى المراد، دون تحاوشه في المطلع، أضرب مثلاً بقصد المطلع نحو ما عُرف بأمن اللبس، وشوقي الذي عُرف عنه التمكّن من اللغة لم يعمد إلى محضنات لفظية: (السجع مثلاً) في مطلع قصائده حتى ما جاء من مثل:

قام للمعلم وهو التجيلا
فليمن فيه ما عزف عنه من الواقع في اللبس، فأمن اللبس - في المطلع - كان سمة أساسية عنده،
فيعمد إلى تجنب المتلقين استئراف جهودهم في بداية القصيدة، وربما يشد عن ذلك التوفير
للمجهود قصائد قليلة، لم يأت اللبس فيها من مجاز بعيد أو قريب ولكنه من ألفاظ قد تغمض
دلائلها؛ مثل قوله في افتتاح قصيدة «الانقلاب العثماني وسقوط السلطان عبد الحميد»
سل «يلداز» ذات القصور هل جاءها نبا الدبور

ويلىزامي في لغة الترك اسم تجم، وقد سمي به قصر عظيم في الأستانة، إن احتياج المطلع إلى شرح، كما في هذه الحالة، أمر قليل الواقع عند شاعرنا.

وبينما - في الغائب - افتتاح الفصائد بالفعل الأمر حال تركيز الشاعر على إثارة الحماسة واستثاره المتلقين، الذين يقتربون - هنا - من كونهم مخاطبين في خطابة حافظة، ولا ريب أن فعل الأمر مناسب لهذه الحماسة المستثار؛ بحيث لا يدخل الأمر من وجهة نظر شاعرنا في احتمالية المناقشة أو التمهيد لما يريد بالجمل والتعليق، إنه هجوم على العقل وطلب لرد الفعل دون مقدمات أو تمهيدات، انظر إلى قصidته (الأزهر) :

قام في فن الدنيا وهي الأزهرا وانشر على سمع الزمان الجوهرها
فقد دفعته حماسته للموضوع للدخول مباشرة في الأمر بتحية ما يتباينه من وجهة نظر،
وتتواصل أفعال الأمر

وأجعل مكان الدر إن فصلته
واذكره بعد المسلمين، معظماً
لمسجد الله الثلاثة مكبراً
واخشع ملياً، واقض حق أئمّة
في مدحه - خرز السماء النيرا
لساجد الله الثلاثة مكبراً
طلعوا به زهراً، وما جوا أحبراً
وربما يدعم ما نظنه من وجهة النظر هذه من قوّة الحماسة التي أطلقت أعمال الأمر في الاستهلال
ما تجده من تراجع لفعل الأمر بعد الاقتراح السابق؛ حيث لم يرد سوى مرة واحدة في قوله:

أنت - لعمر الله - أعمص القرى

هزوا القرى من كهوفها ورقيمها

ولتحظ مع الدكتور الطرايسى كون «قصائد المستهلة بالأمر تتميز بالطول، فتثنانها (٥٠ من ٣٢) قصائد تتجاوز كثيراً من عدد أبياتها معدل الآيات في القصيدة عند الشاعر (وهو ٢١) وبعضها يتجاوز الشهرين»^(١٢). ونمثل بقوله:

(قصيدة على قبر نابليون)

من فريد في المعانى وثمين (٨٤ بيتاً)

قف على كنز باريس دفين

(الانقلاب العثماني)

هل جاءها نبأ البدور (٨٠ بيتاً)

سل يلدزا ذات القصور

(العلم)

كاد المعلم أن يكون رسولاً (٦٦ بيتاً)

قم للمعلم وفه التجيلا

(الرحلة إلى الأندلس)

اذكر يا الصبا وأياماً ماضى (١١٠ بيتاً)

اختلاف النهار والليل ينسى

ونستمر في التلافي مع آراء الدكتور الطرايسى الذي يقول «هذا الاستهلال يستدعي للقصيدة جلال القديم، ويجمع فيها بين جدة الأحداث وعارض المناسبات وأصلة المنهج في إنشاء الكلام، جمعاً غير محبب عند ذوي الأذواق المتغيرة، محبباً عند من لا ينشغل ذوقه إلا بملازمة الأصيل المتعود»^(١٣). وذلك شأن العصر وذوقه، والأمير وطموحه. ولعل التزام الأمر بظاهر معناه عند شوقي، في أغلب قصائده، وكونه مباشراً وملزماً للمتلقى بموضع المستمع البعيد عن الاشتراك في تطابق التواصل ووجهة النظر، يجعل المتلقي أكثر ميلاً للتسلیم باستهلال النص وما يليه.

الهدف

يدخل الحذف في رهان البحث من جهة كونه علامة على تعلق المتنقى بالنص قبل أن يلتجئ إليه، فيكون الفائز من النص اتصالاً تعلق المتنقين بمدعهم الأثير، وبخاصة ما كان من يكثر عنده من الحذف في الاستهلال.

نبأ بمحنة حرف النداء، وهو ما عده الدكتور محمد الهادي الطرايسى «من خصائص المطالع»^(١٤). والاستغناء عن حرف النداء إهمال لدوره الذي يقتصر على التنبيه، فيكون حذفه نوعاً افتراض بديهية الاتصالات والانتباه الذي يبديه المستمع للأمير؛ فللت النظر واستدعاء خاطر المتنقى وإثارة اهتمامه أمور تتباين مع طموح «الأمير» الذي قد يستكشف من افتراض تحول

الخاطر عنه، أوـ بتصنيف أخرىـ نوع من اتصال الكلام السابق بما يظنه من تعلق الناس بشعره، وهذا التفسير الذي تذهب إليه قد يتعارض مع ما ذهب إليه الطراولي من تفسير هذا الحذف بوصفه إبرازاً للمنادى لفظاً ونقوية لا على مستوى المعنى، ويضرب مثلاً بمعطليين هما :

- (١) جبريل هلل في السماء وكير
واكتب ثواب المحسنين وسطر
(٢) أبا الهول طال عليك العُسر
ويبلغت في الأرض أقصى الْعُسر

والحق أن هذا الحذف فيه من الآلية الواضحة ما فيه، وربما جرى الحذف مجرّى الكلام العادي، غير أن الحذف في المطلع يجب أن ننظر إليه بحسب مكانة المذوف وتصدرها بحيث يكون البدء بالمحذوف نوعاً من اتصال الكلام السابق سواء من سياق القصيدة المعلوم سلفاً، أو من عنوانها في بعض الحالات النادرة، أو من جريان الحذف مجرّى عادياً لا يغول المتلقى عليه، ولا يذهب في تفسير المذوف مذاهباً شتى.

وقد يكون حذف حرف النداء في نداء الأعلام أمراً بدبيها من وجهة نظرنا لنص شوقي؛ فهو مظهر لحذف الإيمام المفترض في نداء العلم، بينما يجري خطاب شوقي في صورة تبحث عن المطلق.

نريد أن نبحث في شكل آخر للحذف، ففي قصيدة «عاد لها عرابي» والتي قالها في «أحمد عرابي» بيديه الحذف في المطلع واضحـاً.

يقول شوقي :

صفار في النهاب وفي الإياب أهذا كل شأنك يا عرابي ٩

ولعل بداية القصيدة بسؤال يفتح الباب واسعاً أمام تشبيط دور القارئ وتفعيل قدراته الكامنة وصولاً إلى إجابة مفترضة منه، تجعل النص جديلاًـ في ظاهره على الأقلـ أو لنقل دراماً بين الذات المبدعة والذات المتلقية، غير أن مجيء السؤال بعد تقدمة تقريرية في صدر البيت يجعل من السؤال شركاً لتوسيط المتلقىـ في التأمين على وجهة النظر التي جاءت في الصدر، ولذلك يكون العجز/السؤال مجرد خادم أمين له؛ فهو يزيد بصدر استهلاله تمرير حكم معين، إنه يريد أن ينفيـ بسؤالهـ دور المتلقى بدلًا من أن يكون السؤال استجواباً لمشاركتهـ إن الاستهلال الذي يصادر على المشاركة المتهمة بفعل السؤال بما يقلص دور القارئ.

إنه يؤكّد منذ البداية على إدانة موقف عرابي عن طريق السخرية منه، وربما تعمد شوقي السخرية بما هو ربيب القصر؛ فالسخريةـ هناـ تخرجنا من النص إلى ما يحيط به من شفرات ومواقف معلومة تاريخـاًـ الآنـ وسياقاًـ وقت التلقيـ البكرـ للقصيدةـ إذ كان معلومـاًـ بالضرورةـ توجهـ شوقيـ المضادـ لـ عرابـيـ الذيـ يقفـ موقفـاًـ مضادـاًـ لـ الخندقـ شوقيـ ومنـ حولـهـ، مماـ

ينبغي أن نعتبر معه- هي وقتنا الحالي- «إعادة تصور الميل التاريجية لجمهور القراء الذي كان يستهله المؤلف وكثفها معه»^(١١)؛ «مِيل القارئ لا تخفي تماماً، بل تبدأ في تكوين خلفية وأطار مرجعي لعملية الإدراك والفهم»^(١٢).

وعلى الرغم من كون الاستهلال- هنا- قد جاء عبر الاستفهام، فإنه ينفي فعل المشاركة، في غياب «ال فهو» (المتلقى) عن تركيبته ومعناه وليعتمد ثنائية (أنا=شوفي، أنت=عرابي) مفترضاً في رأيي- ذوبان الغائب في ذات المتكلم التي راحت تسأل في الصدر لتتفى في العجز . الذوبان هنا مردود إلى احتلال «أنا»، موضعين من التركيب في الاستفهام وجوابه . كما كان غض الطرف عما بين «الذهب والإياب»، وعدم الالتفات إلى ما بينهما تفيا للثورة العربية ذاتها، أو محاولة التوقف أمامها بوصفها جواهر الحدث المستفهم عنه، إنها فترة كالـ«هشيم»، برغم كونها محور الحدث الأساسي . لقد توقف عند الذهب والإياب تاركاً ما بينهما من «عمر»، بكل أحداته ، غاضباً الطرف عنه برغم كونه محور الأسباب التي دعت للسخرية أساساً، بما يدعمها من «الافتراض من الغائب إلى المخاطب».

الحكمة

يشجع عند شوفي البده بالحكمة ، وقد نرى ذلك نوعاً من مراعاة القديم ، وقد نراه نوعاً من التمسك بمفهوم الشاعر الحكيم الذي يرى في نفسه مصدر الحكم ومقتهاها . غير أننا نريد أن نلقيت لوجهة نظر أخرى تبدأ من التسليم بideaة كون النص «رسالة»، لها طرقان أساسيان (مرسل ومستقبل) فإذا تسلط أحدهما من البداية وبدأ رسالته بحكمة تجر القصيدة إلى مناقشتها (الحكمة) دون التواصل القائم على الحوار لبداً جواهر وجهة نظرنا لاستهلالات شوفي . وما دمنا نريد النظر لشيوخ الحكم في الاستهلال من جهة كونها تتسلط على التواصل فقد سلمنا - سلفاً - بكون «الرسالة في الأعمال الأدبية يتم نقلها بطريقتين، فالقارئ» ، يتلقاها ، يتجميغ أجزائها . وليس ثم نسق مشترك ويمكن القول على أحسن الفروض بإمكانية نشأة نسق مشترك من خلال العملية نفسها . وإذا بدأنا بهذه الفرضية فلا بد من البحث عن بني تمكنا من وصف الشروط الأساسية للتفاعل وحيثند قفحل يمكن لنا أن نتفقد على التأثيرات المحتملة الكامنة في العمل الأدبي . ولا بد لهذه أن تكون ذات طبيعة مركبة، فعلى الرغم من احتواها في داخل النص فهي لا تؤدي وظيفتها إلا حين أثرت على القارئ ... أما الجانب المؤثر فهو الوفاء بالجانب الذي تم تكوينه مسبقاً من خلال لغة النص . لهذا هأي وصف للتتفاعل بين بنية التأثيرات (النص) وبينية رد الفعل (القارئ)^(١٣)

ومن جهة أخرى ، يستخدم شوفي الحكم أدلة لتعزيز «المقدمة العامة في القصيدة أو مقدمة

قسم أو أكثر من قسم «^(١)». لا تهمنا في هذه الحالة مقدماته التي قامت رأساً على أبيات حكمة حيث كانت الحكمة تمثل قسماً من أقسام القصيدة مستقلة بذاتها، وإنما تهمنا الأبيات الحكمة المنفردة التي تدخل في تكوين المقدمة أو مجموعة الأبيات التي تكون المقدمة بها وحدها.

فالحكمة أداة في مقدمة القصيدة تلعب دوراً المنبه إلى الاتجاه العام الذي يتغير الشاعر السير فيه، والمثل الأعلى الذي يشتراك فيه مع القارئ ويمقتناه بربطان وتم شروع العقد الذي بينهما. فالشاعر بنصب الحكمة في المقدمة يعرب عن نزعته إلى السير في منهج تحليلي تمثل الحكمة فيه نقطة الانطلاق، ويمثل الغرض المقصود نقطة الوصول. فالحكمة في هذه الحالة تشغّل كل جوانب القصيدة بحيث يستطيع المتقبل التقدم في القصيدة من بيت إلى آخر إلى ما شاء الله، دون أن يفقد أي بيت منها أثر النفس الحكمي المبثوث في مستهل القصيدة.

وقد يأتي شوقي بالحكمة منحصرة في بيت واحد هو الطالع فيضمنها برنامجه الكامل ويخلص فيها غرضه الرئيسي، كاستهلاله قصيده الفرزلي «عبد الوهاء» بقوله:

أما العتاب فبالأحبية أخلق
والحب يصلح بالعتاب ويصدق
وقد كان العتاب محور هذا الطالع، أبرز المعاني الفرزلي في القسم الفرزلي من القصيدة.
وقد استهل الشاعر قصيدة «الهلال» بطابع حكمي كذلك فقال:

سنون تعاد ودهر يعيid	لم يمرك ما في الليالي جديداً
وفي قصيده «مشروع ٢٨ فبراير» التي يفتتحها ببيت حكمة يقول:	
أعدت الراحة الكبرى لمن تعبا	وفاز بالحق من لم يأله طلبها
فتكثّر أبيات الحكمة على مدار القصيدة، فيقول، مثلاً:	
وكل سعي سيعجزي الله ساعيه	هيئات يذهب سعي المحسنين هيا
أو يقول:	
إذا تغير منها الدمع واضطربها	لا تثبت المبنى شيئاً، أو تحنته

إذا رأيت الهوى في أمة حكما
فاحكم هنالك أن العقل قد ذهبها
وعلى سبيل الختام لهذه السطور التي تتصدى لنفس أمير الشعراء ر بما يجب عليها التأكيد
لاحتاجها لمباحث أخرى تضيقها، تبحث في التقلي الشفاهي وأثره وتقيم التأثير بين البدء
والختام بوصفه مكملاً لدائرة الاتصال، وتبحث في الاختلافات بين نصوص المعارضات - على
سبيل المثال - ونصوص المتأمبات، أو بين نصوصهن تلقى في محافل وأخرى تنشر أولاً في الجرائد.
دراسات تبحث في تطور أمر الاستهلال على مدار فترات إبداع الراحل الكبير. لا نزعم أبداً
أحاطنا بشعر شوقي أو بنظرية التقلي، وربما كان في قابل الأيام الاستكمال.

المصادر

١-أحمد شوقي:الشروحات، دار المودة، بيروت ،١٩٦٨

الهوامش

- (١) حميد الحمداني:نظرية الأدب من منظور التفاعل المتبادل، مجلة ثقافات (مجلة فصلية تصدر عن كلية الأدب - جامعة البحرين) العدد (٤) شتاء ٢٠١٤، ص ١٤١
- (٢) ابن رشيق:المدة بـ محسن الشعر وأدابه، (متنق وفصله وعلق حواشيه) محمد محب الدين عبد الحميد، دار الجليل ، سوريا، ط٣، ١٩٨١، ج ١) من ٢١٨
- (٣) السابق:ج ١ من ٢٢٥
- (٤) حازم القرطاخي:منهاج البلقاء وسراج الأدياء، تقديم وتحقيق:محمد الحبيب الخوجة،(دار الفرب الإسلامي، بيروت، ط٢ ، ١٩٨٦) من ٢٨٦
- (٥) ابن طباطبا : عيار الشعر : تحقيق د.عبد العزيز ناصر لانع، دار العلوم للطباعة والنشر، ١٩٨٥ ، السعودية من ٢٥
- (٦) سلطاني فيش:هل يوجد نص في هذا الفصل؟(سلطة الجماعات المفسرة) (ترجمة وتقديم:أحمد الشيعي،مراجعة:محمد بريبي، المجلس الأعلى للثقافة، مصر ٢٠٠٤) من ٦٧
- (٧) بشيل أوتان: سيميائية القراءة، ضمن كتاب «بحوث في القراءة والتلقي» (ترجمة: د.محمد خير البقاعي، مركز الإنماء الحضاري، سوريا، ١٩٩٨) من ٧٢
- (٨) هاشم روبرت باوس:جمالية التلقي : من أجل تأويل جديد للنص الأدبي، (ترجمة رشيد بشدو، المجلس الأعلى للثقافة، مصر ٢٠٠٤) من ٨٩
- (٩) السابق نفسه
- (١٠) جوناثان كلر:القدرة الأدبية، ضمن كتاب تقد استجابة القراء:من الشكلانية إلى ما بعد البنية، (تحرير: جين بـ. تومبكينز، ترجمة:حسن تاظم، علي حاكم، مراجعة وتقديم:محمد جواد حسن الموسوي، المجلس الأعلى للثقافة، مصر ، ١٩٩٩) من ١٩٣، وما بعدها.
- (١١) سعيد مصلح السريحي:قراءة البياض، مجلة علامات، النادي الأدبي، جدة، ج ٢٢، م، معارض ١٩٩٧، من ٦٢
- (١٢) أحمد مطلوب:مجمع المصطلحات البلاطية وتطورها، (مطبوعات المعجم العلمي العراقي، العراق، ١٩٨٢، ج ١) من ٢٩١، ج ٢٩٢
- (١٣) د. الطاهر رواية:شعرية النال في بنية الاستهلال في السرد العربي القديم ضمن منشورات مؤتمر جامعة عنابة الجزائر من ١٤١)
- (١٤) ج. هيو. سلفرمان:نصيات(بين الهرمانيوطيفها والفكريكة) (ترجمة:حسن تاظم وعلي حاكم صالح، المركز الثقافي

- (١) العربي، الدار البيضاء المغرب بيروت لبنان ٢٠٠٢ (ص ٥١)
- (٢) وقد عززت نصوص الإسلام العظيف مكانته النبيل في الوعي العربي؛ إذ جاءت نصوص كثيرة في «دخل النيل» ومحاسنه، تذكر منها ما جاء في كتاب «الجنة وصفة نعيمها وأهلها» في صحيح مسلم، وتحذينا في باب «ما في الدنيا من نهار الجنة» قوله - صلى الله عليه وسلم - «سيحان وجيحان والفترات والنيل كلُّ من نهار الجنة».
- راجع: صحيح مسلم، ج ٧، من ١٤٩، الحديث رقم (٧٣٤) من طبعة دار المطلب، بيروت.
- (٣) هولفجانج إيزر: «دخل القراءة: نظرية في الاستجابة الجمالية»، (ترجمة: د. عبد الوهاب علوب، المجلس الأعلى للثقافة، مصر ٢٠٠٠) ص ٢٧
- (٤) ندرك، تماماً، أن القصد بالاستهلاک يتجاوز البيت الأول منفردًا ولكننا أثرنا هذا التعبير لأمور منهوبة.
- (٥) هولفجانج إيزر: «دخل القراءة»، مرجع سابق ص ٢٦
- (٦) يوري لوتمان: «تحليل النص الشعري: بنية القصيدة» (ترجمة وتقديم وتعليق: د. محمد فتوح أحمد، مصر: دار المعرفة، ١٩٩٥) [ص ٥١]
- (٧) يوجب علينا تأمل كلام العميد هنا أن نتساءل عن أثر التقني الجمعي واحتياجه للدرس، وهل كان شوقي يراهن على تأثير ذلك التقني في تحفظ الناس على تناولهم للقصيدة؟ وهو أمر مهم غير أنه يصطدم باحتياجه لمعرفة المعلومات التحويلية بالمعنى وظروفه المحيطة ومتلقيه.
- (٨) د. مهه حسين: حافظ وشوفى، (مكتبة الخانجي)، د. ط. د. ت، (ص ٢٠، ٢٩)
- (٩) هانس روبرت ياؤس: «جمالية التقني»، مرجع سابق ص ٧٦ هامش رقم ٦٢
- (١٠) بول زمتوون: «دخل إلى الشعر الشعائي»، ت: وليد الخطاب، (مصر: دار شرفات، ١٩٩٩) ص ٢٢٤
- (١١) هولفجانج إيزر: «دخل القراءة»، مرجع سابق ص ١٩٢
- (١٢) (السابق: ص ٢٩)
- (١٣) هانس روبرت ياؤس: «جمالية التقني»، مرجع سابق ص ٨٩
- (١٤) راجع د. صلاح فضل: «بلاغة الخطاب وعلم النص»، عالم المعرفة، الكويت، ١٩٩٩، ٢٢٥.
- (١٥) بير مارك دو بيلاري: «النقد التكويني» ضمن كتاب «دخل إلى مناهج النقد الأدبي»، (ترجمة: د. رمضان علاطها، عالم المعرفة، الكويت، مايو ١٩٩٧) ص ٢٥
- (١٦) (السابق: ص ٤٤)
- (١٧) د. صلاح فضل: «بلاغة الخطاب وعلم النص»، مرجع سابق، ص ٢٢٨. ولا يخرج عن هذا الإطار ما يتحدث عنه أصحاب النقد التكويني من أن «دراسة معطيات السيرة الذاتية التي تساعد على التتحقق من التأويل، ولكنها لا تأخذ أهميتها ومعناها إلا من خلال قراءة النصوص»، راجع عدخل إلى مناهج النقد الأدبي، مرجع سابق، ص ٩٠
- (١٨) جوناثان كلر: «القدرة الأدبية» ضمن كتاب «نقد استجابة القارئ»، مرجع سابق، ص ١٩٢
- (١٩) هانس روبرت ياؤس: «جمالية التقني»، مرجع سابق، ص ٤٤

- (٢٢) د. هيجان الرويلي، د. سعد البازمي: «دول الناقد الأدبي»، إضافة لأكثر من خمسين قيادة ومصطلحاً نقدياً معاصرة، (المركز الثقافي العربي، المغرب، ط٢، ٢٠٠٠)، ص ١٩٦.
- (٢٣) «ولفچانج إيزر: فعل القراءة»، مرجع سابق، ص ٤١.
- (٢٤) يعتقد تاريج شوفي الأدبي بعوقي صادمين: الأول حين سد عليه الخديوي باب السرج - مؤقتاً - وهو موقف يبدو هنا إذا قيس بالثاني: حيث يروي أحمد شوفي أنه بدأ بتصديره:
- خدعواها يقولهم حسناً
والقواتي يترهن الشفاء
- إلى أستاذ عبد الكريم سلمان، ليشرها في «الوقائع المصرية»، وهوعلم أنه مجرد بايداه مدحه للبنات العائلي بفزل موقع، فطلب من شيخه نشر المذبح دون الفزل، وتنسى الشيخ نشر الفزل دون المذبح وجوبت المسألة الفقيدة مدحه وإنما يقول شوفي: «لما يلتفي الطبر لم يزدني علماً لأن احتراسي من المفاجأة بالشعر الجديد دفعه واحدة إنما كان في محله، وأن الزلل معي إذا أنا استمع له».
- وربما - تبعاً لسباق الفترة ذاتها - من جهة، وطريقة السباق الإبداعي من جهة أخرى لم يكن من الجائز أو الممكن أن تتوقع ثورة يقودها شوفي «الأمير» على المواقف الإبداعية.
- ويلاقى الدكتور مجدى توفيق تعليقاً مهما، إذ يقول: «لهذه النظرة تريك أثر البداعي في كتاباتهم وفي تقدمهم التصعيدي، فأما الكتابة فهذا تعمد منها تكثير فيه الاستماراة مع التصعيدي إلى معلن براد وبفهم، وأما النقد فمددهم في وحدة الآخرين
- راجع: د. مجدى توفيق: «مفاهيم النقد ومساردها»، عدد جماعة الديوان، (قسم الأدبي)، ١٩٩٧، ص ٢٥٥.
- والأمر يمكن أن ينطبق عليه مقوله هائز روبرت ياؤوس: «إن الإطار التاريخي للتواصل الذي يظهر ضمته العمل الأدبي ليس سوى سلسنة متواتلة من الأحداث الموضوعية التي يمكن اعتبارها في ذاتها لأنها مملكة موجود يعزل عن كل مرجع ملحوظ. فلا تصبح هذه القصة حدثاً أدبياً إلا بالقصبة للتقطها»، مراجع: جمالية التقني، مرجع سابق، ص ١٧.
- (٢٥) «ولفچانج إيزر: فعل القراءة»، مرجع سابق، ص ٤٤.
- (٢٦) هائز روبرت ياؤوس: جمالية التقني، مرجع سابق، ص ٦١.
- (٢٧) حازم الترجمجي: «منهج البلاغة وسراج الأدباء»، مرجع سابق، ص ٢٨٣.
- (٢٨) د. محمد الهادي الطرابيسى: «خصائص الأسلوب في الشوقيات»، (المجلن الأعلى للثقافة)، ١٩٩٦، ص ٥٣.
- (٢٩) هازم ديلك: «الشخص: بناء ووظائفه»، مقدمة أولية لعلم النفس، ترجمة جورج أبي صالح (مجلة العرب والفكر العالمي، مركز الإنماء القومي، بيروت، العدد الخامس، شتاء ١٩٨٩)، ص ٧٢.
- (٣٠) ميهائيل باختزن: «عنون ضمن كتاب مداخل الشعر، ترجمة أمينة رشيد وسید البحراوي»، (هــ، قــ، ١٩٩٦)، ص ٥٨.
- (٣١) د. محمد الهادي الطرابيسى: «خصائص الأسلوب في الشوقيات»، مرجع سابق، ص ٥٦.
- (٣٢) السابق، ص ٦١.
- (٣٣) بالطبع لم يجد هناك مبنى للحديث عن الشعر وفقاً للأغراض، ولكن البحث يتكلم عن «الرثاء» وفقاً لتقسيم الديوان.
- (٣٤) د. محمد الهادي الطرابيسى: «خصائص الأسلوب في الشوقيات»، مرجع سابق، ص ٢٥٤.

(٤٤) السابق: ص ٣٦١

(٤٥) السابق: ص ٢١٤

(٤٦) هولنديانج إيرنر فعل القراءة، مرجع سابق: ص ٧٩

(٤٧) السابق: ص ٤٢

(٤٨) السابق: ص ٢٨

(٤٩) د. محمد الهادي المطراوي: خصائص الأدب في الشوقيات، مرجع سابق: ص ٣٣

- Musumeci, D. (1997). *Breaking the tradition: An exploration of the historical relationship between theory and practice in second language teaching*. N.Y.: McGraw-Hill.
- Nicholson, Jack and Susan Anspach (1970) *Five Easy Pieces* (a movie), BBS Productions, Columbia Pictures Corporation, Raybert Productions.
- Paradis, Michel (2004), *A Neurolinguistic Theory of Bilingualism*. John Benjamins.
- Shuib, Munir (2008). Teaching academic courses in English: Issues and challenges. In Zailan Morris, Hajar Abdul Rahim, Shakila Abdul Manan (Eds.), *Higher education in the Asia Pacific: Emerging trends in teaching and learning*. Penang: Penerbit Universiti Sains Malaysia.
- Simpson, R. L. (1998), *Essentials of Symbolic Logic*. Broadview.
- Spada, N. & Lightbown, P. (1993). Instruction and the development of questions in the L2 classroom. *Studies in Second Language Acquisition*, 15: 205-224.
- Thornbury, S. (1997). *About language*. Cambridge: Cambridge University Press.
- Traugott, E. C. (1981). "The Voice of Varied Linguistic and Cultural Groups in Fiction," *Writing: Variation in Writing*. National Institute of Education [U.S.].

- Denham, K. & Lobeck, A. (2002). A practical grammar course: A (partially) annotated syllabus in syntax in the schools. *The Journal of the Assembly for the Teaching of English Grammar*, 18(2), 1-6.
- Gaudart, H. (1988). English language teacher education in Malaysia. *The English Teacher*, XVII, October 1988.
- Grossman, P., Wilson, S. & Shulman, L. (1989). Teachers of substance: The subject matter knowledge of teachers. In M. Reynolds (Ed.), *The Knowledge Base for Beginning Teachers* (pp. 23-36). New York: Pergamon.
- Hamidah, A. R., Aziz, N., Mukheta, I., Fatimah, P., Faruk, M., Norazam A. M., Aminah, A. K., Siti Fatimah, B., Shufaat, T. & Zuriyahmi, Z. (2005). *Teachers' competency in the teaching of mathematics in English in Malaysian secondary schools*. Proceedings of the Eighth International Conference Reform, Revolution and Paradigm Shifts in Mathematics Education, Johor Bahru, November 25 -December 1, 2005. (Online) Retrieved 29 May 2009, from http://math.unipa.it/~grim/21_project/21_malasya_2005
- Hartwell, Patrick (1985), "Grammar, Grammars, and the Teaching of Grammar," *College English*, Feb. Issue.
- Hofstadter, Douglas R. (1981) "Metamagical Themes," *Scientific American*, 235, No. 1, 22-32.
- James, G. & Garrett, P. (1992). *Language awareness in the classroom*. England: Longman Group (UK) Limited.
- Leong, Lim Tiek, Saratha Sithamparam & Fatimah Hashim (1990). A strategy to improve proficiency in English - The Language Camp. *The English Teacher*, XIX.
- Lyons, John (1995). *Linguistic Semantics: An Introduction*, Cambridge University Press.

References

- Abdul-Aziz, Nurazila (2007). *A Study on grammatical awareness of parts of speech among trainee teachers in a teacher training institution*. Unpublished Master's Thesis, Universiti Sains Malaysia.
- Ali, M (2002). Professional development of ESL teachers in primary schools. *Jurnal Pendidikan IPBA* 2 (5).
- Andrews, R. (2005). Knowledge about the teaching of [sentence] grammar: The state of play in English teaching. *Practice and Critique*, 4(3), 69-76.
- Andrews, S. (1999). 'All these like little name things': A comparative study of language teachers' explicit knowledge of grammar and grammatical terminology. *Language Awareness*, 8 (3&4), 143-159.
- Andrews, S. (1999). Why do L2 teachers need to 'know about language'? Teacher metalinguistic awareness and input for learning. *Language and Education*, 13, (13), 161-176.
- Azar, B. (2007). Grammar-based teaching: A practitioner's perspective. *TESL-EJ*, 11(2), 1-12.
- Beard, R. (1999). *National Literacy Strategy: Review of research and other related evidence*. London: Department for Education and Employment.
- Bloor, T. (1986). What do language students know about grammar? *British Journal of Language Teaching* 24(3), 157-160.
- Cajkler, W. & Hislam, J. (2002). Trainee teachers' grammatical knowledge: The Tension between public expectation and individual competence. *Language Awareness*, 11(3), 161-177.
- Celce-Murcia, M., Dornyei Z. & Thurrell, S. (1997). Direct approaches in L2 instruction: A turning point in communicative language teaching? *TESOL Quarterly*, 31: 141-152.

second language development in both the short and long term" (p. 205). For Celce-Murcia, Dornyei and Thurrell (1997: 146), "explicit, direct elements are gaining significance in teaching communicative abilities and skills". Similarly, Musumeci (1997) noted that connecting form and meaning in grammar teaching has become a developing trend in proficiency oriented curriculum. She also pointed out that students should be able to learn explicit grammar rules, as well as have a chance to practice them in communication.

In terms of training, the findings of the present study suggest that more efforts need to be made at teacher training institutions to promote grammatical awareness among prospective teachers. This is especially important, since it was found that the majority of student teachers of Teaching English as a Second Language (TESL) in teacher training institutions had low proficiency in English despite being provided with proficiency classes during training (Gaudart, 1988 & Leong, Sithamparam & Hashim 1990).

In conclusion, it would seem imperative that appropriate measures be taken to improve English teachers' linguistics competence. The measures, among others, could be in the form of greater emphasis on grammar exposure in teacher training institutions, as well as remedial language strategies for practicing teachers. These would help improve teachers' grammatical proficiency and avert sub-standard grammar teaching in the classroom. As Gaudart (1988) succinctly puts it "it is sufficient for just a few teachers to lack the competence for the rest of TESL teachers to be tarnished with the same brush." Undoubtedly, further larger scale studies need to be conducted before any comprehensive measure can be confidently proposed. Future studies should also consider needs analysis which takes into account views and input from various relevant parties and sources as a way to gauge aspects that need to be emphasized with a view to enhancing English language teachers' grammatical awareness.

Conclusions and Implications

The general findings in the present study indicate that the Taif University English language instructors have gaps in their knowledge of grammar, and these gaps may have serious effects on their teaching considering that the majority of them claimed that they taught grammar to their students. Although it is not denied here that there may be individual respondents who performed well in the test, yet, considering what various scholars have said about effective language teaching as mentioned earlier, they may be said to be somewhat ill-equipped to deal with grammar in their lessons at school.

The fact that they scored poorly in the rules and explanation task may be understandable and perhaps excusable, because, being teachers of non-specialized English language level, they may not need to draw on this explicit knowledge from their mental store so often compared to teachers teaching at specialized levels. However, what should be a cause for concern is their performance in the metalanguage production task and error correction task. These are activities that can be said to be reasonably common even at university instructors' level. Therefore, teachers should be able to show appropriate understanding of grammatical concepts, and correct students' errors in the classroom. As pointed out by Andrews (2005), a teacher with a good grasp of grammatical construction will be in a better position to help students.

From the findings, two major implications may be discerned: firstly in the context of their teaching, and secondly in the context of their training. In terms of teaching, their rather limited grammatical awareness may affect the accuracy of their teaching and indirectly the accuracy of what is learnt by their students from them. It is not impossible that their students' grammatical competence may have been influenced by the input received from these teachers. The danger with this is that they may, in practice, be compounding their pupils' language problems instead of relieving them.

The importance of teaching grammar effectively has been noted by various scholars. Spada and Lightbown (1993), for instance, argued that "form focused instruction and corrective feedback provided within the context of communicative interaction can contribute positively to

input in the classroom demands a strong command of English on the part of the teachers (Shuib, 2008).

This study, however, found that many of the respondents scored what may be termed 'below the passing mark,' suggesting that their English may well lack both fluency and accuracy. This may have an adverse effect on their students in terms of not only the students' acquisition of the target language, but also their motivation to learn the language. As Hamidah *et al.* (2005) point out, the ability to use language effectively in teaching will not only help students understand the subject better, but will also lead to many other positive traits, such as higher interest and motivation.

Responses from the interview of the 10 selected respondents supported the quantitative findings. Most admitted that they found the rules and explanation task as the most difficult, whereas metalanguage recognition task as the easiest. They pointed out that complexity and multiplicity of rules are a major factor for their deficiency. Other factors mentioned included insufficient exposure to grammar during teacher training and lack of interest to improve grammar knowledge.

It is interesting to note that the findings are consistent with those obtained by Abdul-Aziz (2007) on Malaysian English language trainee teachers. Similar to the present study, her respondents did not perform well overall, albeit slightly higher (overall mean score: 44.57). She also obtained the same order of difficulty, beginning with metalanguage recognition as being the easiest, whereas rules and explanation were the hardest.

Such resemblance of findings is significant because it shows that regardless of whether the teachers are prospective or practicing, the same pattern emerges. In other words, it appears that trainee teachers, as well as practicing teachers, tend to have only a moderate level of grammatical awareness. Further, while it may be easy for them to recognize grammatical terms, and, to some extent, correct errors, it may present a great challenge for them to explain grammatical rules and grammatical errors in classroom.

demanding, as it requires respondents to "(1) reflect upon a grammatical error which they have corrected, (2) make explicit the rule which has been broken, and (3) employ appropriate metalanguage in order to explain the rule". The findings demonstrate that most of the items in the rules and explanation task were left unanswered by the respondents. Even when the answers were provided, the majority of the answers were incorrect. For instance, for one of the items (item 15) in which the subjects were asked to correct and explain the error in "She has phoned a few minutes ago", almost all of the respondents either provided a blank response or gave incorrect explanations.

Metalanguage production, is also cognitively burdening, albeit to a lesser extent, as it requires respondents to look within their own mental store of explicit knowledge about language in order to seek the appropriate metalinguistic terms to describe a language item. Similar to the rules and explanation task, many respondents either did not answer or provided incorrect answer for this task. For example, for item 3 in which the respondents were asked to name the grammatical term for the word 'driving,' 68% either gave the wrong answer or did not answer at all.

Why then did the Error correction task not present as much difficulty to the respondents? Andrews (1999) explains that this task is primarily a test of language proficiency rather than of explicit knowledge about language. It has to be noted, however, that although this task ranks second in terms of order of difficulty, the number of respondents who performed well in this task is not high (mean: 52.96). This suggests that many of the teachers, though not the majority, may not be sufficiently proficient in English grammatically.

As discussed earlier, English language students require a good grasp of grammatical knowledge to help them develop the target language. English teachers act as language models for students. In order to expose students to the correct use of forms and functions of English, they themselves have to have a certain degree of proficiency; one that is at the very least comprehensible and meaningful. Further, to help students acquire the target language successfully in the classroom there must be sufficient input by the teachers and sufficient opportunity for the students to listen to the language and use it productively. Quality

Range	Frequency	Percentage
31-40	9	32%
41-50	10	36.6%
51- 60	3	10.7%
61-70	6	21.5%
Total	28	100%

Table 6: Range of mean scores for overall test

There is also a clear variation in the mean scores among the four tasks given. As displayed in table 7, the mean score for metalanguage recognition is 61.43, the mean score for metalanguage production is 33.62, error correction 52.96 and rules and explanations 10.75. Evidently, metalanguage recognition proved to be the easiest task for the respondents followed by error correction and metalanguage production. Rules and explanation proved to be the most difficult task for the respondents.

Tasks	Minimum	Maximum	Mean	SD
Metalanguage recognition (18 items)	11.10	94.40	61.43	16.07
Metalanguage production (12 items)	0.00	66.70	33.62	17.34
Error correction (15 items)	6.70	93.30	52.96	20.37
Rules & explanations (15 items)	0.00	40.00	10.75	9.97

Table 7: Mean scores for each task

According to Andrews (1999:152), the metalanguage recognition task is cognitively less demanding than metalanguage production task, and rules and explanations task. The latter is especially cognitively

Structured questions asked during the interview include:

- 1) Respondents' perception of their understanding of grammar
- 2) Respondents' views about aspects of grammar which pose difficulty to them, and
- 3) Respondents' perceptions of possible causes of the difficulty

General Findings

To highlight the average score of the test, mean scores of the respondents were calculated. As displayed in Table 5, the mean score for the overall test is 39.53. This shows that, on the whole, the respondents in this study did not perform well in the test reflecting a low level of awareness of grammatical knowledge. Their performance may be said to be only moderate.

	N	Minimum	Maximum	Mean	SD
Overall	28	6.70	69.50	39.53	10.75

Table 5: Mean score for overall test

However, it should be pointed out that the variation of scores between the respondents is quite large (minimum: 10.7, maximum: 36.6). Nevertheless, the majority of the respondents (36.6 %) are in the range of between 41-50, as can be seen in Table 6. This shows that despite the large variation of scores, most are at a moderate level. Those who scored above 40 constitute 36.6% of the total, whereas those who scored less than 40 constitute 32% of the sample. Clearly, the number of respondents who scored low is quite considerable. It would not be unreasonable to conclude that this group of respondents lack grammatical awareness. If this could be considered a true picture of today's situation, as far as many university lecturers' grammatical awareness is concerned, then appropriate efforts must be carried out to address the issue. Having lecturers with very little or grammatical awareness will certainly hinder students' understanding and use of English grammar.

Joe has nowhere to shelter. (PREDICATE)

For this item, the respondents must underline *has nowhere to shelter* to give the correct answer.

Task two focuses on the respondents' ability to produce appropriate metalinguistic terms. This task consists of twelve items. Each item consists of a sentence in which a word or phrase is underlined. Respondents were asked to provide a grammatical term which would precisely describe each of the underlined words/phrases. For instance:

Alice fell asleep during the lecture.

The correct response for this item is 'preposition.' Other responses would be considered incorrect.

Task three tests respondents' ability to identify and correct errors, while Task four examines their ability to explain grammatical rules. Tasks three and four each consists of fifteen items. These two tasks were combined in the actual test, so that for each of the fifteen sentences respondents were asked:

- (a) to rewrite the faulty part of the sentences correctly, and
- (b) to explain the grammatical rule thought to be broken.

For example:

I walk to work very quick

For this item, the respondents must

- a) rewrite it as *I walk to work very quickly*, and then
- b) explain the error such as 'the verb in the sentence must be modified by an adverb, not an adjective.'

In addition to the test, an interview was also administered to consolidate the questionnaire results, and to gauge possible factors that may have influenced their grammatical awareness (or lack of it). The interview involved ten respondents chosen randomly from the sample.

Each of them focuses on a different facet of explicit knowledge of grammar and grammatical terminology. The first is concerned with recognition of grammatical categories such as preposition, noun and verb. The second is concerned with production of appropriate metalinguistic terms involving the ability to provide grammatical terms of a given word/phrase. The third is concerned with the identification of error involving the ability to identify and correct faulty sentences or parts of sentences. The final type is concerned with explanation of grammatical rules which deals with the ability to explain grammatical rules which have been broken.

Instrument

To elicit data from respondents, the study employs a test and a focus group interview. The test was adapted from Andrews (1999) which has been adapted from Bloor (1986) who designed a test called Students' Prior Awareness of Metalinguistics (SPAM). The adapted test comprises four tasks. Task one tests respondents' ability to recognize metalanguage. Task two tests their ability to produce appropriate metalanguage terms. Task three tests their ability to identify and correct errors, whereas task four tests their ability to explain grammatical rules.

Task one consists of eighteen items in two components. The first provides respondents with a sentence and fourteen different grammatical categories (for instance, countable noun, preposition, finite verb). The sentence given is:

- *Materials are delivered to the factory by a supplier, who usually has no technical knowledge, but who happens to have the right contacts.*

Respondents had to select one example of each grammatical item from the sentence.

The second comprises four items, each consisting of a sentence and a grammatical function (for example, direct object). Respondents had to underline the word(s) in the sentence which performed the particular function. For instance:

Table 4 shows that almost all respondents (90 %) taught grammar to their students in school except for 3 respondents who did not teach grammar to their students.

	Frequency	Percent
Yes	25	89%
No	3	11%
Total	28	100%

Table 4: Number of respondents who taught grammar to students

Theoretical Framework

This study is based on the assumption that in order to be effective, English language instructors must be able to draw on both explicit and implicit knowledge of the language, and that they must be able to reflect upon the knowledge of the underlying systems of the language. This view has been advocated by various scholars including James and Garrett (1992), Thornburry (1997) and Andrews (1999). Such view is supported by various studies on the teaching of grammar among English language teachers. Studies by Grossman, Wilson and Shulman (1989) and Beard (1999), for instance, demonstrated that teachers tend to avoid teaching grammar due to their uncertainty about their knowledge of grammar and inadequacy of grammatical knowledge. For example, Beard (1999:48), as cited in Cajkler and Hislam (2002:163), noted that besides having much 'intuitive implicit knowledge' about grammar, the uncertainty for teachers is the extent to which they are able to make the implicit knowledge explicit and the appropriate technical terms to be used.

The study adopts Andrews' (1999) theory of grammatical awareness. Andrews (1999) states that grammatical awareness comprises four types:

- 1) Type 1: ability to recognize metalanguage
- 2) Type 2: ability to produce appropriate metalanguage terms
- 3) Type 3: ability to identify and correct errors
- 4) Type 4: ability to explain grammatical rules

Gender	Frequency	Percent
Male	13	47.5%
Female	15	53.5%
Total	28	100%

Table 1: Gender of the respondents

Table 2 shows that the respondents' age ranged from 30 years old to 46 years old. Majority are in the age of between 35-42 years old (58 %).

Age	Frequency	Percent
30-35	4	14.2%
36-40	6	21.4%
41-45	6	21.4%
46-50	6	21.4%
51-55	6	21.4%

Table 2: Age range of the respondents

Table 3 below illustrates that from the 28 respondents, the majority (53.5 %) had taught English for 7-8 years as English teachers before joining TUELC. There were also some respondents who had taught English for more than ten years, but the number was relatively small (20.5).

No of Years	Frequency	Percent
5	1	3.6%
7	5	18%
9	1	3.6%
10	8	28.5%
12	7	25%
13	3	10.5%
14	2	7%
15	1	3.6%
Total	28	100%

Table 3: Number of years of teaching English prior to joining TUELC

The aim of this paper is to report on a study of Taif University English language instructors' grammatical awareness. In particular, the study examines the English language teachers' nature and level of grammatical awareness. Questionnaire and interview techniques have been used to elicit data from Taif University English language instructors currently involved in teaching English as a foreign language at Taif University English Language Center. Findings of the study would help to shed light on an important facet of University English language Instructors' metalinguistic awareness in Saudi Arabia, and contribute toward the improvement of teacher education in the country.

While there have been many studies on grammatical awareness of learners of English as a foreign language, there have been very few studies on grammatical awareness of English language teachers. Globally, one related study is Abdul-Aziz (2007) which examined grammatical awareness of prospective English language teachers in a teacher training Institution. There have been no studies to date on grammatical awareness of practicing English language teachers in Saudi Arabia at any school or university level.

Methodology

This section introduces data about the profile of the respondents involved in the research including the gender of the respondents, the age of the respondents, courses in English Grammar that have been taken by the respondents, the number of years respondents have been teaching English in Taif University, and whether or not they taught grammar to their students.

Sample

The total number of respondents in this research is 28, all carrying teaching hours of English as a foreign language in various colleges. *Table 1* shows the overall gender of the respondents. From the total 28 respondents, 13 respondents are males and 15 are females.

linguistic competence does not mean that it is useless for the acquisition of a second or foreign language. "Metalinguistic awareness obviously helps one learn a language; in fact, it is a prerequisite. But it may also help one acquire it, albeit only indirectly" (Paradis 2004).

Introduction

There has been considerable governmental and public concern in the media about the quality of English language teaching in Saudi Arabia, and it is not uncommon to find comments by students and academicians about various inaccuracies in teachers' use of English in the classroom. One of the related issues is the language awareness of teachers, i.e. the explicit knowledge that teachers have of the underlying systems of the language that enables them to teach effectively. Andrews (1999) argues that this explicit knowledge about language is an important part of any second language (L2) teacher's language awareness.

The importance of having grammatical awareness among English language teachers has been emphasized by many scholars for various reasons. Denham and Lobeck (2002), for instance, state that many English education textbooks point out that teachers must be aware of certain grammatical fundamentals in order to help students recognize patterns of errors. Azar (2007:24) states that it is the teacher's job to clarify grammar information for students. Andrews (2005:74) argues that both "initial and continuing teachers" should have access to grammar knowledge. According to him, "a teacher with a rich knowledge of grammatical constructions will be in a better position to help young writers".

Despite the high importance of having grammatical awareness, various scholars such as Beard (1999), as cited in Cajkler and Hislam (2002), have noted that regardless of years of experience in English teaching, many teachers still lack grammatical awareness or knowledge about language. The situation appears to be similar in Saudi Arabia. Similar studies have demonstrated that English as a Second Language (ESL) teachers lack sufficient English language proficiency to teach the subject. In other countries, e.g., Malaysia, the same problem poses a real challenge (Ali 2002).

sentence structure and/or inappropriate word choice, to set the linguistic frame of reference" (details available in Traugott (1981).

Metalinguistic Awareness

A clarification of the notion of *metalinguistic awareness* seems crucial. The sentence below, created by Hofstadter (1981) is offered to clarify that notion.

There is four errors in this sentance. Can you find them?

Three errors announce themselves plainly enough, the misspellings of *there* and *sentence* and the use of *is* instead of *are*. The fourth error resists detection, until one assesses the truth value of the sentence itself—the fourth error is that there are not four errors, only three. Such a sentence, Hofstadter (1981) calls, a 'self-referencing sentence') and asks you "to look at it in two ways, simultaneously as statement and as linguistic artifact—in other words, to exercise metalinguistic awareness" (quoted in Hartwell (1985)).

The Metalinguistic Vocabulary of Natural Languages

Natural languages contain their own metalanguage, i.e., they may be used to describe, not only other languages (and human language in general), but also themselves. The property by virtue of which a language may be used to refer to itself (in whole or in part) is generally called *reflexivity*, i.e., one relating to a mathematical, linguistic or logical relation such that, for any given element, that element has the given relation to itself. Thus, in English, if one aims for precision and clarity, it, like other natural languages, cannot be used for metalinguistic purposes without modification. As far as the metalinguistic vocabulary of natural languages is concerned, there are two types of modification open to us: *regimentation* and *extension*. One can take existing everyday words, such as 'language,' 'sentence,' 'word,' 'meaning,' or 'sense,' and subject them to strict control, i.e., *regiment* their use, defining them or re-defining them for our own purposes (just as physicists re-define 'force' or 'energy' for their specialized purposes). On the other hand, "we can *extend* the everyday vocabulary by introducing into it technical terms which are not normally used in everyday conversations" (Lyons 1995). The fact that metalinguistic knowledge never becomes implicit

Major Operational Definitions

Metalanguage

The term *metalanguage* was originally used by linguist Roman Jakobson and other Russian Formalists to characterize a language that makes assertions about other languages. For example, many English speakers, of course, do not study only foreign languages; they also study their own language. When they do, the object language and the metalanguage are one and the same. In practice, this works quite well. Given some grasp of basic English, one can understand a grammar text written in English (Simpson 1998). Here is an illustration from Nicholson and Anspach (1970):

Bobby: What are you doing screwing around with all this crap?

Catherine: I do not find your language very charming.

Bobby: It isn't. It's direct.

Catherine: I'd like you to leave so that I can take a bath. Is that direct?

Another instance is "When languages other than English are represented mainly in English [e.g., fiction], with sporadic shifts to the real language, little metalanguage is usually involved (one of the problems with Hemingway's use of Spanish is his overuse of metalanguage). However, when situations arise, within the action of the story, that involve language-switch, metalanguage is typical. It is obviously necessary when both languages are being represented in English. Page cites a particularly clever use of metalanguage totally incorporated in the conversation:

'She speaks French?'

'Not a word.'

'She understands it?'

'No.'

'One may then speak plainly in her presence?'

'Doubtless.'

but only after lengthy preparation through mixed use of English and the so-called *broken English*, i.e., a type of fragmented, incomplete faulty

ABBREVIATIONS

ESL: English as a Second Language

N: Number

SD: Standard Deviation

SPAM: Students' Prior Awareness of Metalinguistics

TESL: Teaching English as a Second Language

TUELC: Taif University English Language Center

Metaknowledge of English Grammar among Taif University English Language Instructors

ABSTRACT

This paper attempts a study of metaknowledge of grammar among Taif University English language instructors. In particular, the study seeks to examine the nature and level of grammatical awareness as demonstrated by some language instructors in the English Language Center. To elicit data from Taif University language instructors who are currently teaching, two techniques have been employed: questionnaire and interview. Findings of the study shed light on an important facet of the University English language instructors' metalinguistic awareness in Taif as a special case and in Saudi Arabia in general. The results also motivate some serious improvements of teacher performance and training in the country.

Keywords: grammar, grammatical metaknowledge, English language instruction, teacher education and training, teaching English in Saudi Arabia.



جامعة الطائف

Metaknowledge of English Grammar among Taif University English Language Instructors

Prof Hassan El-Banna M Gaballa
Linguistics Professor & Research Consultant

Dr Mohamed A Al-Khayri
Associate Professor of Linguistics &
Dean of Information Technology

الملخص

تقدم هذه الورقة محاولة للوقوف على المستوى المعرفي لفرع النحو الإنجليزي عند بعض القائمين على تدريس اللغة الإنجليزية، فالدراسة تبحث في إمكانية التوصل إلى صور حقيقة عن طبيعة ومستوى «الوعي النحوي» لدى مجموعة المحاضرين الذين يقومون بالتدريس في مركز اللغة الإنجليزية بجامعة الطائف. وإستخلاص المعلومات محل البحث قام الباحثان باستخدام أداتين: الاستبيان المركّز في تصميمه على اختبار تحديد «المستوى الفوق معرفي» للنحو الإنجليزي وطبيعة تلك المعرفة، وهو ينسب إلى Andrews (1999)، والذي استقنه بدورها من اختبار Bloor (1986). أما الأداة الثانية فتمثل في المقابلة الشخصية لعينة من المحاضرين للتأكد على تلاقي تنتائج تحليل الأداة الأولى ومن ثم تحديد وجود (أو غياب) بعض العوامل التي تحكم المعلومة النحوية الفوق معرفية. وقد أسهمت النتائج المترقبة في الكشف عن بعض المكونات الأساسية للوعي الفوق نحوبي عند العينة التي استهدفتها البحث ليس فقط على أنها حالة خاصة لمحاضري مركز اللغة الإنجليزية بجامعة الطائف ولكن على أنها توصيف شبه عام ينصحب على معظم جامعات المملكة العربية السعودية. من هنا خرج الباحثان ببعض التوصيات التي ستسهم جدياً في تحسين أداء وتدريب محاضري اللغة الإنجليزية ليس فقط في جامعة الطائف بل في غالبية جامعات المملكة.

مفاتيح البحث: النحو، المستوى «الفوق معرفي» للنحو الإنجليزي، إكتساب اللغة الثانية، تدريس اللغة الإنجليزية، تصميم مناهج الجامعات السعودية، إعداد وتدريب محاضري اللغة الإنجليزية بالجامعات السعودية



جامعة الطائف

Metaknowledge of English Grammar among Taif University English Language Instructors

**المستوى «الفوق صوري» للنحو الإنجليزي
لدى محاضري اللغة الإنجليزية بجامعة الطائف**

أ.د. حسن البنا محمود جابر الله

أستاذ اللغويات بكلية الآداب

ومستشار بوكالة الدراسات العليا والبحث العلمي

د. محمد علي الخيري

أستاذ اللغويات المشارك بكلية الآداب

وعميد التقنية ونظم المعلومات

2013 1435

اختبار المستوى الفوق المعوفي للنحو الإنجليزي عند القائمين على تدريس اللغة الإنجليزية في جامعة الطائف

تبحث هذه الدراسة التي أجرتها حسن البنا جابر الله ومحمد علي خيري في إمكانية التوصل إلى صورة حقيقة عن طبيعة ومستوى «الوعي النحوي» لدى مجموعة من القائمين بتدريس اللغة الإنجليزية بجامعة الطائف.

فقد استخدم الباحثان أداتين إستبيان يرتكز في تصميمه على اختيار تحديد «المستوى الفوق معرفياً» للنحو الإنجليزي وطبيعة تلك المعرفة، ومقابلة شخصية لعينة من المحاضرين للتأكد على تلاقي نتائج تحليل الأداة الأولى ومن ثم تحديد وجود (أو غياب) بعض العوامل التي تحكم المعلومة النحوية الفوق معرفية.

كشفت النتائج عن بعض المكونات الأساسية للوعي النحوي الفوق نحوي عند العينة التي استهدفتها البحث ليس فقط على أنها حالة خاصة لمحاضري جامعة الطائف ولكن على أنها توصيف شبه عام ينبع على كثير من جامعات المملكة، من هنا خرج البحث ببعض التوصيات التي ستسهم في تحسين أداء وتدريب محاضري اللغة الإنجليزية في جامعات المملكة.

8. "Determining the outliers and their effect on estimating linear regression model and processing them to predict the accumulative grade of Um Al-Qura University health majors," by Mohammed M Al-Shumrani, proposes some methods that discover data outliers. Its main target is to determine some outliers that affect the linear regression model using several measures, and compare the processing methods of the data outliers to obtain more accurate results in the model. The study sample was 167 Um Al-Qura students admitted 2006/2007 and completed their first year majoring in the health subjects. The outliers were discovered via different graphs and analytical methods: DFFTIS, Cook's, COVRATIO and Mahalanobis scales. The study, which came up with several findings, e.g., the graph and analytical standardized residuals and studentized residuals help discover the outliers, made some significant recommendations.
9. "The aesthetics of setting in Al-Naml "The Ants" Chapter," by Fayza A Al-Harbi, considers, in its two major divisions, some artistic aspects of locale in Quranic narrative, especially as a tool to structure the novella as revealed in the Holy Quran. The author surveys the locations mentioned in the narrative accounts, e.g., Prophet Solomon and the hoopoe and Sheba's Kingdom. She highlights the fact that setting contributes to uncovering many components of the artistic text, personality traits, human emotions, narrative scenes, human interaction, temporality signals and narrative models—all elements that improve our discernment of a Quranic portrayal.

elaborating on. One objective of the paper is to help readers, Moslems and non-Moslems alike, sort out rules, recommendations or instructions of managing potential foods, especially in the absence of a holy book to regulate the treatment of these foods for the followers of these so-called religious convictions. Ultimately, the paper hopes to offer some guidelines to classify these foods with some justifications for the author's proposed distribution.

5. "Benefiting from mortgage by its holder in Islamic Fiqh and Jordanian law: a comparative study," by Abdul-Mahdi A Al-Shara, looks into the various opinions of men-of-religion on the issue of gain that comes to holders of mortgage in Islamic Sharia and Jordanian laws. Since this is a highly controversial issue, the author embraces the view that achieves benefit to both the original possessor and present the holder.
6. "The structure of poetic speech of Mohamed Abdul-qader Faqeh: a study on text eloquence" by Amal S Yosof, looks into the vocal structure of the poem, the nature of its actual use, and the so-called vocal erosion. Then, the author moves to analyzing some of Faqeh's poetic shapes, e.g., analogy, allegory and metonymy. Finally, she considers the role of Faqeh's poetic dictionary: the study of words is needed to improve our full understanding of his vocabulary in prose writing, verse structure and all his poems. The ultimate target is to grasp the overall indication of the word and its history.
7. "The creativity of Ahmed Shawqi's poetry openings: a study in the relationship between initial verses and their effect upon reception" by Alaa F Al-Gabri, attempts to explore how creative openings contribute to the production of a number of positive consequences upon the reader's reception of the text internal meanings. The author argues that resourceful reception generates a number of ambitious rejoinders that influence and dominate the readers' feelings and pushes him/her to fully interact with the text thereby creating a non-breakable bond with the text.

TABLE OF CONTENTS

1. "A proposed model to evaluate investment devices in Islamic banks in light of Islamic financial market," by Salah A Abou el-Nasser, puts forward a model to evaluate the overall performance of investment tools in some Islamic banks, e.g., *murabaha* "profit sharing," *mudaraba* "risky financing," and *musharaka* "partnership." It comes to a major conclusion, namely that *murabaha* is the most preferable instrument in the majority of Islamic banks mainly because it is limited in matters of financing. Moreover, because it is highly risky in any investment process, *musharaka* is least common in banking transactions.
2. "Scenes of the Day of Judgment in *Zalzala* 'Earthquake' Chapter," by Ibrahim S Ibrahim, portrays many horrible occurrences to take place during Afterlife: the earth shall shudder, man will wonder what ails it, the earth shall tell its tidings, and men shall come up in separate bands to deliberate their deeds. The author argues that, despite the multiple distribution of many horrible sights on the pages of the Great Qur'an, e.g., resurrection, judgment, paradise and hell, the *Zalzala* depictions reveal a specially enlightening reflection, persuasive and substantial.
3. "Reality of professional performance for teachers of public education in light of quality standards of education in the Kingdom of Saudi Arabia: a field study on teachers of public education in Qassim," by Ali S Al-Shayea, tries to identify the reality of professional performance competencies needed to enable teachers perform well. Another objective is to determine the criteria of this feature in the Kingdom, and provide a proposed perspective that may enhance teachers' class performance. The results show that teachers provide for indicators that relate to structured knowledge transferring without paying attention to its utilization; and that there are deficiencies in the design of educational experiences which challenge students' abilities.
4. "Non-Islamic foods of non-religion followers," by Ilham A Ba-Junaid, explores several food possibilities that Moslem Faqihs spent long time

Taif University Journal

Third Edition - Volume 10: 1434-2013

Editorial Board

Prof Aali S Al-Qurashi, Chair

Prof Yehya A. Al-Thumali, Secretary

Prof Hassan El-Banna Gaballa, Member

Prof Burykan S Al-Shelwi, Member

Dr Jaber M Abdullah, Member

Chief Executive Officer

Dr. Abd Allah Dhawi Al-Otabi

Technical Assistants

Adel S Al-Rawqi

Salman A Al-Sulaimani

Adel A Al-Humaidi



Taif University Journal

Human Studies

Third Edition
Volume 10:1434-2013

